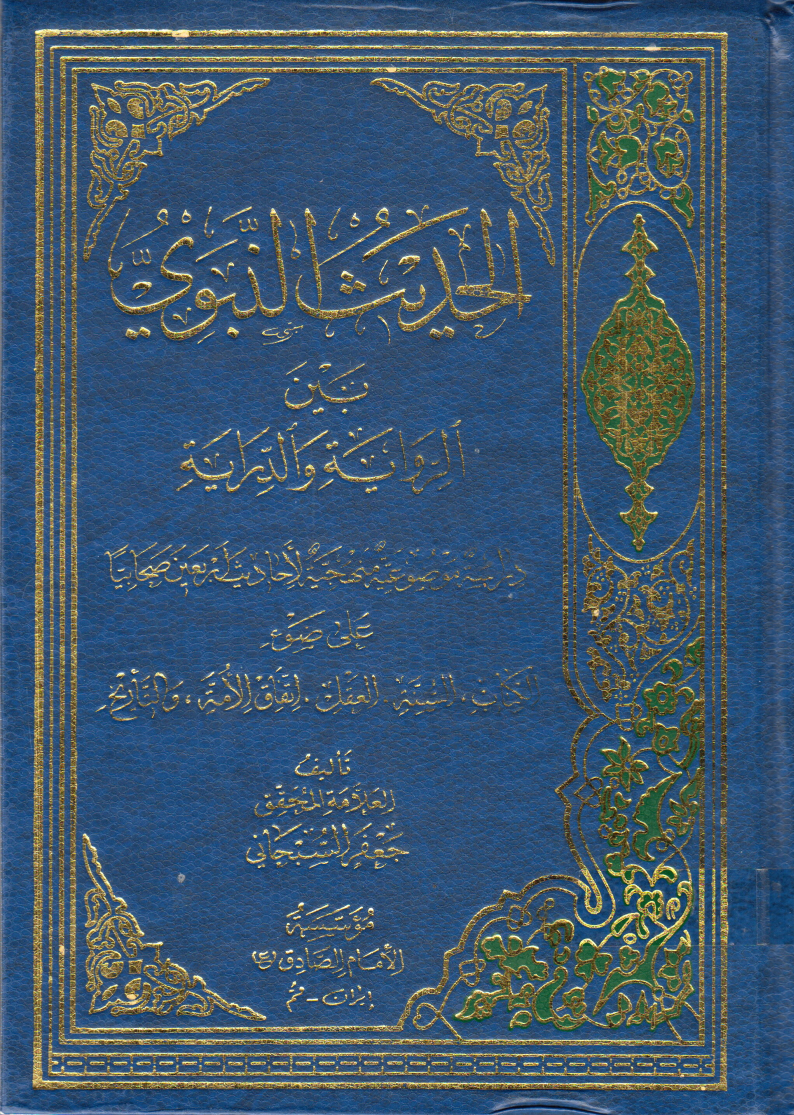
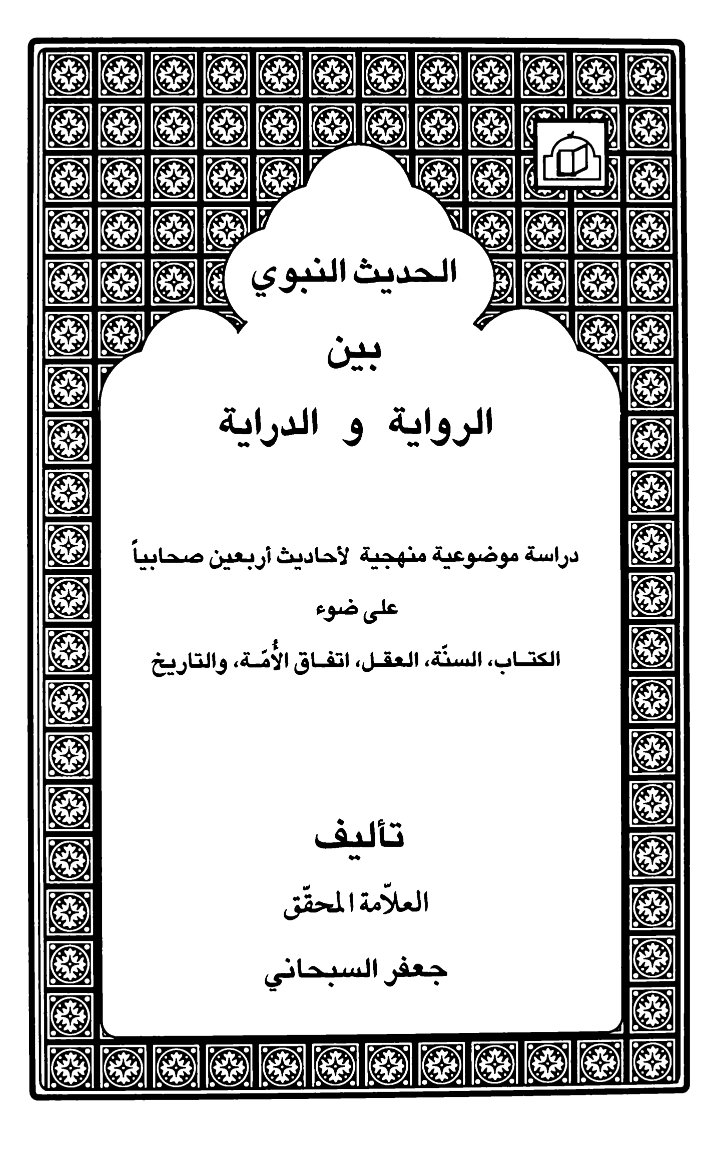

الحديث النبوي
بين
الرواية والدراية
دراسة موضوعية مصححة لأحاديث أربعين صحابياً
على ضوء
الكتاب، السنة، العقل، اتفاق الأمة، والتاريخ
تأليف
العلامة المحقق
جعفر السبحاني
مؤسسة
الإمام الصادق (ع)
إيران - قم



الحديث النبوي

بين

الرواية و الدراية

دراسة موضوعية منهجية لأحاديث أربعين صحابياً

على ضوء

الكتــاب، السنّة، العقـل، اتفـاق الأُمّـة، والتاريـخ

تأليف

العلاّمة المحقّق

جعفر السبحاني



الحديث النبوي بين الرواية والدراية

العلاّمة المحقّق جعفر السبحاني

الموضوع: دراسة موضوعية منهجية لأحاديث أربعين صحابياً

المطبعة: اعتماد . قم

الطبعة: الأولى

التاريخ: ١٤١٩هـ

الكمية: ٢٠٠٠

صف واخراج ونشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

٤ ـ ٤٤ ـ ٦٢٤٣ ـ ٩٦٤ : شابك
ISBN: 964 - 6243 - 44 - 4

توزيع

مكتبة التوحيد

قم ـ ساحة الشهداء ـ ☎ ٧٤٣١٥١ و ٩٢٥١٥٢

الحديث النبوي
بين الرواية والدراية

□ خطب رسول الله ﷺ وقال:

«أيُّها النّـــــاسُ، إنّي وَاللهِ لا أَدْرِي لَعَلّي لاأَلْقاكُمْ بَعْدَ يَوْمِي هٰـذا بِمَكاني هٰذا، فَرَحِمَ اللهُ مَنْ سَمِـعَ مَقالَتـي اليَوْمَ فَـوَعـاها، فَـرُبَّ حامِلِ فِقْهٍ ولا فِقْهَ لَهُ، وَرُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إلىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ...».

مسند أحمد: ٤/ ٨٠ و سنن ابن ماجة: ١/ ٨٥ برقم ٢٣١، الكافي: ١/ ٤٠٣ برقم ٣

□ قال الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«...عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعـايَةٍ، وَرِعايَةٍ، لا عَقْلَ سَماعٍ وَرِوايَـةٍ، فَـإِنَّ رُواةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرُعاتَهُ قَلِيلٌ».

نهج البلاغة، الخطبة: ٢٣٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الـذي تواترت نعماؤه، واستفاضت آلاؤه، والصـلاة والسّلام علىٰ سيّد المرسلين، وخـاتم النبيّين محمّد وآله الطيّبين الطاهـرين، صلاة موصـولة، لا مقطوعة، إلى يوم الدين.

إنّ السنّـة النبويـة هي المصـدر الثاني للعقيـدة والشريعـة، ولذلـك عكف المسلمون علىٰ جمع ما روي عنه ﷺ من قول أو فعل أو تقريـر بنحو لا مثيل له في الأُمم السـابقة، وقد استأثـرت السنّة بأهميـة بالغة عنـد المسلمين، حدت بهم إلى تأسيس علوم بُغية فهم كتاب الله وسنة نبيّه. هذا من جانب.

ومن جانب آخـر قد دسّ فيها أحاديـث كثيرة مكذوبة وموضـوعة من قبل أصحاب الأهواء ورجال العيث والفساد.

وقد صار ما ذكـرنا سبباً لوضع ضوابط لتمييـز الصحيح منها عن السقيم، وألّف الباحثون في ذلـك المضمار مصنفات عديدة أثْرت المكتبة الإسـلامية. شكر الله مساعيهم الجميلة.

وقد نهجوا سبيل النقاش في مسانيد الحديث ورجاله، وخرجوا بنتائج باهرة، ففرزوا الموضوعات والمندسّات عن غيرهما، وصار التوفيق حليفاً لهم إلى حدّ.

ولكن ثمة طريق آخر فاتهم سلوكه، وهو عرض مفاد الحديث ومضمونه على ضوابط رصينة حتى يتميز بها الحق من الباطل والصحيح عن الزائف، وهذه الضوابط عبارة عن الأُمور التالية:

١. الكتاب العزيز.

٢. السنّة المتواترة أو المستفيضة.

٣. العقل الحصيف.

٤. ما اتفق عليه المسلمون.

٥. التاريخ الصحيح.

فيعرض الحديث على هذه الضوابط التي لا يستريب فيها أي مسلم واع، فإذا لم يخالفها نأخذ به إذا كان جامعاً لسائر الشرائط [١]، وإذا خالفها نطرحه وإن كان سنده نقياً.

هذا هو المقياس لتمييز الصحيح عن السقيم، وإن كان الإمعان في الأسانيد أيضاً طريقاً آخر لنيل تلك الغاية.

ولكن المحدّثين سلكوا النهج الأوّل دون الثاني.

ونحن بفضل الله سبحانه و تعالى نسلك الطريق الثاني، ونتناول بالبحث روايات أربعين صحابياً على ضوء الضوابط السابقة، ليكون نموذجاً لما اخترناه بغية فتح الباب على مصراعيه في وجه الآخرين.

نعم نختار من كلّ صحابي قسماً من رواياته لا كلّها، كما نذكر قسماً من روائع رواياته التي رويت عنه.

---

١. نعم يكفي في حجية الحديث كونه غير مخالف للأُمور القطعية، كما سيوافيك بيانه.

وثمة نكتة جديرة بالإشارة، وهي انّه لانحمّل سُقم الروايات على عاتق الصحابي الذي رويت عنه أو التابعي الذي روىٰ عنه، بل نركز على أنّ الرواية سقيمة، وأمّا من تولّى كِبْرِه فهو أمر غير مطروح في هذا المقام إلاّ في موارد خاصّة.

وفي خاتمة المطاف أودُّ أن أُشير إلى أنّنا راعينا ــ في دراسة سيرة الصحابة والأحاديث التي نقلت عنهم ــ ترتيب أسمائهم حسب وفياتهم.

وحيث إنّ طائفة كبيرة من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة رُويت عن غير واحد منهم، فقد أوجب ذلك تكراراً في دراسة بعض الروايات، نظير:

نزوله سبحانه إلى السماء الدنيا، الشؤم في المرأة، بول النبي قائماً، سلطان إبليس على النبي في حال صلاته، طواف النبي علىٰ نسائه في ليلة و احدة، وضع الربّ رجله في نار جهنم، أو انّه سبحانه ليس بأعور، إلى غير ذلك من الأحاديث. ولذلك بسطنا الكلام في كلٍّ منها عند ترجمة واحد منهم، وأوجزنا الكلام عند ترجمة الآخرين.

ولا ندّعي انّنا استوفينا البحث في أكثر الروايات الموضوعة، فضلاً عن جميعها، وانّما قدّمنا للقارئ الكريم أنموذجاً من تلك الروايات التي عزيت إلى أربعين صحابياً، عسىٰ أن تكون فاتحة خير لمساهمات لاحقة من قبل الباحثين في هذا المضمار.

ولنذكر قبل الدخول في المقصود عدة أُمور تمهّد السبيل لفهم ما نصبو إليه. والله من وراء القصد.

جعفر السبحاني

١

مكانة السنّة النبوية

السنّة في اللّغة الطريقة، وفي الاصطلاح ما صدر عن النبي ﷺ من: قول أو فعل أو تقرير. وهي الحجّة الثانية بعد الكتاب العزيز، سواء أكان منقولاً باللفظ أم منقولاً با لمعنىٰ، وقد خصّ الله بها المسلمين دون سائر الأُمم، واهتمّ المسلمون بنقل ما أُثـر عن النبي ﷺ وتحرّوا في نقلـه الدقـة، وكفىٰ في كـونها من مصادر العقيـدة والتشريع قـوله سبحـانه: ﴿وَمٰـا يَنْطِقُ عَـنِ الهَـوىٰ* إِنْ هُـوَ إِلاّ وَحْيٌ يُـوحـىٰ﴾ (النجم/ ٣ ـ ٤) والآية وإن كانت ناظرة إلى الوحي القرآني لكن قوله: ﴿وَمٰا يَنْطِقُ عَنِ الهَوىٰ﴾ غير قـابل للتخصيـص، فهي قـاعدة كليـة في كـلّ ما يصـدر منـه ويصدق عليه أنّه مما نطق به النبيّ ﷺ، قال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الكِتابَ وَالْحِكْمَـةَ وَعلّمَـكَ مٰـا لَـمْ تكُـن تَعْلَـمُ وَكـانَ فَضْـلُ اللهِ عَلَيْـكَ عَظِيمـاً﴾ (النساء/ ١١٣) والمراد من الفضل العظيم، الذي أُشير إليه في ذيل الآية هو علم النبي ﷺ بشهادة قوله: ﴿وَعلّمك مٰا لَمْ تكُنْ تَعْلَم﴾ .

إلى غير ذلك من الآيات التي تبعث المسلمين إلى اقتفاء أثر النبي ﷺ، مثل

قوله سبحانه: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر/ ٧) بناء على أنّ المراد من قوله ﴿آتاكم﴾ ـ بقرينة ﴿ما نهاكم عنه﴾ ـ خلاف «ما نهاكم»، لا ما أتاكم من الغنائم.

إنّ السنّة هي المبيّنة للقرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل/ ٤٤).

اتفقت الأُمّة الإسلامية على أنّ السنّة الشريفة هي المصدر الثاني بعد الكتاب، بل ذهب أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى أنّ جميع ما يحتاج إليه الناس موجود في الكتاب والسنّة.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ الله تبارك و تعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأُمّة إلاّ أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله وجعل لكلّ شيء حدّاً، وجعل عليه دليلاً، وجعل على من تعدّى ذلك الحدّ حدّاً». [١]

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما من شيء إلاّ فيه كتاب أو سنّة». [٢]

إنّ السنّة النبوية تكون تارة ناظرة إلى القرآن الكريم فتُبيّن مجملاته كالزكاة والصلاة والصوم، أو تخصص عموماته، أو تقيّد مطلقاته، وأُخرى تكون ناظرة إلى بيان العقيدة والشريعة فحسب، وفي كلا القسمين تكون الصياغة والتعبير للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولكن المحتوى والمضمون وحي من الله سبحانه ولذلك تُعدُّ السنّة عِدْلاً للقرآن الكريم، فالصلاة والزكاة والصوم والحجّ أُمور توقيفيّة لا تُعْلم إلاّ من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فهو المبيّن لحقائقها، وشروطها وموانعها، وقد صلّى صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «صلّوا كما رأيتموني أُصلّي» وبذلك رفع الإجمال عن ماهية الصلاة المأمور بها، ومثلها باب الزكاة والحجّ وغيرها من أبواب الفقه.

---

١ و ٢ . الكليني: الكافي: ١/ ٩٥، باب الرد إلى الكتاب والسنّة، الحديث ٢و٤.

فالسنّة النبوية هي المصدر الأصيل ــ كالقرآن ـ للتشريع ولا غنى لفقيه أو محدّث عنها، و من قال«حسبنا كتاب الله» فإنّما قالـه بلسانه وأنكره بجنانه، إذ هو يعلم انّ كتاب الله وحـده غير وافٍ بالتشريع، وقـد أكد النبي ﷺ علىٰ تفنيد هذه المزعمة بقوله في حديث الأريكة الـذي رواها أصحاب الصحاح والمسانيد بصور مختلفة.

أخرج ابن مـاجة بسنده عن المقـدام أنّ رسول الله ﷺ قال: يوشك الرجل متّكئاً على أريكته، يحدِّث بحـديث من حديثي ، فيقول: بيننـا وبينكم كتاب الله عزّوجلّ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه،وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه.

ألا، وإنّ ما حرّم رسول الله ﷺ مثل ما حرّم الله». [١]

وقال ابن حزم: لو انّ امرأً قال: لا نأخذ إلاّ مـا وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمّة ... وقائل هذا: كافر مشرك حلال الدم والمال. [٢]

إلى غير ذلـك من الكلمات التـي أغنـانـا عـن نقلهـا وضـوح الموضـوع واتفـاق المسلمين عليـه و إنّما الـلازم طـرح سـائر مـا يمتُّ إلى السنّـة النبـويـة بصلة.

---

١. سنن ابـن ماجـة:١/ ٦ برقـم ١٢، باب تعظيم رسـول الله ﷺ والتغليظ على من عـارضه؛ مسنـد أحمد:٤/ ١٣١؛ و سنن أبي داود:٤/ ٢٠٠ برقم ٤٦٠٤، باب في لزوم السنة، وفيه مكان «الرجل»: «رجل شبعان» ؛ و سنن الترمذي: ٥/ ٣٧ برقم ٢٦٦٣، الباب ١٠؛ إلى غير ذلك.

٢. الاحكام في أُصول الاحكام:١/ ٢٠٨.

٢

اهتمام النبي ﷺ بتدوين الحديث

قد اشتهر بين المحدّثين أنّ النبي ﷺ نهىٰ عن تدوين الحديث وكتابته لعلل سيوافيك شرحها وتحليلها. ولكن الشهرة في غير محلّها، وقد قيل: كم شهرة لا أصل لها، بل الصحيح هو انّه ﷺ أمر في غير مرّة بتدوين حديثه وكتابته، وإليك نماذج منها:

١. ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة انّ خزاعة قتلوا رجلاً من بني ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه، فأخبر بذلك النبي ﷺ فركب راحلته فخطب، فقال: إنّ الله حبس عن مكة القتل أو الفيل (شك أبو عبد الله) وسلّط عليهم رسول الله ﷺ والمؤمنين، ألا وانّها لم تحلّ لأحد قبلي ولم تحلّ لأحد بعدي ــ إلى أن قال ــ: فجاء رجل من أهل اليمن.

فقال: اكتب لي يا رسول الله، فقال: اكتبوا لأبي فلان ـ إلى أن قال: ـ كتب له هذه الخطبة. [١]

٢. أخرج البخاري باسناده عن وهب بن منبه عن أخيه قال: سمعت أبا هريرة، يقول: ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني إلاّ ما كان من عبد الله بن عمرو فانّه كان يكتب ولا أكتب. [٢]

---

١. صحيح البخاري: ١/ ٢٩ـ٣٠، باب كتابة العلم، الحديث ١١٢.

٢. المصدر نفسه: ١/ ٣٠، باب كتابة العلم، الحديث ١١٣.

٣. ما أخرجه البخاري عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال:
لمّا اشتدّ بالنبي ﷺ وجعه، قال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده».

قال عمر: إنّ النبي ﷺ غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط، قال: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع.

فخرج ابن عباس، يقول: إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه. (١)

٤. أخرج أبو داود في سننه عن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أُريد حفظه فنهتني قريش وقالوا: أتكتب كلّ شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب و الرضا؟ فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ باصبعه إلىٰ فيه، وقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلاّ حقّ». (٢)

٥. أخرج الترمذي في سننه عن أبي هريرة، قال: كان رجل من الأنصار يجلس إلى النبي ﷺ فيسمع من النبي ﷺ الحديث فيعجبه ولا يحفظه، فشكا ذلك إلى النبي ،فقال:يا رسول الله إنّي أسمع منك الحديث فيعجبني و لا أحفظه، فقال رسول الله ﷺ: «استعن بيمينك» وأومأ بيده للخط. (٣)

٦. أخرج الخطيب البغدادي عن رافع بن خديج، قال: مرّ علينا رسول الله ﷺ يوماً، ونحن نتحدث، فقال: «ما تحدّثون؟».

---

١. صحيح البخاري: ١/ ٣٠، باب كتابة العلم.

٢. سنن أبي داود:٣/ ٣١٨ برقم ٣٦٤٦، باب في كتاب العلم؛ ومسند أحمد:٢/ ١٦٢؛ سنن الدارمي : ١/ ١٢٥، باب من رخّص في كتابة العلم.

٣. سنن الترمذي: ٥/ ٣٩ برقم ٢٦٦٦.

فقلنا: نتحدث عنك يا رسول الله.

قال: «تحدّثوا، وليتبوّأ من كذّب عليّ مقعداً من جهنم».

ومضىٰ ﷺ لحاجته، ونكس القوم رؤوسهم...، فقال: «ما شأنكم؟ ألا تحدّثون؟».

قالوا: الذي سمعنا منك، يا رسول الله.

قال: «إنّي لم أرد ذلك، إنّما أردت من تعمد ذلك»، قال: فتحدثنا.

قال: قلت: يا رسول الله، إنّا نسمع منك أشياء، فنكتبها.

قال: «اكتبوا ولا حرج». (١)

ثمّ إنّه ﷺ أعرب عن موقفه حيال كتابة الحديث بفعله حيث كتب إلى عمّاله وغيرهم كُتباً تتعلق بالأُمور الدينية، وقد حفظها التاريخ في طياته وإليك الإشارة إلىٰ بعضها:

١. كتابه إلىٰ عمرو بن حزم الأنصاري عامله على اليمن. (٢)

٢. كتابه إلى وائل بن حجر الحضرمي وقومه في حضرموت. (٣)

٣. كتاب في الزكاة والديات وكان عند أبي بكر. (٤)

إلى غير ذلك من الكتب المتعلقة بالأُمور الدينية، مضافاً إلى كتاباته ومواثيقه وعهوده مع شيوخ القبائل كما سيوافيك بيانها.

ولعلّ هذا المقدار يفي بإثبات الأهمية التي أولاها الرسول ﷺ بكتابة حديثه.

---

١. تقييد العلم: ٧٢ و٧٣. ٢. دلائل النبوة للبيهقي: ٥/ ٤١٣.

٣. طبقات ابن سعد: ١/ ٢٨٧.

٤. صحيح البخاري كما في فتح الباري: ٣/ ٣١٧ وفيه: انّ أبا بكر كتب له (لأنس) هذا الكتاب لما وجّهه إلى البحرين: «بسم الله الرّحمن الرّحيم هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله على المسلمين...» والظاهر انّ الكتاب كان للنبي ﷺ وقد احتفظ به أبو بكر، فكتب عنه عندما بعث أنس بن مالك إلى البحرين.

وقد قام لفيف من الصحابـة بكتابة الحديث في عهده ﷺ وبعده، نشير إلى طائفة منهم:

١. أنس بن مالك.

روى يزيـد الرقـاشي، قال: كنّـا إذا أكثرنـا على أنس بن مـالك القى إلينـا بمخلاة أو أتانا بمخـال، فألقاها إلينا، وقال: هذه أحـاديث كتبتها عن رسول الله ﷺ أو سمعتها من رسول الله ﷺ وكتبتها وعرضتها. [١]

٢. جابر بن عبد الله الأنصاري، له صحيفة مشهورة ذكرها ابن سعد. [٢]

وقد أورد مسلم شيئاً من تلك الصحيفة في كتاب الحج من صحيحه. [٣]

٣. معاذ بن جبل كان لديه كتاب يحتوى علىٰ أحاديث. [٤]

٤. حنظلة بن ربيع الكاتب.

قال الشيخ الطوسي: روىٰ كتاباً للنبي ﷺ. [٥]

٥. أبـو رافع المدني، كـان يملي علىٰ ابـن عبـاس الحديث فيكتبـه [٦] وهو مصنف كتاب السنن والأحكام والقضايا. [٧]

إلى غير هؤلاء من الشخصيات الإسلامية المعدودة من الصحابة، فقد كتبوا كتباً ودوّنـوا صحفاً واحتفظـوا بها في عهد الـرسول ﷺ وبعده، وإن كـانت تلك الصحف صحفاً غير مرتبة ولا منظمة، بل كانت أشبه بالمسانيد.

هذا كلّه من طرق أهل السنّة.

---

١. محاسن الاصطلاح: ٢٩٧، كما في تدوين السنة الشريفة: ٢١٠.

٢. الطبقات الكبرى: ٥/ ٤٦٧.

٣. صحيح مسلم: ٤/ ٣٨ـ٤٣ باب حجّة النبي من كتاب الحجّ.

٤. حلية الأولياء: ١/ ٢٤٠.

٥. الفهرست: ٩١.

٦. تقييد العلم: ٩١ـ٩٢.

٧. رجال النجاشي: ٢.

وأمّا ما روي عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، فحدث عنه ولا حرج، فقد دلت الأخبار على أنّ علياً كان من السبّاقين في تدوين السنّة النبوية في عصره صلى الله عليه وآله وسلم وقد كتب ما أملاه عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صحيفة عرفت بكتاب علي عليه السلام تارة، وبالجامعة أُخرى، وقد ورث هذه الصحيفة أبناؤه واحد تلو الآخر وكانوا يعتمدون عليها ويُفتون على ضوء ما يجدون فيها، وإليك بعض ما أثر عنهم عليهم السلام:

١. قال الإمام الباقر عليه السلام لأحد أصحابه ـ أعني حُمران بن أعين ـ وهو يشير إلى بيت كبير: «يا حمران إنّ في هذا البيت صحيفة طولها سبعون ذراعاً بخطّ علي عليه السلام وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لو وُلّينا الناس لحكمنا بما أنزل الله لن نعدو ما فيها».

٢. قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام لبعض أصحابه: «يا جابر إنّا لو كنّا نحدّثكم برأينا لكنّا من الهالكين، ولكنّا نحدّثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

٣. قال الإمام الصادق عليه السلام عند ما سئل عن الجامعة: «فيها كلّ ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلاّ فيها حتى أرش الخدش».

٤. وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً، وهو يعرف كتاب عليّ: «طوله سبعون ذراعاً، إملاء رسول الله من فلق فيه، وخطّ علي بن أبي طالب عليه السلام بيده، فيه والله جميع ما يحتاج إليه الناس إلى يوم القيامة، حتى أنّ فيه أرش الخدش والجلدة ونصف الجلدة.

٥. ويقول سليمان بن خالد: سمعت أبا عبد الله عليه السلام، يقول: «إنّ عندنا لصحيفة طولها سبعون ذراعاً إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطّ عليّ عليه السلام بيده، ما من حلال ولا حرام إلاّ وهو فيها حتى أرش الخدش».[1]

---

١. وقد جمع العلاّمة المجلسي ما ورد من الأثر حول صحيفة الإمام عليّ عليه السلام في موسوعته بحار الأنوار: ٢٦ / ١٨ ـ ٦٦، تحت عنوان باب «جهات علومهم وما عندهم من الكتب»، فلاحظ الحديث ١٢، ١، ١٠، ٣٠.

٣

المنع الشرعي عن كتابة الحديث؟!

قد تجلّت الحقيقة بأجلىٰ مظاهرها وظهر مما تقدم أنّ الرسول أولىٰ عناية فائقة بكتابة الحديث وقام بكتابته عن طريق كُتّابه، وتبعه لفيف من أصحابه فألّفوا صحائف ورسائل في حديثه ﷺ وإن كانت مختصرة وغير منظمة، لكنّها شكلت اللبنات الأُولى لتدوين الحديث في القرن الثاني.

وربما يُتَخيل انّه كان هناك منع شرعي عن كتابة الحديث استناداً إلىٰ الأحاديث التالية:

حديث أبي سعيد الخدري

١ . أخرج أحمد، عن همام بن يحيىٰ، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن، ومن كتب شيئاً سوى القرآن فليمحه». [١]

٢ . وأخرج أيضاً بهذا السند عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكتبوا عني شيئاً، فمن كتب عني شيئاً فليمحه». [٢]

وقد رواه الخطيب بصور مختلفة [٣] كلّها تنتهي إلى زيد بن أسلم، عن عطاء

---

١ و ٢ . مسند أحمد: ٣/ ١٢ ولاحظ تقييد العلم: ٢٩و ٣٠.

٣. تقييد العلم:٢٩.

ابن يسـار، عن أبي سعيد الخدري. وهـو يكشف عن أنّ الحديث مضطـرب المتن لوجود الاختلاف في مضامينه وصوره.

وقد اقتصرنا على الصورتين الماضيتين اللّتين رواهما أحمد في مسنده.

ولا يُحتج بمثـل هذا الحديـث في مقـابل الأحـاديث السـابقـة الدالـة على رجحان الكتابة، مضافاً إلى ما رواه الذهبي في حقّ «زيد بن أسلم» قال: روي عن حماد بن زيد، قال: قـدمت المدينة وهم يتكلّمون في زيد بـن أسلم، فقال لي عبيد الله بن عمر: ما نعلم به بأساً إلاّ أنّه يفسّر القرآن برأيه. [1]

٣. وهناك حديث آخـر لأبي سعيد، أخرجه الخطيب عن سفيـان بن عيينة، عن عبد الرحمان بـن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عطاء بـن يسار، عن أبي سعيد، قال: استأذنت النبي ﷺ أن أكتب الحديث، فأبى أن يأذن لي. [2]

والحديث ضعيف بعبد الرحمان.

قال يحيى بن معين: بنو زيد بن أسلم ليسوا بشيء.

وروى عثمان الدارمي عن يحيى: ضعيف.

وقال البخاري: عبد الرحمان ضعّفه عليّ جداً.

وقال النسائي: ضعيف. إلى آخر ما ذكر. [3]

ورواه الدارمي عن نفس زيد بن أسلم. [4]

وقـد ورد سفيان بن عيينـة في جميع أسـانيـد الحديث الأخير، وهو معـروف

---

١. ميزان الاعتدال: ٢/ ٩٨ برقم ٢٩٨٩.

٢. تقييد العلم: ٣٢.

٣. ميزان الاعتدال: ٢/ ٥٦٤ برقم ٤٨٦٨.

٤. سنن الدارمي: ١/ ١١٩، باب من لم ير كتابة الحديث.

بالتدليس. وأمارة التدليس في المقام واضحة، لأنّه رواه تارة عن زيد بن أسلم وأُخرى عن ابنه عبد الرحمان.

حديث أبي هريرة

١. أخرج أحمد في مسنده، عن عبد الرحمان بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، قال: كنّا قعوداً نكتب ما نسمع من النبي ﷺ فخرج علينا، فقال: «ما هذا تكتبون؟».

فقلنا: ما نسمع منك، فقال: «أكتاب مع كتاب الله؟» فقلنا ما نسمع، فقال: «اكتبوا كتاب الله، امحضوا كتاب الله، أكتاب غير كتاب الله؟ امحضوا كتاب الله أو خلصوه»، قال: فجمعنا ما كتبنا في صعيد واحد ثمّ أحرقناه بالنار.

قلنا: أي رسول الله، أنتحدث عنك؟ قال: «نعم، تحدثوا عنّي ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار»، قال: فقلنا: يا رسول الله أنتحدث عن بني إسرائيل؟ قال: «نعم، تحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، فانّكم لا تحدّثون عنهم بشيء إلاّ وقد كان فيهم أعجب منه». [١]

٢. وأخرج الخطيب، عن عبد الرحمان بن زيد بنفس السند السابق، عن أبي هريرة، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نكتب الأحاديث، فقال: «ما هذا الذي تكتبون؟».

قلنا: أحاديث سمعناها منك.

قال: «أكتاباً غيركتاب الله تريدون، ما أضلَّ الأُمم من قبلكم إلاّ ما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله».

---

١. مسند أحمد:٣/ ١٢.

قال أبو هريرة فقلت: أنتحدث عنك يا رسول الله؟

قال:« نعم تحدثوا عني ولا حرج، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». [١]

٣. أخرج الخطيب بنفس السند عن أبي هريرة قال: بلغ رسول الله ﷺ انّ ناساً قد كتبوا حديثه، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: ما هذه الكتب التي بلغني أنّكم قد كتبتم إنّما أنا بشر، من كان عنده منها شيء فليأت به، فجمعناها «فأخرجت»[كذا] ، فقلنا: يا رسول الله نتحدث عنك؟ قال: تحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمداً، فليتبوّأ مقعده من النار. [٢]

وهذه الأحاديث المنتهية إلىٰ أبي هريرة لا يحتج بها.

أوّلاً: لوقوع «عبد الرحمان بن زيد بن أسلم» في جميع الأسانيد وقد عرفت حاله.

ثانياً: وجود الاختلاف في المضامين كما هو واضح عند المقارنة.

ثالثاً: تعارضها بما سبق من الروايات المتضافرة الدالة على خلافها.

حديث زيد بن ثابت

أخرج الخطيب البغدادي باسناده إلىٰ كثير ابن زيد عن المطلب بن عبد الله ابن حنطب، قال: دخل زيد بن ثابت علىٰ معاوية، فسأله عن حديث، فأمر إنساناً يكتبه، فقال له زيد: إنّ رسول الله ﷺ أمرنا أن لا نكتب شيئاً من حديثه، فمحاه. [٣]

وقد رواه الخطيب بسندين ينتهيان إلىٰ كثير بن زيد.

قال الذهبي: قال أبو زرعة: صدوق، فيه لين.

وقال النسائي: ضعيف.

---

١ و ٢ و ٣. تقييد العلم: ٣٣، ٣٤، ٣٥.

وقال ابن المديني: صالح، وليس بقوي. [١]

وقد أخرج الخطيب روايات أُخرى لا تنتهي إلى الرسول وإنّما تحكي عمل بعض الصحابة والتابعين من محو الكتابة.

هذه هي المناقشات في سند الرواية ومضامينها، وهناك أمر آخر وهو انّ هذه الروايات لا يساعدها الذكر الحكيم أوّلاً، وتخالف السنة القولية و الفعلية ثانياً، والتاريخ الصحيح ثالثاً.

أمّا عدم مساعدة الكتاب فلانّه سبحانه اهتم بكتابة الدين اهتماماً بالغاً، وقال: ﴿يا أَيُّهَا الّذينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلىٰ أَجَلٍ مُسمّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالعَدْلِ وَلا يَأْبَ كاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَما عَلّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الّذي عَلَيْهِ الْحَقّ﴾ ثمّ عاد وأكّد على المؤمنين أن لا يسأموا من الكتابة، فقال سبحانه: ﴿وَلا تسأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبيراً إِلىٰ أَجَلِهِ﴾.

فإذا كان الدَّين بهذه المنزلة من الأهمية، فكيف بأقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقاريره التي تعتبر تالي القرآن الكريم حجية وبرهاناً؟

وثمة كلمة قيمة للخطيب البغدادي نأتي بنصِّها، قال: «وقد أدّب الله سبحانه عباده بمثل ذلك في الدين فقال عزّ وجلّ: ﴿وَلا تسأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلىٰ أَجَلِهِ ذلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهادَةِ وَأَدْنىٰ أَلّا تَرْتابُوا﴾ [٢].

فلما أمر الله تعالى بكتابة الدين حفظاً له واحتياطاً عليه وإشفاقاً من دخول الريب فيه، كان العلم الذي حفظه أصعب من حفظ الدّين أحرى أن تباح كتابته خوفاً من دخول الريب والشكّ فيه [٣].

---

١. ميزان الاعتدال: ٣/ ٤٠٤ برقم ٦٩٣٨.

٢. البقرة: ٢٨٢.

٣. تقييد العلم: ٧٠ ـ ٧١ ولكلامه صلة: فراجع.

وأمّا مخالفتها للسنّة القولية والفعلية، فكما عرفت ممّا مضى من الروايات.

وأمّا مخالفتها للتاريخ الصحيح فلما ثبت من أنّ الخليفة لمّا حاول كتابة الحديث استشار أصحاب رسول الله ﷺ، فلو كان هناك حظر من رسول الله ﷺ علىٰ ما في هذه الروايات لم يبق موضوع للاستشارة، ولما صحّ للأصحاب أن يشيروا إلى الخليفة بالكتابة.

أخرج الخطيب البغدادي باسناده عن عروة بن الزبير : انّ عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن، فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله ﷺ، فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً، ثمّ أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال: إنّي كنت أردت أن أكتب السنن، وإنّي ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً، فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله، وإنّي والله لا أُلبس كتاب الله بشيء أبداً.(١)

وأخرج أيضاً بالاسناد عن القاسم بن محمد: انّ عمر بن الخطاب بلغه أنّه قد ظهر في أيدي الناس كتب، فاستنكرها وكرهها، وقال: أيّها الناس انّه قد بلغني انّه قد ظهرت في أيديكم كتب، فأحبها إلى الله أعدلها وأقومها، فلا يبقين أحد عنده كتاب إلاّ أتاني به فأرىٰ فيه رأيي.

قال: فظنوا انّه يريد ينظر فيها ويقومها علىٰ أمر لا يكون فيه اختلاف، فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنار، ثمّ قال: أمنية كأمنية أهل الكتاب. (٢)

كل ذلك يدل على أنّ الحظر الشرعي أُسطورة تاريخية صنعتها يد الجعل تبريراً لأعمال الخلفاء حيث قاموا بوجه تدوين الحديث ونشره والتحدّث به كما سيوافيك بيانه، و مرّت الإشارة إليه آنفاً.

---

١ و ٢. تقييد العلم: ٤٩و ٥٢.

٤

العلل المزعومة لقلة الاهتمام بالتدوين

قد عـرفت أنّ النبي ﷺ اهتمّ بكتـابة حديثـه ورغّب إليها، وانّ لفيفـاً من الصحابـة قامـوا بتدوين صحف وكتـب ورسائل حول حـديثه وحفظـوا بها سنّة الرسول في عصره وبعده، فصارت كالنواة لعصر التدوين.

كما أنّ أئمّة أهـل البيت عليهم السلام وشيعتهم لم يعيروا أهميـة لمنع كتابـة الحديث، وقد دونوا كتباً ورسائل في عصر الرسول وبعده.

ولكن هنا نكتـة جديرة بـالإشارة، وهي انّ المسلمين لم يبذلـوا عناية كـافية بتدوين الحديث، وكان المترقب منهم ـ بعد رحيل الرسول ﷺ ـ هو بـذل المزيد من العنـاية بذلـك في كلّ عصر، وتشكيل حلقات الـدراسة والمذاكـرة في مسجد النبي ﷺ وخارجه كما شكّلوه في القرن الثاني.

وبذلك تعرّض تدوين الحديث لنكسة عرقلت خطاه .

فيقع الكـلام في بيان ما هـو السبب من وراء هـذه النكسة؟ فقـد ذكروا لها مبرّرات، وسنقوم بدراستها على وجه الإيجاز.

الأوّل: الاحتراز عن المضاهاة بكتاب الله تعالى

إنّ عدم الاهتمام بتـدوين الحديث كـان لغاية مقـدسة وهي عـدم اختلاط الحديث بـالقرآن الكـريم، فلذلـك انصبَّ اهتمام المسلمين على تدويـن القرآن ،

دون تدوين الحديث وذلك لئلا يختلطا.

قال الخطيب: قد ثبت انّ كراهة من كره الكتاب من الصدر الأوّل إنّما هي لئلا يضاهئ بكتاب الله تعالى غيره...ونُهي عن كتب العلم في صدر الإسلام وجِدّته، لقلة الفقهاء في ذلك الوقت والمميزين بين الوحي وغيره، لأنّ أكثر الأعراب لم يكونوا فقهوا في الدين ولا جالسوا العلماء العارفين، فلم يُؤمن أن يُلْحِقوا ما يجدون من الصحف بالقرآن ويعتقدوا أنّ ما اشتملت عليه كلام الرحمن.[١]

أقول: هذا الوجه مخدوش جداً وأشبه بدفع الفاسد بالأفسد، وبالاعتذار الأقبح، من الذنب القبيح، وذلك لأنّ القرآن الكريم أُسلوبه وبلاغته يغاير أُسلوب الحديث وبلاغته فلا يخاف عليه من الاختلاط بالقرآن مهما بلغ غيره من الفصاحة بمكان، فقبول هذا التبرير يلازم إبطال إعجاز القرآن الكريم وهدم أُصوله من القواعد، قال سبحانه: ﴿**قُل لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا القُرآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَو كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾ (الإسراء/ ٨٨).

ومعنى هذا الاعتذار انّ كلام الرسول كان بنحو ربما لا يُميّز عن كلام ربِّ العزة، فيتصوره العرب الأقحاح ـ الذين يخاطبهم القرآن بالآية الكريمة ـ انّه من القرآن الكريم.

وبعبارة أُخرى: انّ المراد من المضاهاة ـ كما عبرّ بها الخطيب، أو الاختلاط بالقرآن كما عبّر به غيره[٢] ـ إمّا هي المضاهاة الصورية، أو المضاهاة الواقعية الجوهرية.

أمّا الأُولى فيكفي في دفعها أن يكتب كلّ علىٰ حدة، فيكون لكلّ موضع

---

١. تقييد العلم: ٥٧.

٢. وهو الظاهر من حديث أبي هريرة حيث روى: امحضوا كتاب الله. ومعناه المنع عن تدوين الحديث مع القرآن.

خاص وهو أمر سهل.

وأمّا الثانية فهي غير ممكنة وذلك لأنّ للقرآن بلاغة تختص به ويتميز بها عن غيره مهما بلغ الغير من البلاغة والفصاحة بمكان، فلا تحصل المضاهاة مهما اختلطا.

على أنّ النبي ﷺ كان يتكلم بأُسلوب متعارف بين الناس في مقام التحديث، فلم يكن أيّ تشابه بين الحديث والقرآن حتى يحصل الاختلاط.

الثاني: عدم الاشتغال عن القرآن

وهذا هو العذر الثاني، وحاصله انّه لم يُدون الحديث النبوي لئلاّ يشتغل المسلمون عن القرآن بسواه أو «مخافة أن ينصرف الناس عن القرآن إلىٰ سنته وسيرته وينظروا إليهما كما ينظرون إلى القرآن ، وعلىٰ مرور الزمن تحلّ محله كما حلّت أقوال المسيح وسيرته محل الإنجيل الذي أنزله الله عليه». [١]

ولعلّه إلى ذلك الوجه يشير قول عمر على ما أخرجه الخطيب بقوله: أراد عمر أن يكتب السنن، فاستخار الله شهراً، ثمّ أصبح وقد عزم له، فقال: ذكرت قوماً كتبوا كتاباً، فأقبلوا عليه وتركوا كتاب الله. [٢]

أقول: إذا كان الاشتغال بالحديث سبباً للإعراض عن القرآن فالاشتغال بسائر العلوم الطبيعية والرياضية والأدبية أولىٰ بأن تكون موجبة للإعراض عنه، وذلك لأنّ الصلة الموجودة بين القرآن والحديث ليست موجودة بينه وبين سائر العلوم، أفيصح لعالم واع أن يفتي بتحريم الاشتغال بمطلق العلوم بذريعة انّ

---

١. انظر تقييد العلم: ٥٧ ولاحظ علوم الحديث للدكتور صبحي الصالح: ٢٠.

٢. هاشم معروف الحسني، الموضوعات في الآثار والاخبار : ١٩. ويظهر من كلامه انّه رضي بذلك العذر.

الاشتغال بها موجب للإعراض عن القرآن؟!

وأمّا قياس الاشتغال بالحديث بـاشتغال أهل الكتاب بغير كتاب الله تعالى فهو قيـاس مع الفارق، لأنّ الاشتغـال بحديث يُقيّـد مطلقاته، ويبيّن مفـاهيمه، ويوضح أسباب نـزوله، إلى غير ذلك من الحقائق الكامنـة في الحديث، اشتغال ـ في الواقع ـ بالقرآن، وهـذا بخلاف اشتغال أهل الكتـاب بغير التوراة والإنجيل، فقد اشتغلوا بما كان علىٰ طرف النقيض ممّا نزل علىٰ أنبيائهم.

على أنّ التجربة أثبتت خلاف ذلك، لأنّ المسلمين اشتغلوا منذ أوائل القرن الثاني بتدوين الحديث بجد ومثابرة، ولم يُشغلهم عن القرآن وحفظه أيّ شاغل.

الثالث: قلّة من يجيد القراءة والكتابة

وهذا الوجه يهدف إلى القول بأنّ الأُمّية السـائدة في الجزيرة العربية عاقتهم عن كتابة الحديـث، وأعانهم على ذلك سعة حفظهم وسيلان أذهـانهم، وقد أشار إليه الخطيب. [١]

قال ابن قتيبة: كان الصحابة أُميين لا يكتب منهم إلاّ الواحد والاثنان وإذا كتب لم يُتقن ولم يُصب التهجي. [٢]

أقول: إنّ ما ذكر من الفـرض باطل جداً فإنّ الأُمية لم تمنع من كتـابة القرآن الكـريم وتدوينـه، فكيف تمنع عـن كتابـة الحديث؟ فهؤلاء الكُتّـاب الذيـن بلغ عددهم نحواً من سبعة عشر كاتباً كان في وسعهم القيام بكتابة الحديث النبوي، وقد ثبت في التـاريخ انّ النبي ﷺ كان حريصـاً علىٰ مكافحة الأُمية التـي كانت

---

١. تقييد العلم: ٥٧؛ وعبّر عنه بقلّة الفقهاء، ولعلّ مراده ما ذكرناه.

٢. تأويل مختلف الحديث: ٢٨٧.

متفشية بين العرب في مطلع فجر الإسلام، وقد فرض علىٰ كلّ أسير كان يحسن القراءة والكتابة تعليم عشرة من الأُميين كفدية له في مقابل الفدية النقدية التي فرضها يوم بدر على الأسرىٰ في حين انّه كان أحوج ما يكون إلى المال في تلك الفترة من تاريخ الإسلام. (١)

ثمّ إنّ النهي عن كتابة الحديث دال على إمكانها وكثرة من يمارسها، وإلاّ لعاد النهي لغواً والتأكيد على المنع عبثاً.

وبالجملة هذه فروض ذهنية لا تنطبق على الواقع، وهناك فرض رابع ربما يكون هو السبب الحقيقي من وراء عدم بذل العناية بكتابة الحديث، وقد أوضحناه في موسوعتنا «بحوث في الملل والنحل» (٢) ولنأت في المقام بصورة واضحة مقرونة بالشواهد.

الرابع: حظر التدوين لدافع سياسي

الظاهر انّ السبب الواقعي لعدم الاهتمام بالكتابة، هو نهي الخلفاء عنها لدافع سياسي، وقد حظي هذا الدافع من الأهمية بمكان حتى انّ عمر ابن الخطاب، قال لقرظة بن كعب: جرّدوا القرآن، وأقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ. (٣)

ولما نهض عمر بأعباء الخلافة نهى عن كتابة الحديث، وكتب إلى الآفاق: انّ من كتب حديثاً فليمحه (٤) ثمّ نهىٰ عن التحدّث فتركت عدة من الصحابة

١. السيرة الحلبية: ٢/ ١٩٣، دار احياء التراث العربي.

٢. بحوث في الملل والنحل: ١/ ٦٨ـ٧٢.

٣. الحاكم النيسابوري: المستدرك: ١/ ١٠٢.

٤. تقييد العلم: ٥٣؛ و كنز العمال: ١٠/ ٢٩٢ برقم ٢٩٤٧٦.

الحديث عن رسول الله ﷺ. [١]

وأغلب الظن انّ الوجه في منع تدوين الحديث ونشره ومدارسته ومذاكرته وكتابته بعد رسول الله ﷺ هو نفس الوجه الذي منع من كتابة الصحيفة يوم الخميس عند احتضار النبي ﷺ، فالغاية بداية ونهاية وقبل رحلته وبعدها لم تتغير، وقد مضىٰ حديث ابن عباس في ذلك [٢].

وثمة سؤال يطرح نفسه وهو ماذا كان يريد رسول الله ﷺ من كتابة وصيته؟ فلو عُلم ذلك، لعُلم وجه المنع عن كتابة وصيته، كما عُلم أيضاً وجه المنع عن تدوين سنته بعد رحيله.

فنقول: لم يكن هدف النبي ﷺ إلاّ دعم موقفه من الوصية وتعيين الخليفة بعده، ويعلم هذا من مقارنة هذا الحديث الذي نقله ابن عباس مع حديث الثقلين المتفق عليه بين محدّثي السنّة والشيعة.

وذلك انّ النبي ﷺ قال في شأن الكتاب الذي مُنع عن كتابته: إئتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده.

وقد جاءت هذه العبارة بعينها في حديث الثقلين، إذ يقول فيه ﷺ: إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي.

فالتشابه الموجود بين الحديثين يعرب عمّا كان يهدفه النبي ﷺ من وراء طلب الدواة والصحيفة، وكان الهدف دعم مفاد حديث الثقلين وتعزيز ولاية الإمام علي عليه السلام وتعيين الخليفة، فقد وقف بعض الحاضرين في المجلس على أنّ وصية النبي ﷺ ستشكّل خطراً علىٰ مصالحهم، فمنعوا عن كتابة الحديث لئلا يرد نصّ مكتوب من النبي ﷺ علىٰ خليفة واحد بعينه.

---

١. راجع مستدرك الحاكم: ١/ ١٠٢.

٢. لاحظ ص ١٣.

يقول: سفيان بن عيينة: أراد أن ينصّ على أسامي الخلفاء بعده حتى لا يقع بينهم الاختلاف [١].

وهذا الوجه نفسه صار سبباً لمنع تدوين الحديث بعد رحيله لما في أحاديث الرسول من التركيز على ولاية علي عليه السلام ، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله منذ ان صدع بالدعوة وأجهر بها، نص علىٰ فضائل علي ومناقبه في مناسبات شتى، فقدعرّفه في يوم الدار الذي ضم فيه أكابر بني هاشم وشيوخهم، بقوله صلى الله عليه وآله: «إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا».

وفي يوم الأحزاب بقوله صلى الله عليه وآله: «ضربة عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين».

وفي اليوم الذي غادر فيه المدينة متوجهاً إلىٰ تبوك، وقد ترك عليّاً خليفته على المدينة، عرّفه بقوله: «أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلاّ أنّه لا نبي بعدي».

إلى أن عرّفه في حجّة الوداع في غدير خم، بقوله صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه».

إلى غير ذلك من المناقب والفضائل المتواترة، وقد سمعها كثيرمن الصحابة فوعوها.

فكتابة حديث رسول الله بمعناها الحقيقي، لا تنفك عن ضبط ماأثر عنه صلى الله عليه وآله في حقّ أوّل المؤمنين به، وأخلص الناصرين له في المواقف الحاسمة، وليس ضبط ما أثر، أمراً يلائم ذوق الذين منعوا عن الكتابة.

إنّ هذا الوجه هو الذي اخترناه في سالف الزمان، وقد ذكر المحقّق السيد محمد رضا الجلالي (حفظه الله) شواهد تاريخية تدعم الموضوع، وتثبت انّ هذا

---

١. ابن حجر العسقلاني: فتح الباري: ١/ ١٦٩.

الوجه هو القول الفصل.

ومن جملة تلك الشواهد التاريخية:

١. جاء علقمة بكتاب من مكة ـ أو اليمن ـ صحيفة فيها أحاديث في أهل البيت، بيت النبي ﷺ فاستأذنا علىٰ عبد الله[بن مسعود]، فدخلنا عليه، قال: فدفعنا إليه الصحيفة.

قال: فدعا الجارية، ثمّ دعا بطست فيها ماء.

فقلنا له: يا أبا عبد الرحمان، أنظر فيها، فانّ فيها أحاديث حساناً، قال: فجعل يميثها فيها، ويقول: ﴿**نَحْنُ نقصُّ عليكَ أَحْسَنَ الْقصص بِما أَوحَيْنا إليكَ هٰذا القُرآن**﴾. القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها ما سواه[1]

إنّ الصحيفة المعرضة للابادة ترتبط بأهل البيت عليهم السلام، وكأنّ الراوي اعتنىٰ بهذه النقطة، فاستعمل عطف البيان للتأكيد على المراد بأهل البيت، وليلفت نظر عبد الله بن مسعود إلىٰ أنّهم أهل بيت النبي ﷺ.

ولكن عبد الله لم يعر اهتماماً وأباد الصحيفة.

والتبريرات المذكورة لمنع التدوين لا يجري شيء منها هنا، فلا اختلاط لما في الصحيفة بالقرآن ولا الاشتغال بأحاديث في صحيفة، تلهي عن القرآن، و مع ذلك فانّ عبد الله بن مسعود أباد الصحيفة لما فيها ما يرجع إلى أهل البيت، بيت النبي ﷺ، وان برّر عمله بانّ الاشتغال بالحديث هو اشتغال بما سوى القرآن، ولكن هذا التبرير كان واجهة لما ارتكب، وفي الواقع كان المحتوى يسلب الشرعية عن السلطة الحاكمة وينافي سياستها القائمة، لأنّ الأحاديث النبوية الواردة في أهل البيت عليهم السلام إنّما تدل على فضلهم وتؤكد علىٰ خلافتهم عن النبي ﷺ وتجعلهم

---

١. تقييد العلم: ٥٤ وقد رواه بأسانيد وصور مختلفة تشترك الجميع في غسل الصحيفة التي فيها أحاديث الرسول ﷺ.

قرناء للقرآن ليكونوا هم وهو خليفتين له من بعده. وكان عبد الله بن مسعود من حماة السلطة الحاكمة إلى عصر الخليفتين الأوّلين [١] وإن تراجع عن موقفه في عصر الخليفة الثالث كما سيوافيك عند ترجمته وسيرته.

٢. أخرج ابن كثير عن عمر انّه قال: أقلّوا الرواية عن رسول الله إلاّ فيما يعمل به. [٢]

فإذا كان التحديث بحديث رسول الله موجباً للاشتغال به عن القرآن أو غير ذلك، فلماذا جوز التحديث في الفرائض والأحكام دون غيره؟ أو ليس ذلك قرينة على أنّ الحديث في الأحكام لا يمس كيان السلطة، بخلاف التحديث في غيرها خصوصاً فيما يرجع إلى الفضائل والمناقب.

٣. ما روى من انّ خالد القسري ـ أحد ولاة بني أُمية ـ طلب من أحدهم أن يكتب له السيرة، فقال الكاتب: فانّه يمرّ بي الشيء من سير علي بن أبي طالب، فأذكره؟

فقال خالد: لا، إلاّ أن تراه في قعر الجحيم. [٣]

فالحديث يكشف عن أنّ هذا هو السبب الرئيسي لمنع تدوين الحديث، فلم يكن تدوين الحديث منفكّاً عما ورد في عليٍّ وأهل بيته من الفضائل.

٤. روى الزبير بن بكار بسنده عن عبد الرحمان بن يزيد، قال: قدم علينا سليمان بن عبد الملك حاجاً، سنة ٨٢ هـ وهو ولي عهد، فمرّ بالمدينة فدخل عليه الناس، فسلّموا عليه وركب إلى مشاهد النبيّ ﷺ التي صلّى فيها، وحيث أُصيب أصحابه بأُحد، ومعه أبان بن عثمان، وعمرو بن عثمان، وأبوبكر بن عبد

---

١. انظر تدوين السنة: ٤١٢ـ٤١٣.

٢. البداية والنهاية: ٨/ ١١٠.

٣. الاغاني: ٢٢/ ١٥.

الله، فأتوا به قُباء، ومسجد الفضيخ ومشربة أُمّ إبراهيم، وأُحد، وكل ذلك يسألهم؟ ويخبرونه عما كان.

ثمّ أمر أبان بن عثمان أن يكتب له سِيَر النبي ﷺ ومغازيه.

فقال أبان: هي عندي قد أخذتها مصححة ممن أثق به.

فأمر بنسخها والقي فيها إلىٰ عشرة من الكُتّاب، فكتبوها في رقٍّ فلما صارت إليه، نظر فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبتين،وذكر الأنصار في بدر.

فقال: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل، فأمّا أن يكون أهل بيتي غمصوا عليهم، وأمّا أن يكونوا ليس هكذا.

فقال أبان بن عثمان: أيّها الأمير لا يمنعنا ما صنعوا...أن نقول بالحقّ، هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا.

قال سليمان: ما حاجتي إلىٰ أن أنسخ ذاك حتّى أذكره لأمير المؤمنين لعله يخالفه، فأمر بذلك الكتاب فخُرق، وقال: أسأل أمير المؤمنين إذا رجعت، فإن يوافقه فما أيسر نسخه.

فرجع سليمان بن عبد الملك فأخبر أباه بالذي كان من قول أبان.

فقال عبد الملك : وما حاجتك أن تُقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل؟ تُعرِّف أهل الشام أُموراً لا نريد أن يعرفوها.

قال سليمان: فلذلك ــ يا أمير المؤمنين ــ أمرت بتخريق ما كنت نسخته حتى استطلع رأي أمير المؤمنين، فصوب رأيه. [1]

---

١. الموفقيات للزبير بن بكار : ٢٢٢ـ ٢٢٣.

قال المحقق السيد الجلالي: فإذا كانوا لا يتحملون ذكر فضل الأنصار، فكيف يتحملون ذكر فضل أهل البيت، وسيدهم أمير المؤمنين عليه السلام ؟! (١)

***

عدم التدوين ومضاعفاته

وعلىٰ أية حال فسواء كانت العلة ما ذكرنا أو غيره، فقد استمر الحظر إلى عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (٩٩ـ١٠١ هـ) فأحسّ بضرورة تدوين الحديث، فكتب إلىٰ أبي بكر بن حزم في المدينة «انظر ما كان من حديث رسول الله فاكتبه، فانّي خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل إلّا حديث النبي، ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فانّ العلم لا يهلك حتى يكون سراً. (٢)

ومع هذا الإصرار الأكيد من قبل الخليفة، ألا أنّ رواسب الحظر السابق حالت دون القيام بما أمر به، فلم يكتب شيء من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله، إلّا صحائف غير منظمة ولا مرتبة، إلىٰ أن دالت دولة الأمويين وقامت دولة العباسيين،وأخذ أبو جعفر المنصور بمقاليد الحكم، فقام المحدثون في سنة ١٤٣ هـ بتدوين الحديث وفي ذلك، قال الذهبي:

«وفي سنة مائة وثلاث وأربعين شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنف ابن جريج بمكة، ومالك الموطأ بالمدينة،

---

١. محمد رضا الجلالي، تدوين السنة الشريفة: ٤٢٠.

٢. صحيح البخاري: ١/ ٢٧ باب كيف يقبض العلم من كتاب العلم.

والأوزاعي بالشام، وابن أبي عروبة، وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، ومعمر باليمن،وسفيان الثوري بالكوفة، وصنف ابن إسحاق المغازي، وصنف أبو حنيفة الفقه والرأي إلىٰ أن قال: وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة. [١]

إلى هنا اتضح انّ السنّة النبوية لم تستأثر بالاهتمام في عصر الخلفاء والأمويين وأوائل العصر العباسي إلى خلافة المنصور حيث أمر بتدوين السنة وتبويبها، نعم قام المحدثون بالتدوين في منتصف القرن الثاني بعد ما بلغ السيل الزبىٰ واندرس العلم وأبيد الصحابة ومعظم التابعين، فلم يبق منهم إلاّ صبابة كصبابة الإناء، فعند ذلك وقفوا على الرزية العظمىٰ التي منوا بها، فعادوا يتداركونه ببذل جهود حثيثة في تقييد شوارد الحديث. يقول ابن الأثير: لما انتشر الإسلام ، واتسعت البلاد وتفرّقت الصحابة في الأقطار، وكثرت الفتوح، ومات معظم الصحابة، وتفرّق أصحابهم وأتباعهم، وقلّ الضبط، احتاج العلماء إلىٰ تدوين الحديث وتقييده بالكتابة، ولعمري انّها الأصل، فانّ الخاطر يغفل والذهن يغيب، والذكر يهمل، والقلم يحفظ ولا ينسىٰ. [٢]

---

١. تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٦١.

٢. جامع الأُصول: ١/ ٤٠.

٥

تمحيص السنّة النبوية

قد تبيّنت منزلة السنّة النبويّة ومكانتها، فلابدّ من إلفات نظر القارئ الكريم إلىٰ أنّ تمتعها بهذه الدرجة من الأهمية، مردّها إلى السنة الواقعية من قول النبي وفعله وتقريره لا كل ما نسب إليه وأثر عنه من دون العلم بصحّة تلك النسبة.

وربما يقال: إنّ السنة النبوية وحي إلهي، فما معنى تمحيص الوحي أوَ يصح لبشر خاطئ أن يمحّص الحقّ المحض؟!

ونحن نوافق هذا القائل في أنّ السنة النبوية الواقعية فوق التمحيص، ولكن النقطة الجديرة بالذكر هي انّ السنّة الواردة، المتبلورة في الصحاح والمسانيد، هي بحاجة إلى التمحيص لفرز صحيحها عن سقيمها، وواقعها عن زائفها، فليس كلّ من ينقل عن لسان النبي ﷺ بثقة، وعلىٰ فرض كونه ثقة فليس بمصون عن الخطأ والنسيان.

فتمحيص السنة ليس لغاية التشكيك فيها، وإنّما يُطلب من وراء ذلك، إحقاق الحقّ وإبطال الباطل ولا ينبغي إضفاء طابع القداسة والصحة علىٰ كتاب غير كتاب الله سبحانه، وغيره ـ وإن بلغ من الإتقان بمكان ـ خاضع للتمحيص والإمعان والبحث في السند و المتن.

وثمة كلام قيم للإمام أبي حنيفة بيّن فيه انّ تكذيب الحديث لا يلازم تكذيب النبي ﷺ وإنّما يراد به تكذيب الراوي، قال:

أُكذِّب هؤلاء ولا يكون تكـذيبي لهؤلاء وردِّي عليهم تكذيباً للنبي ﷺ إنّما يكون التكذيب لقول النبي ﷺ أن يقول الـرجل: أنا مكذب لقـول نبي الله ﷺ . فأما إذا قال الـرجل: أنا مؤمن بكلّ شيء تكلّم بـه النبي ، غير انّ النبي لا يتكلم بالجور ولا يخالف القرآن، فانّ هذا القول منه هو التصديق بالنبي وبالقرآن وتنزيه له من الخلاف على القـرآن، ولو خالف النبي القـرآن وتقوّل على الله بغير الحقّ، لم يدعه الله حتى يأخذه باليمين ويقطع منه الوتين. [1]

وبعبارة أُخرى: اتّفق المسلمون في الكبرىٰ، وهي انّ السنّة النبوية حجّة بلا كلام، ولو كـان ثمة نقاش فإنّما هو في الصغرىٰ، أي أنّ هـذا الحديث المنقول إلينا هل هو من كلام الـرسول أو لا، فالتمحيص ناظر إلى السنـة الحاكية التي تتداولها الألسن خلف عن سلف.

وأمّا السنّـة الواقعية المحكيـة القائمـة بنفس النبي ﷺ فـلا يتردد أيّ ذي مسكة في حجيتهـا، فالتشكيـك فيها إلحاد وكفـر بالـرسالـة بلا ريب، ومـوجب للخروج عن الدين وليـس التمحيص بالمعنى الذي ذكرناه بأمـر غريب فانّ النبي ﷺ هو الذي أخبر عن وجود الكذّابة في عصره كما سيوافيك.

التمحيص ، لماذا؟

إنّ هناك أسبابـاً كثيرة تبعث الباحث إلى التمحيص ونقـد الحديث النبوي بالمعنى الذي مرّ، نشير إلىٰ بعضها.

السبب الأوّل: رواج الكذب علىٰ رسول الله ﷺ

قد راج الكذب علىٰ لسـان رسول الله في حياته وبعد رحيلـه، وقد تنبّأ به في

---

١. الإمام أبو حنيفة، العالم والمتعلم: ١٠٠.

حديث متضافر أو متواتر وقال: «من تعمّد عليّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار».

وهذا ليس أمراً مستغرباً، فإذا استقرأ الباحث تاريخ الحديث وتدوينه وانتشاره يتضح له بسهولة وجود أرضية خصبة لجعل الحديث على لسان رسول الإسلام ، وذلك لأنّ حديثاً لم يهتمّ بكتابته طوال قرن ونصف، كيف يكون حاله مع أعدائه الذين كانوا له بالمرصاد، وكانوا يكذبون عليه بما يقدرون، وينشرون كلّ غث وسمين باسم الدين وباسم الرسول؟! نحن لا ننكر انّ العلماء والمحدثين قاموا بواجبهم الديني تجاه السنة النبوية وكابدوا وتحملوا المشاق في تمحيص السنة الواقعية عما ألصق بها، لكن التمحيص الحقيقي من أشق الأُمور بعد هذه الحيلولة الطويلة.

وكلما بعد الناس من عصر الرسول ازداد عدد الأحاديث حتى أنّ الإمام البخاري أخرج صحيحه عن ستمائة ألف حديث . [1]

وانّ أبا داود قد أورد في سننه أربعة آلاف وثمانمائة حديث وقال: انتخبته من ٥٠٠ ألف حديث. [2]

كما انّ مسلم أورد في صحيحه أربعة آلاف حديث مع حذف المكررات انتخبها من ٣٠٠ ألف حديث. [3]وذكر الإمام أحمد بن حنبل في مسنده قرابة ثلاثين ألف حديث، وقد انتخبها من أكثر من سبعمائة ألف حديث وكان يحفظ ألف ألف حديث. [4] ولأجل ذلك نرىٰ أنّ قمة هرم الأحاديث تتصل بزمان النبي ﷺ، وقاعدة ذلك الهرم تنتهي إلى القرون المتأخرة، فكلما قربنا من عصر النبي ﷺ

١. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: ١/ ٢٩.
٢. سنن أبي داود، قسم المقدمة: ١٠.
٣. تذكرة الحفاظ للذهبي: ٢/ ٥٨٩.
٤. تذكرة الحفاظ: ٢/ ٤٣١ برقم ٤٣٨.

نجد قلة الحديث عنه والعكس بالعكس، وهذا يعرب عن أنّ الأحاديث عالت حسب وضع الوضاعين وكذب الكذابين.

إنّ ظاهرة التمحيص لم تكن أمراً متأخراً عن عصر الصحابة بل نجد جذورها في عصرهم، مثلاً.

لقد شاع بعد رحيل رسول الله ﷺ مسألة إمكان رؤية الله، وانّه ﷺ رآه في معراجه حتى انّ مسروقاً، سأل عائشة عن هذه المسألة عند ما سمع قولها: ثلاث من تكلّم بواحدة منهنّ، فقد أعظم على الله الفرية.

قال مسروق: وكنت متكئاً فجلست، فقلت: يا أُمّ المؤمنين: انظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبين﴾ (التكوير/ ٢٣)، ﴿ولَقد رآه نَزْلَة أُخرى﴾ (النجم/ ١٣) . فقالت: أنا أوّل هذه الأُمّة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنّما هو جبرئيل لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء سادّاً عظمُ خلقه ما بين السماء إلى الأرض.

فقالت: أو لم تسمع انّ الله يقول: ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبصارَ وَهُوَ اللَّطيفُ الخَبير ﴾ (الأنعام/ ١٠٣) أو لم تسمع انّ الله يقول: ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاًفيُوحِيَ بإذنهِ ما يَشاءُ انهُ عَليٌّ حَكيمٌ﴾ (الشورى/ ٥١)، قالت: و من زعم ان رسول الله ﷺ كتم شيئاًمن كتاب الله، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿يا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ﴾ (المائدة/ ٦٧) قالت: ومن زعم انه يخبر بما يكون في غدٍ فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول:﴿قُل لا يعلم من في السماوات والأَرض الغيب إلاّ الله﴾ (النمل/ ٦٥). [1]

---

١. صحيح مسلم:١/ ١١٠، باب معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَة أُخرى﴾ .وفي استنتاج نفي علم الغيب عن النبي ﷺ بالآية تأمل واضح.

فالكذب على رسول الله ﷺ أحد الأسباب للزوم إعمال التمحيص في السنّة الحاكية من دون أي نقاش وجدل في السنة المحكية، فانّ النقاش فيها كفر و إلحاد.

السبب الثاني: فسح المجال للأحبار والرهبان

لقد مني الإسلام والمسلمون من جرّاء حظر تدوين الحديث و نشره بخسائر فادحة، حيث أوجد الحظر أرضية مناسبة لظهور بدع يهودية وسخافات مسيحية وأساطير مجوسية من جانب علمائهم، فقد افتعلوا أحاديث كثيرة وبثّوها بين المسلمين كحقائق راهنة وتلقاها السُذَّج من المحدثين بالقبول.

يقول الشهرستاني: زادت المشبهة في الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبي ﷺ وأكثرها مقتبسة من اليهود، فإنّ التشبيه فيهم طباع. (١)

يقول ابن خلدون عند البحث في التفسير النقلي وانّه يشتمل على الغث والسمين والمردود: إنّ السبب في ذلك انّ العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنّما غلبت عليهم البداوة والأُمية، وإذا تشوّقوا إلى معرفة شيء ممّا تتشوق إليه النفوسُ البشرية في أسباب المكوّنات وبدء الخليقة وأسرار الوجود، فإنّما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدون منهم وهم أهل التوراة من اليهود و من تبع دينهم من النصارىٰ ... مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم ... وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة ... . (٢)

---

١ . الملل والنحل، للشهرستاني: ١/ ١٠٦.

٢. مقدمة ابن خلدون: ٤٣٩.

يقول ابن الجوزي: إنّ عبد الكريم كان ربيباً لحماد بن سلمة، وقد دسَّ في كتب حماد بن سلمة. [١]

ولا عجب بعد ذلك إذا رأينا انّ المحدّثين يروون باسنادهم عن حماد، عن قتادة، عن عكرمة ،عن ابن عباس مرفوعاً: «رأيت ربّي جعداً أمرد عليه حلّة خضراء» و في رواية أُخرى:«انّ محمّداً رأى ربّه في صورة شاب أمرد دون ستر، من لؤلؤ قدميه أو رجليه في خضرة». [٢]

وهذه الأساطير المزخرفة من مفتعلات الزنادقة أمثال ابن أبي العوجاء، فقد دسّوها في كتب المحدثين .

قال ابن الجوزي: ولما لم يُمكّن أحدٌ منهم أن يدخل في القرآن ما ليس منه أخذ أقوام يزيدون في حديث رسول الله ﷺ وينقصون ويبدلون ويضعون عليه ما لم يقل[٣].

السبب الثالث: التجارة بالحديث

إنّ في تاريخ الحديث الإسلامي أُناساً عرفوا بالوضع والكذب، وكانت الغاية من بث هذه الأحاديث، هو الطمع بالدنيا والازدلاف إلىٰ أهلها و الانتصار للأهواء والعقائد المدخولة، وقد جمع العلاّمة الأميني سبعمائة رجل من هذه الزمرة كانوا يكذبون علىٰ رسول الله لهذه الغاية أو لغايات أُخرى. [٤] وإليك بعض النماذج:

---

١. ابن الجوزي: الموضوعات: ١/ ٣٧، طبع بيروت.

٢. ميزان الاعتدال: ١/ ٥٩٣.

٣. ابن الجوزي: الموضوعات: ١/ ٣١.

٤. الغدير: ٥/ ٢٧٥.

١. أخرج الحافظ عبد الرحمان بن الجوزي عن أحمد بن زهير: سمعت أبي يقول: قُدم على المهدي بعشرة محدثين فيهم «غياث بن إبراهيم» و كان المهدي يحب الحمام، فقال لغيات: حدّث أمير المؤمنين، فحدّثه بحديث أبي هريرة: «لا سبق إلاّ في خفّ أو حافر أونصل، وزاد فيه: أو جناح، فأمر له المهدي بعشرة آلاف درهم.

فلما قام ، قال المهدي: أشهد أنّ قفاك قفا كذّاب على رسول الله ﷺ،وإنّما استجلبت ذلك أنا، وأمر بالحمام فذبحت. (١)

٢. نقل ابن أبي الحديد عن شيخه أبي جعفر: روي أنّ معاوية بذل لسمرة ابن جندب مائة ألف درهم حتّى يروي انّ هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب **﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَولُهُ فِي الحَياةِ الدُّنيا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلىٰ ما في قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصام * وَاذا تَوَلّىٰ سَعىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفسِدَ فِيها وَيُهلِكَ الحَرثَ وَالنَّسْلَ واللهُ لاٰ يُحِبُّ الفَسادَ﴾**، وانّ الآية الثانية نزلت في ابن ملجم، وهي قوله تعالى: **﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ﴾** فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف، فقبل وروى ذلك. (٢)

أخرج ابن الجوزي عن إسحاق بن إبراهيم الحنظليّ انّه قال: لا يصح عن النبيّ ﷺ في فضل معاوية بن أبي سفيان شيء.

وأخرج أيضاً عن عبد الله بن أحمد بن حنبل انّه قال: سألت أبي فقلت: ما تقول في علي ومعاوية؟ فأطرق ثمّ قال: «إيش» أقول فيهما؟ انّ علياً عليه السلام كان كثير الأعداء، ففتش أعداؤه له عيباً، فلم يجدوا فجاءوا إلى رجل قد حاربه وقاتله

---

١. الموضوعات:٣/ ٧٨، باب السبق بالحمام.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٤/ ٧٣.

فأطروه كياداً منهم له. [١]

أخرج مسلم في صحيحـه، عن محمد بن يحيى بن سعيد القطـان، عن أبيه، قال: لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث.

قال ابن أبي عتّاب: فلقيت أنا محمّد بن يحيى بن سعيد القطّان فسألته عنه، فقال عن أبيه: لم نر أهل الخير في شيء أكذب منهم في الحديث.

قال مسلم: يقول يجري الكذب على لسانهم ولا يتعمدون الكذب. [٢]

وكم في ثنايا التاريخ والسير شواهد على المقام وقد اقتصرنا على ما ذكر، لأنّ الغرض هو الايعاز، لا التبسّط، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى مظانه. [٣]

السبب الرابع: وضع الحديث لنصرة المذهب

انتشرت ظاهرة الجعل بين طائفة عرفوا بـالزهد و الورع، وصاروا يتقربون به إلى الله سبحانـه إذا كان في الكذب نصرة للمذهـب، وقد مرّ قول يحيـى بن سعيد القطان: ما رأيت الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث. [٤]

وقـال القرطبـي: لا التفات لما وضعـه الـواضعون واختلقـه المختلقـون من الأحاديث الكاذبـة والأخبار الباطلة في فضل سور القـرآن وغير ذلك من فضائل الأعمال وقد ارتكبها جماعة كثيرة فوضعوا الحديث حسبة كما زعموا، يدعون الناس إلى فضائل الأعمال، كما روي عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي، ومحمد بن عكاشة الكرماني، وأحمد بن عبد الله الجويباري وغيرهم، قيل لأبي عصمة: من أين لك عن عكـرمة عـن ابن عباس في فضـل سور القـرآن سورة سـورة؟ فقال: إنّي

---

١. الموضوعات:٢/ ٢٤. ٢. صحيح مسلم: ١/ ١٣ـ١٤، المقدمة.

٣. انظر الغدير: ٥/ ٢٠٨ـ٣٧٨ تجد في طياته شواهد.

٤. مرّ مصدره ولاحظ أيضاً تاريخ بغداد: ٢/ ٩٨.

رأيت الناس أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة. (١)

وثمة أُناس افتعلوا أكاذيب علىٰ لسان رسول الله في مناقب أئمّتهم، فهناك مناقب حيكت في حق أبي حنيفة. (٢)

كما أنّ هناك جماعة حاكوا مناقب لأئمّة آخرين، فذكروا في حقّ الإمام الشافعي انّ رسول الله، قال: عالم قريش يملئ طباق الأرض علماً. وحملوه على محمد ابن إدريس امام الشافعية. (٣)

وأتت المالكية بروايات موضوعة علىٰ لسان رسول الله، قالوا: انّه ﷺ قال: يكاد الناس يضربون أكباد الإبل، فلا يجدون أعلم من عالم المدينة. وطبقوه على مالك بن أنس. (٤)

وللحنابلة هناك روايات حول إمامهم أخرجها ابن الجوزي في مناقب أحمد فلاحظ. (٥)

وكأنّ النبي تنبأ بأنّ الأُمّة الإسلامية ستفترق إلى مذاهب أربعة فقهية في ثالث القرون وبعدها، فأخذ بتعريفهم وتبجيلهم، مع أنّ في الأُمّة الإسلامية من هم، أعلم منهم وأبصر بالكتاب و السنّة.

وربما تدفع العصبية أصحابها إلى وضع حديث في حقّ إمام مذهبهم وإطرائه والحط من شأن إمام مذهب آخر، فروي عن أبي هريرة انّه قال: قال رسول الله ﷺ: يكون في أُمّتي رجل يقال له محمد بن إدريس (الإمام الشافعي)أضرّ علىٰ أُمّتي من إبليس، ويكون في أُمّتي رجل يقال له أبو حنيفة هو

---

١. القرطبي، التذكار: ١٥٥.

٢. انظر تاريخ بغداد: ٢/ ٢٨٩.

٣. ابن الحوت، أسنى المطالب: ١٤.

٤. ابن الحوت، أسنى المطالب: ١٤.

٥. مناقب أحمد: ٤٥٥.

سراج أُمّتي، هو سراج أُمّتي. [١]

فلنختم المقال بنقل ما ذكره القاضي عياض حول أسباب الوضع :

أسباب أُخرى للوضع

أمّا أسباب الوضع فكثيرة، وقد ذكر قسماً منها النووي في شرح صحيح مسلم نقله عن القاضي عياض، وإليك نصه:

الكذابون ضربان: أحدهما ضرب عرفوا بالكذب في حديث رسول الله ﷺ وهم أنواع:

منهم: من يضع عليه ما لم يقله أصلاً إمّا ترفعاً واستخفافاً كالزنادقة وأشباههم ممن لم يرج للدين وقاراً، وإمّا حسبة بزعمهم وتديناً كجهلة المتعبدين الذين وضعوا الأحاديث في الفضائل والرغائب، وامّا إغراباً وسمعة كفسقة المحدّثين، وإمّا تعصباً واحتجاجاً كدعاة المبتدعة ومتعصبي المذاهب، وإمّا اتّباعاً لهوى أهل الدنيا فيما أرادوه وطلب العذر لهم فيما أتوه. وقد تعيّن جماعة من كلّ طبقة من هذه الطبقات عند أهل الصنعة وعلم الرجال.

ومنهم: من لا يضع متن الحديث، ولكن ربما وضع للمتن الضعيف إسناداً صحيحاً مشهوراً.

ومنهم: من يقلب الأسانيد أو يزيد فيها ويعتمد ذلك إمّا للإغراب على غيره، وإمّا لرفع الجهالة عن نفسه.

ومنهم: من يكذب فيدّعي سماع ما لم يسمع، ولقاء من لم يلق، ويحدّث بأحاديثهم الصحيحة عنهم.

ومنهم: من يعمد إلى كلام الصحابة وغيرهم وحِكَم العرب والحكماء

---

١. الموضوعات: ٢/ ٤٨.

فينسبها إلى النبي ﷺ. (١)

هذه الأسباب الأربعة وغيرها تبعث الباحث إلىٰ إعمال التمحيص والنظر في كلّ ما روي عن رسول الله ﷺ وعزي إليه، وعدم الاقتناع بتسمية كتاب صحيحاً والتقوّل بأنّه أصحّ الكتب بعد القرآن.

فلنقتصر علىٰ هذه الأسباب ونترك سائر الأسباب إلىٰ مجال آخر.

٦

طرق التمحيص

إذا وقفت علىٰ ضرورة إعمال التمحيص في السنّة المنسوبة إلىٰ رسول الله ﷺ، فلندرس طرقه.

إنّ الطريق الواضح الدارج بين الباحثين في السنّة النبوية هي دراستها على ضوء أسانيد الحديث، فإذا صحّ السند وكان جامعاً للضوابط المقررة في علم الدراية استقبلوه برحابة صدر ويصفونه بالصحيح.

وقد اتّفق المحدّثون على أنّ الإمام البخاري و مسلم ألّفا صحيحيهما علىٰ ذلك الغرار، فلم يخرجا إلاّ الحديث الصحيح على اختلاف طفيف بين البخاري ومسلم في الشروط التي قرّراها للصحّة، حكى ابن الجوزي عن الحاكم النيسابوري: انّ الأحاديث على ستة أقسام: القسم الأوّل: ما اتّفق على صحّته وكان أبو عبد الله البخاري أوّل من [خرّج] من الصحاح ثمّ تبعه مسلم، وكان

---

١. شرح صحيح مسلم للنووي، نقله عن القاضي عياض كما في تاريخ التشريع الإسلامي للشيخ محمد الخضري: ١٠٠، ١٠١.

مرادهما، الحديث الـذي يرويه الصحابي المشهـور بالرواية عن رسـول الله ولذلك الصحابي راويان ثقتان عنه، ثمّ يرويه عنه التابعي المشهور بالرواية عن الصحابة وله راويان ثقتان عنه،ثمّ يرويه عنـه من أتباع التابعين، الحافظ المتقن المشهور، وله رواة ثقاة، ثمّ يكون شيخ البخاري حافظاً متقناً، فهذه الدرجة العليا. [١]

ولكن الاقتصار في وصف الحديث بالصحّة علىٰ وثاقة الراوي وتعاصره مع المرويّ عنه وثبـوت نقله عنه، لا يكفـي في الركون إليـه بل يُشترط فيه وراء عـدالة الراوي واتصال السند وضبط الراوي أمر آخر وهو عدم الشذوذ، وإن شئت قلت عدم الاشتمال على العلة القادحة وإلاّ فلا يسمن ولا يغني من جوع.

والعجب انّ أكثـر المحـدّثين التـزموا بـالشروط الثـلاثـة الأُولى ولم يلتزمـوا بالشرط الرابع مع أنّ الشذوذ والعلة في المضمـون يؤدي إلى عدم الوثوق بالحديث وإن صحّ السنـد. وسيـوافيـك انّ المنهج الـذي نهجنـاه في مجال التمحيـص من شُعَب هذا الشرط، فتربّص حتى حين.

يقول الإمـام أحمد: إنّ النبي ﷺ قال: «إذا سمعتـم الحديث عنّي، تعـرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم، وترون انّه منكم قريب، فأنا أولاكم به؛ وإذا سمعتم الحديث عنـي تنكره قلوبكم، وتنفـر منه أشعـاركم وأبشاركم، وتـرون انّه منكم بعيد، فأنا أبعدكم منه. [٢]

فعلى الباحث رعاية جميـع الشروط المقررة للصحّة في الحديث، إذ الاقتصار علىٰ عدالة الراوي وتعاصره وضبطه لا يورث الاطمئنان والوثوق بالحديث إذا كان المضمون شاذاً ومشتملاً على العلة.

يقـول الحافظ الحاكـم النيسـابوري: وإنّما يُعلّـل الحديث مـن أوجـه ليس للجرح فيهـا مدخـل، فانّ حديـث المجروح سـاقط واه، وعلّة الحديـث، يكثر في

١. الموضوعات: ١/ ٣٢،وقد علّق محقق الكتاب على المنقول بشيء، فلاحظ.
٢.مسند أحمد: ٥/ ٤٢٥.

أحاديث الثقـات ان يحدِّثوا بحديث له علة فيخفـىٰ عليهم علمه فيصير الحديث معلولاً، والحجّة فيه عندنا الحفظ والفهم والمعرفة لا غير...». [١]

وقال الحافظ ابن الجوزي في «دفع شبه التشبيه»: اعلم انّ للأحاديث دقائق وآفات لا يعرفها إلاّ العلماء الفقهاء، تارة في نظمها وتارة في كشف معناها. [٢]

وعلى كلّ تقديـر فقد دعت هذه الأسباب ونظـائرها كثيراً من المحقّقين إلى تمحيص السنة النبويـة بطرق خاصة يجمعها دراسة السنـد إرسالاً واسناداً، صحة وضعفاً، وهناك ألوان للتأليف في هذا المضمار:

أ. جمع الأخبار الضعاف والموضوعات

قد قام غير واحد من الباحثين بالتأليف على هذا النمط نذكر منهم ما يلي:

١. «**الموضوعات**» لمؤلفـه أبي الفـرج عبـد الـرحمان بن علي بـن محمـد الجوزي(٥١٠ ـ ٥٩٧هـ)طبع مرّتين في ثلاثة أجزاء.

قال ابن الحوزي: لما لم يتمكّن أحـد أن يدخل في القرآن ما ليس منه، أخذ أقوام يـزيدون في حـديث رسـول الله، ويضعون عليـه ما لم يقل، فـأنشأ الله علماء يذبّـون عن النقل، ويوضّحـون الصحيح،ويفضحون القبيح، ومـا يخلي الله منهم عصراً من الأعصار، غير انّ هذا الضرب قد قلّ في هذا الزمان فصار أعز من عنقاء مغرب.

وقد كانـوا إذا عُـدُّوا قليـلاً ... فقد صاروا أعزّ من القليـل [٣]

٢. **المقاصد الحسنة في كثير من الأحاديث المشتهـرة على الألسنة**: للشيخ أبي

---

١. الحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث: ١١٢.

٢. ابن الجوزي: دفع شبه التشبيه: ١٤٣.

٣. لاحظ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ١/ ٦.

عبد الله محمد بن عبد الرحمان السخاوي(المتوفّى سنة ٩٠٢هـ) رتّبه على حروف أوائل الأحاديث.

٣. **اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**: للإمام جلال الدين عبد الرحمان السيوطي(٨٤٨ ـ ٩١١ هـ) وقد طبع في جزءين.

يقول في مقدمته: إنّ من مهمات الدين التنبيه علىٰ ما وضع من الحديث واختلق علىٰ سيّد المرسلين ﷺ وصحابته أجمعين، إلى أن قال: ثمّ بدا لي في هذه السنة وهي سنة ٩٠٥ استئناف التعقبات على وجه مبسوط ،وإلحاق موضوعات كثيرة فاتت أبا الفرج فلم يذكرها. [1]

٤. **تمييز الطيب من الخبيث مما يدور على ألسنة الناس من الحديث**: لعبد الرحمان بن علي الشيباني الشافعي(٨٦٦ ـ ٩٤٤هـ) المعروف بالدِّيبع(بكسر الدال وسكون الياء و فتح الباء)ذكر انّه رأى المقاصد كتاباً حسناً لكنّه بالغ في تطويله فجرّده و تتبع في جميع ما ذكره من التصحيح والتمريض وترك من وراءه وجعله على الحروف أيضاً وزاد فيه زيادات مميزة، بقلت.

٥. **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**: تأليف محمد ناصر الدين الالباني المعاصر في خمسة أجزاء، كل جزء يشتمل على خمسمائة حديث تكلم على أسانيدها ويحكم عليها بالضعف أو النكارة أو الوضع أو البطلان، وأحاديث تلك الأجزاء هي أحاديث الجامع الصغير للإمام السيوطي قام بتغيير ترتيبها والكلام على أسانيدها ونقل كلام العلماء في ذلك، والعجب انّه قد تناقض في كلامه عليها.

وممّا يؤسف له أنّ الالباني ليس منصفاً في قضائه حيث يميل إلى القول بالتجسيم وإنكار فضائل أئمة أهل البيت عليهم السلام ويظهر ذلك بوضوح من خلال كتابه هذا.

---

١. اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: ١/ ٢ـ٣، طبع دار المعرفة، بيروت.

ب. ضعاف السنن الأربعة وصحاحها:

وهي عبارة عن ثمانية كتب بالنحو التالي:

١. صحيح سنن الترمذي (٣) مجلدات.

٢. ضعيف سنن الترمذي مجلد واحد.

٣. صحيح سنن النسائي (٣) مجلدات.

٤. ضعيف سنن النسائي مجلد واحد.

٥. صحيح سنن أبي داود (٣) مجلدات.

٦. ضعيف سنن أبي داود مجلد واحد.

٧. صحيح سنن ابن ماجة مجلدان.

٨. ضعيف سنن ابن ماجة مجلد واحد.

وعمل الالباني في هذه الكتب انّه جاء إلى كل كتاب من كتب السنن الأربعة المشهورة وحصر الأحاديث الصحيحة فيها فأخرجها في كتاب، كما حصر الأحاديث الضعيفة بنظره وأخرجها في كتاب مستقل آخر. ونحن نوافقه أنّ في تلك الكتب أحاديث صحيحة وأُخرى ضعيفة، لكن لا نوافقه على تصحيح بعض الأحاديث وتضعيف بعضها الآخر.

ج. تخريج أحاديث كتاب خاص

وثمة نمط آخر في التأليف في هذا المضمار، وهو تبيين حال الأحاديث الواردة في كتاب فقهي أو كلامي أو أخلاقي نظير:

١. **نصب الراية لأحاديث الهداية**: للحافظ الذيلعي.

٢. **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الاحياء من الأخبار**: للحافظ العراقي.

٣. **تلخيص الخير في تحريم أحاديث الرافعي الكبير:** للحافظ ابن حجر العسقلاني.

٤. **تخريج أحاديث الكشاف:** للعسقلاني أيضاً.

لا شكّ انّ كلّ من وقف على ما بذله هؤلاء الأقطاب من الجهود في تمحيص السنة النبوية من الموضوعات والمندسّات والمحرّمات يُثمِّن جهودهم ويقدِّر عملهم، ومع ذلك فلم يحقِّقوا الغاية المنشودة من وراء تلك التصانيف، وقد اشتملت الصحاح والمسانيد على روايات تخالف الكتاب العزيز، والسنة النبوية، والتاريخ الصحيح، والعقل الحصيف، وجعلوها في عداد الصحاح يُحتجُّ بها في مجالي العقيدة و الشريعة.

والذي عاقهم عن الوصول إلى تلك الغاية المنشودة أمران:

الأوّل: انّهم اقتصروا في مقام التمحيص على دراسة الأسانيد، فصحّحُوا الأسانيد أو ضعّفوها، وخرجوا بنتائج باهرة ووصفوا كثيراً من الروايات بالضعف والوضع.

انّهم اقتصروا على مناقشة الأسانيد ولم يهتموا بمناقشة المضامين وتطبيقها على الضوابط القطعية التي لا مناص لمسلم عن الأخذ بها، فلو انّهم سلكوا ذلك الطريق منضمّاً إلى الطريق الآخر لنالوا الغاية المنشودة.

وهذا هو الطريق الذي سلكناه في هذا الكتاب كما سيوافيك شرحه.

الثاني: انّهم ناقشوا الأسانيد إلى التابعين بجد وحماس، ولكنّهم جعلوا عدالة الصحابي هي الأصل، سواء أكان معلوم الحال أم مجهولها، فأضفوا على جميع الصحابة هالة من القداسة وجعلوهم في منأى عن النقد بحيث لا يصحّ التعرض لهم وإن صدر عنهم ما صدر، ولا يتسرب الشكّ إليهم، ولا يتسع المجال لتجريحهم.

والعجب انّهم مع ادّعاء الإجماع على قداسة الصحابة، وانّهم فوق مستوى الجرح والتعديل، رووا عشرات الأحاديث التي اختارها أصحاب الصحاح حول ارتداد الصحابة عن الدين والتمرّد على أُصوله ومبادئه على نحو لا يدع مجالاً للريب في أنّهم كانوا كسائر الناس فيهم الصالح والطالح، والمنافق والمؤمن، إلى غير ذلك من الأصناف التي يقف عليها المتتبع لآيات الذكر الحكيم والسنّة النبوية، وهذا أمر عجيب جداً.

وهذان الأمران (الاقتصار على مناقشة الأسانيد دون المضامين، وتحديدها إلى التابعين دون الصحابة) صارا سبباً لإضفاء الصحّة على كثير من الإسرائيليات التي تسرّبت إلى الصحاح عن طريق بعض الصحابة الذين كانوا عيالاً على مائدة كعب الأحبار ومن كان على مشربه، بحجة انّ كلّ صحابي عادل، وانّهم لا يخضعون للجرح والتعديل، ولو انّهم سلكوا ذينك الطريقين مع ما بذلوا من الجهود في تصحيح الأسانيد وتضعيفها والوقوف على ثقات الرجال وضعافهم، لأصبحت السنّة النبوية بين المسلمين خالصة من كلّ شائبة ونقيّة عن كل شين.

ومن المغالاة في القول ما ذكره ابن الأثير حيث قال: الصحابة يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك إلاّ في الجرح والتعديل، فانّهم كلهم عدول لا يتطرق إليهم الجرح، لأنّ الله عزّوجلّ ورسوله زكّياهم وعدّلاهم، وذلك مشهور لا يحتاج لذكره.[1]

أقول:إنّه سبحانه مدح لفيفاً من الصحابة في قسم من آياته وفي الوقت نفسه تحامل على قسم منهم، فقال سبحانه: **﴿إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾** (الحجرات/ ٦) وليس الفاسق إلاّ أحد الصحابة، وهو الوليد بن عقبة أو صحابي آخر مثله، وقال سبحانه: **﴿وَإِذا رَأَوا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائِماً﴾** (الجمعة/ ١١).

---

١. أُسد الغابة:١/ ٣.

وقال سبحانه: **﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾**(التوبة/ ١٠١).

وهؤلاء المنافقون كانوا مندسين بين الصحابة لا يعرف المنافق من المؤمن، ومع ذلك فكيف يمكن الحكم بعدالة الجميع بحجّة انّه سبحانه مدح لفيفاً منهم في بيعة الرضوان قال سبحانه: **﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾** (الفتح/ ١٨)مع أنّه لم يكن يتجاوز عدد الحاضرين في بيعة الرضوان عن ألف وثمانمائة [١]؟! فكيف يمكن الحكم على عدالة جميع من رأى النبي ﷺ وآمن به من أوّل البعثة إلى أن لقى ربّه، بحجة انّ الله سبحانه قد رضي عن جمع منهم مع أنّ نسبتهم إلى جميع الصحابة نسبة الاثنين إلى المائة؟!

وأغرب ممّا ذكره ابن حجر، ما أسنده الخطيب إلى أبي زرعة الرازي، قال:

إذا رأيت الرجل ينقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم انّه زنديق، وذلك أنّ الرسول حقّ، والقرآن حق، وما جاء به حقّ، وإنّما أدّى إلينا ذلك كلّه الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة. [٢]

أقول: يلاحظ عليه بأمرين:

الأوّل: انّ الصحابة والتابعين فيما ذكره سواء والتابعون كالصحابة في أنّ الكتاب والسنة قد وصلا إلينا عن طريقهما، فكيف يخضع التابعون للجرح والتعديل دون الصحابة؟!

الثاني: انّ الغاية من وراء الفحص عن عدالة الصحابة هي التعرف على الصالحين والطالحين والمؤمنين والمنافقين والمتثبّتين في طريق الدين والمشرفين على الارتداد [٣] حتى يتسنّى لنا أخذ الدين عن الصلحاء والمؤمنين والمتثبتين والتجنب

---

١. السيرة النبوية: ٢/ ٣٠٩؛ مجمع البيان: ٢/ ٢٨٨.

٢. الاصابة: ١/ ١٠.

٣. لاحظ آل عمران: ١٥٤.

عن غيرهم، فلو قام الرجل بعبء التحقيق لما كان عليه لوم فلو قال أبو زرعة مكان قوله الآنف الذكر: «إذا رأيت الرجل يتفحّص عن أحد من أصحاب الرسول لغاية العلم بصدقه وتقواه حتى يأخذ دينه من الخِيَرة الصادقين، ويحترز عن الآخرين، فاعلم أنّه من جملة المحققين في الدين» لكان أحسن وأولى.

ومن غير الصحيح أن يتهم العالم أحداً، يريد التثبت في أُمور الدين والتحقيق في مطالب الشريعة، بالزندقة، وانّه يريد جرح شهود المسلمين لإبطال الكتاب والسنّة، وما شهود المسلمين إلاّ الآلاف المؤلفة من أصحابه ﷺ فلا يضر بالكتاب والسنّة جرح لفيف منهم وتعديل قسم منهم، وليس الدين قائماً بهذا الصنف من المجروحين «ما هكذا تورد يا سعد الإبل».

٧
منهجنا في تمحيص السنّة

قد عرفت أنّ منهج تلك الثلة من المحقّقين في الحكم على الأحاديث بالصحة أو السقم هو الأُصول المسلمة في علم أُصول الحديث، ومصطلحه، يعتمدون غالباً على الأسانيد دون المضامين وعلى تنصيص علماء الرجال كوثاقة الراوي وضعفه، وربما يتعرضون لنكارة المتن وغرابته ولا يخرجون عن تلك الضوابط والقواعد الرائجة في مختلف العصور.

لكنّ هناك منهجاً علمياً آخر قلّ الالتفات إليه من قبل نقاد الحديث، وهو عبارة عن عرض الحديث على الكتاب أوّلاً، والسنة المتواترة أو المستفيضة التي تلقّاها الاعلام وجهابذة الحديث بالقبول ثانياً، والعقل الحصيف الذي به عرفنا الله سبحانه وأنبياءه وخلفاءه ثالثاً، والتاريخ الصحيح رابعاً، واتّفاق الأُمّة خامساً.

فلو وجدنـا الحديث مخالفاً لواحد من تلك الحجج القطعيـة، لَحكمنا عليه بالوضع أو الدسّ أو الضعف حسب اختلاف مراتب المخالفة.

وممّا يجب إلفات الأنظار إليه هو انّه لا يشترط في ثبوت الحديث كونه موافقاً لهذه الضوابط بل يشترط عدم مخالفته لها، فبالمخالفة يسقط الحديث عن الحجّية، ولإيضاح الحال نذكر لكلّ من هذه الضوابط مثالاً أو مثالين:

الأوّل: عرض الحديث على الكتاب

القرآن الكريم هو المرجع الأوّل للمسلمين في الشريعة والعقيدة، وقد عرّف نفسه بأنّ فيـه تبياناً لكـلّ شيء، قال: ﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الكِتـابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل/ ٨٩).

والمراد من الشيء في الآيـة إمّا المعنى العام، أو المعنـى الخاص، أي العقيدة والشريعة، والمعنى الثاني هو القدر المتيقن، فيجب أن يكون ميزاناً للحقّ والباطل فيما ينسب إلى العقيدة والشريعة من طرق الروايات.

كما انّه سبحانه عرّفه في مكـان آخر بأنّه المهيمن علىٰ جميع الكتب السماويّة ﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْـكَ الكِتابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِمـا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتـابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْه﴾ (المائدة/ ٤٨).

فإذا كان القـرآن مهيمناً علىٰ جميع الكتب السماوية وميزانـاً للحقّ والباطل الـواردين فيهـا، فـأولىٰ أن يكـون مهيمنـاً علىٰ مـا ينسب إلى صـاحـب الشريعـة المحمّدية من صحيح وسقيم.

وعلىٰ ضـوء ذلك فالمعيـار الأوّل لتمييز البـاطل عـن الصحيح هو مخالفـة الكتاب وعدمها، فإذا كـان الخبر المروي بسند صحيح مخالفاً لنص القرآن يُضرب به عرض الجدار إلاّ إذا كان ناسخـاً للحكم الشرعي الوارد في القرآن، ومن المعلوم انّ النسخ محدّد بموارد خـاصة ولا يقبل فيه إلاّ إذا كان الخبر متـواتراً حتى يُصبح

ناسخاً للقرآن و إلاّ فلا يترك الوحي القطعي بالخبر الواحد.

أخرج الرازي في تفسيره عن النبي ﷺ انّه قال: إذا رُوي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافقه فأقبلوه، و إلاّ فردّوه. [1]

وقد تضافر عن النبي ﷺ وأئمّة أهل البيت لزوم عرض الحديث على الكتاب عند الشكّ في الصحّة أو عند تعارض الخبرين.

روى الحرّ العاملي في وسائله باسناده عن السكوني قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ على كلّ حق حقيقة وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه».

وروى أيوب بن الحرّ، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كلّ شيء مردود إلى الكتاب والسنّة، وكلّ شيء لا يوافق كتاب الله فهو زخرف». [2]

والمراد من عرض الحديث على الكتاب هو إحراز عدم المخالفة لا الموافقة، إذ ليست الثانية شرطاً في حجّية الحديث و إنّما المخالفة مسقطة له عن الحجّية، وعلى ذلك يكون الشرط عدم المخالفة للكتاب وليس المراد منها، هي المخالفة بنحو العموم والخصوص أو الإطلاق والتقييد فانّ مثل هذه المخالفة أمر رائج في التشريع بل المراد المخالفة المطلقة كما يتضح ممّا نذكره من النموذجين:

١. تعذيب الميت ببكاء أهله

أخرج مسلم عن عمر عن النبي ﷺ، قال: الميت يُعذَّب في قبره بما نيح عليه.

---

١. التفسير الكبير: ٣/ ٢٥٩، طبع سنة ١٣٠٨ هـ.

٢. وسائل الشيعة: ١٨/ ٧٨، كتاب القضاء، الباب التاسع من أبواب صفات القاضي، الحديث ١٠، و ١٤.

وأخرج أيضاً عن ابن عمر انّه لما طعن عمر أُغمي عليه فصيح عليه، فلمّا أفاق، قال: أما علمتم انّ رسول الله ﷺ قال: إنّ الميت ليعذب ببكاء الحي. (١)

هذه الرواية و إن رواها مسلم بطرق مختلفة لكنّها مرفوضة جداً لأنّها تخالف صريح القرآن.

قال سبحانه: ﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزرَ أُخرىٰ﴾ (الأنعام/ ١٦٤).

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلىٰ حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيءٌ وَلَو كانَ ذا قُربىٰ﴾ (فاطر/ ١٨).

فكيف يمكن أن نقبل انّ الميت البريء، يُعذَّب بفعل الغير وهو شيء يرفضه العقل والفطرة وقيل:

غيري جنىٰ وأنا المعاقب فيكم   فكأنّني سبّابة المتندّم

ولأجل ذلك ردّت السيدة عائشة هذه الرواية.

أخرج مسلم أيضاً: انّها قالت: لا والله ما قاله رسول الله ﷺ قط، إنّ الميت يعذب ببكاء أحد، ولكنّه قال: إنّ الكافر يزيده الله ببكاء أهله عذاباً وانّ الله لهو أضحك و أبكى ﴿ ولا تَزر وازرة وزر أُخرى...﴾ إلى أن قال: لما بلغ عائشة قول عمر وابن عمر قالت: إنّكم لتحدثونني عن غير كاذبين ولا مكذبين ولكن السمع يخطئ. (٢)

وهذه الرواية و إن دفعت بعض الإشكال ولكنّها لم تقلعه، لأنّ مقتضى الآية هو العموم وهو انّ الإنسان لا يعذب بفعل غيره سواء أكان مسلماً أو كافراً لعمومية العلة ﴿لا تَزر وازرة وزر أُخرى﴾ مع سعة حكم العقل بقبح عقاب البريء بذنب الآخر.

والصحيح في ذلك ما رواه حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن أبيه قال:

---

١. صحيح مسلم:٣/ ٤١، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

٢. صحيح مسلم:٣/ ٤٣، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

ذكر عند عائشـة قول ابن عمر : الميت يعذب ببكاء أهلـه عليه، فقالت: رحم الله أبا عبد الـرحمان سمع شيئاً فلم يحفظه إنّما مـرّت على رسول الله ﷺ جنازة يهودي وهم يبكـون عليه، فقال: أنتـم تبكون وانّـه ليعذب. [١] أي يعذب بأعمالـه التي اقترفها في حال حياته.

٢. الاحتجاج بالقدر

أخرج البخاري في أبواب التهجد بـالليل عن الزهري قال: أخبرني علي بن الحسين انّ الحسين بن علي أخبره انّ علي بن أبي طالب قال: إنّ رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ، فقال لهم: ألا تصلون.

فقال علي: فقلت يـا رسول الله: «أنفسنا بيـد الله» فإذا شاء أن يبعثنـا بعثنا، فانصرف رسول الله ﷺ حين قال له ذلك ولم يرجع إليه شيئـاً، ثمّ سمعه وهو مدبر يضرب فخذه، وهو يقول: ﴿ **وكانَ الإنسانُ أكثرَ شيءٍ جَدَلاً** ﴾ . [٢]

والحديث موضوع علىٰ لسان أئمّة أهل البيت وقد تولّى كبره أحد من ورد في الاسناد وذلك:

أوّلاً: انّ الاحتجاج بالقـدر وتبرير العقائد الفاسدة والأعمال السيئـة به من سيرة المشركين، وقد نقل القرآن الكريم عنهم ذلك وقال:

﴿سَيَقُولُ الّذينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللهُ مـا أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتّىٰ ذاقُوا بَأْسنا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلّاالظنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلّاتَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام/ ١٤٨).

---

١. صحيح مسلم:٣/ ٤٤، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

٢. صحيح البخاري:٩/ ١٠٦، باب قوله تعالى ﴿وكان الانسان أكثر شيء جدلاً﴾ من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة. والآية ٥٤ من سورة الكهف.

وأشار إليها في آية أُخرى أيضاً قال سبحانه: ﴿وَإِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَاللهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَتَقُولُونَ عَلى اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف/ ٢٨). وليس مرادهم من قولهم : ﴿وَاللهُ أَمَرَنا بِها﴾ سوى انّه سبحانه قدّر ذلك ولازمه الأمر به فليس لنا المحيص عن السير وراء التقدير.

وقد كان عرب الجاهلية علىٰ تلك العقيدة وبقيت رواسبه إلىٰ عهد الرسالة وبعده، روىٰ عبد الله بن عمر انّه جاء رجل إلىٰ أبي بكر، فقال: أرأيت الزنى بقدر؟ قال: نعم، قال: فإنّ الله قدّر عليّ ثمّ يعذبني، قال: نعم يابن اللخناء، أما والله لو كان عندي إنسان أمرته أن يجأ أنفك.[1]

لقد كان استغراب الرجل في محله إذا كان التقدير ملازماً لسلب الاختيار عن الإنسان، لذلك قال: «فانّ الله قدر عليّ ثمّ يعذبني» و لما عجز الخليفة عن الإجابة بمنطق الاستدلال توسل بمنطق القوة وانّه لو كان هنا رجل لأمره أن يجأ أنفه.

لا شكّ انّ القضاء والقدر من تعاليم القرآن ومن العقائد الإسلامية، لكن لا علىٰ وجه يسلب الاختيار عن الإنسان ويجعله مكتوف الأيدي علىٰ صعيد الحياة.

وما جاء في الرواية من الاجابة، إنّما يحتج به المشرك لا إمام المسلمين والذي تربىٰ في احضان النبي ﷺ منذ نعومة أظفاره.

ثانياً: لو افترضنا انّ الإمام وزوجه فاتت عنهما صلاة الليل لغلبة النعاس عليهما، فعندما يطرق النبي ﷺ بابهما تحنناً وتلطفاً، فمقتضى أدب أهل البيت عليهم السلام أن يواجها أباهما بالشكر والامتنان لا بمجادلة وكلمة لاذعة، ولا بإلقاء المسؤولية علىٰ عاتق مقدِّر الأقدار.

---

١. تاريخ الخلفاء للسيوطي:٩٥.

ثالثاً: كيف ينقل الراوي حديث ترك التهجد والتنفل بنافلة الليل مع أنّ علياً كان أحد عبّاد زمانه، فمنه تعلّم الآخرون التهجد والتجافي عن المضاجع آناء الليل؟!

قال ابن أبي الحديد: وأمّا العبادة فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً، ومنه تعلّم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد وقيام النافلة، وما ظنّك برجل يبلغ من محافظته علىٰ ورده أن يبسط له نطع بين الصّفين ليلة الهرير، فيصلّي عليه ورده، والسهام تقع بين يديه وتمر علىٰ صماخيه يميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته! وما ظنّك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده.

وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته، ووقفت علىٰ ما فيها من تعظيم الله سبحانه و إجلاله،وما يتضمّنه من الخضوع لهيبته، و الخشوع لعزته والاستخذاء له، عرفت ما ينطوي عليه من الاخلاص، وفهمت من أيّ قلب خرجت، وعلى أيّ لسان جرت!

وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام وكان أعبد أهل زمانه: أين عبادتك من عبادة جَدّك؟ قال: عبادتي عند عبادة جدّي، كعبادة جدّي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله.[1]

والحق ما رواه أنس «انّ النبيّ كان يمرّ ببيت فاطمة ستة أشهر كلّما خرج إلى الصلاة فيقول: الصلاة أهل البيت ﴿**إنّما يُريدُ اللهُ ليُذْهِبَ عَنكُم الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيرا**﴾[2].

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ٢٧.

٢. لاحظ في الوقوف على مصادر الرواية : تفسير الطبري: ٢٢/ ٥ ــ ٧ ، والدر المنثور: ٥/ ١٩٨ـ ١٩٩.

الثاني: عرض الحديث على السنّة المتواترة

إنّ السنّة المتواترة كالكتاب العزيز كلاهما قطعيان بَيدَ انّ الكتاب وحي بلفظه ومعناه، والسنّة وحي بمعناها لا بلفظها. فتكون معياراً لتميز الحقّ عن الباطل، وقد مرّ في حديث أيوب بن الحر عن الصادق عليه السلام انّه قال: كلّ شيء مردود إلى الكتاب والسنّة.

وفي رواية عمر بن حنظلة عن الإمام الصادق عليه السلام في الخبرين المتعارضين انّه ينظر إلى ما وافق حكمه حكم الكتاب والسنّة فيؤخذ به.

وروى ابن أبي يعفور عن الإمام الصادق عليه السلام: قال: سألته عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به، قال: إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله وإلاّ فالذي جاءكم به أولى به.[1]

والمراد من عرض الحديث على السنة المتواترة ليس هو إحراز موافقته لها، بل إحراز عدم مخالفته لها لكون المخالفة مسقطة للحجية.

فالسنة المتواترة أو المستفيضة كالقرآن الكريم فلو ورد حديث يخالفها لا يؤخذ به بالملاك الذي ذكرناه في الكتاب.

نعم لا تشترط الموافقة، وإليك المثال:

أخرج أحمد في مسنده عن وهب بن كيسان مولى ابن الزبير، قال: سمعت عبد الله بن الزبير في يوم العيد يقول، حين صلّى قبل الخطبة ثمّ قام يخطب الناس: [فيجيب على اعتراض الناس بتقديم الصلاة على الخطبتين] بقوله: كلاً

---

١. وسائل الشيعة:١٨، الباب التاسع من أبواب صفات القاضي، الحديث ١و١١.

سنّة الله وسنة رسول الله ﷺ. [١]

فإنّ السنة المتواتـرة عند الفريقين هو تقديمهما عليها، ولم يـرو عن أحد من أنّ الرسول قدَّم صلاة الجمعة عليهما.

الثالث: عرض الحديث على العقل الحصيف

لقد احتلّ العقل مكانة رفيعة في الإسلام وليس المراد من العقل، الأساليب والاستدلالات العقليـة التي يختص فهمها بأصحاب الفكـر والحكمة، وإنّما المراد ما اتّفق عليه جميع العقلاء إذا تجرّدوا عن كل النزعات والرواسب والخلفيات نظير حكم العقل بحاجة كل ظاهـرة إلىٰ علة، وامتناع الدور والتسلسل وحسن العدل وقبح الظلـم، وعلى تلك الأحكـام العقلية يـدور رحى العقيـدة والشريعة فلـو لم يعترف أحـد بها لانسدّ بـاب اثبـات الصانع علىٰ وجهـه كما ينسـد عليه إثبـات الشرائع السماوية وانّها من جانب الله سبحانه.

قال سبحانه: ﴿فَبَشِّر عِبادِ* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَول فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئك الّذينَ هَداهُمُ اللهُ وَأُولئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْباب﴾ (الزمر/ ١٧ـ١٨).

فـالمراد من القول الأحسـن، الواجب الاتّبـاع هـو ما يـدركه الإنسـان من صميم ذاته ونداء ضميره ووجدانه، ولأجل ذلك نرى أنّه سبحانه يذكر في فواصل الآيات ويقول: ﴿لآياتٍ لقوم يَعْقِلُون﴾ (البقرة/ ١٦٤) ويقول: ﴿أَفَلا تَعْقِلُون﴾ (البقرة/ ٤٤و٧٦) ويقول: ﴿وَما يَعْقِلُها إِلاّ العالِمُون﴾ (العنكبوت/ ٤٣) ويقول أيضاً: ﴿إِنَّ في ذٰلِـكَ لِذِكـرىٰ لِمَنْ كـانَ لَـهُ قَلْبٌ أو ألقى السَّمـعَ وهُوَ شَهِيـد﴾ (ق/ ٣٧).

---

١. مسند أحمد بن حنبل: ٤/ ٤.

إنّ المتكلّمين من الإمامية والمعتزلة وإن اختلفوا مع الأشاعرة في مسألة تحسين العقل وتقبيحه، لكن مع غض النظر عن هذا الجدال العقيم، نرىٰ أنّ القرآن العظيم يحتج بالعقل الصريح و يقول: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتِ النَّعيمِ * أَفَنَجْعَلُ المُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ* إِنَّ لَكُمْ فيهِ لَما تَخَيّرون﴾ (القلم/ ٣٤ـ٣٨).

وفي آية أُخرى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحات كَالْمُفْسِدينَ فِي الأَرْض أَمْ نَجْعَلُ المُتَّقينَ كَالفُجّار ﴾ (ص/ ٢٨).

قال سبحانه: ﴿وَإِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيها آباءَنا وَاللهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاء﴾ (الأعراف/ ٢٨).

وقال سبحانه حاكياً عن إبراهيم: ﴿قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذا فَاسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُون * فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظالِمُون﴾ (الأنبياء/ ٦٣ ـ ٦٤).

فهذه الآيات كلّها تدلّ على أنّ منطق العقل حجّة قطعية بين الله سبحانه وعباده، وهو سبحانه يحتج به عليهم حتّى أنّ عبدة الأوثان لما أُفحِمُوا أمام منطق إبراهيم المتين، أذعنوا بفشل رأيهم، ورجعوا إلى وجدانهم، ووصفوا أنفسهم بالظلم والتعدي.

فمنطق العقل القطعي يعد مقياساً لتمييز الحقّ عن الباطل، ولتصحيح ما يعزىٰ إلى منطق الوحي وما لا يعزىٰ إليه.

وعلى ضوء ذلك فالروايات الصريحة في إثبات الجهة لله تبارك وتعالى، وفي إثبات الجبر و سلب الحرية والاختيار عن الإنسان فيما يناط به الإيمان والكفر كلّها تخالف العقل الحصيف الذي به عُرف الله سبحانه وأنبياؤه ورسله.

فالإنسان المسيّر غير مسؤول عن عمله وتصرفاته في قضاء العقل، مع أنّه

مسؤول في كتاب الله تبارك وتعالى فلا يجتمعان.

كما أنّ الموجود في جهة، موجود محدود، والمحدود من آثار الإمكان وهو سبحانه منزه عنه وعن آثاره.

وأظهر من ذلك ما رواه غير واحد من أصحاب الصحاح من أنّه سبحانه يُرى في الآخرة بنفس العين الحاسة مع أنّ هذه الرؤية مستحيلة عقلاً، لأنّ المرئي لا يرى إلاّ في جهة، وقد قلنا بامتناع الجهة له، كما المرئي منه سبحانه يوم القيامة لا يخلو إمّا أن يكون بعضه أو كله.

فالأوّل يثبت له جزءاً والثاني يلازم كونه سبحانه محاطاً مع أنّه محيط.

والعجب انّ بعض المقتصرين على الضوابط المقررة في علم الحديث بغية تمييز الصحيح عن السقيم يتبجّح عند نقد روايات العقل، و يقول:

ومما يحسن التنبيه عليه انّ كلّ ما ورد في فضل العقل من الأحاديث لا يصحّ منها شيء، وهي تدور بين الضعف والوضع وقد تتبعت ما أورده منها أبو بكر بن أبي الدنيا في كتابه «العقل وفضله» فوجدتها كما ذكرت لا يصحّ منها شيء، ثمّ نقل عن ابن قيم الجوزيّة قوله أحاديث العقل كلّها كذب.

وأوّل حديث نقده ذلك البعض هو حديث «الدين هو العقل، ومن لا دين له لا عقل له».

وذكر في موضع آخر بأنّ رواية: «قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له» موضوعة.[1]

أقول: إنّ الغاية من وراء تضعيف أحاديث العقل(وإن كانت حجيته مستغنية عن هذه الأحاديث، ويكفي فيها انّ الذكر الحكيم ذكره خمسين مرّة

---

١. الالباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ص ١٣ وص ٣٧٠.

بصيغ مختلفة) هي التساهل أمام الروايات الدالة على أنّ الإنسان مسيّر ، والقضاء والقدر حاكم على مصيره وتصرفاته، وليس له أي اختيار في انتخاب ما ينوط به الإيمان والكفر.

أو التساهل أمام الروايات الهائلة المدسوسة في الأحاديث الإسلامية من قبل مستسلمة أهل الكتاب، الدالة على التشبيه والتجسيم وإثبات الجهة.

إنّ المتبجحين برفض العقل كابن تيمية والذهبي وابن قيم الجوزية ومن حذا حذوهم كمحمد بن عبد الوهاب وأخيراً الشيخ الالباني، قد اتخذوا لأنفسهم موقفاً مسبقاً في مجال أخذ الحديث ورفضه، فالمعيار عندهم هو اتّباع السلف ومخالفة الخلف أخذاً بقول الشاعر:

وكلّ خير في اتّباع من سلف وكلّ شرّ في ابتداع من خلف[1]

وكلامهم هذا نظير ما حكاه سبحانه عن المشركين قال: ﴿... **قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ**﴾ (البقرة/ ١٧٠).

فإذا كان هذا هو المعيار فأكثر المحدثين ـ المغترّين بروايات مستسلمة أهل الكتاب ككعب الأحبار وتميم الداري ووهب بن منبه وغيرهم ممّن بثوا في الأوساط الإسلامية الاسرائيليات والمسيحيات ـ كانوا هم القائلين بالجبر والتجسيم والتشبيه، ومن كان هؤلاء أئمّته فأولى أن يتبجح برفض العقل.

---

١. المصدر السابق: ١١٧.

الرابع: عرض الحديث على التاريخ الصحيح

إنّ التاريخ الصحيح الّذي اتّفق عليه أعلامُ المسلمين وأهلُ السير والتاريخ أحد المعايير لتمييز الصحيح عن السقيم، ولنعرض نموذجين.

١. أخرج البخاري في باب تزويج الصغار من الكبار من كتاب النكاح عن عروة انّ النبي ﷺ خطب عائشة إلى أبي بكر، فقال له أبو بكر: إنّما أنا أخوك. فقال: أنت أخي في دين الله و كتابه، وهي لي حلال. [١]

وأخرج أيضاً في باب الفضائل عن أبي سعيد الخدري (رض) قال: ...ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتّخذت أبا بكر، ولكن أخوّة الإسلام ومودّته لا يَبْقَين في المسجد باب إلاّ سدّ إلاّباب أبي بكر. [٢]

وأخرج أيضاً عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: لو كنت متخذاً من أُمّتي خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن أخي و صاحبي. [٣]

إنّ التاريخ الصحيح يدل على سقم الرواية الأُولى، لأنّه ماذا أراد أبو بكر من كلامه ـ عند ما خطب رسول الله ﷺ عائشة ـ وقال: «إنّما أنا أخوك» ؟

فإن أراد الأُخوة النّسبية فهي واضحة البطلان.

وإن أراد الأُخوة الإسلامية المتجلية في قوله سبحانه: ﴿إنّما المؤمنونَ إخْوَة﴾ (الحجرات/ ١٠) فهذه غير مانعة من النكاح، لأنّ الاخوة الدينية العامة لا تمنع من التزويج، و إلاّ يلزم عدم صحّة نكاح المسلمين قاطبة كما هو واضح.

فانحصر المراد منها، بالاخوة الخاصة الواردة في الرواية الثالثة: «ولكن أخي

---

١. صحيح البخاري: ٧/ ٥، باب تزويج الصغار والكبار، من كتاب النكاح.

٢، ٣. صحيح البخاري: ٥/ ٤، باب قول النبي ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً.

وصاحبي»، ومن الواضح انّها لم تتحقق إلاّ في المدينة المنورة بشهادة ذيل الحديث بأنّه «لا يبقين في المسجد باب إلاّ سدّ، إلاّ باب أبي بكر».

فإذاً كيف يخطب النبي ﷺ عائشة في مكة المكرمة قبل الهجرة ويعتذر هو بالاخوة الخاصة المتحققة في المدينة، فالتاريخ يشهد على وضع الرواية الأُولى وكذبها، وليست هذه الرواية فريدة من نوعها، بل حيكت على منوالها رواية أُخرى أيضاً أخرجها ابن الجوزي في كتابه عن أبي صالح عن أبي هريرة، قال:

لما دخل رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً من مكة أشعث أغبر أكثر عليه اليهود المسائل والنبي ﷺ يجيبهم جواباً متداركاً بإذن الله عزّ وجلّ، وكانت خديجة قد ماتت بمكة، فلما ان دخل النبي ﷺ المدينة واستوطنها طلب التزويج، فقال لهم:

أنكحوني، فآتاه جبريل عليه السلام بخرقة من الجنة طولها ذراعين في عرض شبر، فيها صورة لم ير الراؤون أحسن منها، فنشرها جبريل، وقال: يا محمد إنّ الله تعالى يقول لك: أن تزوج على هذه الصورة، فقال له النبي ﷺ: أنا من أين لي مثل هذه الصورة يا جبريل؟

فقال له جبريل: إنّ الله يقول لك تزوج ابنة أبي بكر الصديق.

فمضىٰ رسول الله ﷺ إلىٰ منزل أبي بكر فقرع الباب، ثمّ قال: يا أبا بكر إنّ الله أمرني أن أُصاهرك، وكان له ثلاث بنات فعرضهن علىٰ رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: إنّ الله أمرني أن أتزوج بهذه الجارية، وهي عائشة، فتزوجها رسول الله ﷺ.

قال الخطيب: رجاله كلّهم ثقات غير محمد بن الحسن ونراه مما صنعت يداه.

وأعقبه ابن الجوزي بقوله: ما أبعد الذي وضعه عن العلم، فإنّ رسول الله ﷺ تزوج عائشة وهو بمكة ولم يكن لأبي بكر حينئذٍ ثلاث بنات، ما كان له غير

أسماء وعائشة وإنّما جاءته بنت بعد وفاته يقال لها أُمّ كلثوم. [١]

٢. أخرج مسلم في صحيحه، في فضائل الصحابة، عن ابن عباس: كان المسلمون لا ينظرون إلىٰ أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبي: يا نبي الله ثلاث اعطنيهنّ؟

قال: نعم.

قال: عندي أحسن العرب وأجمله أُمّ حبيبة بنت أبي سفيان، أزوجكها؟

قال: نعم.

قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك؟

قال: نعم.

قال: وتؤمّرني حتى أُقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين؟ قال: نعم.

قال أبو زميل: ولولا انّه طلب ذلك من النبي ﷺ ما أعطاه ذلك، لأنّه لم يكن يسأل شيئاً إلاّ قال: نعم. [٢]

أقول: لا يشك أي باحث متضلع في التاريخ الإسلامي انّ الحديث موضوع من قبل سماسرة الأهواء وأذناب البيت الأموي الذين كانوا يحملون نزعات أموية، وذلك لاتّفاق المسلمين علىٰ أنّ النبي ﷺ تزوج بأُمّ حبيبة قبل فتح مكة، وانّ أبا سفيان دخل المدينة بغية لقاء النبي ﷺ قبل إسلامه وكانت أُمّ حبيبة زوجته، وإنّما استسلم أبو سفيان بعد ما اجتثت جذور الشرك في جزيرة العرب وفتحت معاقله.

حكى ابن هشام في ذكر الأسباب التي دعت النبيّ ﷺ إلى المسير نحو مكة في شهر رمضان سنة ٨ هـ وقال: ثمّ خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ

---

١. ابن الجوزي، كتاب الموضوعات: ٢/ ٨.

٢. صحيح مسلم: ٧/ ١٧١، باب فضائل أبي سفيان بن حرب.

المدينة، فدخل علىٰ ابنته أُمّ حبيبـة بنت أبي سفيان، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله طوته عنه ، فقال: يا بُنيَّة ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟

قالت: بل هو فراش رسول الله وأنت رجل مشرك نجس ولم أحب أن تجلس علىٰ فراش رسول الله. (١)

وقـد اتّفق كُتّـاب السير علىٰ أنّ أُمّ حبيبـة أسلمـت في مكـة المكـرمـة قبل الهجرة، وهـاجرت مـع زوجها إلى الحبشة، وذكـرها ابن هشـام من المهـاجرات إلى الحبشة.

قـال ابن هشـام: ومن بنـي أُميّة عبيـد الله بن جحـش بن رئاب الأسـدي حليف بني أُميّـة ابن عبد شمـس معه امرأتـه أُمّ حبيبة بنت أبي سفيـان، فلما قدم عبيد الله أرض الحبشة تنصّر بها وفارق الإسلام ومات هناك نصرانياً، فخلف رسول الله على امرأته من بعده أُمّ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب. (٢)

ثمّ إنّ ابن حزم ممّن تنبه إلى الاشكال في الرواية وقال: والآفة فيه من عكرمة بن عمار الراوي عن أبي زميل.

وأنكر الشيخ أبـو عمرو بن صلاح علىٰ ابن حزم، فقـال: لا نعلم أحداً من أئمّة الحديث نسب عكرمة بن عمار إلىٰ وضـع الحديث، وقد وثقه وكيع ويحيى بن معين وغيرهما، ثمّ حاول أن يصحح مضمون الحديث بـأنّ أبا سفيان سأل تجديد عقد النكاح تطييباً لقلبه، لأنّه كان ربما يـرىٰ عليها غضاضة من رياسته ونسبه أن تـزوج بنتـه بغير رضـاه، أو أنّه ظـن ان إسـلام الأب في مثل هـذا يقتضي تجديـد العقد. (٣)

---

١. سيرة ابن هشام: ٢/ ٣٩٦، وغيرها من المصادر المتوفّرة.

٢. سيرة ابن هشام: ٢/ ٣٦٢.

٣. شرح صحيح مسلم للنووي: ١٦/ ٢٩٦.

يلاحظ عليه : أنّ عكـرمة بن عمار مختلـف فيه، وقـد ذكـر الذهبي أقـوال العلماء في حقّه.[١]

ولكن الكلام في التأويـل الذي ارتكبه ابن الصلاح بغية تصحيـح الرواية، ولو ارتكبه غيره لرُمي بالجهمية، وأين أبو سفيان من هذه الدرجة من التقوىٰ التي يصوّرها لنـا ابن الصلاح؟! وها نحن نـذكر نبذة مختصرة عن سيرتـه في أُخريات حياته ليتضح مدىٰ تمسكه بالإسلام وإيمانه به.

قال أحمد بن عبد العزيز : وحـدّثني المغيرة بن محمد المهلبيّ، انّ أبا سفيان قال لعثمان: بـأبي أنت! أنفق ولا تكن كـأبي حجر، وتداولـوها يـا بني أُميـة تداول الولـدان الكرة، فوالله مـا من جنّةٍ ولا نـار و كان الزبير حـاضراً، فقال عثمان لأبي سفيـان: اعـزب فقال: يـا بنـيّ أهاهنـا أحـد؟! قـال الـزبير: نعم والله لا كتمتهـا عليك.[٢] فمن كان منكـراً للبعث بعد ما أسلم سنين، فهل يصـحّ وصفه بما ذكره ابن الصلاح؟!

الخامس: عرض الحديث على اتّفاق الأُمّة

إنّ اتّفـاق الأُمّة على حكـم من الأحكـام دليل قطعـي عليه دون فـرق بين المنهج الشيعي أو السنّي.

وعلى ضوء ذلك فلو ورد حديث يخالف المتفق عليه بين الأُمّة فيحكم عليه بالدس والوضع، ولنضرب مثالاً:

أخرج الطحاوي في مشكل الآثار عن طريـق علي بن زيد بن جدعان، عن أنس، قال: مطرت السماء برداً، فقال لنا أبـو طلحة: ناولوني من هذا البرد، فجعل

١. سير أعلام النبلاء:٧/ ١٣٤ برقم ٤٩.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:٢/ ٤٥.

يأكل وهو صائم وذلك في رمضان! فقلت: أتأكل وأنت صائم؟ فقال: إنّما هو برد نزل من السماء نطهّر به بطوننا وانّه ليس بطعام ولا بشراب! فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك.

فقال: خذها عن عمك. (١)

إنّ اتّفاق الأُمة على أنّ مطلق الأكل والشرب مبطل للصوم يكفي في الحكم على هذا الحديث بالوضع والدس.

ولأجل ذلك نرى أنّ السيوطي أورده في ذيل الأحاديث الموضوعة، ص ١١٦. وضعفه الطحاوي في مشكل الآثار بوجود علي بن زيد في سنده وانّه ليس من أهل التثبيت (٢).

٨

لا كتاب صحيح سوى القرآن الكريم

ثمّ إنّ المشكلة تكمن في أنّ المحدّثين والباحثين وصفوا جامع البخاري ومسلم بالصحيحين وحكموا بصحّة كلّ ما جاء فيهما من الأحاديث، فعاق ذلك كثيراً من المحقّقين عن الفحص والتنقيب بما جاء فيهما من الروايات المخالفة للكتاب والسنّة والعقل، ولأجل ذلك بقي الكتابان في منأىً عن التحقيق بخلاف السنن الأربع الباقية من الأُصول الستة، فقد تطرق إليها التحقيق منذ زمن بعيد.

كيف يحكم بأنّ كلّ ما في البخاري صحيح مع أنّه أورد فيه الأحاديث

---

١. مشكل الآثار: ٢/ ٢٣٨ برقم ١٩٨٣.
٢. المصدر نفسه.

المعلّقة، مرفوعة وموقوفة، وإن اعتذر عنه ابن حجر في مقدمة فتح الباري. [١] وقد رُمي ثمانون رجلاً ممّن أخرج عنهم البخـاري بالضعف، كما رُمي مائة وستون رجلاً ممن أخرج منهم مسلم به أيضاً. [٢]

نعم حاول ابن حجر عقد فصلاً خاصاً [٣] في الذبِّ عن ضعفهم، إلا أنّ محاولته باءت بالفشل.

والعجب انّ الإمـام البخاري، احتجّ بمثل مـروان بن الحكم، وعمـران بن حطّان وحريز بن عثمان الرحبي وغيرهم ولم يرو عن الإمام الصادق عليه السلام.

أمّـا الأوّل فهو الـوزغ ابن الـوزغ، اللعين ابن اللعين على لسان رسـول رب العالمين، وأمّـا الثاني فهو الخارجي المعـروف الذي أثنى على ابن ملجـم بشعره لا بشعوره، وأمّا الثالث فكان ينتقص عليّـاً وينال منه، و مع ذلك لم نجد في صحيح البخاري رواية عن الإمام الصادق ونعم ما قال القائل:

قضيـــة أشبــــه بـــالمرزئة	هـــذا البخـــاري إمــــام الفئـــة
بـالصـادق الصـدّيق مـا احتـجّ في	صحيحـــه واحتـــجّ بـــالمرجئـــة
ومثـل عمـــران بـــن حطـــان أو	مــــروان وابـــن المرأة المخطئـــة
مشكلـــــة ذات عـــــوار إلى	حيرة أربــــاب النهـــى ملجئـــة
انّ الإمـــام الصـــادق المجتبـى	بفضلـــــه الآي أتــت منبئـــة
أجـــلّ مـــن في عصره رتبـــة	لم يقترف في عمـــره سيّئـــة [٤]

١. هدية الساري مقدمة فتح الباري، ص ١٧، ط. دار المعرفة.

٢. المصدر نفسه، ص ١١.

٣. المصدر نفسه، ص ٤٥٦ ـ ٤٦٤.

٤. السيد محمد بن عقيل: النصائح الكافية: ١١٩. ط بيروت.

وسيتضح مدى صحة قولهم: «كل ما في الصحيحين، صحيح».

نعم أوّل من تجرّأ من السنّة على التحقيق في الصحيحين هو الحافظ ابن الجوزي حيث ألّف كتاباً باسم مشكل الصحيحين أو مشكل الصحاح، و لم يزل مخطوطاً في أربعة أجزاء، فلو قام باحث موضوعي بنشر هذا السفر الجليل لخدم السنّة النبوية.

وحكى العلاّمة المحقّق الشيخ حسن السقاف انّ شيخه السيد الإمام أبا الفضل الغماري صنف كتاباً في هذه المسألة وسماه «الفوائد المقصودة في الأحاديث الشاذة المردودة».

وقد قام شيخ مشايخنا الشيخ فتح الله النمازي الاصفهاني ـ المشهور بشيخ الشريعة (١٢٦٦ـ ١٣٣٩هـ) بنقد الصحاح، فألف كتاباً باسم «القول الصراح في نقد الصحاح»[١]، غير انّه لم يُوفّق لإتمامه.

كما ألّف سيد الطائفة، شرف الدين العاملي (١٢٩٠ـ ١٣٧٧هـ) كتاباً باسم «أبو هريرة» بحث فيه عن سيرته ورواياته في الصحيحين وغيرهما بحثاً أضاء الطريق لمن بعده.

وأخيراً ألّف الشيخ المجاهد محمد الغزالي كتابه «الحديث النبوي بين أهل النقل والفهم» وقد سلك في نقل الأحاديث قريباً مما سلكناه في هذا الكتاب، وقد أثار ضجّة المتحجرين لما اعتادوه من العكوف على كلّ حديث عكف عليه السلف.

كما قام غير واحد من علمائنا بتمحيص ما روي عن أئمّة أهل البيت من الأحاديث نذكر منهم على سبيل المثال:

---

١. نحتفظ منه بنسخة مخطوطة في مكتبة مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام عسىٰ أن يقوم الباحثون بنشرها.

١. **الأخبار الدخيلة: تأليف المحقّق محمد تقي التستري (١٣٢٠ـ ١٤١٥هـ) وقد طبع وانتشر.**

٢. **الموضوعات في الآثار والأخبار : تأليف المحقّق هاشم معروف الحسني.**

ولسنا في هذا المقام بصدد دراسة أحد الصحاح والمسانيد، أو دراسة جميع روايات راو واحد فقط، بل بصدد دراسة أحاديث ثلة من الصحابة تربو على أربعين صحابياً، بعد ذكر نبذة مختصرة من سيرته، ونماذج من روائع حديثه.

ولا نعني بروائع الأحاديث، كونها صحيحة سنداً بل ربما يكون سندها غير نقيّ لكن مضمون الحديث يدعمه الكتاب أو السنة والقرائن والمفاهيم العامة الإسلامية.

كما لا تعني هذه الدراسة القدحَ بذلك الصحابي، بل تعني وجود الإشكال والعلّة في الرواية سواء أكان منشؤها هو ذلك الصحابي أو الذين رووا عنه وعزوه إليه، والمطلوب هو نقد المضمون والمحتوىٰ دون أن نحمّل المسؤولية على عاتق أحد إلاّ في موارد شاذّة.

وهذه الدراسة هي خدمةمتواضعة للحديث النبوي، نرجو أن تنال القبول وأن ينتفع بها المعنيون وأن تكون فاتحة خير لمساهمات لاحقة، وندعو الله تعالى أن يهبنا السداد في القول، والتوفيق في العمل، ويهيّئ لنا من أمرنا رشداً انّه نعم المولى و نعم النصير.

ونحن على ثقة بأنّ كلّ قارئ واع ينبض قلبه حبّاً للإسلام، سيُثمّن الجهود التي بذلناها في سبيل تأليف هذا الكتاب، والعناء الذي تحمّلناه في هذا المضمار.

وما توفيقي إلاّ بالله عليهِ توكلتُ و إليه أُنيب

١

معاذ بن جبل الصحابي

(٢٠ قبل الهجرة ـ ١٨ هجرية)

سيرته وأحاديثه الرائعة.

أحاديثه السقيمة:

١. التجسيم في حديثه.

٢. افشاء سرِّ النبي بلا إذنه.

٣. السذاجة في فهم الشريعة.

٤. عدم استجابة دعاء النبي ﷺ.

٥. دراسة تحليلية حول حديث اجتهاده في القضاء.

معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس، أبو عبد الرحمان الأنصاري الخزرجي المدنيّ البدريّ، ولد عام ٢٠ قبل الهجرة، شهد العقبة وهو شابّ، كما شهد بدراً والمشاهد، و روىٰ عن النبي ﷺ أحاديث ناهزت ١٠٨، بعثه النبي للقضاء إلى اليمن بعد ما علّمه آداب القضاء، وتوفي في الشام عام ١٨ بعد الهجرة علىٰ أحد الأقوال.

والسابر في طيات كتب الرجال يجد في حقّه كلمات تدل علىٰ مكانته الرفيعة

في القراءة ومعرفة الحلال و الحرام:

١. عن عبد الله بن عمر، قال: أربعة رهط لا أزال أحبهم بعدما سمعت رسول الله، قال: «خذوا القرآن من أربعة، من: ابن مسعود، و سالم مولىٰ أبي حذيفة، وأُبي بن كعب، و معاذ بن جبل». [١]

٢. عن أبي قلابة، عن أنس مرفوعاً: وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، و يروىٰ عن النبي ﷺ مرسلاً ومتصلاً: «يأتي معاذ يوم القيامة أمام العلماء برتوة».

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله: «معاذ بن جبل أعلم الناس بحلال الله وحرامه. [٢] إلى غير ما ذكر من كلمات الإطراء والثناء في حقّه المروية عن النبي ﷺ وعن الصحابة.

وقد نقل عنه أصحاب الصحاح والمسانيد انّه قال: لما بعثني النبي إلى اليمن، قال لي كيف تقضي إن عرض لك قضاء؟ قال: قلت: أقضي بما في كتاب الله فإن لم يكن فيما قضى به رسول الله، قال: فإن لم يكن فيما قضى به الرسول؟ قال: اجتهد رأيي ولا آلو، فضرب صدري، وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله». [٣]

---

١. تهذيب التهذيب: ١٠/ ١٨٧ برقم ٣٤٧ ؛ سير أعلام النبلاء: ١/ ٤٤٥ برقم ٨٦ يقول المعلّق على الكتاب الأخير: أخرجه البخاري (٤٩٩٩) في فضائل القرآن باب القرّاء من أصحاب النبي، ومسلم (٢٤٦٤) في الفضائل، والترمذي (٣٨١٢) في المناقب، وأبو نعيم في الحلية: ١/ ٢٢٩.

٢. تهذيب التهذيب: ١٠/ ١٨٧ برقم ٣٤٧ ؛ سير أعلام النبلاء: ١/ ٤٤٦ برقم ٨٦ .و نقل المعلق على كتاب سير اعلام النبلاء انّه أخرجه أحمد: ٣/ ١٨٤ و ٢٨١، والترمذي (٣٧٩٣) في المناقب، وابن ماجة (١٥٤) في المقدمة باب فضائل خباب، و أبو نعيم في الحلية: ١/ ٢٢٨.

٣. أخرجه من أصحاب المسانيد: أحمد في مسنده: ٥/ ٢٣٦، ٢٤٢؛ و من أصحاب السنن: أبو داود برقم ٣٥٩٢ و ٣٥٩٣ في الأقضية، والترمذي (١٣٢٧) مثله (١٣٢٨) في الأحكام باب ما جاء في القاضي كيف يقضي؟ و سيوافيك نقل أسناده مفصلاً.

هذه نبذة إجمالية عن سيرة معاذ بن جبل، والكلمة التي ذكرها النبي عند بعثه إلى اليمن للقضاء.

إنّ الوقوف على مكانة ذلك الصحابي رهن دراسة أمرين:

أ. دراسة الأحاديث التي رواها عن النبيّ ﷺ.

ب. دراسة حديث الاجتهاد الذي بلغ من الشهرة بمكان حتىٰ اتخذه أصحاب القياس سنداً لإعماله في استنباط الأحكام الشرعية. وقد فسر الإمام الشافعي الاجتهاد الوارد فيه بالقياس، كما سيوافيك تفصيله.

أحاديثه الرائعة

روىٰ أصحاب الصحاح والسنن و المسانيد روايات عنه في شتى الموضوعات، كالإيمان و الطهارة والجنائز والصلاة و الزكاة والصيام والنكاح والعتق و الفرائض والحدود والديات والقضاء والطب والمرض والأدب والذكر والدعاء و القرآن والعلم والجهاد والأمارة و المناقب والزهد والفتن وأشراط الساعة والجنة، ويناهز مجموع ما نقل عنه من الأحاديث قرابة ١٠٨، فهو تارة ينقل نص قول النبي ﷺ وأُخرى فعله ﷺ، وفي الوقت نفسه فإنّ قسماً من تلك الروايات هي في الواقع رواية واحدة نقلت بصور مختلفة فعدُّوها روايات متعددة كأكثر ما رواه في باب الإيمان مثلاً حديثه المعروف «ما حقّ الله على العباد» رويت بصور تسع مع أنّها في الحقيقة رواية واحدة، وعلىٰ هذا الغرار يقلُّ عدد أحاديثه عن العدد المذكور بكثير، فلنذكر شيئاً من روائع أحاديثه:

١. عن ابن عباس انّ رسول الله ﷺ لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن قال: إنّك تأتي قوماً أهل كتاب فادعُهم إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله و انّي رسول الله، فان هم أطاعوك لذلك فاعلمهم انّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كلّ يوم وليلة،

فإن هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أنّ الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وتردّ في فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإيّاك و كرائم أموالهم، و اتق دعوة المظلوم فانّها ليس بينها و بين الله عزّ وجلّ حجاب. (١)

٢. قال: إنّ النبي قال سأنبئك بأبواب من الخير: الصوم جُنّة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وقيام العبد من الليل ثمّ قرأ: ﴿تَتَجافىٰ جُنُوبهُمْ عَنِ المَضاجِعِ﴾. (٢)

٣. كان معاذ باليمن فارتفعوا إليه في يهودي مات، و ترك أخاً مسلماً، فقال معاذ: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إنّ الإسلام يزيد و لا ينقص» فورّثه. (٣)

٤. وقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: «الجهاد عمود الإسلام و ذروة سنامه». (٤)

إلى غير ذلك من روائع الأحاديث التي يعلو هامتها نور النبوة و يشهد علو مضامينها على صدورها في بيت الوحي.

أحاديثه السقيمة

وقد روي عنه روايات شاذة لا تصح نسبتها إلى النبي ﷺ، وإليك دراسة قسم منها:

١. رؤية الله في أحسن صورة

أخرج الترمذي في كتاب تفسير القرآن عن طريق مالك بن يخامر

---

١. أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ١/ ٢٣٣.

٢. أخرجه الإمام أحمد: ٥/ ٢٤٨ والآية ١٦ من سورة السجدة.

٣. مسند الإمام أحمد: ٥/ ٢٣٠ و ٢٣٦.

٤. مسند الإمام أحمد: ٥/ ٢٣٤.

السكسكيِّ، عن معاذ بن جبل (رض) قال: احتبس عنّا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءىٰ عين[1] الشمس، فخرج سريعاً فثوّب بالصلاة، فصلّىٰ رسول الله ﷺ وتجوز في صلاته، فلمّا سلّم دعا بصوته، قال لنا: علىٰ مصافّكم كما أنتم، ثمّ انفتل[2] إلينا، ثمّ قال: أما إنّي سأُحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، إنّي قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قُدّر لي، فنعست في صلاتي حتى استثقلت[3] فإذا أنا بربي تبارك و تعالىٰ في أحسن صورة. فقال: يا محمَّد، قلت: لبيك ربي، قال: فيم يختصم الملأ الأعلىٰ؟ قلت: لا أدري، قالها ثلاثاً.

قال: فرأيته وضع كفه بين كتفيّ حتى وجدت برد أنامله بين ثدييّ[4] فتجلّىٰ لي كل شيء و عرفت، فقال: يا محمد قلت: لبيك ربِّ قال: فيم يختصم الملأ الأعلىٰ قلت: في الكفارات، قال: ما هنَّ، قلت: مشي الأقدام إلى الحسنات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء حين الكريهات[5]... الخ.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. سألت محمد بن إسماعيل (يريد البخاري) عن هذا الحديث، قال: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه الإمام أحمد في مسنده في حديث معاذ.[6]

وللنظر في هذه الرواية ساحة رحبة.

أوّلاً: انّ المتبادر من الحديث هو انّ الصحابة كانوا علىٰ انتظار بُغية مجيئ النبي ﷺ ليصلّوا معه، وما صلّوا حتى خرج إليهم رسول الله وقد تراءىٰ عين

١. في مسند أحمد: قرن الشمس. ٢. انفتل: أقبل.

٣. وفي مسند أحمد: استيقظت. والأوّل هو الصحيح.

٤. وفي مسند أحمد: بين كتفيّ.

٥. سنن الترمذي: ٥/ ٣٦٨، كتاب تفسير القرآن برقم ٣٢٣٥.

٦. مسند الإمام أحمد: ٥/ ٢٤٣ و بين المتنين اختلاف طفيف.

الشمس، ومعنىٰ ذلك انّ الصحابة تركوا الصلاة عمداً والنبي فاتت عنه الصلاة لغلبة النعاس عليه، ولو انّ الصحابة أدّوا الصلاة قبل خروج النبي ﷺ إليهم لجاء ذكره في الحديث فهذا ما لا نحتمله في حق الصحابة فضلاً عن النبي ﷺ.

ثانياً: انّ «التثوّب بالصلاة» المشار إليه في الحديث عبارة عن قول المؤذن في أذان صلاة الصبح «الصلاة خير من النوم» و إنّما يذكر هذ الفصل من الأذان عند إقامة الصلاة أداءً لا قضاءً، و المفروض انّ النبي أدّىٰ صلاته قضاءً.

مضافاً إلىٰ أنّه لم يثبت وجود التثوب بالأذان في عهد رسول الله ﷺ، و إنّما أضيف إليه بعد رحيله، روى الإمام مالك في موطّئه: انّ المؤذن جاء إلىٰ عمر بن الخطاب يأذنه لصلاة الصبح، فوجده نائماً، فقال: الصلاة خير من النوم، فأمر عمر أن يجعلها في نداء الصبح. [1]

والكلام في التثوب ذو شجون، وقد استوفينا البحث عنه في كتابنا «الاعتصام بالكتاب والسنّة». [2]

وثالثاً: انّه سبحانه أجلّ من أن يتجلّىٰ لنبيه في النوم بأحسن صورة، و أن يكون له كف و أنامل لها برد، و أن يضعها بين كتفي النبي ﷺ، تعالىٰ عن ذلك علواًكبيراً.

هب انّ النبي ﷺإنّما ينقل ما رآه في المنام دون أن يحكي عن الواقع، و لكن هل من الصحيح أن يذكر ما رآه دون أن يعقبه بكلمة وهي: انّ ربّه أجّل من أن يوصف بتلك الأوصاف، لئلاّ يقع السُّذَّج من الناس في ورطة التجسيم والتشبيه؟!

وأغلب الظن انّ الرواية من مجعولات مستسلمة أهل الكتاب الذين روّجوا

---

١. الإمام مالك، الموطأ، ص ٧٨ برقم ٨.

٢. الاعتصام بالكتاب والسنة، ص ٤٨ـ ٦٠.

مسألـة التشبيه و التجسيم و دسّـوها في أحـاديث المسلمين. و إن رآهـا الترمذي حديثاً حسناً صحيحاً، أو صحّحه البخاري حسب ما نقله الترمذي.

ثمّ إنّي وقفـت ـ بعـد مـا حرّرت ذلك ــ على كـلام للمحقّق السيـد حسن السقاف حول الحديث، فنأتي به موجزاً:

يقول: إنّ متن الحديث يشتمل على ألفاظ منكرة تؤكد وضعه :

١. إثبات الصورة لله تعالى، وكذلك إثبات الكـفّ له ـ سبحانه وتعالى عن ذلك ـ و إنّها بقدر ما بين كتفي سيدنا رسول الله ﷺ.

«أجمع أهل السنـة على استحالـة الصـورة على الله عزّ وجلّ، كما نقـل ذلك الإجماع الشيخ الإمام عبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق (ص ٣٣٢) .

وقال الشافعي : والإجماع أكبر من الحديث المنفرد». [١]

أي إنّ الإجماع إذا صادمه حديث آحاد أسقـط الاحتجاج به، بل يدلّ ذلك على وضعـه و انّـه لا أصـل لـه كما يقـول الحافظ الخطيـب البغـدادي في الفقيـه والمتفقه(١/ ١٣٢).

٢. إثبات الكف هنـا إثبات جارحة لله تعـالى ويبعد تأويلها بـالقدرة، لأنّ قدرة الله عزّ وجلّ شاملة لجسد رسول الله ﷺ الشريف، و إثبات أنّه وجد برد كفّ الله تعالى عن ذلك، بين ثدييه ﷺ يبعّد التأويل بالقدرة، ويؤكد وضع الحديث، لا سيما أنّ الحفاظ كالذهبي قالوا عنه منكَر لأجل هذه الألفاظ وأشباهها.

كما أنّ تأويـل قولـه: في أحسن صـورة، أي أحسن صـورة للنبي ﷺ ، فيه تكلّف لا يخفى، والحديث موضوع لا يثبت. [٢]

---

١. سير اعلام النبلاء: ١٠/ ٢٠ و ٢١، والحلية:٩/ ١٠٥، وآداب الشافعي لابن أبي حاتم:٢٣١.

٢. ذيل دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه: ٢٨٥ـ٢٨٦.

هـذا إذا نظرنـا إلى الحديـث من جـانب المضمـون والتطبيق على الأُصـول القطعية، وأمّا إذا أردنـا دراسة الحديث من حيث السند، فهـو إذن مثل المضمون مرفوض جداً وقد نصّ على ضعـف السند أبطال الحديث، فقد أورده ابن الجوزي في الموضـوعات (١/ ١٢٥)، والحافـظ السيوطـي في كتابـه «الـلآلي المصنوعـة في الأحاديـث الموضوعـة» (١/ ٣١) وذكر انّ في سنده حماد بـن سلمة، وقـال الإمام الحافظ البيهقي في كتـابه «الأسماء والصفات» (ص ٣٠٠): «وقـد روي من وجه آخر وكلّها ضعيف».

فإن قـال قـائل قـد حسّن الترمـذي الحديـث، بل قـد صحّحـه في بعض الروايات عنه.

قلنا: هـذا لا ينفع، لأنّ الترمذي متساهل في التصحيح والتحسين مضـافاً إلى معـارضته بتضعيـف الحفاظ الـذين تعـرفت على أسمائهم، فقـد صرّحـوا بأنّ الحديث منكر و موضوع، فهو مقدَّم على تحسين الترمذي أو تصحيحه.

ولو أردنا نقل كلمات الحفاظ حول الحديث لطال بنا الكلام وهو خارج عن موضوع الكتاب. [1]

٢. إفشاء سر النبي

أخرج الإمام أحمد، عن معمر، عن أبي إسحـاق، عن عمرو بن ميمون، عن معاذ بن جبل، قـال: كنت ردف النبي فقال: هل تدري مـا حقّ الله عزّ وجلّ علىٰ عباده؟ قلت: الله و رسـوله أعلم، قال: أن يعبـدوه ولا يشركوا به شيئـاً. قال: هل تدري ما حقّ العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ أن يغفر لهم و لا يعذبهم.

---

١. لاحظ رسالة «أقوال الحفاظ المنثورة لبيان وضع حديث رأيت ربي في أحسن صورة»، تأليف حسن السقاف المطبوع في ذيل دفع شبه التشبيه.

قال معمر في حديثه: قال: قلت يا رسول الله ألا أُبشرِّ الناس قال: دعهم يعملوا.[١]

ورواه البخاري بنفس ذلك النص إلاّ انّه قال: قلت يا رسول الله: أفلا أبشّر به الناس، قال: لا تبشرهم فيتّكلوا.[٢]

ورواه مسلم بنفس المضمون في باب من لقي الله بالإيمان و هو غير شاك فيه.[٣]

وللنظر في هذا الحديث كالحديث السابق مجال واسع، فإذا نهاه النبيﷺ عن البشارة به بقوله:« دعهم يعملوا» أو بقوله:« لا تبشرهم فيتكلوا» فلِمَ أفشىٰ سرّ النبي؟

أضف إلى ذلك انّ ما جاء به النبي لم يكن أمراً مستوراً على المسلمين بل جاء في الذكر الحكيم في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ لاٰ يغْفِرُ أَنْ يُشْركَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشاء﴾ (النساء/ ٤٨).

نعم، انّ أنس بن مالك برّر إفشاء سرِّ النبي من قِبَلِ معاذ، بقوله: «وأخبر بها معاذاً عند موته تأثماً».[٤]

وقال ابن حجر العسقلاني في تفسير قوله تأثماً: هو بفتح الهمزة و تشديد

١. مسند أحمد: ٥/ ٢٢٨.

٢. صحيح البخاري: ٤/ ٢٨ باب اسم الفرس و الحمار من كتاب فضل الجهاد والسير، و من الطريف انّ البخاري نقل الرواية في هذا الباب (باب اسم الفرس و الحمار) و كم للبخاري من هذه الطرائف و المتصفح في صحيحه يجد انّ طائفة كبيرة من الروايات أوردها تحت عناوين لا تمت لها بصلة، و أنت إذا قارنت بين صحيح البخاري مع الكافي للكليني لوجدت انّ الثاني قد بلغ الغاية في حسن التبويب.

٣. صحيح مسلم: ١/ ٤٣.

٤. صحيح البخاري: ١/ ٤٤، كتاب العلم.

المثلثة المضمومة، أي خشية الوقوع في الإثم، والمراد بالإثم الحاصل من كتمان العلم ودلّ صنيعُ معاذ علىٰ أنّه عرف انّ النهي عن التبشير كان على التنزيه لا على التحريم و إلاّ لما كان يخبر به أصلاً أو عرف انّ النهي مقيد بالاتكال فأخبر به من لا يخشىٰ عليه ذلك فإذا زال القيد زال المقيد، و الأوّل أوجه لكونه أخّر ذلك إلىٰ وقت موته. (١)

وما برَّر به أنس فعل معاذ تبرير غير تام، لأنّ نهي النبي يدور أمره بين كونه تحريمياً أو تنزيهياً، فعلى الأوّل يكون الإظهار موجباً للإثم دون الكتمان، وعلى الثاني يكون الإظهار والكتمان على حدّ سواء لكن الكتمان كان أولى من الإظهار فلم يكن هناك أي إثم حتى يبرِّر عمله هذا بالتأثم و يفسر بالإثم الحاصل من كتمان العلم.

هذا ما يرجع إلى كلام أنس، وأمّا ما ذكره العسقلاني من أنّ النهي كان تنزيهياً لا تحريميّاً لا يلائمه ظاهر الحديث حيث إنّ الاتكال على الايمان القلبي دون العمل أمر محظور، فلذلك يكون ما يستلزمه ـ أي الاظهار ـ منهياً عنه بالنهي التحريمي لا التنزيهي.

وأضعف من ذلك تبريره الثاني حيث قال: إنّ النهي كان مقيداً بالاتكال، فأخبر به من لا يخشىٰ عليه ذلك.

وجه الضعف انّ معاذاً كان واقفاً على أنّ السامع سوف يبثّه بين المسلمين وفيه من يُخشىٰ عليه من الاتكال، فلِمَ أخبره به و لم يأخذ منه عهداً أن لا يخبر به أحداً إلاّ مثله.

فرفضُ الحديث وتنزيه مقام معاذ أولىٰ من قبوله و تبريره بهذه المبررات التي لا تُسمن ولا تغني من جوع.

---

١. فتح الباري: ١/ ١٨٣، كتاب العلم.

٣. السذاجة في فهم الشريعة

أخرج الإمام أحمد، عن أبي ظبيان، عن معاذ بن جبل انّه لما رجع من اليمن، قال: يـا رسول الله رأيت رجالاً بـاليمن يسجد بعضهم لبعض أفـلا نسجد لك؟ قال: لو كنت آمراً بشراً يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها. [١]

ويظهر ممّا رواه كشف الأستـار عن زوائد البزار، انّه بعد مـا رجع من الشام سجد للنبيّ، و إليك نصّه:

عن أبي ليلىٰ، عن معـاذ بن جبل: انّه أتـى الشام فرأى النصـارىٰ يسجدون لأسـاقفتهم وبطـارقتهم ورهبانهم، ورأى اليهـود يسجـدون لأحبارهـم وعلمائهم وفقهائهم، فقـال: لأي شيء تفعلون هذا؟ قالـوا: هذه تحية الأنبيـاء، قلنا: فنحن أحقّ أن نصنع بنبيناﷺ، فلمّا قدم علىٰ نبيِّ الله سجد له، فقال: ما هذا يا معاذ؟! فقال: إنّي أتيت الشام فرأيت النصارىٰ يسجدون لأساقفتهم [٢]...إلى آخر ما ذكر.

إنّ الوثـوق بهذا الحديث أمر عسير، فلو صـحّ لدلّ علىٰ سذاجـة الرجل في فهم الشريعـة، وذلك لأنّ السجود و إن لم يسـاوق العبادة، إذ ربَّ سجـود لا يعد عبادة كسجود الملائكـة لآدم وسجود يعقوب وأولاده ليوسـف، بيد انّ السجود في عهد النبي كان رمزاً للعبادة ومجسِّداً لها ومظهراً من مظاهرها، فكيف خفيت تلك الحقيقـة علىٰ ذلك الصحـابي و سجـد للنبـي، في حين انّ النـاس يـرونـه عبـادة للنبي ﷺ؟

إنّ هذا العمل ينـاسب شأن الأعرابي البعيـدعن الإسلام وتعـاليمه لا لمثل

---

١. مسند أحمد: ٥/ ٢٢٧ و ٢٢٨ و نقله أيضاً على وجه التفصيل في ٤/ ٣٨١.

٢. المسند الجامع: ١٥/ ٢٣٥ برقم ١١٥٢٧، نقلاً عن كشف الاستار عن زوائد البزار: ٢/ ١٧٥ برقم ١٤٦١.

معاذ بن جبل الذي تربّىٰ في أحضان الرسالة.

أخرج الدارمي عن ابن بريدة عن أبيه، قال:

جاء أعـرابي إلى النبي، فقال: يا رسـول الله إئذن لي فلأسجد لك، قـال: لو كنت آمراً أحداً يسجد لأحد لأمرت المرأة تسجد لزوجها. (١)

ومن العجب انّ الدارمـي نقل الحديث أيضاً عن قيس بن سعـد انّه قال: أتيت الحيرة فرأيتهم يسجـدون لمرزبان لهم، فقلت: رسول الله أحقّ أن يُسجـد له، فأتيت النبي ﷺ فقلت: انّي أتيت الحيرة... إلى آخر ما ذكر. (٢)

أضف إلى ذلك كيف أخذ معاذ مثل ذلك الأمر من النصارى حيث رآهم يسجدون لـلأساقفة والـرهبان والأحبار على الـرغم من انّه أعلم الأُمـة بالحلال و الحرام و اقرأ الناس للقرآن؟!

٤. عدم استجابة دعاء النبي

أخرج الإمـام أحمد في مسنده، عـن عبد الله بن شـداد، عن معـاذ بن جبل، قـال: وجدت رسـول الله قـائماً يصلي، فقمت خلفـه فأطـال الصـلاة، فلما قضى الصلاة، قال: قلت يا رسول الله لقد صليـت صلاة طويلة؟ فقال رسول الله ﷺ: إنّي صليت صلاة رغبة ورهبـة: سألت الله عزّ وجلّ ثلاثـاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألته أن لا يهلك أُمّتي غرقاً فأعطـانيها، وسألته أن لا يظهر عليهم عدواً ليس منهم فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فردّها عليّ. (٣)

---

١. سنن الدارمي: ١/ ٣٤٢، باب النهي أن يسجد لأحد.

٢. سنن الدارمـي: ١/ ٣٤١، باب النهي أن يسجد لأحـد؛ وأخرجه أيضـاً أبو داود برقـم ٢١٤٠ وقد أسهب الثاني في نقل الحديث.

٣. مسند الإمام أحمد: ٥/ ٢٤٠.

إنّ لاستجابة الدعاء شرائط خاصة ذكرت في كتب الأدعية و الأخلاق، ومن تلك الشرائط أن لا يكون الدعاء على خلاف السنن السائدة على الكون، مثلاً من دعا بالخلود لنفسه فلا تستجاب دعوته، وذلك لأنّه سبحانه يقول: ﴿وَمٰا جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْد أَفَإِنْ مت فَهُمُ الخالِدُون﴾ (الأنبياء/ ٣٤) وبما انّ الاختلاف في التفكير أمر ذاتي للبشر فلا يتسنّىٰ للنبي أن يطلب من الله سبحانه عدم اختلاف أُمّته و وحدة كلمتهم قال سبحانه: ﴿وَلَو شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمّةً واحدةً وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفينَ * إلاّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّة وَالنّاسِ أَجْمَعين﴾ (هود/ ١١٨ـ ١١٩).

فقد تعلقت مشيئته سبحانه في الأزل باختلاف الناس في التفكير والعقيدة، وبما انّ الاختلاف أمر طبيعي لكافّة البشر، فبعث الله النبيين للقضاء بينهم، قال سبحانه: ﴿كانَ النّاسُ أُمّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتابَ بِالحَقّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ فِيما اخْتَلَفُوا فِيه وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إلاّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدى اللهُ الَّذينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقّ بِإِذْنِهِ وَ اللهُ يَهْدي مَنْ يَشاءُ إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقيم﴾ (البقرة/ ٢١٣).

كيف يطلب النبي ﷺ من الله سبحانه أن لا يجعل بأسهم بينهم، و هو القائل«افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ أو اثنتين و سبعين فرقة و افترقت النصارىٰ علىٰ إحدى أو اثنتين و سبعين فرقة و تفترق أُمّتي علىٰ ثلاث و سبعين فرقة»؟

رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. [١]

هذا ما يرجع إلى الفقرة الثالثة التي رُدَّ فيها دعاء النبي، وأمّا الفقرة الثانية

١. المستدرك على الصحيحين: ١/ ١٢٨.

أعني قوله ﷺ: «سألته أن لا يظهر عليهم عدواً ليس منهم فأعطانيها» فاقرأها ثمّ تابع الحوادث والنوازل التي ألـمَّت بالمسلمين عبر القرون، فقد تسلط عليهم الوثنيون المغول، و الصليبيون قرابة قرنين، وفعلوا ما فعلوا، و ليست الجرائم التي اقترفها الصهاينة ببعيدة عن القارئ الكريم.

هذه دراسة إجمالية لبعض ما روي عن ذلك الصحابي الجليل، فانّ منافاة تلك الأحاديث مع الأُصول المسلمة تغني الباحث عن دراسة أسانيدها. ولا يصدنا عن النقد ورود الحديث في صحيح البخاري كما هو الحال في حديث إفشاء سر النبي، أو كونه مما صححه البخاري حسب نقل الترمذي كما هو الحال في حديث التجسيم.

فإذا كان معاذ يأتي أمام العلماء برتوة، أو كان أعلم الناس بحلال الله وحرامه، فهو أجلّ من أن يكون ناقلاً لتلك الروايات عن النبي ﷺ.

٥. دراسة تحليلية حول حديث اجتهاده

روى أصحاب السنن والمسانيد انّ رسول الله بعثه إلى اليمن للقضاء فسأله عن أُمور أجاب عنها معاذ، وقد احتجّ أصحاب القياس بهذا الحديث على حجّيته.

وهذا الحديث قابل للمناقشة من وجهين:

الأوّل: دراسة أسانيده، و انّه هل ورد بسند قابل للاحتجاج به أو لا ؟

الثاني: على فرض صحّة سنده، فهل يمكن الاحتجاج به على حجّية القياس أو لا ؟

دراسة أسانيد حديث الاجتهاد

احتجّ غير واحد من أصحاب القياس بحديث معاذ بن جبل، والاحتجاج فرع إتقان الرواية سنداً ومتناً، وإليك بيانها:

عن الحارث بن عمرو بن أخي المغيرة بن شعبة، عن ناس من أصحاب معاذ من أهل حمص، عن معاذ:

إنّ رسول الله ﷺ حين بعثه إلى اليمن، فقال: كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟

قال: أقضي بما في كتاب الله.

قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟

قال: فبسنّة رسول الله.

قال: فإن لم يكن في سنّة رسول الله؟

قال: أجتهد رأيي، لا آلو.

قال: فضرب رسول الله صدري، ثمّ قال: الحمد لله الذي وفّق رسول رسول الله لما يرضىٰ رسول الله. [1]

وقد استدلّ به الإمام الشافعي، فقال بعدما أفاد ـ أنّ القياس حجّة فيما لم يكن في المورد نصّ كتاب أو سنّة ـ: فما القياس؟ أهو الاجتهاد أم هما مفترقان؟ثمّ

---

١. مسند أحمد: ٥/ ٢٣٠، وسنن الدارمي: ١٧٠، وسنن أبي داود: برقم ٣٥٩٣، وسنن الترمذي: برقم ١٣٢٨، ينتهي سند الجميع إلى حارث بن عمرو عن ناس من أصحاب معاذ من أهل حمص.

أجاب: هما اسمان لمعنى واحد. (١)

وقال في موضع آخر: أمّا الكتاب والسنّة فيدلاّن على ذلك، لأنّه إذا أمر النبي بالاجتهاد فالاجتهاد أبداً لا يكون إلاّ على طلب شيء، وطلب الشيء لا يكون إلاّ بدلائل، والدلائل هي القياس. (٢)

وقال أبو الحسين البصري: وجه الاستدلال به أنّ النبيّ ﷺ صوّبه في قوله: أجتهد رأيي عند الانتقال من الكتاب والسنّة، فعلمنا أنّ قوله: أجتهد رأيي، لم ينصرف إلى الحكم بالكتاب والسنّة. (٣)

وثمّة كلمات مماثلة لما ذكرنا في تقريب الاستدلال به.

لكنّ الحديث ضعيف سنداً، وغير تام دلالة.

أمّا السند، ففيه الأُمور التالية:

١. إنّ أبا عون محمد بن عبيد الله الثقفي الوارد في السند، مجهول لم يعرف.

٢. إنّ الحارث بن عمرو، مجهول مثله، ولم يعرف سوى أنّه ابن أخي المغيرة بن شعبة.

٣. إنّ الحارث بن عمرو، ينقل عن أُناس من أهل حمص وهم مجهولون فتكون الرواية مرسلة. وبعد هذه الأُمور، أفيصحّ الاستدلال بحديث يرويه مجهول عن مجهول عن مجاهيل؟!

قال ابن حزم: وأمّا خبر معاذ، فإنّه لا يحلّ الاحتجاج به لسقوطه، وذلك أنّه لم يرو قطّ إلاّ من طريق الحارث بن عمرو وهو مجهول لا يدري أحد من هو، حدّثني أحمد بن محمد العذري، حدثنا أبو ذر الهروي، حدثنا زاهر بن أحمد الفقيه،

---

١ و ٢. الشافعي: الرسالة: ٤٧٧ و٥٠٥، طبع مصر، تحقيق أحمد محمد شاكر.

٣. أبو الحسين البصري: المعتمد: ٢/ ٢٢٢.

حدثنا زنجويه بن محمد النيسابوري، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري فذكر سند هذا الحديث، وقال: رفعه في اجتهاد الرأي.

قال البخاري: ولا يعرف الحارث إلاّ بهذا ولا يصحّ. هذا نصّ كلام البخاري في تاريخه الأوسط، ثمّ هو عن رجال من أهل حمص لا يُدرىٰ من هم. [١]

وقال الذهبي: الحارث بن عمرو، عن رجال، عن معاذ بحديث الاجتهاد، قال البخاري: لا يصحّ حديثه.

قلت: تفرّد به أبو عون(محمد بن عبيد الله الثقفي) عن الحارث بن عمرو الثقفي ابن أخي المغيرة وما روىٰ عن الحارث، غير أبي عون و هو مجهول.

وقال الترمذي: ليس إسناده عندي بمتّصل. [٢]

وقال السيد المرتضى: إنّ حديث معاذ خبر واحد، وبمثله لا تثبت الأُصول المعلومة، ولو ثبتت بأخبار الآحاد لم يجز ثبوتها بمثل خبر معاذ، لأنّ رُواته مجهولون.وقيل: رواه جماعة من أصحاب معاذ ولم يُذكَروا. [٣]

دراسة دلالة الحديث

وأمّا الدلالة، فهي مبنيّة على مساواة الاجتهاد مع القياس أو شموله له، وهو غير ثابت، قال المرتضى: ولا يُنكر أن يكون معنى قوله: «أجتهد رأيي» أي أجتهد حتى أجد حكم الله تعالى في الحادثة، من الكتاب والسنّة، إذ كان في أحكام الله

---

١. ابن حزم: الإحكام: ٥/ ٢٠٧.

٢. الذهبي: ميزان الاعتدال:١/ ٤٣٩ برقم ١٦٣٥.

٣. المرتضى: الذريعة إلى أُصول الشريعة: ٢/ ٧٧٣.

فيهما ما لا يتوصّل إليه إلاّ بالاجتهاد، ولا يوجد في ظواهر النصوص، فادّعاؤهم أنّ إلحاق الفروع بالأُصول في الحكم لعلّة يستخرجها القياس، هو الاجتهاد الذي عناه في الخبر، ممّا لا دليل عليه ولا سبيل إلى تصحيحه. (١)

على أنّ تجويز القياس في القضاء لا يكـون دليلاً على تجويزه في الإفتاء، لأنّ القضـاء أمر لا يمكـن تأخيره، بخـلاف الإفتاء، فـالاستـدلال بجواز القيـاس في القضاء على جوازه في الإفتاء، مبنيّ على صحّة القياس وهو دور واضح.

ثمّ إنّ ثمة نقطة جـديرة بالذكر، وهـي أنّ القضاء منصب خطير لا يشغله إلاّ العارف بالكتاب والسنّة والخبير في فصل الخصومات، فالنبيّ ﷺ الذي نصبه للقضاء لابدّ أن يعلّمـه الكتاب والسنّة أوّلاً، و يكون واقفاً على مـدى إحاطته بهما ثانياً، ثـم يبعثه إلى القضاء وفصل الخصومـات، ومع المعرفة التـامّة لحال القاضي يكون السؤال بقوله: «فكيف تصنع إن عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بما في كتاب الله» أمـراً لغـواً ، وهـذا يعـرب عـن أنّ الحديـث لم ينقل على الـوجـه الصحيـح، وستوافيك الصور الأُخرى للرواية.

قال الفخر الرازي: إنّ الحديث يقتضي أنّه سأله عمّا به يقضي بعد أن نصبه للقضاء، وذلك لا يجوز لأنّ جواز نصبه للقضاء مشروط بصلاحيته للقضاء، وهذه الصلاحية إنّما تثبت لـو ثبت كونه عالماً بـالشيء الذي يجب أن يقضي به، والشيء الذي لا يجب أن يقضي به. (٢)

على أنّ الظاهـر من سيرة «معاذ» أنّه لم يكـن يجتهد برأيـه في الأحكام و إنّما كان يتوقّف حتى يسأل النبيّ ﷺ.

---

١. الذريعة: ٢/ ٧٧٦.

٢. الرازي: المحصول: ٢/ ٢٥٥.

روى يحيى بن الحكم أنّ معاذاً قال: بعثني رسول الله ﷺ أُصدِّق أهلَ اليمن، وأمرني أن آخذ من البقر من كلِّ ثلاثين تبيعاً، و من كلّ أربعين مُسِنَّةً قال: فعرضوا عليّ أن آخذ من الأربعين فأبيت ذاك، وقلت لهم: حتى أسأل رسول الله ﷺعن ذلك.

فقدمتُ، فأخبرت النبيّ ﷺ فأمرني أن آخذ من كلّ ثلاثين تبيعاً، و من كلّ أربعين مُسِنَّةً. (١)

فإذا كانت هذه سيرته فكيف يقضي بالظنون و الاعتبارات؟

ثمّ إنّ المتمسّكين بالحديث لمّا رأوا ضعف الحديث سنداً ودلالة، حاولوا تصحيح التمسّك به بقولهم بأنّ خبر معاذ خبر مشهور ولو كان مرسلاً، لكنّ الأُمّة تلقّته بالقبول. (٢)

ولنا هاهنا وقفة قصيرة، وهي أنّ اشتهار الحديث نتيجة الاستدلال به على القياس ولولا كونه مصدراً لمقالة أهل القياس لما نال تلك الشهرة.

يقول السيد المرتضى: أمّا تلقّي الأُمّة له بالقبول، فغير معلوم، فقد بيّنا أنّ قبول الأُمّة لأمثال هذه الأخبار كقبولهم لمسّ الذكر، و ما جرى مجراه ممّا لا يُقطع به ولا يُعلم صحّته. (٣)

إلى هنا تمّت مناقشة الحديث سنداً ودلالة، وتبيّن أنّ الحديث غير صالح للاحتجاج به .

---

١. مسند أحمد بن حنبل:٥/ ٢٤٠؛ المسند الجامع: ١٥/ ٢٣٠ برقم (١١٥١٨ـ ٤١).
٢. الأرموي: التحصيل من المحصول: ٢/ ١٦٣.
٣. الذريعة إلى أُصول الشريعة: ٢/ ٧٧٤.

الصور الأُخرى للحديث

إنّ الحديث قد ورد بصور مختلفة وبينها اختلاف كثير في المضمون، وإليك هذه الصور:

الصورة الأُولى: ما رواه ابن حزم قال: حدثنا حمام وأبو عمر الطلمنكي، قال حمام: حدثنا أبو محمد الباجي، حدثنا عبد الله بن يونس، قال: حدثنا بقي حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة.

وقال الطلمنكي: حدثنا ابن مفرج، حدثنا إبراهيم بن أحمد بن فراس، قال: حدثنا محمد بن علي بن زيد، حدثنا سعيد بن منصور، ثمّ اتّفق ابن أبي شيبة وسعيد كلاهما عن أبي معاوية الضرير. حدثنا أبو إسحاق الشيباني عن محمد بن عبيد الله الثقفي ـ أبو عون ـ قال: لمّا بعث رسول الله معاذ إلى اليمن، قال: يا معاذ بم تقضي؟ قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: فإن جاءك أمر ليس في كتاب الله ولم يقض به نبيّه؟ قال: أقضي بما قضى به الصالحون. قال: فإن جاءك أمر ليس في كتاب الله ولم يقض به نبيّه ولا قضى به الصالحون؟ قال: أومَّ الحقّ جهدي.

فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي جعل رسول رسول الله يقضي بما يُرضي به رسول الله.[١]

ترى أنّ معاذاً يقدّم ما قضى به الصالحون على كلّ شيء، بعد الكتاب والسنّة، ولعلّ مراده هي الأعراف السائدة بين المجتمعات التي تكون مرجعاً للقضاء كما هو مقرّر في محله.

كما أنّ مراده أومّ الحقّ هو اعمال النظر والاستدلال في الأُصول والقواعد الواردة في الكتاب والسنّة.

---

١. ابن حزم: الإحكام: ٥/ ٢٠٨.

أضف إلى ذلك أنّ الرواية مرسلة، لأنّ أبا عون لا يروي عن «معاذ» مباشرة لتأخر طبقته في الحديث عن «معاذ» بطبقتين.

الصورة الثانية: عن عبد الرحمان بن غنم، قال: حدثنا معاذ بن جبل، قال: لمّا بعثني رسول الله إلى اليمن، قال: لا تقضينّ ولا تفصِلنّ إلاّ بما تعلم، وإن أشكل عليك أمر فقف حتى تبيّنه أو تكتب إليَّ فيه. [١]

وهي: متّصلة السند ، ولكن المتن غير ما جاء في الحديث، بل يغايره تماماً، وينفي مقالة أهل القياس.

الصورة الثالثة: وردت في الكتب الأُصولية صورة ثالثة للرواية، ولعلّها منقولة بالمعنى.

قال أبو الحسين البصريّ : روي عن النبيّ ﷺ، أنّه قال لمعاذ وأبي موسى الأشعري، وقد أنفذهما إلى اليمن: بم تقضيان؟

قالا: إن لم نجد الحكم في السنّة، قسنا الأمر بالأمر، فما كان أقرب إلى الحقّ عملنا به. [٢]

كما نقله الرازي في المحصول، وقال: روي أنّه أنفذ معاذاً وأبا موسى الأشعري إلى اليمن فقال ﷺ لهما: بم تقضيان؟ فقالا: إذا لم نجد الحكم في السنّة نقيس الأمر بالأمر فما كان أقرب إلى الحقّ عملنا به.

فقال ﷺ: أصبتما. [٣]

---

١. أخرجه ابن ماجة في سننه: ١/ ٢١ برقم ٥٥.

٢. أبو الحسين البصري: المعتمد: ٢/ ٢٢٢.

٣. الفخر الرازي: المحصول: ٢/ ٢٥٤.

وتبعه الأرموي في التحصيل من المحصول. [١]

والظاهر أنّ الحديث نقل بالمعنى حسب فهم الراوي، ولم نعثر على هذا النصّ في الصحاح والمسانيد.

نعم أخرج أحمد، عن أبي بردة، عن أبي موسى أنّ رسول الله ﷺ بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن فأمرهما أن يعلّما الناس القرآن. [٢]

---

١. التحصيل من المحصول: ٢/ ١٦٣.

٢. مسند أحمد بن حنبل: ٤/ ٣٩٧.

٢

أُبيّ بن كعب الأنصاري

(... ـ ٣٠ هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. طلوع الشمس بيضاء لا شعاع لها.

٢. جزاء من تعزّىٰ بالجاهلية.

٣. آيتان كانتا عند أُبيٍّ بن كعب.

٤. نسيان ما نزل في أحد من الآية.

٥. أوّل من يصافحه الحقّ عمر.

أُبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن نجار، أبو منذر الأنصاري النجاريّ المدنيّ، المقرئ البدري، يكنّى أبا الطفيل.

شهد العقبة وبدراً، وجمع القرآن في حياة النبي ﷺ وعرض عليه وحفظ عنه علماً.

روي عن أنس انّ النبي ﷺ قال لأُبي بن كعب: إنّ الله أمرني أن اقرأ عليك القرآن، وفي لفظ: أمرني أن اقرئك القرآن.

قـال: الله سماني لك؟ قـال: نعم، قال: وذُكـرت عنـد ربّ العالمين؟ قـال: نعم، فذرفت عيناه.

روىٰ عنه: عبـادة بن الصامت، و ابن عبـاس، وعبد الله بن خبـاب، و ابنه الطفيل ابن أُبي.

وكان أُبي يكتب في الجاهلية قبل الإسلام، و كانت الكتابة في العرب نادرة، وكان يكتب في الإسـلام الوحي لـرسول الله ﷺ، وعهده إذا عاهـد، وصلحه إذا صـالح، ولأُبي في الكتـب الستـة نيف و ستـون حـديثاً، ولـه في مسنـد «بَقـيّ بن مَـخْلَد» مـائة و أربعة وستـون حديثاً منهـا في البخاري ومسلـم ثلاثة أحـاديث، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بسبعة.

وقد اختلفوا في تاريخ وفاته، فمن قائل بأنّه تُوفّي في خلافة عمر بن الخطاب عام ٢٢ هـ ولما نُعي إلىٰ عمر، قال: اليوم مات سيد المسلمين.

ومنهم من يقول: إنّه مات في خلافة عثمان سنة ٣٠هـ ويرجحه ابن حجر، ويقول: هـو أثبت الأقاويـل ،ويؤيده مـا دار بينه و بين عثمان من الحوار في قـوله سبحانه: ﴿وَالَّذِيـنَ يَكْنِزُونَ الذَّهَـبَ وَالفِضَّةَ وَلاٰ يُنفِقُـونها فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّـرهُمْ بِعَذابٍ أَلِيم﴾ (التوبة/ ٣٤) وكـان عثمان يقرأه بلا واو «الذين» خـلافاً لأبي فكان يقرأه «والذين» فطال الحوار بينهما، فقـال أُبي غاضباً: لتلحقنّها أو لأضعنّ سيفي علىٰ عاتقي، وهو يريد بأنّه لابدّ من أن تعود الواو عاطفة إلىٰ مكانها أو ليتوصل إلى ذلك بالقوة [١] . [٢]

و بلغت أحاديثه في المسند الجامع ٩٢ حديثاً. [٣]

ولنذكر من روائع رواياته شيئاً ثمّ نردفها بما لا يصحّ عزوه إليه.

---

١. الدر المنثور، في تفسير الآية.

٢. أُسد الغابة: ١/ ٤٩؛ الطبقات الكبرىٰ: ٣/ ٤٩٨؛ سير اعلام النبلاء: ١/ ٣٨٩ برقم ٨٢.

٣. المسند الجامع: ١/ ١٧ برقم ٣.

روائع أحاديثه

١. أخرج عبد الله بن أحمد، عن ابن أبي الجوزاء ،عن أُبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: يا بلال اجعل بين أذانك و إقامتك نَفَساً يفرغ الآكل من طعامه في مَهَل، ويقضي المتوضئ حاجته في مهل. (١)

٢. أخرج ابن ماجة، عن أبي بصير، عن أُبي بن كعب: قال: قال رسول الله ﷺ: صلاة الرجل في جماعة تزيد علىٰ صلاة الرجل وحده أربعاً وعشرين، أو خمساً وعشرين درجة. (٢)

٣. أخرج أحمد في مسنده، عن الحسن، انّ عمر أراد أن ينهى عن متعة الحجّ، فقال له أُبي: ليس ذلك لك، قد تمتعنا مع رسول الله ﷺ ولم ينهنا عن ذلك، فاضرب عن ذلك عمر، و أراد أن ينهىٰ عن حلل الحبرة لانّها تصبغ بالبول، فقال له أُبي: ليس ذلك لك قد لبسهنَّ النبي ولبسناهنَّ في عهده. (٣)

٤. أخرج ابن ماجة، عن أبي رافع، عن أُبي بن كعب، انّ النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فسافر عاماً، فلما كان من العام المقبل اعتكف عشرين يوماً. (٤)

٥. أخرج البخاري في صحيحه عن سويد بن غفلة، قال: لقيت أُبي بن كعب... فقال: وجدت صرّة على عهد النبي ﷺ فيها مائة دينار، فأتيت النبي ﷺ فقال: عرِّفها حولاً.

فعرَّفتها حولاً فلم أجد من يعرفها، ثمّ أتيته، فقال: عرِّفها حولاً، فعرَّفتها فلم

---

١. مسند أحمد: ٥/ ١٤٣.

٢. سنن ابن ماجة: ١/ ٢٥٩ برقم ٧٩٠.

٣. مسند أحمد: ٥/ ١٤٣.

٤. سنن ابن ماجة: ١/ ٥٦٢ برقم ١٧٧٠.

أجد، ثمّ أتيته ثـلاثاً، فقال: احفظ وعاءهـا وعددها ووكاءها، فإن جـاء صاحبها وإلاّ فاستمتع بها ،فاستمتعت.

قال شعبـة: فلقيته يعني سلمة بن كهيـل بعد بمكة، فقال: لا أدري ثـلاثة أحوال أو حولاً واحداً. (١)

وقد اتّفق أئمّة أهل البيت عليهم السلام على أنّه يكفي تعريفهـا حولاً واحداً، ولعلّ أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتعريف ثـلاثة أحوال للتأكد أو لكون اللقطة ذات قيمـة مالية لا يستهان بها.

وإليك بعض رواياته السقيمة التي عزيت إليه:

١. طلوع الشمس بيضاء لا شعاع لها

أخرج مسلم في صحيحه، عن زرّ بن حبيش، قال: سمعت أُبي بن كعب، يقول: وقيل لـه: إنّ عبد الله بن مسعود، يقـول: من قام السنة أصاب ليلـة القدر، فقال أُبي: والله الذي لا إله إلاّ هو انّها لفـي رمضان، و والله انّي لأعلم أي ليلة هي هي الليلة التي أمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقيامها، هي ليلـة صبيحة ٢٧، وأمارتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها. (٢)

أقول: ثمّة اشكالان على الحديث:

الأوّل: انّ من جـرّب طلوع الشمس في صبيحـة يوم السابـع والعشرين من رمضان يرى انّــها لا تختلف عن طلوعها في صبيحـة اليوم السابق والـلاحق، وما ذكره ليس له واقع ملموس.

---

١. صحيح البخـاري: ٣/ ١٢٦، كتـاب اللقطـة، الحديث الأوّل؛ صحيـح مسلم: ٥/ ١٣٦، كتـاب اللقطة.

٢. صحيح مسلم: ٢/ ١٧٨، باب الترغيب في قيام رمضان.

الثاني: جرت سنة الله تبارك وتعالى على كون الشمس ذات أشعة مستنيرة تبثها في الكون و يصل إلى الأرض مقدار ضئيل جداً منها.

وأمّا رؤيتها بلا شعاع، فهي تابعة للأوضاع الجوية، فإذا كان الجو صحواً تُرى الشمس وهي ترسل بأشعتها، بخلاف ما إذا كان ملبداً لا سيما أوان الطلوع فتراها قرصاً محمّراً.

٢. جزاء من تعزّىٰ بالجاهلية

أخرج أحمد في مسنده، عن أبي عثمان، عن أُبي بن كعب: انّ رجلاً اعتزىٰ، فأعضّه أُبيٌّ بهن أبيه، فقالوا: ما كنت فحّاشاً، قال: إنّا أمرنا بذلك. [١]

وأخرج أيضاً عن عُتيٍّ بن ضمرة، عن أُبيّ بن كعب، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: من تعزّىٰ بعزاء الجاهلية فأعضّوه ولا تكنّوا. [٢]

أقول: إنّ غاية ما كان يجب على أُبي بن كعب أن يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر على النحو الذي أمر الكتاب به، قال سبحانه: ﴿**ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ (النحل/ ١٢٥) لا ما جاء في الرواية من مقابلة المنكر بمنكر أبشع منه.

ناهيك عمّا روي من انّ سباب المؤمن فسوق. [٣]

وما روى عن أُسامة بن زيد حيث قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الله لا يحب كلّ فاحش متفحش. [٤]

---

١. مسند أحمد: ٥/ ١٣٣.

٢. مسند أحمد: ٥/ ١٣٦.

٣. صحيح مسلم: ١/ ٥٨، باب قول النبي ﷺ : سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.

٤. مسند أحمد: ٥/ ٢٠٢.

٣. آيتان كانتا عند أُبي بن كعب فقط

أخرج أحمد في مسنده ، عن أبي العالية، عن أُبي بن كعب، انّهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر، فكان رجال يكتبون و يملي عليهم أُبي بن كعب، فلما انتهوا إلىٰ هذه الآية من سورة براءة ﴿**ثُمَّ انصرفوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُم بِأَنّهُم قَومٌ لا يَفقَهون**﴾ فظنوا أنّ هذا آخر ما أنزل من القرآن.

فقال لهم أُبي بن كعب: إنّ رسول الله ﷺ أقرأني بعدها آيتين ﴿**لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مٰا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ إلى ﴿**وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ .

ثمّ قال: هذا آخر ما أُنزل من القرآن. [١]

ونعلق على الحديث بالقول:

أوّلاً: قد ثبت فيما سبق انّ القرآن جمع على عهد النبي ﷺ فكيف ينسب الجمع إلى عهد الخلافة، فهذه الرواية تعارض ما تضافر من أنّ القرآن جمع علىٰ عهده ﷺ.

ثانياً:انّ معنى الرواية انّ بعض آيات الذكر الحكيم وصلت إلينا عن طريق الآحاد وهو أُبي بن كعب، فلولاه لم يكن لها أثر.

ثالثاً: ما ذكره يعارِض ما روي عن زيد بن ثابت.

أخرج البخاري: انّ أبا بكر قال لزيد: أنت رجل شاب عاقل لانتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن وأجمعه ـ إلى أن قال: قال زيد: فكنت أتتبع القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿**لقد جاءَكُمْ رَسُولٌ من أَنفسِكُمْ عزيز عَليهِ ما عنتّم**﴾ حتى خاتمة براءة.... [٢]

---

١. مسند أحمد: ٥/ ١٣٤ والآيات ١٢٧ ـ ١٢٩ من سورة التوبة .

٢. صحيح البخاري: ٦/ ١٨٣، باب جمع القرآن.

٤. نسيان ما نزل في أحد من الآية

أخرج أحمد في «مسنده»، عن أبي العالية، عن أُبيّ بن كعب أنّه أُصيب يوم أُحد من الأنصار أربعة وستون وأُصيب من المهاجرين ستة، فمثلوا بقتلاهم.

فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً من الدهر لنربينَّ [1] عليهم. فلما كان يوم فتح مكة نادى رجل من القوم لا يعرف: لا قريش بعد اليوم، فأنزل الله على نبيه ﷺ : **﴿وإنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ للصّابِرين﴾**.

فقال نبي الله: كفّوا عن القوم [2].

وفي رواية السيوطي: فقال رسول الله: نصبر ولا نعاقب، كفوا عن القوم إلاّ أربعة [3].

نعلق على الحديث، و نقول:

إنّ المفسرين اتّفقوا ـ تبعاً للروايات ـ على أنّ قوله سبحانه: **﴿وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا... ﴾** نزل في أُحد. حيث إنّ المشركين مثلوا بحمزة وأراد المسلمون أن يمثلوا بسبعين من الكافرين إذا استولوا عليهم في قبال حمزة فنزلت الآية [4].

وقد تلاها النبي ﷺ وسمعها الصحابة و مع ذلك كيف يقول القائل يوم فتح مكة: لا قريش بعد اليوم، أو ليس ذلك اجتهاداً في مقابل النص؟

ولو افترضنا انّ القائل لم يسمع كلام الله سبحانه ـ و إن كان الاحتمال بعيداً جداً ـ فكيف يصحّ لرسول الله ﷺ بعد نزول الآية ثانياً في مكة المكرمة أن يقول:

---

١. لنربين: لنزيدن في التمثيل بقتلاهم.

٢. مسند أحمد: ٥/ ١٣٥، سنن الترمذي: ٥/ ٢٩٩ برقم ٣١٢٩، والآية ١٢٦ من سورة النحل.

٣. السيوطي: الدر المنثور: ٥/ ١٧٩.

٤. الدر المنثور: ٥/ ١٧٩.

نصبر ولا نعاقب أو كفّوا عن القـوم؟ أو ليس معنى ذلك انّ النبي ﷺ كان موافقاً لنداء المنـادي ولكنّه عـدل عن رأيـه بعد نـزول الآية؟ ومعنى ذلـك انّ النبي نسي مضمون الآية وصمم على استئصـال شأفة قريش حتى عدل عن رأيـه بعد نزول الآية مرة أُخرى، وقال: نصبر ولا نعاقب وكأنّه لولا نزول الآية لما صبر و عاقب ولما كفّ عنهم.

والروايـة على افتراض الصحة نقلت مضطـربة خصوصـاً بالنظـر إلى سائر صورها.

٥. أوّل من يصافحه الحق عمر

أخرج ابن ماجة في سننه، عن سعيد بن المسيب، عن أُبي بن كعب، قال:

قال رسول الله ﷺ : أوّل من يصافحه الحقُّ عمر، وأوّل من يسلّم عليه، وأوّل من يأخذ بيده فيدخله الجنّة. (١)

الحديث ظاهر انّ الله سبحانه أوّل من يصافح عمر بن الخطاب وهو يلازم كونه سبحانه ذا يد يصافح بها غيره، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

وإن كان الحديث كنايـة عن نزول الرحمة عليه قبل كلّ أحـد ففي الأُمّة من هو أفضل منه باتّفاق الفريقين فكيف يقدّم المفضول على الفاضل؟!

---

١. سنن ابن ماجة: ٢/ ٣٩ برقم ١٠٤، قال في الزوائد: اسناده ضعيف فيه داود بن عطاء المديني وقد اتّفقوا على ضعفه وباقي رجـاله ثقات،وقال السيوطي: قال الحافظ عماد الـدين بن كثير في جامع المسانيد، هذا الحديث منكر جداً، وما هو أبعد من أن يكون موضوعاً.

٣

العباس بن عبد المطلب الهاشمي

(٥٤ق . هـ ـ ٣٢هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١ . الله فوق العرش.

٢ . أبو طالب في النار.

هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم عمّ النبيﷺ، ولد قبل عام الفيل بثلاث سنين، وكان من أطول الرجال، وأحسنهم صورة، وأبهاهم، وأجهرهم صوتاً مع الحلم الوافر والسؤدد، وكان العباس في الجاهلية رئيساً في قريش، وإليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية في الجاهلية. أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه.

وكان بمكة يكتب إلى رسول الله ﷺ أخبار المشركين وكان من بمكة من المسلمين يتقوون به وكان لهم عوناً على إسلامهم، وأراد الهجرة إلىٰ رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: مقامك بمكة خير، فلذلك قال رسول الله ﷺ يوم بدر: من لقي العباس فلا يقتله، فانّه أُخرج كرهاً، و مع ذلك أُخذ منه حين الأسر عشرون أوقية ذهباً، وأُطلق سراحه.

فقال العباس: يا رسول الله: إنّي كنت مسلماً، فنزل قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ (الأنفال/ ٧٠).

ثمّ إنّ العباس لما كثر ماله بعد إسلامه أخذ يتفاخر بهذه الآية، ويقول: أعطاني الله مكان العشرين أوقية في الإسلام، عشرين عبداً كلّهم في يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله.

وممّا يدل على أنّه أسلم قبل الهجرة هو انّه حضر بيعة العقبة في أسفلها، وقال لمن حضر فيها من أهل يثرب: يا معشر الخزرج، قد دعوتم محمداً إلىٰ ما دعوتموه، وهو من أعزّ الناس في عشيرته، يمنعه والله من كان منّا على قوله و من لم يكن، وقد أبىٰ محمد الناس كلهم غيركم، فإن كنتم أهل قوة وجلد وبصر بالحرب، واستقلال بعداوة العرب قاطبة، فانّها سترميكم عن قوس واحدة، فارتؤوا رأيكم وائتمروا أمركم، فانّ أحسن الحديث أصدقه.

توفي سنة ٣٢ من الهجرة وله ٨٦ سنة.

يقول الذهبي: وله قبة عظيمة شاهقة علىٰ قبره بالبقيع. [١]

وهو من المقلين في الرواية.

جُمِعَتْ أحاديثه في المسند الجامع، فبلغت ٢١ رواية. [٢]

---

١. ومن عجيب ما وقفت عليه في سير أعلام النبلاء انّه يقول: وقد صار الملك في ذرية العباس، واستمر ذلك وتداوله تسعة وثلاثون خليفة إلى وقتنا هذا، وذلك ستمائة عام، أوّلهم السفاح وخليفة زماننا، المستكفي له الاسم المنبري والعقد والحل بيد السلطان الملك الناصر أيدهم الله (سير اعلام النبلاء: ٢/ ٩٩ـ١٠٠).

وجه التعجب هو انّ الذهبي توفي عام ٧٤٨ هـ فكيف يقول (إلى وقتنا هذا و ذلك ستمائة عام) وليس في العبارة ما يفيد انّه ينقل ذلك عن غيره، وقد قضى الوثنيون من المغول على الخلافة العباسية قبل أن يولد الذهبي وذلك عام ٦٥٦ من الهجرة فلاحظ.

٢. المسند الجامع: ٨/ ١٢٢ـ١٣٧ برقم ٣٣٧، وقد راجعنا في ترجمة العباس سير أعلام النبلاء: ٢/ ٧٨ برقم ١١ ؛ أسد الغابة: ٣/ ١٠٩.

من روائع رواياته

١ . أخرج مسلم في صحيحه، عن عامر بن سعد، عن العباس بن عبد المطلب، أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ذاق طعم الإيمان من رضىٰ بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً و بمحمّد رسولاً ». (١)

٢ . أخرج الترمذي، عن عبد الله بن الحارث، عن العباس بن عبد المطلب، قال: قلت: يا رسول الله، علّمني شيئاً أسأله الله عزّ وجلّ؟

قال: سل الله العافية، فمكثت أياماً، ثمّ جئت، فقلت: يا رسول الله: علمني شيئاً أسأله الله، فقال لي: يا عباس، يا عمّ رسول الله: سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة. (٢)

هذا بعض ما روي عنه من روائع أحاديثه، وعزيت إليه أحاديث أُخرى لا تستقيم مع الضوابط السالفة الذكر.

١ . الله فوق العرش

أخرج ابن ماجة في سننه، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب، قال:كنت بالبطحاء في عصابة، وفيهم رسول اللهﷺ فمرّت به سحابة فنظر إليها. فقال ما تسمون هذه؟

قالوا: السحاب، قال: والمزن، قالوا: «والمزن»: قال:«والعنان» قال أبو بكر: قالوا: والعنان، قال: كم ترون بينكم وبين السماء؟ قالوا: لا ندري.

قال: فإنّ بينكم وبينها إمّا واحداً أو اثنين أو ثلاثاً وسبعين سنة، والسماء

---

١ . صحيح مسلم:١/ ٤٦، باب من لقي الله بالإيمان.

٢ . سنن الترمذي: ٥/ ٥٣٤ برقم ٣٥١٤، الباب ٨٥.

فـوقها كـذلك حتى عـدَّ سبع سماوات. ثمّ فـوق السماء السابعـة بحر، بين أعـلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماءٍ. ثمَّ فـوق ذلك ثمانية أوعال. بين أظـلافهنّ ورُكَبِهنَّ كما بين سماء إلى سماء، ثمّ على ظهورهنَّ العرش. بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء. ثمّ الله فوق ذلك تبارك وتعالى. (١)

إنّ الحديث يخالف القرآن أوّلاً، والعقل الصريح ثانياً.

أمّا الأوّل، انّ الذكر الحكيم يعرّفه سبحانه موجوداً منزهاً من أن يحويه زمان أو مكان قـال سبحانـه: ﴿هُـوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظّـاهِرُ وَالْبـاطِنُ وَهُوَ بِكُـلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾ إلى أن قال: ﴿يَعْلَمُ ما يَلِجُ في الأَرْض وَما يَخْرُجُ مِنْها وَما ينزل مِنَ السَّماء وَ ما يَعرجُ فِيها وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُم وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِير﴾ (الحديد/ ٣ـ ٤).

وقال عزّ من قائل: ﴿ما يَكُونُ مِـنْ نَجْوىٰ ثَلاثَةٍ إِلاّ هُـوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمسةٍ إِلاّهُوَ سادِسُهُمْ ولا أَدْنى مِنْ ذٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا يَوْمَ القِيامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾(المجادلة/ ٧).

وما تلوناه عليـك من الآيات وغيرها صريحة في أنّه سبحانه مـوجود فوق أن يحوطه زمان ومكان خاص بل الأزمنة والأمكنـة إليه سواسية، فهو كائن في جميعها وهذه الكينونة لا تعني حلول ذاته في الأمكنة و الأزمنة تعالىٰ عن ذلك علواً كبيراً، بل المراد حضـوره في الكون لأجـل قيام الأشيـاء بـه قيام المعلـول بعلته والصـورة الذهنية بالنفس بل أدق و ألطف من ذلـك، ومعه كيف يصحّ ما في الرواية انّ الله فوق العرش؟!

وممّا لا ينقضي منه العجب انّ إمام الحنابلة صار يؤول هذه الآيات بأنّ المراد إحاطة علمه بالأشياء لا إحاطـة وجوده و إلاّ يلزم أن يكون وجوده في الأمكنة غير

١. سنن ابن مـاجة: ١/ ٦٩ بـرقم ١٩٣. و «أوعال» جمع «وَعِـل» وهو تيس الجبـل وكأنّها كنايـة عن الملائكة بصورته، و «إظلاف» جمع «الظِلْف» للبقر والغنم، كالمحفر للفرس.

النقية والنزيهة. [١]

يلاحظ عليه: أنّ ما ذكره تأويل بلا دليل، ولو قام أحد من المعتزلة أو غيرهم بتفسير الآيات على النحو الذي ذكره إمام الحنابلة، لرُمي بالجهمية.

وأمّا الثاني فلأنّه سبحانه هو الخالق للعرش، فأين كان قبل أن يخلق العرش؟ وإلاّ يلزم قدم العرش كقدمه سبحانه و يلزم منه تعدد القديم، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

٢. أبو طالب في النار

أخرج مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن العباس ابن عبد المطلب، انّه قال: يا رسول الله، هل نفعتَ أبا طالب بشيء فانّه كان يحوطك ويغضب لك.

قال: نعم، هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار. [٢]

إنّ الحديث يخالف الكتاب والسنّة الثابتة، وذلك لأنّه لو افترضنا انّ أبا طالب مات مشركاً لما قبلت شفاعة النبي ﷺ في حقّه، والمفروض انّه ﷺ شفّع له فأخرجه من الدرك الأسفل إلىٰ ضحضاح من نار، مع أنّه سبحانه يقول: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ* إِلاّ أَصْحابَ اليَمِينِ* في جَنّاتٍ يَتَساءَلُونَ* عَنِ الْمُجْرِمِينَ* ما سَلَكَكُمْ في سَقَرَ**﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿**فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعةُ الشّافِعِين**﴾ (المدثر / ٣٨ـ٤٨).

---

١. وعلى ذلك جرى الحنابلة و السطحيون من الأشاعرة. لاحظ كتاب السنة لأحمد ٤٧ ؛ و عون المعبود في سنن أبي داود:١٣/ ٣٤.

٢. صحيح مسلم: ١/ ١٣٤ـ ١٣٥، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب.

فشفاعة النبي ﷺ للمؤمنين من أُمّته المذنبين منهم لا للمشركين، كيف وقال سبحانه: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الحَياةُ الدُّنْيا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِما كَسَبَتْ لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ﴾(الأنعام/ ٧٠).

فالحديث موضوع على لسان أخي أبي طالب ليُغرّ الناس به.

ويكفيك في كون الحديث موضوعاً انّه سبحانه حكى انّ آل فرعون يعرضون على النار صباحاً ومساءً قبل القيامة وبعدها يُدخلون أشدّ العذاب، قال سبحانه: ﴿النّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ﴾ (غافر/ ٤٦) و المفروض انّ أبا طالب انتقل إلىٰ عالم البرزخ ولم تقم قيامته بعد، فكيف يدخله سبحانه في الدرك الأسفل من النار ثمّ يخفف عنه بشفاعة النبي ﷺ ويجعل في ضحضاح من نار؟! أوَ كان هو أكثر جرماً من فرعون وآله مع أنّه كان كفيلاً للنبي وناصره طيلة ٤٢ سنة وقد لاقىٰ في سبيل المحافظة على النبي ﷺ ما لاقىٰ من المصائب والمتاعب، التي حفظها التاريخ؟!

أضف إلى ذلك ما في السند حيث إنّ عبد الملك بن عمير اللخمي الكوفي الوارد في السند هو الذي طال عمره وساء حفظه.

قال أبو حاتم: ليس بحافظ تغيّر حفظه.

وقال أحمد: ضعيف يغلط.

وقال ابن معين: مخلط.

وقال ابن خراش: كان شعبة لا يرضاه.

وذكر الكوسج عن أحمد انّه ضعفه جداً.[1]

ثمّ إنّ الدلائل القاطعة تثبت إيمان أبي طالب، فالرواية كما هي مخالفة

---

١. ميزان الاعتدال: ٢/ ١٥١.

للكتاب والسنّة، تخالف أيضاً التاريخ الصحيح.

يقول العلاّمة الأميني في هذا الصدد: أمّا ما ناء به سيد الأباطح أبو طالب سلام الله عليه من عمل بارّ وسعي مشكور في نصرة النبي ﷺ وكلاءته والذّب عنه والدعوة إليه وإلىٰ دينه الحنيف منذ بدء البعثة إلىٰ أن لفظ أبو طالب نفسه الأخير، فكلّها نصوص علىٰ إسلامه الصحيح وإيمانه الخالص وخضوعه للرسالة الإلهية.(١)

كما أنّ الظاهر من الحديث انّ النبيّ ﷺ قام بهذه الشفاعة وهو في الدنيا مع أنّ الظاهر من حديث آخر انّه سيقوم بها في الآخرة.

أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري انّ رسول الله ﷺ ذكر عنده عمّه أبو طالب، فقال: لعلّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه.(٢)

---

١. الغدير: ٧/ ٣٧٠ بتلخيص.

٢. صحيح مسلم: ١/ ١٣٥، باب شفاعة النبي لأبي طالب.

٤

عبد الله بن مسعود

(حدود ٣٣ ق.هـ ـ ٣٣ هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. كل سيوجّه لما خلق له

٢. سبق الكتاب على الاختيار

٣. أُمرنا بالسب

٤. الجماع لا يبطل الصوم

٥. لا عبرة بأذان بلال

٦. لا عدوىٰ ولا صفر

٧. النساء يخلين المجلس لكي...

٨. النساء أكثر أهل النار

عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب، أبو عبد الرحمان الهذليّ المكيّ المهاجريّ البدريّ حليف بني زهرة، كان من السابقين الأوّلين شهد بدراً وهاجر الهجرتين، حدَّث عنه أبو موسى وأبو هريرة وابن عباس وجابر وأنس ولفيف من التابعين.

يذكر هو بدايات إسلامه، ويقول: قدمتُ مكة مع عمومة لي أو أناس من قومي، نبتاع منها متاعاً، وكان في بغيتنا شراء عطر، فأرشدونا على العباس فانتهينا إليه، وهو جالس إلىٰ زمزم، فجلسنا إليه، فبينا نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا، أبيض تعلوه حمرة، له وفرة جعدة إلىٰ أنصاف اذنيه، أشمّ، أقنىٰ، أذلف

أدعج العينين، برّاق الثنـايا، دقيق المسربة، شثن الكفين و القـدمين، كثّ اللحية عليه ثوبان أبيضـان، كأنّه القمر ليلة البدر، يمشي علىٰ يمينه غـلام حسن الوجه، مـراهق أو محتلم، تقفـوهم امـرأة قـد سترت محاسنهـا، حتى قصـد نحو الحجـر، فاستلم ثم استلم الغلام واستلمت المرأة ثمّ طاف بالبيت سبعاً، وهما يطوفان معه، ثمّ استقبل الـركن، فرفـع يده وكبّـر، وقام ثمّ ركع، ثـمّ سجد ثمّ قـام فرأينـا شيئاً أنكرناه لم نكن نعرفه بمكة فأقبلنا على العباس، فقلنا: يا أبا الفضل! إنّ هذا الدين حدَث فيكم أو أمر لم نكن نعرفه؟ قال: أجـل والله ما تعرفون، هذا ابن أخي محمد ابن عبد الله والغلام علي بن أبي طالب، والمرأة خديجة بنـت خويلد امرأته أما والله ما علىٰ وجه الأرض أحد نعلمه يعبد الله بهذا الدين إلّا هؤلاء الثلاثة. (١)

كان ابن مسعود أوّل من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ، اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريـش هذا القرآن يجهر لها به قطُّ فَمَنْ رجل يُسمعه، فقال عبد الله بن مسعود: أنـا، فقالوا: إنّا نخشاهم عليك إنّما نريـد رجلاً لـه عشيرة تمنعه من القـوم إن أرادوه، فقال: دعوني فـانّ الله سيمنعني فغدا عبد الله حتى أتـى المقام في الضحىٰ وقريش في أنديتهاحتى قـام عند المقام، فقال رافعاً صوته: بسم الله الـرّحمن الرّحيم ﴿ الرّحمنُ* عَلَّـمَ القُرآنَ﴾ فاستقبلها فقرأ بها، فتأملوا فجعلوا يقـولون ما يقول ابن أُم عبد، ثمّ قالـوا: إنّه ليتلو بعض ما جاء به محمد فقاموا فجعلوا يضربـون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ثمّ انصرف إلى أصحـابه وقد أثّـروا بوجهه، فقـالوا : هذا الـذي خشينا عليك، فقـال: ما كـان أعداء الله قـط أهون عليَّ منهـم الآن ولئن شئتم غـاديتهم بمثلها غداً، قالوا: حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون. (٢)

وقد بعثـه عمر إلى الكـوفة ليعلّمهـم أُمور دينهم وبعـث عماراً أميراً وكتب

١. سير اعلام النبلاء: ١/ ٤٦٣ برقم ٨٧.

٢. أُسد الغابة: ٣/ ٢٥٧.

إليهم: انهّما من النجباء من أصحاب محمّد من أهل بدر، فاقتدوا بهما، واسمعوا من قولهما، وقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود علىٰ نفسي. (١)

وكان بينه و بين عثمان مشاحة لأنّ عثمان عزل سعد بن أبي وقاص ونصب مكانه الوليد بن عقبة، وكان مفاتيح بيت المال بيد عبد الله بن مسعود، وكان لا يأتمر بها يأمره الوليد بن عقبة في التصرف في أموال بيت المال إلى أن اضطر إلى التخلي عن هذا المنصب، وألقىٰ مفاتيح بيت المال إلى الوليد بن عقبة، وقال: من غيّر غيّر الله ما به، ومن بدَّل أسخط الله عليه، وما أرى صاحبكم إلّا وقد غيّر وبدَّل، أيُعزل مثل سعد بن أبي وقاص ويُولّى الوليد وكان يتكلم بكلام لا يدعه وهو: انّ أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرىٰ كلمة التقوىٰ، وخير الملل ملّة إبراهيم، وأحسن السنن سنّة محمّد ﷺ وخير الهدى هدى الأنبياء، وأشرف الحديث ذكر الله وخير القصص القرآن، وخير الأُمور عواقبها، وشر الأُمور محدثاتها ـ إلى أن قال: ـ وشر الندامة ندامة القيامة، وشر الضلالة الضلالة بعد الهدىٰ، وخير الغنىٰ غنى النفس، وخير الزاد التقوىٰ. (٢)

فكتب الوليد إلىٰ عثمان بذلك، فكتب إليه عثمان يأمره بإشخاصه فاجتمع الناس، فقالوا: أقم، ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه، فقال: إنّها ستكون أُمور وفتن لا أحبُّ أن أكون أوّل من فتحها، فردّ الناس وخرج إلى عثمان. (٣)

وعلىٰ أيّة حال لما مرض ابن مسعود أوصىٰ أن لا يصلّي عليه عثمان فدفن بالبقيع، وعثمان لا يعلم فلما علم غضب، وقال: سبقتموني به، فقال له عمار بن ياسر: إنّه أوصىٰ أن لا تصلّي عليه، فتمثل الزبير:

---

١. الاستيعاب: ٢/ ٣١٥؛ الإصابة: ٢/ ٣٦٠ـ٣٦٢ برقم ٤٩٥٤.
٢. حلية الأولياء: ١/ ١٣٤ـ ١٣٩ برقم ٢١.
٣. سير اعلام النبلاء: ١/ ٤٨٩؛ الإصابة: ٢/ ٣٦٠ ـ ٣٦١ برقم ٤٩٥٤.

لألفينّك بعد الموت تندبنـي وفي حياتي ما زودتني زادا [١]

توفي سنة ثلاث وثلاثين وكان عمره يوم توفي بضعاً وستين سنة.

وأخيراً اتّفقا لـه في الصحيحين علىٰ ٦٤ حديثاً، وانفرد لـه البخاري بإخراج ٢١ حديثاً، ومسلم بإخراج ٣٥ حديثاً. وله عند بقَيّ با لمكرر ٨٤٠ حديثاً.

وقد جُـمِعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ٤٨٦ حديثاً.

فلنذكر شيئاً من روائع أحاديثه:

١. أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي الأحوص عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: سباب المسلم أخاه فسوق، وقتاله كفر، وحرمة ماله كحرمة دمه. [٢]

٢. أخرج مسلم في صحيحه عن سعد بن أياس أبي عمرو الشيباني عن عبد الله بن مسعود، قال: سألت رسول الله ﷺ: أيّ العمل أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها، قال: قلت: ثمّ أيّ؟ قال: برُّ الوالدين، قال: قلت: ثمّ أيّ؟ قال: الجهاد في سبيل الله فما تركت استزيده إلاّ إرعاءً عليه. [٣]

٣. أخرج الإمام أحمد، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: الأيدي ثلاثة فيد الله العليا، ويد المعطي التي تليها، ويد السائل السفلىٰ. [٤] وفي مسند ابن خزيمة (هذه الزيادة) إلىٰ يوم القيامة، فاستعفّ عن السؤال ما استطعت. [٥]

---

١. الغدير: ٩/ ٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد: ١/ ٢٣٦؛ المستدرك: ٣/ ٣١٣؛ الاستيعاب: ٢/ ٣١٦.

٢. مسند أحمد: ١/ ٤٤٦؛ ورواه النسائي أيضاً في ٧/ ١٢١، باب قتال المسلم مختصراً إلىٰ قوله وقتاله كفر.

٣. صحيح مسلم: ١/ ٦٣، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال.

٤. مسند أحمد: ١/ ٤٤٦.

٥. لاحظ المسند الجامع: ١١/ ٥٨٦.

٤. أخرج ابن ماجة عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ وهو على ناقته المخضرمة بعرفات، فقال: أتدرون أيّ يوم هذا، وأيّ شهر هذا، وأيّ بلد هذا؟ قالوا: هذا بلد حرام، وشهر حرام، ويوم حرام، قال: ألا وإنّ أموالكم ودماءكم عليكم حرام كحرمة شهركم هذا، في بلدكم هذا، في يومكم هذا. ألا وإنّي فرطكم على الحوض وأكاثر بكم الأُمم فلا تسوِّدوا وجهي، ألا وإنّي مُسْتَنْقِذٌ أناساً، ومُسْتَنْقَذٌ منّي أناس، فأقول: يا ربِّ أُصيحابي؟ فيقول: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك.[١]

في الزوائد: اسناده صحيح.

وفي هذا الحديث دلالة واضحة علىٰ أنّ صحبة الرسول لا تلازم العدالة، وانّه ليس كلّ صحابي عادلاً بل انّ بعضهم أحدثوا وابتدعوا علىٰ وجه مُنعوا من الدخول على الحوض مع الرسول ﷺ وليس هذا نسيج وحده في هذا الموضوع، بل روى البخاري في كتاب الفتن نفس ذلك المضمون.

عن أبي وائل، قال: قال عبد الله، قال النبي ﷺ: أنا فرطكم على الحوض ليرفعنَّ إليّ رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي ربي أصحابي، يقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك.

وروى أيضاً عن عبد الرحمان بن أبي حازم، قال: سمعت سهل بن سعد، يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: أنا فرطكم على الحوض، من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ليرد عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثمّ يُحال بيني وبينهم.

قال أبو حازم فسمعني النعمان بن أبي عياش وأنا أحدِّثهم هذا، فقال:

---

١. سنن ابن ماجة: ٢/ ١٠١٦ برقم ٣٠٥٧.

هكـذا سمعتَ سهـلاً، فقلـت: نعم، قـال: وأنـا أشهـد عن أبي سعيـد الخدري لسمعته يزيد فيـه، قال: إنّهم منّي، فيقال: إنّك لا تدري ما بدّلـوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي. (١)

٥. أخرج الإمام أحمد، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله عـزّوجلّ جعـل حسنـة ابن آدم بعشر أمثـالها، إلى سبعمائة ضعف، إلاّ الصـوم، والصـوم لي، وأنا اجـزي به، وللصـائم فـرحتان: فـرحة عنـد إفطـاره، وفـرحـة يـوم القيـامـة، ولخلـوف فم الصـائم أطيـب عنـد الله من ريـح المسك. (٢)

٦. أخرج أبو داود عـن ابن لعبد الله بن مسعود، عن ابـن مسعود، قال: لا رضاع إلاّ ما شدّ العظم وأنبت اللحم. (٣)

وروى الإمـام أحمد في مسنده عـن عبـد الله بن مسعـود، قال: قـال رسـول الله ﷺ: لا يحرم من الرضاع إلاّ ما أنبت اللحم وانشر العظم. (٤)

وهذا الحديث يشطب علىٰ كثير من الآراء التي تُصوِّر انّ خمس رضعات أو عشر رضعات أو المص والمصتان ينشرن الحرمة، والتفصيل في محله.

٧. أخرج النسائي عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله، قال: الولد للفراش وللعاهر الحجر. (٥)

٨. أخرج الإمـام مسلم عن أبي و ائل عن عبـد الله بن مسعود، قـال: جاء

---

١. صحيح البخاري: ٩/ ٤٦ ، كتاب الفتن.

٢. مسند أحمد:١/ ٤٤٦.

٣. سنن أبي داود: ٢/ ٢٢٢ برقم ٢٠٥٩.

٤. مسند أحمد: ١/ ٤٣٢.

٥. سنن النسائي: ٦/ ١٨١، باب إلحاق الولد بالفراش إذا لم ينفه صاحب الفراش.

رجل إلى رسـول الله ﷺ فقـال: يا رسـول الله، كيف ترى في رجـل أحبَّ قومـاً ولما يلحق بهم، قال رسول الله ﷺ: المرء مع من أحب. [١]

إنّ من أحبّ شيئـاً يتبعه ويجعله أُسوة، قـال سبحانه «نقـلاً عن أصحاب الجحيم» : ﴿يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً﴾ (الفرقان/ ٢٨) وقال سبحانه: ﴿الأَخِلاَّءُ يَومَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاّ الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف/ ٦٧).

٩ . أخرج أبو داود، عن أبي وائل، عن عبد الله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الغناء ينبت النفاق في القلب». [٢]

١٠ . أخرج ابن ماجة، عن أبي عبيدة بن عبد الله، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ : «التائب من الذنب كمن لا ذنب له». [٣]

١١ . أخرج الترمـذي، عن ربعي بن خـراش، عن عبد اللهبن مسعـود قال: ثلاثة يحبهم الله: رجـل قام من الليل يتلو كتاب الله، ورجل تصدَّق صـدقة بيمينه يخفيهـا، أراه قـال: من شمالـه، ورجل كـان في سريـة فانهزم أصحـابـه فـاستقبل العدوَّ. [٤]

١٢ . أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ : إنّ الصدق بـرّ، وإنّ البرّ يهدي إلى الجنّة، وإنّ العبـد ليتحرّى الصدق حتى يكتب عند الله صدّيقـاً؛ وإنّ الكذب فجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النار، وإنّ العبد ليتحرّى الكذب حتى يكتب كذاباً». [٥]

---

١ . صحيح مسلم : ٨/ ٤٣، باب المرء مع من أحب، من كتاب البر والصلة والآداب.

٢ . سنن أبي داود: ٤/ ٢٨٢ برقم ٤٩٢٧ .

٣. سنن ابن ماجة: ٢/ ١٤٢٠ برقم ٤٢٥٠ .

٤ . سنن الترمذي: ٤/ ٦٩٧ برقم ٢٥٦٧ .

٥ . صحيح مسلم: ٨/ ٢٩، باب قبح الكذب وحسن الصدق، من كتاب البر والصلة والآداب.

وله ـ رضوان الله عليه ـ أحاديث أُخرى يعرب شموخ مضمونها عن صحّتها، نعم عُزِّي إليه أحاديث لا تخلو عن إشكال أو إشكالات ولابدّ من دراستها على ضوء الضوابط التي ألمعنا إليها في مقدمة الكتاب. و إليك البيان:

١. كلٌّ سيوجّه لما خلق له

أخرج الإمام أحمد، عن أبي عبيدة بن عبد الله، قال: قال عبد الله، قال رسول الله ﷺ: إنّ النطفة تكون في الرحم أربعين يوماً علىٰ حالها لا تغير، فإذا مضت الأربعون صارت علقة، ثمّ مضغة كذلك، ثمّ عظاماً كذلك، فإذا أراد الله أن يسوِّي خلقه بعث إليها ملكاً، فيقول الملك الذي يليه أي ربّ أذكر أم أُنثى، أشقي أم سعيد، أقصير أم طويل، أناقص أم زائد، قوته وأجله، أصحيح أم سقيم، قال: فيُكتب ذلك كلّه فقال رجل من القوم: ففيم العمل إذاً وقد فرغ من هذا كلّه؟ قال: اعملوا فكلّ سيوجه لما خلق له. [1]

إنّ مضمون الحديث لا يفترق عن الجبر قيد شعرة، ولأجل ذلك لما سمع الحاضر كلام النبي ﷺ، استغرب، وقال: «ففيم العمل إذاً وقد فرغ من هذا كلّه» أي إذا كان كلّ شيء مقدّراً تقديراً قطعيّاً لا يتغير ولا يتبدل، شاء الإنسان أم لم يشأ، فما فائدة العمل والقيام بالفرائض والاجتناب عن المحرمات؟

وما أجيب به في الرواية عن السؤال، أعني قوله: «اعملوا فكلّ سيوجه لما خلق له». جواب غير مقنع بل تقرير للإشكال، فانّ محصّل الجواب انّ الله سبحانه قدَّر مصير كلّ إنسان حيثما كان جنيناً، فكتب على جبين بعضهم السعادة، وعلى جبين الآخر الشقاء، وقد فرغ من التقدير فلا يبدل ولا يغيّر. وكل سيوجه لما خلق له.

١. مسند أحمد: ١/ ٣٧٤.

وأنت جد عليم بـأنّه إذا فرغ سبحانـه من التقدير، وكلّ إنسـان سيوجه لما خلق له شاء أم لم يشأ، فيكون العمل والطاعـة لغواً، لأنّ تقديره سبحانه لا يتغير ولا يبـدّل ،فهـو سينتهي إلى الجنـة عمـل أم لم يعمل، فما هـو فـائدة العمـل كما سينتهي إلى النار، عصى أم لم يعص؟

٢. سبق الكتاب على الاختيار

أخرج مسلم في صحيحه، عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود، قال: حدّثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: إنّ أحدكم يُجمع خلقُه في بطن أُمّه أربعين يوماً ثمّ يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثمّ يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثمّ يـرسل الملك فينفخ فيه الـرّوح ويؤمر بـأربع كلمات بكتب رزقه وأجلـه وعمله وشقيٌّ أو سعيدٌ، فوالـذي لا إله غيره انّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنّـة حتى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراع فيسبق عليه الكتـاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وانّ أحدكـم ليعمل بعمل أهل النـار حتى ما يكـون بينه و بينهـا إلاّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنّة فيدخلها. [١]

قـال الإمام النـووي عند شرحـه لهذا الحديث:« إنّ المراد بـالـذراع التمثيل للقرب من موته ودخوله عقبه وانّ تلك الدار ما بقي بينه و بين أن يصلها إلاّكمن بقي بينه و بين موضع من الأرض ذراع.

ثـمّ أضـاف: والمراد بهذا الحديث انّ هذا قد يقـع في نادر من النـاس لا انّه غالب فيهم. ثمّ إنّـه من لطف الله تعالى وسعة رحمته انقـلاب الناس من الشر إلى الخير في كثرة، وأمّا انقلابهم من الخير إلى الشر ففي غاية الندور ونهاية القلة، وهو نحو قوله تعالى: «إنّ رحمتي سبقت غضبي وغلبت غضبي».

---

١. صحيح مسلم: ٨/ ٤٤ باب كيفية خلق الآدمي في بطن أُمّه من كتاب القدر.

ويدخل في هذا من انقلب إلىٰ عمل النـار بكفر أومعصية، لكن يختلفان في التخليد وعدمه، فالكافر يخلد في النار و العاصي الذي مات موحداً لا يخلد فيها، وفي هذا الحديث تصريـح بإثبات القدر وانّ التـوبة تهدم الذنـوب قبلها، وانّ من مات علىٰ شيء حكم له به مـن خير أو شر إلاّ انّ أصحاب المعاصي غير الكفر في المشيئة.[١]

أقول: لما كان الحديث بظـاهره دالاً على الجبر، وانّ القدر حـاكم على مصير الإنسان شاء أم أبى، حـاول النووي دفع الإشكالات بالبيان السـابق وإن لم يذكر شيئاً من الإشكال، وما ذكره جواب غير ناجع، وإليك ما فيه من الإشكالات:

١. انّ الذراع كنـاية عن قرب الإنسـان من الموت، ففي هذا المجـال كيف تكون التوبة أو الإسلام ناجعـاً وقد قال سبحانه: **﴿وَلَيْسَتِ التَّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِئات حَتّىٰ إِذا حَضَرَ أَحدَهُمُ المَوتُ قـالَ إِنّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفّارٌ أُولئِكَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَليماً﴾** (النساء/ ١٨).

٢. ذكـر: انّ المراد بهذا الحديث قـد يقع في نـادر من النـاس لا انّـه غـالب فيهم، وما ذكره اجتهاد من جانبه لم يقـم عليه دليل في الرواية لو لم نقل انّ المتبادر هو الغالب، حيث يقول: إنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنّة... الخ.

٣. انّ ظـاهر الحديـث انّ الإنسان يكـون على نهج ويـريد أن يستمـر على ذلك النهج إلى آخـر عمره ولكن الكتـاب (القدر) بما انّه الحاكم الحاسـم في حياة الإنسان يسبق على إرادته ومشيئته، وبالتالي يعمل عملاً إمّا يجره إلى الجنة أو النار، فالدور للتقديـر، ـ فهو الذي يدفع الإنسان إلى عمـل الخير أو الشر ـ لا للإنسان ولا لإرادته واختياره، وعلى ذلك فلا صلة لما ذكـره النووي من تفسيره بالتوبة وغيره من انقلاب الناس من الشر إلى الخير أو من الخير إلى الشر في ظل التوبة.

---

١. شرح صحيح مسلم للنووي: ١٦/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥.

٤. إنّ من الغريب قوله: وهو نحو قوله تعالى: «إنّ رحمتي سبقت غضبي وغلبت غضبي» مع انّ الوارد في المصحف قوله: ﴿رَبَّنا وَسعتَ كُلّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلماً﴾ (غافر/ ٧)، مع أنّ التعليل يصح في أحد الشطرين دون الشطر الآخر، إذ فيه يكون الأمر على العكس ويغلب غضبه رحمته.

إنّ هذا الحديث كأكثر ما ورد حول القدر والجبر أحاديث استوردها مستسلمة أهل الكتاب وبثوها في الأوساط الإسلامية وتلقاها السُذَّج حقائق راهنة وشوّهوا بها سمعة الإسلام لدى الأجانب والغرباء، ولأجل ذلك ترى أنّ كثيراً من المستشرقين يعتقدون انّ الإسلام من دعاة القول بالجبر.

٥. انّ نبي الإسلام ﷺ أفصح من نطق بالضاد، وهو مالك أزمة الكلام فلوكان مراده ما يذكره النووي، فله أن يقول: إنّه سبحانه سيوفقه للتوبة وعمل الخير فيصير من أهل الجنة، أو إنّه يرتكب المعاصي فيصير من أهل النار.

٣. أمرنا بالسبّ

أخرج ابن خزيمة، عن أبي عثمان، قال: سمع ابن مسعود رجلاً ينشد ضالة في المسجد فغضب وسبّه، وقال له رجل: ما كنت فحاشاً يا ابن مسعود، قال: كنّا نؤمر بذلك. [١]

والحديث مكذوب على لسانه، وقد مضى انّه روى عن النبي ﷺ أنّه قال: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر[٢]، فكيف يسبّ مؤمناً ينشد ضالته في المسجد وأقصى ما يمكن أن يكون عمله مكروهاً.

---

١. مسند ابن خزيمة: ١٣٠٣ كما في المسند الجامع: ١١/ ٥١٥ برقم ٩٠٠٩.

٢. صحيح مسلم: ١/ ٥٨، باب قول النبي: سباب المسلم فسوق.

٤. الجماع لا يبطل الصوم

أخرج النسائي في الكبرى، عن علقمة، عن عبد الله، انّ رسول الله ﷺ خرج يوماً في رمضان ورأسه يقطر من جماع، فمضى في صومه ذلك اليوم. [١]

والرواية تخالف اتّفاق المسلمين على أنّ الجماع يبطل الصوم وتخالف بصراحة، القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إِلىٰ نِسائِكُمْ هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ وَعَفا عَنْكُمْ فَالآن باشِرُوهُنَّ﴾ (البقرة/ ١٨٧).

أخرج أبو داود والبيهقي في سننه عن ابن عباس، قال: كان الناس على عهد رسول الله إذا صلّوا العتمة حرم عليهم الطعام والشراب والنساء وصاموا إلى القابلة، فأختان رجل [٢] نفسه، فجامع امرأته وقد صلى العشاء ولم يفطر، فأراد الله أن يجعل ذلك تيسيراً لمن بقي ورخصة ومنفعة.

فقال: ﴿علم الله أنّكم كُنتُم تختانون أنفسكم ...﴾ [الآية] فرخص لهم ويسّر [٣].

ومع ذلك كيف نقض النبي ﷺ الحكم وهو يندّد بغيره. وتفسير الجماع في الرواية بالاحتلام في النوم، خلاف الظاهر جدّاً، وإلاّ فما معنى قوله «فمضى في صومه ذلك اليوم»؟

٥. لا عبرة بأذان بلال

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي عثمان، عن ابن مسعود، قال: قال رسول

---

١. المسند الجامع: ١١/ ٥٩٨ نقلاً عن النسائي في الكبرى عن الورقة (٤٠ ـ ب).

٢. المراد هو عمر بن الخطاب بقرينة سائر الروايات.

٣. الدر المنثور: ١/ ٤٧٧.

الله ﷺ: لا يمنعنّ أحداً منكم أذان بلال(أو قال: نداء بلال) من سحوره فانّه يؤذن (أو قال: ينادي) بليل ليُرجع قائمكم ويوقظ نائمكم، وقال: ليس أن يقول: هكذا وهكذا (وصوّب يده ورفعها) حتّى يقول هكذا (وفرّج بين اصبعيه). (١)

يلاحظ عليه: أنّ النبي ﷺ القائل بأنّ المرء إذا عمل شيئاً أتقنه كيف ينتخب إنساناً لإعلام الفجر وسائر الأوقات الشرعية، لكنّه يؤذّن قبل الوقت لغايات خاصّة ،وليس كلّ أحد مطلعاً علىٰ نية بلال، وانّه يأذن لغاية إرجاع القائم وإيقاظ النائم، بل ربما يتصور دخول الفجر فيصلي قبل الوقت، ويصوم قبل الفجر، وربما يحرم من تناول السحور.

٦. لا عدوىٰ ولا صفر

أخرج الترمذي في سننه، عن أبي زرعة، قال: حدّثنا صاحب لنا عن ابن مسعود، قال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال:لا يعدي شيء شيئاً، فقال أعرابي: يا رسول الله البعير الجرب الحشفة بذنبه، فتجرب الإبل كلّها، فقال رسول الله ﷺ: فمن أجرب الأوّل؟ لا عدوىٰ، و لا صَفَرَ، خلق الله كلّ نفس، وكتب حياتها، ورزقها، ومصائبها. (٢)

إنّ العدوى عبارة عن انتشار المرض من سقيم إلى سليم و«الصفر» داء يصفر منه الوجه وهو المعروف بـ «اليرقان».

إنّ انتشار المرض بواسطة الجراثيم سنة من سنن الله تبارك وتعالى وقد بنيت عليه حياة الكائنات الحية وليس القول به منافياً لكونه سبحانه هو الخالق المدبر ولا خالق ولا مدبر سواه، لأنّ الأسباب الكونية من جنوده سبحانه مسخَّرة

---

١. صحيح مسلم: ٣/ ١٢٩، باب بيان انّ الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، من كتاب الصيام.

٢. سنن الترمذي: ٤/ ٤٥٠ برقم ٢١٤٣ .والحشفة: القرحة.

بمشيته، وعلى ذلك فالقول بالعدوىٰ والصفـر يرجع حقيقته إلىٰ أنّه سبحانه خلق العالم علىٰ تلك السنن، فلو انتشر الجرب من بعير مريض إلى سالم فقد انتشر بأمره سبحـانه، ولـو أخضرَّت الحقـول المكتظة بـالأشجـار با لماء فقـد أخضرّت بأمـره ومشيتـه، لأنّه سبحـانـه جعل الماء سبباً لنمـو الأشجار واخضرارهـا حتى أنّـه سبحانـه ربما يستدل بالسنن الكـونية علىٰ توحيـده.ويقول: ﴿وَفِي الأَرْض قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَجَنّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ وَزَرعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوانٌ وَغيْرُ صِنْوانٍ يُسقىٰ بِماءٍ واحِدٍ وَنُفضِّـلُ بَعْضَهـا عَلـىٰ بَعْضٍ فِـي الأُكُـلِ إِنَّ في ذٰلِـكَ لآيـاتٍ لِقَـومٍ يَعْقِلُـونَ﴾ (الرعد/ ٤).

فالله سبحـانه يستدل بـاختلاف الأشجـار والأثمار وتنوعها على الـرغم من وحدة التراب والماء على أنّ ثمة قدرة قاهرة مـدبرة للكون، وليست العلل الطبيعية هي السبب التام لتفتّح براعم الأزهار واخضرار الأشجار، وإلاّ يجب أن لا يحتضن العالم إلاّ نوعاً واحداً من الشجر لوحدة التراب والماء، فهذه الروايات حيكت على منوال إنكـار الأسباب الطبيعيـة بزعم انّ القول بها ينـافي التوحيـد في الخالقية، أو الربوبية.ولعل المصدر لهذه الرواية هو أبو هريرة وقد نقلها كما نقل ضدها.

أخرج البخاري، من طريق أبي سلمة، عـن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: لا عدوى ولا صَفَرَ[1] ولا هامة [2] فقال أعرابي: يا رسول الله ما بال الإبل تكون في الرّمل كأنّها الظَّباء فيخالطهـا البعير الأجرب فيجربّـها، فقال رسول الله ﷺ: فمن أعدى الأوّل. [3]

---

١. ما يتوهم منه حصول الدواهي في شهر صفر.

٢. هامة (بتخفيف الميم) طائر كان أهل الجاهلية يزعمون انّ روح الميت تنقلب هامة، فأبطل الإسلام هذه الخرافة ولعل المراد منه البوم الذي يضرب به المثل في الشؤم.

٣.صحيح البخاري:٧/ ١٣٨، باب لا هامة من كتاب الطب.

كما نقل ضد هذا الحديث فروى مسلم في صحيحه، عن أبي سلمة انّه سمع أبا هريرة فيما بعد يحدث فيقول: قال النبي ﷺ: لا يورد ممرض على مصحّ، قال أبو سلمة: يا أبا هريرة ألم تحدث انّه لا عدوى؟ قال: فأنكر حديثه الأوّل ورطن بالحبشية. (١)

وقد تصرف البخاري في الحديث الثاني: لا توردوا الممرض على المصح، وحذف ذيل الحديث الذي رواه مسلم.

٧. النساء يخلين المجلس لكي...

أخرج الدارمي، عن عبد الله بن حلّام، عن عبد الله بن مسعود، قال: رأى رسول الله امرأة فأعجبته، فأتى سودة وهي تصنع طيباً وعندها نساء، فأخلينه، فقضىٰ حاجته ثمّ قال: أيّما رجل رأى مرأة تعجبه فليقم إلى أهله، فإنّ معها مثل الذي معها. (٢)

إنّ الرواية مشتملة علىٰ حكمة عملية، وهي انّه إذا ثارت شهوة الرجل، فعليه أن يعالجها بحلال، وإلاّ فربما ينتهي إلى الوقوع في الحرام، وقد ورد نظير ذلك على لسان الإمام علي عليه السلام عندما كان واقفاً مع أصحابه فمرّت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم، فقال عليه السلام:

إنّ أبصار هذه الفحول طوامح، وانّ ذلك سبب هَبَابها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهله، فإنّما هي امرأة كامرأته (٣).

---

١. صحيح مسلم: ٧/ ٣١، باب لا عدوىٰ ولا طيرة ولا هامة من كتاب السلام؛ صحيح البخاري: ٧/ ١٣٨، باب لا عدوى من كتاب الطب.

٢. سنن الدارمي: ٢/ ١٤٦، باب الرجل يرى المرأة فيخاف علىٰ نفسه.

٣. نهج البلاغة، من كلماته القصار، برقم ٤٢٠.

ولكن الحديث الذي يرويه الدارمي يشتمل على شيء لا يصدر عن سُذَّج الناس، فضلاً عن النبي الأعظم ﷺ الذي ملئ بالحياء من الفرق إلى القدم، حيث قال: «فأخلينه فقضى حاجته» ، وهذا رهن أن يبوح النبي ﷺ بما في قلبه من الملامسة مع سودة، ويفهمهنَّ حتى يخلينّ المجلس له، وهذا شيء لا يليق بالمؤمن فضلاً عن النبي ﷺ، وسيوافيك روايات كثيرة حول حياء النبي ﷺ عند دراسة أحاديث أنس.

٨. النساء أكثر أهل النار

أخرج الإمام أحمد في مسنده، عن وائل بن مهانة، عن عبد الله بن مسعود: انّ رسول الله ﷺ قال: تصدقن يا معشر النساء ولو من حُليّكُنّ فانّكن أكثر أهل النار، فقامت امرأة ليست من علية النساء، فقالت: لِمَ يا رسول الله؟ قال: لأنّكنّ تكثرن اللعن وتكفرنّ العشير. [1]

يلاحظ على الحديث أنّ هذا لا يناسب ما نعلم من النبي ﷺ من خلق عظيم، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم/ ٤)، وقد ورد في الكتاب الكريم كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال عزّ من قائل: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل/ ١٢٥) فهذا يقتضي أن يكلمهنّ النبي ﷺ بنغمة ملائمة لا بقوله: فانّكن أكثر أهل النار .

ثمّ لو صحّ الحديث، وثبت انّ الرسول أخبر بأنّ أكثر أهل النار هم النساء، فهناك سؤال آخر وهو انّه كيف يكون النساء أكثر أهل النار مع أنّ الرجال أكثر

---

١ . مسند أحمد: ١/ ٣٧٦. ورواه أحمد عن أبي هريرة أيضاً لاحظ ٢/ ٢٩٧.

اقترافاً للذنوب من النساء، لهيمنة الغضب والشهوة عليهم؟

ثمّ إنّ إكثار اللعن ليس إلاّ دعاء، إذا صدر في غير محلّه يكون أشبه بدعاء غير مستجاب، فكيف يكون سبباً لدخول النار و خلودها؟ كما انّ اكفار العشير ليس إلاّ عدم الوقوف على حقّهم، وهو إن لم يكن مقروناً بأمر محرّم، لا يوجب الدخول في النار بل يكون أمراً قلبياً.

إنّ الحط من شأن النساء، وجعل أكثرهنّ من أهل النار لا يختص بهذا الحديث، بل ثمة مرويات حول هذا الموضوع تعكس فكرة الجاهلية في حقّ النساء، و إليك نموذجاً:

أخرج أحمد، عن عمارة بن خزيمة، قال: بينا نحن مع عمروبن العاص في حجّ أو عمرة، فقال:

بينما نحن مع رسول الله ﷺ في هذا الشعب إذ، قال:

انظروا هل ترون شيئاً؟ فقلنا: نرى غرباناً، فيها غراب أعصم، أحمر المنقار والرجلين. فقال رسول الله ﷺ: لا يدخل الجنّة من النّساء إلاّ من كان منهنّ مثل هذا الغراب في الغربان. [1]

والحديث كناية عن قلة عدد النساء في الجنة وانّه لا يدخل منهن إلاّ اليسير النادر، فكأنّه سبحانه خلق النساء للنار والرجال للجنة، تبارك وتعالى عن ذلك.

١. مسند أحمد: ٤/ ١٩٧.

٥

أبو الدرداء الأنصاري

(... ـ ٣٣ هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. عدم منازعة ولاة الأمر.

٢. إبليس يواجه النبي بشهاب من نار.

٣. الفراغ من التقدير.

٤. لا يدخل الجنة مؤمن بسحر.

عويمر بن مالك بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي، أُمّه محبّة بنت واقد ابن عمرو، تأخر إسلامه قليلاً وكان آخر أهل داره إسلاماً وحسن إسلامه، وكان فقيهاً عاقلاً حكيماً، آخىٰ رسول الله ﷺ بينه و بين سلمان الفارسي، شهد ما بعد أُحد من المشاهد وأوّل مشاهده الخندق.

ولي أبو الدرداء قضاء دمشق، وتوفي قبل أن يقتل عثمان بسنتين [١] أي سنة ٣٣.

---

١. أُسد الغابة:٥/ ١٨٥، وفي سير اعلام النبلاء انّه توفي قبل عثمان بثلاث سنين، ونقل ابن سعد انّه توفي في الشام سنة ٣١هـ.

روى عنه أنس بن مالك، وفضالة بن عبيد، وأبو أمامة، وعبد الله بن عمر، وابن عباس، وأبو إدريس الخولاني، وجبير بن نفير، وابن المسيب وغيرهم. [١]

أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا معاوية بن صالح، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي الدرداء انّه كان إذا حدّث الحديث عن النبي ﷺ، يقول: اللّهمّ إن لم يكن هكذا فشبِهْهُ فشَكْله. [٢]

روى عن النبي ﷺ عدّة أحاديث، وهو معدود ممن تلا على النبي ﷺ ولم يبلغنا أبداً أنّه قرأ على غيره، وتصدر الإقراء بدمشق في خلافة عثمان وقبل ذلك.

ويظهر ممّا ذكره أصحاب المعاجم في حقّه أنّه كان متقشفاً، غير متعمق في الدين. ويدلّ عليه أمران:

الأوّل: نقل ابن سعد عن عمر بن مرّة: قال: سمعت شيخنا يحدّث عن أبي الدرداء، انّه قال: أُحبّ الفقر تواضعاً لربّي، وأُحبّ الموت اشتياقاً إلى ربّي، وأُحبّ المرض تكفيراً لخطيئتي. [٣]

وقد زعم ذلك الصحابي الجليل انّ ما كان يحبه ويرجّحه، أمر تلقاه الشرع بالقبول، ولكنّ أئمّة أهل البيت والعرفاء الشامخين يرضون بما قضى لهم الله سبحانه من الفقر والغنى، أو الموت والحياة، والمرض والصحّة، ويطلبون رضى الله في كلّ حال، ويترنّمون بقول العارف الحكيم السبزواري:

و بهجة بما قضى الله رضا   وذو الرضا بما قضى ما اعترضا

قيل: للحسن بن علي عليهما السلام: إنّ أبا ذر، يقول: الفقر أحب إليّ من الغنى،

---

١. أسد الغابة: ٤/ ١٦٠.

٢. الطبقات الكبرى: ٧/ ٣٩٢.

٣. طبقات ابن سعد: ٧/ ٣٩٢.

والسقم أحبُّ إليَّ من الصحّة. فقال: رحم الله أبا ذر. أمّا أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله له، لم يتمنَّ انّه في غير الحالة التي اختارها الله له. (١)

الثاني: دخل سلمان بيت أبي الدرداء فإذا أُم الدرداء متبذِّلة، فقال: ما شأنك؟ قالت: إنّ أخاك لا حاجة له في الدنيا، يقوم الليل ويصوم النهار، فجاء أبوالدرداء، فرحّب به وقرب إليه طعاماً، فقال له سلمان: كُل، فقال: إنّي صائم، قال: أقسمت عليك لتفطرنّ فأكل معه ثمّ بات عنده، فلما كان من الليل أراد أبو الدرداء أن يقوم فمنعه سلمان، فقال: إنّ لجسدك عليك حقّاً، ولربّك عليك حقّاً، ولأهلك عليك حقّاً. صم وأفطر، وصلّ وائتِ أهلك وأعط كلّ ذي حقٍّ حقّه.

فلما كان وجه الصبح، قال: قم الآن إن شئت، فقاما، فتوضآ، ثمّ ركعا، ثمّ خرجا إلى الصلاة، فدنا أبو الدرداء ليخبر رسول الله بالذي أمره سلمان، فقال له: يا أبا الدرداء، انّ لجسدك عليك حقّاً، مثل ما قال لك سلمان.

وكانت له مواقف مشرقة، وهذا هو الإمام أحمد يروي انّ أبا الدرداء لما سمع تسيير أبي ذر إلى الربذة استرجع قريباً من عشر مرات، ثمّ قال: ارتقبه واصطبر كما قيل لأصحاب الناقة، اللّهمّ إن كذَّبوا أباذر، فانّي لا أُكذِّبه، اللّهمّ وإن اتهموه فانّي لا أتهمه، اللّهمّ وإن استغشوه، فإنّي لا استغشه.

فإنّ رسول الله كان يأتمنه حين لا يأتمن أحداً، ويسرّ إليه حين لا يسرّ إلى أحد.

أما والذي نفس أبي الدرداء بيده، لو انّ أبا ذر قطع يميني ما أبغضته بعد الذي سمعت رسول الله ﷺ يقول:

ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر. (٢)

---

١. تهذيب ابن عساكر: ٤/ ٢٢٠؛ البداية والنهاية: ٨/ ٣٩.

٢. مسند أحمد: ٥/ ١٩٧.

وعلى أية حال فيروىٰ له مائة وتسعة وسبعون حديثاً واتفقا له على حديثين، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثمانية. [١]

وقدجُمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ١١٣ رواية.

فلنذكر شيئاً من روائع أحاديثه، ثمّ نعرج إلى الأحاديث السقيمة التي عزيت إليه.

روائع أحاديثه:

١. أخرج أبو داود في سننه، عن خليد العصري، عن أُمّ الدرداء، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: خمس من جاء بهنَّ مع إيمان دخل الجنّة، من حافظ على الصّلوات الخمس علىٰ وضوئهنَّ وركوعهنّ وسجودهنّ ومواقيتهنّ، وصام رمضان، وحجّ البيت إن استطاع إليه سبيلاً، وأعطى الزكاة طيِّبة بها نفسه، وأدّى الأمانة.

قالوا: يا أبا الدرداء، وما أداء الأمانة؟ قال: الغسل من الجنابة. [٢]

ولا غبار علىٰ مضمون الرواية، وقد ورد في غير واحد من الروايات وتدعمها المفاهيم العامة الواردة في الإسلام، بيد انّ تفسير الأمانة بالغسل من الجنابة تفسير بالرأي، إلاّ أن يكون الرسول فسرها بهذا النحو، وإلاّ فأداء الأمانة بمفهومها الكلي العام من علائم الإيمان.

قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَماناتِ إِلىٰ أَهْلِها﴾ (النساء/ ٥٨).

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَماناتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعُونَ﴾ (المؤمنون/ ٨).

---

١. سير اعلام النبلاء: ٢/ ٣٤٢برقم٦٨.

٢. سنن أبي داود: ١/ ١١٦ برقم ٤٢٩.

وقال سبحانه: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذي اؤْتُمِنَ أَمانَتَه﴾ (البقرة/ ٢٨٣).

٢. أخرج الإمام أحمد، عن أبي إدريس، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: لكلّ شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم انّ ما أصابه لم يكن ليُخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. [١]

إنّ ما يصيب الإنسان أو يخطئه علىٰ قسمين، تارة يعد من أفعاله التي يناط بها الإيمان والكفر والثواب والعقاب، وهذا القسم من الأفعال غير خارج عن إختياره فلو أصابه أو اخطأه فإنّما أصاب أو أخطأ باختياره فلا يصحّ أن يقال انّ ما أصابه لم يمكن ليخطأه أو ما أخطأه لم يكن ليصيبه، إذ معنى ذلك انّ الإيمان والكفر والطاعة والعصيان من الأُمور التي لم يكن للعبد فيها دور، فالمؤمن لم يكن له بدّ من الإيمان، والكافر لم يكن له بد من الكفر، والمطيع لم يكن له إلاّ الطاعة، والعاصي لم يكن له إلاّ العصيان فلم يكن في وسع المطيع، العصيانُ كما انّه لم يكن في وسع العاصي، الطاعةُ.

فالقول باللابدية في هذا النوع من الأفعال عين الجبر وهو ينافي القرآن الكريم المنادي للاختيار والذي يخاطب المجتمع الإنساني بقوله: ﴿فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُر﴾ (الكهف/ ٢٩).

نعم، ينطبق ما ورد في الحديث على الأُمور الخارجة عن مجال الاختيار، فالحوادث والنوازل أُمور يواجهها الإنسان بلا اختيار وقد قدِّر، ولم يكن محيص من التقدير، قال سبحانه: ﴿ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْض وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاّ فِي كتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذٰلِكَ عَلى اللهِ يَسِير﴾ (الحديد/ ٢٢).

---

١. مسند أحمد: ٦/ ٤٤١.

وقد ذكرنا غير مرّة انّ تعظيم القدر وتفخيم شأنه وجعل زمام حياة الإنسان بيده من الأفكار المستوردة.

٣. أخرج النسائي، عن عطاء بن يسار: انّ معاوية باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها، فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ ينهىٰ عن مثل هذا إلاّ مثلاً بمثل. [١]

وما رواه، من الأحكام الضرورية في الفقه الإسلامي، وقد روي عن رسول الله ﷺ، انّه قال: لا تبيعوا الذهب بالذهب إلاّ مثلاً بمثل. [٢]

والعجب انّ معاوية الذي ادّعىٰ الخلافة عن رسول الله ﷺ جهل هذا الحكم الإسلامي أو تجاهله فباع السقاية بأكثر من وزنها.

٤. أخرج أحمد في مسنده عن حمزة بن حبيب، عن أبي الدرداء،عن رسول الله ﷺ، انّه قال: «إنّ الله تصدّق عليكم بثلث أموالكم عند وفاتكم». [٣]

٥. أخرج أبو داود، عن أُمّ الدرداء، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكلّ داء دواء، فتداووْا ولا تداووْا بحرام. [٤]

٦. أخرج الترمذي، عن أُم الدرداء، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أُخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلىٰ، قال: إصلاح ذات البين، فانّ فساد ذات البين هي الحالقة. [٥]

---

١. سنن النسائي: ٧/ ٢٧٩، باب بيع الذهب بالذهب.

٢. أخرجه غير واحد من أصحاب الصحاح والسنن.

٣. مسند أحمد: ٦/ ٤٤١.

٤. سنن أبي داود: ٤/ ٧ برقم ٣٨٧٤.

٥. سنن الترمذي: ٤ / ٦٦٣ برقم ٢٥٠٩، ورواه أبو داود في سننه: ٤/ ٢٨٠ برقم ٤٩١٩ مع تفاوت يسير.

وما رواه أبو الدرداء قد رواه الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وقد ذكر في وصية لولديه الحسن والحسين عليهما السلام :« وصلاح ذات بينكم، فإنّي قد سمعت جدكما صلى الله عليه وآله وسلم يقول إصلاح ذات البين أفضل من عامّة الصّلاةو الصّيام». [١]

٧. أخرج أبو داود في سننه، عن عبد الله بن أبي زكريا، عن أبي الدرداء، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فاحسنوا أسماءكم. [٢]

٨. أخرج أبو داود في سننه، عن بلال بن أبي الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «حبك الشيء يُعمي ويُصم». [٣]

ويؤيده قوله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ (الكهف/ ١٠٣ـ ١٠٤).

وقال سبحانه: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً﴾ (فاطر/ ٨).

٩. أخرج الترمذي في سننه، عن أُم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: من ردَّ عن عرض أخيه، ردَّ الله عن وجهه النّار يوم القيامة. [٤]

١٠. أخرج أحمد في مسنده، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من سمع من رجل حديثاً لا يشتهي أن يذكر عنه، فهو أمانة وإن لم يستكتمه. [٥]

ما نقلناه شيء من روائع أحاديثه استعرضناها كنماذج لما لم نأت به، وفي الوقت نفسه عزيت إليه روايات لا تدعمها الضوابط السالفة الذكر، ونشير إلى

١. نهج البلاغة، قسم الرسائل، برقم ٤٧.
٢. سنن أبي داود: ٤/ ٢٨٧ برقم ٤٩٤٨.
٣. سنن أبي داود: ٤/ ٣٣٤ برقم ٥١٣٠.
٤. سنن الترمذي: ٤/ ٣٢٧ برقم ١٩٣١.
٥. مسند أحمد: ٦/ ٤٤٥.

بعضها:

١ . عدم منازعة ولاة الأمر

أخرج البخاري في الأدب المفرد، عن أُم الدرداء، عن أبي الدرداء، قال: أوصاني رسول الله ﷺ بتسع :لا تشرك بالله شيئاً و إن قُطِّعت أو حُرِّقت، ولا تتركنَّ الصلاة المكتوبة متعمداً، ومن تركها متعمداً برئت منه الذمة، ولا تشربنّ الخمر فانّها مفتاح كلّ شر، وأطع والديك و إن أمراك أن تخرج من دنياك فاخرج لهما، ولا تُنازعنَّ ولاة الأمر .... [1]

أقول: لا شكّ انّ التوحيد هو الأصل الموحد في الشرائع السماوية ولكن يجوز الاظهار بالشرك عند التقية حفاظاً على النفس والنفيس عند الاضطرار، قال سبحانه: ﴿إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمان﴾ (النحل/ ١٠٦) وقال سبحانه: ﴿إلاّأَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً﴾ (آل عمران/ ٢٨).

وليست هذه الفقرات من الوصية شيئاً يختص بأبي الدرداء، بل هو المخاطب ولكن المضمون يرجع إلى قاطبة المسلمين، ومن الواضح جواز التظاهر بالشرك لغايات نبيلة، وقضية عمار في ذلك معروفة، فما معنى قوله: «لا تشرك بالله شيئاً و إن قُطّعت أوحُرّقت».

وتصور انّ المراد هو الإشراك القلبي (بأنّه لا يجوز و إن قطع أو حرق)، فهو غير تام، لأنّ الأمر القلبي لا يخضع للإكراه حتى يتعلق به النهي، بل يتعلق الإكراه ثم النهي، بالأمر الظاهري وقد عرفت انّ التظاهر بالشرك جائز لغاية مهمة.

---

١ . البخاري: الأدب المفرد، ص ٢٣ برقم ١٨؛ ورواه ابن ماجة في سننه :٢/ ١١٩ برقم ٣٣٧١، وقد اكتفىٰ بالنهي عن شرب الخمر ،كما رواه في موضع آخر: ٢/ ١٣٣٩ برقم ٤٠٣٤، وليس فيه قوله: «ولا تنازعنّ ولاة الأمر» «ولا اطاعة الوالدين».

وفي الرواية فقرة أُخرى وهي قوله: « لا تنازعنّ ولاة الأمر» فما هو المراد؟ فهل المراد هم ولاة الأمر العدول، فالنزاع معهم خروج عليهم وهو أمر محرم.

أو المراد ولاة الأمر الجائرون، فالخروج عليهم جائز أو واجب حسب درجات ما يترتب على ولايتهم من المفاسد، فمنازعتهم من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على المسلم إذا كان جامعاً للشرائط، وقد حكى السبط الشهيد الحسين بن علي عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: من رأىٰ سلطاناً جائراً مستحلاً لحرُم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يعيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله.[1]

وحصيلة الكلام انّ ما أوصى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا الدرداء، وصية لعامة المسلمين وتوافق روح الإسلام و أُصوله إلاّ الفقرتين الأخيرتين ، الأُولى: «وإن قطعت وحرقت» ، والثانية: «لا تنازعنّ ولاة الأمر».

٢. إبليس يواجه النبي بشهاب من نار

أخرج مسلم عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي الدرداء، قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسمعناه، يقول: أعوذ بالله منك، ثمّ قال: ألعنك بلعنة الله ثلاثاً، وبسط يده كأنّه يتناول شيئاً، فلمّا فرغ من الصلاة، قلنا: يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك؟ قال : إنّ عدوّ الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرّات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر ثلاث مرّات، ثمّ أردت أخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة.[2]

---

١. تاريخ الطبري: ٤/ ٣٠٤ حوادث سنة ٦١.

٢. صحيح مسلم:٢/ ٧٣، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة.

وثمة تساؤلات حول الرواية؟

الأُولى: انّ ما رواه أبو الدرداء هو نفس ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ وبين الروايتين اختلاف شاسع، وسنذكر الرواية عند دراسة ما عزيت إليه من الروايات تحت عنوان سلطان إبليس على النبي ﷺ.

روى أبو سعيد الخدري انّ رسول الله ﷺ قام فصلىٰ صلاة الصبح وهو خلفه، فقرأ فالتبست عليه القراءة، فلمّا فرغ من صلاته، قال: لو رأيتموني وإبليس، فأهويت بيدي، فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين اصبعي هاتين: الابهام والتي تليها، ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة، فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل.[١]

وأنت ترى انّ الرواة تصرّفوا في الرواية فقد نقلوها بصورتين مختلفين جداً. بل بصور مختلفة، فقد رواها مسلم عن أبي هريرة بوجه يخالف كلتا الصورتين كما سيوافيك في ترجمته، كلّ ذلك يسلب الاعتماد على تلك المرويات، وتصوّر تعدّد الواقعة بعيد جداً.

الثانية: انّ غاية ما يثبته القرآن لإبليس هو سلطان الوسوسة وهو في حقّ غير عباده الصالحين، قال سبحانه: ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ (النحل/ ٩٩).

ثمّ ليس له سلطان على بني آدم بالضرب والإحراق فضلاً عن أن يكون له سلطان على النبي ﷺ بجعل شهاب من نار على وجهه.

الثالثة: انّ قوله: «أردت أخذه» يعرب عن كون الشيطان موجوداً عنصرياً قابلاً للأخذ، ومثله لا يمكن أن يوسوس في صدور العالمين في زمان واحد.

---

١. مسند أحمد: ٣/ ٨٢.

الرابعة: انّه سبحانه يصرح بأنّ إبليس يرى الإنسان وهو لا يراه، قال: ﴿إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ﴾ (الأعراف/ ٢٧) ، فما معنى قوله: «ولولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة» فانّ اللعب فرع الرؤية.

الخامسة: يظهر من ذيل الرواية انّ سليمان أكثر قدرة من نبينا محمّد ﷺ فلم يكن لإبليس أي سلطان على سليمان عليه السلام بل كان مسخراً له، بخلاف النبي ﷺ حيث كان بصدد وضع شهاب من نار في وجهه.

٣. الفراغ من التقدير

أخرج أحمد عن أبي إدريس، عن أبي الدرداء، قالوا: يا رسول الله : أرأيت ما نعمل أمر قد فرغ منه، أم أمر نستأنفه قال، قال: بل أمر قد فرغ منه، قالوا: فكيف بالعمل يا رسول الله؟ قال: كل امرئ مهيّأ لما خلق له. [١]

وأخرج أيضاً عن أُم الدرداء، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ:

إنّ الله عزّ وجلّ فرغ إلى كلِّ عبد، من خلقه، من خمس: من أجله، وعمله، ومضجعه، وأثره، ورزقه. [٢]

وفي رواية إسماعيل عن أُمّ الدرداء، عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فرغ الله إلى كلِّ عبد من خمس: من أجله، ورزقه، وأثره، وشقيٌّ أم سعيد. [٣]

أقول: الفراغ من الأمر يهدف إلى أنّ الإنسان مسيَّر في حياته وليس بمخيّر، وكلّ إنسان خلق لغاية خاصة أمّا النار أو الجنّة فهو مهيّأ لما خلق له، فلما كانت تلك الفكرة على طرف النقيض من بعثة الأنبياء وإصلاح المصلحين عاد

---

١. مسند أحمد: ٦/ ٤٤١.

٢و٣. مسند أحمد: ٥/ ١٩٧.

الحاضرون في مجلس النبي ﷺ، فقالـوا : إذا كان هناك فـراغ من العمل فما معنى العمل، فأُجيبوا بقوله ﷺ: كلّ امرئ مهيأ لما خلق لـه، ومن المعلوم انّ الجواب لا يقلع الإشكال، فإنّ تهيئـة كلّ إنسان لما خلق عبارة أُخـرى عن الجبر لا الاختيار، فالكافر زُوِّد بأسباب توصله إلى النار فقط، والمؤمن جهّز بأسباب أُخرى توصله إلى الجنة.

إنّ القول بالفراغ يضاد قوله سبحانه: ﴿**يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتاب**﴾ (الرعد/ ٣٩) كما ينافي قـوله سبحانه: ﴿**وَلَو أَنَّ أَهْلَ القُـرىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِـمْ بَرَكـاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالأَرْض وَلٰكِـنْ كَذَّبُـوا فَأَخَـذْناهُمْ بِمـا كانُـوا يَكْسِبُونَ**﴾ (الأعراف/ ٩٦).

إنّ القول بالفراغ يبعث الخيبة والحرمان لدى عامة الناس لأنّه إذا كان الأمر قد فرغ منه، فنحن علىٰ كلّ حال إمّا إلى الجنـة أو إلى النار، فما فائدة القيام بالطاعة والانتهاء عن المعصية .

وقد كافح أئمّة أهل البيت عليهم السلام تلك الفكرة بطرح البداء وانّ الله سبحانه يمحو ما يشاء و يثبت وليس للإنسان مصير واحد قطعي لا يتبدل ولا يتغير وإن كان علمه سبحانه لا يتبدل ولا يتغير.

وقد ألمح إليه النبي ﷺ في غير واحد من الروايات التـي رواها جلال الدين السيوطي في تفسير قـوله: ﴿**يَمْحُوا الله مٰـا يَشاءُ وَيُثْبِتُ**﴾ و من أراد التفصيـل فليرجع إليه [١].

وبذلك يعلم انّ ما أخرجـه أحمد عن أبي الدرداء أيضاً لا يقل في الوهن عمّا نقلناه عنه.

أخرج أحمد عن أبي إدريس، عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: خلق الله آدم حين خلقه، فضرب كتفـه اليمنىٰ، فأخرج ذرّيـة بيضاء كأنّهم الـدّرّ، وضرب كتفه

---

١. السيوطي: الدر المنثور: ٥/ تفسير سورة الرعد: الآية ٣٩.

اليسرىٰ، فأخرج ذرِّية سوداء، كأنّهم الحمم، فقال للذي في يمينه: إلى الجنّة ولا أُبالي، وقال: للذي في كفه اليسرى إلى النار ولا أُبالي. (١)

٤. لا يدخل الجنّة مؤمن بسحر

أخرج أحمد عن أبي إدريس عائذ الله، عن النبيﷺ قال: لا يدخل الجنة عاق، ولا مؤمن بسحْر، ولا مدمن خمر، ولا مكذب بقدر. (٢)

والحديث قابل للنقاش من وجهين:

الأوّل: ما هو المقصود من الإيمان بالسحر في قوله: ولا مؤمن بسحر؟ فإن أُريد انّ السحر والساحر لا يضران بالمسحور إلّا بإذن منه سبحانه، فهذا ممّا يجب الإيمان به، فانّ تأثير كلّ مؤثر ومنه السحر بإذنه سبحانه، قال: **﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرءِ وَزَوجِهِ وَما هُمْ بِضارّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاّ بِإِذْنِ الله﴾** (البقرة/ ١٠٢).

وإن أُريد انّ السحر والساحر إنّما يقومان بالاضرار على وجه الاستقلال فلا ريب انّ الإيمان به شرك في الخالقية و التدبير ولكن لا يختص بتأثير السحر. بل الإيمان بإستقلال كلّ مؤثر في التأثير شرك.

الثاني: احتلّت مسألة القدر في الأحاديث المروية في الصحاح والسنن منزلة رفيعة وصارت ملاكاً للإيمان والكفر، والمقدار اللازم هو الإيمان بالقضاء والقدر بنحو لا يجعل الإنسان مسيّراً في حياته، ولا يسلب الاختيار عنه، ولا يجعله كالريشة في مهبِّ الريح.

وأظن انّ اعطاء تلك المنزلة للقدر وغضّ النظر عن الأصل الآخر وهو اختيار الإنسان في فعله وتركه كان لأجل تبرير عمل السلطات الجائرة من الأمويين والعباسيين.

---

١ و ٢. مسند أحمد: ٦/ ٤٤١ وقد سقطت جملة «لا مؤمن بسحر» من المطبوع من مسند أحمد في ستة أجزاء ونقله مؤلف المسند الجامع: ٢/ ١٣٣، وجامع المسانيد والسنن: ٥/ ١٠٨.

٦
عُبادة بن الصامت
(٣٨ق.هـ ـ ٣٤هـ)
راوية أقضية النبي

عبادة بـن الصامت بـن قيس بن أصرم بن فهـر الأنصاري الخزرجـي، أبو الوليد، وأُمّه: قرة العين بنت عبادة بن نضلـة بن مالك بن العجلان، شهد العقبة الأُولىٰ والثانية، وآخىٰ رسول الله ﷺ بينه و بين أبي مرثد الغنوي، وشهد بدراً وأُحد والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ واستعمله النبي ﷺ علىٰ بعض الصدقات.

قـال محمـد بن كعـب القـرظي: جمع القـرآن في زمـن النبي ﷺ خمسـة من الأنصار: معـاذ بن جبل، وعبادة بن الصـامت، وأُبي بن كعب، وأبو أيّـوب، وأبو الدرداء.

وكان «عبـادة» يُعلِّم أهل الصفَّة القـرآنَ، و لما فتح المسلمون الشـام أرسله

عمر ومعه معاذ بن جبل وأبو الدرداء ليعلّموا الناس القرآن بالشام ويفقّهوهم في الدين، وكان معاوية خالفه في شيء أنكره «عبادة» فأغلظ له معاوية في القول، فقال عبادة: لا أساكنك بأرض واحدة أبداً ورحل إلى المدينة. [١]

ويظهر ممّا رواه الذهبي عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة انّ عثمان استرحله، بعد ما كتب معاوية إليه: «انّ عبادة بن الصامت قد أفسد عليّ الشام وأهله، فاما أن تكفّه إليك، وإما أن أُخلّي بينه و بين الشام».

فكتب إليه: ان رحّل «عبادة» حتى ترجعه إلى داره بالمدينة.

قال: فدخل على عثمان فلم يفجأه إلاّ به وهو معه في الدار، فالتفت إليه، فقال: يا عبادة مالك ولنا؟ فقام «عبادة»بين ظهراني الناس، فقال: سمعت رسول الله ﷺ ، يقول: سيلي أُموركم بعدي رجال يعرّفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصىٰ، ولا تضلّوا بربّكم.

إنّ عبادة بن الصامت من الرجال الغيارىٰ الذين كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يرضخون أمام جور الجائرين.

روى الذهبي، عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة، عن أبيه انّ عبادة بن الصامت مرّت عليه قطارة، وهو بالشام تحمل الخمر، فقال: ما هذه، أزيت؟ قيل: لا، بل خمر يباع لفلان! فأخذ شفرة من السوق، فقام إليها، فلم يذر فيها راوية إلاّ بقرها ـ وأبو هريرة إذ ذاك في الشام ـ فأرسل فلان ـ يعني معاوية ـ إلىٰ أبي هريرة، فقال: ألا تمسك عنّا أخاك عبادة، أمّا بالغدوات فيغدو إلى السوق يفسد على أهل الذمة متاجرهم، وأمّا بالعشيّ فيقعد في المسجد ليس له عمل إلاّ شتم أعراضنا وعيبنا!!

---

١. أُسد الغابة: ٣/ ١٠٦.

قال: فأتاه أبو هريرة ، فقال: يا عبادة مالك ولمعاوية، ذَرْه وما حُمّل، فقال: لم تكن معنا إذ بايعنا على السمع و الطاعة والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر وألا يأخذنا في الله لومة لائم، فسكت أبو هريرة وكتب فلان ـ معاوية ـ إلى عثمان: إنّ عبادة قد أفسد عليّ الشام. [١]

أقول: هذا هو الفرق بين صحابي مكبّ علىٰ عتبة بلاط معاوية فيسكت امام منكراته، وحمل الخمر إلىٰ قصوره، وبين صحابيّ جليل كعبادة بن الصامت بايع رسول الله على السمع و الطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن لا يأخذه في الله لومة لائم.

والعجب انّ الراوي لا يذكر اسم من يُحمل إليه الخمر ويقول يباع لفلان ويعني به معاوية بن أبي سفيان والشاهد على ذلك انّ أبا هريرة، قال: «يا عبادة مالك و لمعاوية، ذره وما حُمل » فلولا انّ الخمر يحمل إلىٰ قصوره فما معنى هذا الكلام؟

نعم حاول معاوية أن يستر فعله القبيح، وقال: يفسد على أهل الذمة متاجرهم ملْمِحاً بذلك إلى أنّ البائع والمشتري من أهل الذمة.

قال الذهبي: كان عبادة رجلاً طوالاً جسيماً جميلاً، مات بالرملة سنة ٣٤هـ و هو ابن ٧٢ سنة، ونقل انّه قُبِّر ببيت المقدس.

ساق له «بقيّ» في مسنده ١٨١ حديثاً، وله في البخاري و مسلم ستة، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بحديثين. [٢]

وله روايات رائعة نذكر منها شيئاً.

---

١. سير اعلام النبلاء: ٢/ ٩ـ١٠ برقم ١.

٢. سير اعلام النبلاء: ٢/ ١٠ـ١١ برقم ١.

روائع رواياته

١ . أخـرج الإمام أحمد في مسنـده، عن جنـادة بن أبي أُميـة، قـال: سمعت عبادة بن الصامت، يقول:

إنّ رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: يا نبـي الله أي العمل أفضل؟ قال: الإيمان بالله، والتصديق به، وجهاد في سبيله، قال: أُريد أهون من ذلك يا رسول الله، قال: السماحة والصبر، قـال: أُريد أهون من ذلـك يا رسول الله، قـال: لاتتهم الله تبارك وتعالى في شيء قضىٰ لك به. (١)

٢ . أخرج ابن مـاجة، عن الصّنابحـي، عن عبادة بن الصامـت، انّه سمع رسول الله ﷺ، يقول: ما من عبد يسجد لله سجدة إلاّ كتب الله له بها حسنة، ومحا عنه بها سيئة، ورفع له بها درجة، فاستكثروا من السجود. (٢)

٣.أخـرج مسلـم في صحيحـه، عـن محمـود بـن الـربيع، عـن عبـادة بـن الصامت، عن النبي ﷺ أنّه قال: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب. (٣)

٤ . أخـرج مسلم في صحيحـه، عن أبي الأشعث، قـال: غـزونا غـزاة وعلى الناس معاوية، فغنمنـا غنائم كثيرة، فكان فيما غنمنا آنية من فضة، فـأمر معاوية رجلاً أن يبيعها في اعطيات الناس فتسارع الناس في ذلك.

فبلغ عبادة بن الصامت، فقـام، فقال:إنيّ سمعت رسول الله ﷺ ينهىٰ عن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة، والبرّ بالبرّ والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، و الملح با لملح، إلاّ سواء بسواء، عيناً بعين، فمن زاد أو ازداد فقد أربى، فردّ الناس

١ . مسند أحمد: ٥/ ٣١٨_٣١٩.

٢ . سنن ابن ماجة: ١/ ٤٥٧ برقم ١٤٢٤.

٣ . صحيح مسلم: ٢/ ٩، باب وجوب قراءة الفاتحة.

ما أخذوا.

فبلغ ذلك معاوية فقام خطيباً، فقال: ألا ما بال رجال يتحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث قد كنّا نشهده ونصحبه فلم نسمعها منه.

فقام عبادة بن الصامت فأعاد القصة، ثمّ قال: لنحدثنّ بما سمعنا من رسول الله ﷺ و إن كره معاوية (أو قال و إن رغم) ما أُبالي أن لا أصحبه في جنده ليلة سوداء. (١)

٥. أخرج أحمد عن عبادة بن نسيّ، عن عبادة بن الصامت، انّ النبي ﷺ قال: ما تعدون الشهيد فيكم؟ قالوا: الذي يقاتل فيقتل في سبيل الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: إنّ شهداء أُمّتي إذاً لقليل، القتيل في سبيل الله تبارك و تعالى شهيد، والمطعون شهيد، والمبطون شهيد، و المرأة تموت بجمع شهيد ــ يعنى النفساء ـ . (٢)

٦. أخرج أحمد في مسنده، عن المطلب، عن عبادة بن الصامت، انّ النبي ﷺ قال: اضمنوا لي ستاً من أنفسكم، أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدّوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضّوا أبصاركم، وكفّوا أيديكم. (٣)

٧. أخرج أحمد في مسنده عن أبي قبيل المعافريّ، عن عبادة بن الصامت، انّ رسول الله ﷺ قال: ليس من أُمّتي من لم يجلّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقّه. (٤)

---

١. صحيح مسلم: ٥/ ٤٤، باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقداً.

٢. مسند أحمد: ٥/ ٣١٥.

٣. مسند أحمد: ٥/ ٣٢٣.

٤. مسند أحمد: ٥/ ٣٢٣.

٨. أخرج أحمد في مسنده، عن أبي أمامة، عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: عليكم بـالجهاد في سبيل الله تبـارك وتعالى، فإنّـه باب مـن أبواب الجنة، يذهب الله به الهمَّ والغمَّ. (١)

٩.أخـرج البخـاري في صحيحه، عـن عبادة بـن الـوليد، عـن عبـادة بن الصامت، قال:

بايعنا رسول الله ﷺعلى السَّمع والطّـاعة، في المَنْشَط والمكـره، أن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحقّ حيثما كنّا، لا نخاف في الله لومة لائم. (٢)

١٠. أخـرج مسلـم في صحيحـه ،عـن أنس بـن مـالـك، عن عبـادة بـن الصامت، انّ نبي الله ﷺ قال:

من أحبَّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره لقاءه. (٣)

أقول: إنّ عبـادة بن الصـامـت راويـة أقضيـة النبي ﷺ وهي من جـلائل روايـاته غير انّ ابن مـاجة فـرّقهـا في مواضع مختلفـة من سننـه ولم يذكـرها جملـة واحدة.

نعم ذكرها عبد الله بن أحمد في زيادته على مسند أبيه في مكان واحد. (٤)

ومن أقضيته المعروفة: أن لا ضرر ولا ضرار ، و انّه ليس لعرق ظالم حق.

اقتصرنا علىٰ هذا المقدار من روائع رواياته لطولها وضيق المجال.

وقد عزيت إليه روايات، لا تنسجم مع الضوابط الماضية.

---

١. مسند أحمد: ٥/ ٣١٩.

٢. صحيح البخاري: ٩/ ٧٧، باب كيف يبايع الإمام الناس.

٣. صحيح مسلم: ٨/ ٦٥، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

٤. ابن ماجة تحت رقم ٢٢١٣ ،٢٣٤٠، ٢٤٨٣، ٢٤٨٨، ٢٦٤٣، ٢٦٧٥؛ مسند أحمد: ٥/ ٣٢٦.

١ . إفتاء النبي ﷺ ثمّ رجوعه عنه

أخرج أبو داود، عـن سلمة بن المحبق، عن عبادة بن الصـامت، عن النبي ﷺ قال ناس لسعد بن عبادة: يا أبا ثـابت، قد نزلت الحدود، لو انّك وجدت مع امراتـك رجلاً، كيف كنت صـانعاً ؟ قال: كنـت ضاربهما بالسيف حتـى يسكتا، أفأنا أذهب فأجمع أربعة شهداء؟! فإلىٰ ذلك قد قضى الحاجة، فانطلقوا فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ فقالوا: يـا رسول الله ألم تر إلىٰ أبي ثابت، قال: كـذا وكذا؟ فقال رسول الله ﷺ: كفىٰ بـالسيف شاهـداً، ثمّ قـال: لا، لا، أخاف أن يتتـايع [١] فيها السكران والغيران. [٢]

وحاصـل الحديث انّ أبا ثـابت قال: إنّي لـو شاهـدت الواقعـة لقتلت ولا أصبر إلىٰ أن أذهب فأجمع أربعة شهداء لأنّه يلازم قضاء الحاجة والفراغ من الزنا.

فلما عُـرض كلام أبي ثـابـت على النبي ﷺ، قال النبيﷺ: كفىٰ بالسيف شاهداً، أي يوضع هذا السيف موضع الشهداء، ولا يحتاج إلى أن يذهب الزوج إلىٰ جمع أربعة شهداء.

ثمّ إنّ النبي ﷺ بداله في إمضاء عمل أبي ثابت لأنّ تجويز قتلهنّ، ربما تكون ذريعة لقتل النساء بلا جرم، وذلك إمّا لغيرة الزوج أو غضبه.

هذا هو مفاد الحديث ومعنىٰ ذلك انّ النبي أفتىٰ بشيء ثمّ رجع عنه، وهذا ينافي الأُصـول المسلمة من حيث إنّـه لا ينطق إلاّ عن وحي. إلاّ أن يحمل كـلامه الأوّل على المزاح والهزل في القول، و هو كما ترى ليس على ذلك الحمل قرينة.

---

١ . يتتايع على وزن يتتابع وزناً وهو التمادي والتهـافت في الشر والفساد والمراد من «سكران»: صاحب الغيظ والغضب، يقال سكر فلان علىٰ فـلان أي غضب واغتاظ، و«الغيران» بفتح العين المعجمة أي صاحب الغيرة.

٢ . سنن ابن داود: ٤/ ١٤٤ برقم ٤٤١٧.

وكفىٰ في ضعف الحديث انّ أبا داود صاحب السنن، قال: الفضل بن دلهم(الوارد في سند الحديث) ليس بالحفاظ كان قصاباً بواسط. (١)

٢. الله ليس بأعور

أخرج أبو داود عن جنادة بن أبي أُمية، عن عبادة بن الصامت، انّه قال: إنّ رسول الله ﷺ قال: إنّي قد حدثتكم عن الدّجال، حتى خشيت أن لا تعقلوا، وإنّ مسيح الدّجال رجل قصير أفحج، جعد، أعور، مطموس العين، ليس بناتئة ولا حجراء، فإن ألبس عليكم فاعلموا انّ ربكم ليس بأعور. (٢)

فانّ معنىٰ ذلك انّ لربنا عيناً مادية ليست بعوراء، وقد عزي هذا الحديث إلى غير واحد من الصحابة كما سيأتي.

٣. اخراج الأُمّة من النار يوم القيامة

أخرج أحمد في مسنده، عن روح بن زنباع، عن عبادة بن الصامت، قال:

فقد النبي ﷺ ليلة أصحابه، وكانوا إذا نزلوا أنزلوه أوسطهم، ففزعوا، وظنوا انّ الله تبارك و تعالى اختار له أصحاباً غيرهم، فإذا هم بخيال النبي ﷺ فكبّروا حين رأوه، قالوا: يا رسول الله أشفقنا أن يكون الله تبارك و تعالى، اختار لك أصحاباً غيرنا، فقال رسول الله ﷺ: لا، بل أنتم أصحابي في الدنيا والآخرة انّ الله تعالى أيقظني، فقال: يا محمد إنّي لم أبعث نبياً ولا رسولاً إلاّ وقد سألني مسألة أعطيتها إيّاه فاسأل يا محمّد تُعْطَ، فقلت: مسألتي شفاعة لأُمتي يوم القيامة، فقال أبوبكر: يا رسول الله، وما الشفاعة؟ قال: أقول: يا ربِّ، شفاعتي التي

---

١. سنن أبي داود: ٤/ ١٤٤ برقم ٤٤١٧.

٢. سنن أبي داود: ٤/ ١١٦ برقم ٤٣٢٠.

اختبأت عندك، فيقـول الربّ تبارك و تعـالى: نعم، فيُخرج ربي تبارك وتعـالى بقية أُمتي من النار فينبذهم في الجنة. [١]

إنّ ظـاهـر الحديث انّ النبـي ﷺ يشفع لقـاطبة أُمّتـه يوم القيـامة فيخـرج المحكومـون بالنـار عنها وينبـذون في الجنة وهذا مـا لا يذعن بـه القرآن الكـريم، وذلك لأنّ أصنافاً من الأُمّة الإسلامية محكومـون بالخلود أو با لمكث في النار أحقاباً كالقاتل، قال سبحانه: ﴿وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إلاّ بِالحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِـكَ يَلْقَ أثامـاً* يُضـاعَفْ لَهُ العَـذابُ يَـوْمَ القِيامَـةِ وَيَخْلُدْ فِيـهِ مُهانـاً﴾ (الفرقان/ ٦٨ـ٦٩).

فالخلـود إمّا بمعنـى المكث في النار دائماً أو كنـاية عـن المكث فيها حقبـة طويلة يصح أن يطلق عليها الخلود، ومع ذلك كيف يخرجون من النار في نفس يوم القيامة لا بعده؟

أضف إلى ذلك انّ للشفاعة شروطاً أهمها وجود الصلة المعنويّة بين الشافع والمشفوع له، ومن الواضح انّ هذه الصلة ليست متوفرة في جميع الأُمّة، فمن أحبط عمله لا تشمله الشفاعة وإن كان مسلماً.

قال سبحانه: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَ لا تَجْهَرُوا لَهُ بِـالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أن تَحْبَطَ أَعمـالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات/ ٢).

ومثله المرابي الذي عدّه سبحانه محارباً لله، وقال:

﴿فَـإِنْ لَمْ تَفْعَلُـوا فَـأْذَنُوا بِحَـرْبٍ مِـنَ اللهِ وَرَسُولِـهِ وَإِنْ تُبْتُـمْ فَلَكُـمْ رُؤوسُ أَمْوالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَ لا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة/ ٢٧٩).

---

١. مسند أحمد: ٥/ ٣٢٥.

إنّ القول بـالشفاعـة بهذا المعنى يورث الجرأة في الأُمّـة الإسلاميـة فيتكلون عليها في نطاق العمل، بذريعة انّ النبي ﷺ سيشفع للأُمّة بأسرها حينها ستخرج من النار و تنبذ في الجنة.

أضف إلى ذلك انّ التعبير عن الدخول في الجنة بالنبذ فيها لا يخلو عن نوع تحقير للمشفوع له، وهو لا يناسب كرامته سبحانه، وكرامة نبيه ﷺ.

٧

طلحة بن عبيد الله التيمي

(٢٦ق. هـ ـ ٣٦هـ)

سيرته وأحاديث الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١ . تأبير النخل لا يُغني عن شيء.

٢ . عمروبن العاص من صلحاء قريش.

طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم القرشي التيمي، وأُمه الصعبة بنت عبد اللهبن مالك، وهو من السابقين الأوّلين إلى الإسلام، فلما هاجر المسلمون إلى المدينة آخىٰ رسول الله ﷺ بين طلحة وبين أبي أيّوب الأنصاري، وهو أحد أصحاب الشورىٰ، ولم يشهد بدراً وشهد أُحداً وما بعدها من المشاهد، وبايع بيعة الرضوان وأبلىٰ يوم أُحد بلاءً عظيماً، ووقىٰ رسول الله ﷺ بنفسه و اتّقى عنه النبل بيده. [1]

وقد اتفق أصحاب المعاجم انّه كان يملك ثروة عظيمة.

نقل الذهبي عن ابن سعد، قال: كان طلحة يغلّ بالعراق أربعمائة ألف،

---

١. أُسد الغابة: ٣/ ٥٩ـ ٦٠.

ويغلّ بالسراة عشرة آلاف دينار، أو أقل أو أكثر، وبالأعراض [١] له غلات، وكان لا يدع أحداً من بني تيم عائلاً إلاّ كفاه و قضىٰ دينه، ولقد كان يرسل إلىٰ عائشة إذا جاءت غلته كلّ سنة بعشرة آلاف، ولقد قضى عن فلان التيمي ثلاثين ألفاً. كما قضى عن عبد الله بن عامر بن كريز ثمانين ألف درهم.

قال الحميدي: كانت غلة طلحة كلّ يوم ألف وافٍ. [٢]

ثمّ نقل عن الواقدي عن موسى بن طلحة انّ معاوية سأله، كم ترك أبو محمد (طلحة) من العين؟ قال: ترك الفي ألف درهم و مائتي ألف درهم و من الذهب مائتي ألف دينار. [٣]

هذه الثروة المكتنزة ملكها الرجل في عصر الخلفاء في حين انّ أباذر كان يجود بنفسه جوعاً في ربذة.

وقد مات علي عليه السلام ولم يترك من البيضاء والصفراء إلاّ سبعمائة درهم.

وقال ابن سعد نقلاً عن بنت عوف، قالت: قتل طلحة وفي يد خازنه ألفا ألف درهم، ومائتا ألف درهم، وقُوِّمت أُصوله وعقاره ثلاثين ألف ألف درهم. [٤]

ولو أراد الباحث أن يجمع رؤوس ما كان يملكه طلحة فعليه الرجوع إلى كتب التاريخ،والحديث عن ثروته التي اقتناه بعد رحيل الرسول خارج عن نطاق البحث، وقد أشرنا إليها في المقام ليعلم ان نكثه لبيعة علي بن أبي طالب عليه السلام لم يكن إلاّ لعدم تحمّله لسيرة الإمام في بيت المال، إذ هو القائل لمّا تصدىٰ للخلافة.

١. اعراض المدينة قراها التي في أوديتها.
٢. الوافي درهم وأربعة دوانق.
٣. سير اعلام النبلاء: ١/ ٣٢ـ٣٣.
٤. طبقات ابن سعد: ٣/ ٢٢٢.

«والله لو وجدتـه قد تزوّج به النسـاء وملك به الإماء لرددتـه، فانّ في العدل سعة و من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق». [١]

إنّ الرجل نكث بيعته مع علي عليه السلام، فقاد حرب الجمل على الإمام المفترضة طاعته، امّا بنص النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما هو الحقّ، أو باعتبار بيعة المهاجرين والأنصار له، فندم قبـل هلاكه ــ ولما ينفعه النـدم ــ فقتل عام ٣٦هـ في جمادى الآخـرة، ودفن قريباً من البصرة، وبذلك يعلم حال ما روي في حقّه من الفضائل.

وله في مسند «بَقيّ بن مَخْلَد» ثمانية وثلاثون حديثاً له حديثان متفق عليهما، وانفرد له البخاري بحديثين، ومسلم بثلاثة أحاديث، وقد جمعت رواياته في المسند الجامع فبلغت ٢٢ حديثاً [٢] وهو من المقلّين في حقل الحديث.

وله أحاديث رائعة و إن عزي إليه مالا تنطبق عليه الموازين السالفة الذكر.

روائع أحاديثه:

١. أخرج البخـاري في صحيحه، عـن أبي سهيل بن مـالك، عن أبيـه انّه سمع طلحـة بن عبد الله، يقـول: جاء رجـل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهل نجـد ثائر الرأس يسمع دويّ صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال: هل عليَّ غيرها، قال: لا، إلاّ أن تطوّع، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصيام رمضان، قال: هل عليّ غيره، قال: لا، إلاّ أن تطوّع، قال: وذكر له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الزكاة، قال: هل عليَّ غيرها، قال: لا، إلاّ أن تطوّع، قـال: فأدبر الـرجل، وهـو يقول: والله لا أزيد على هـذا ولا أنقص،

١. نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٣.

٢. المسند الجامع: ٧/ ٥٤٧ برقم ٣٢٠.

قال رسول الله ﷺ أفلح ان صدق. [١]

٢. أخرج أحمد، عن يحيى بن طلحة، عن أبيه طلحة بن عبيد الله: انّ النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال، قال: اللهمّ أهلّه علينا باليمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله. [٢]

٣. أخرج أحمد، عن موسى بن طلحة، عن أبيه، قال:

قلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: اللّهمّ صلّ علىٰ محمّد وعلىٰ آل محمّد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنّك حميد مجيد، وبارك على محمّد وعلىٰ آل محمّد، كما باركت علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم، إنّك حميد مجيد. [٣]

وقد رويت عنه روايات تخالف الضوابط المذكورة.

١. تأبير النخل لا يُغني عن شيء

أخرج مسلم في صحيحه عن موسى بن طلحة عن أبيه، قال:

مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رؤوس النخل، فقال: ما يصنع هؤلاء.

فقالوا: يلقحونه، يجعلون الذكر في الأُنثى فيتلقح.

فقال رسول الله ﷺ: ما أظن يغني ذلك شيئاً، قال: فأُخبروا بذلك فتركوه، فأُخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فانّي إنّما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدّثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإنّي لن اكذب على الله عزّ وجلّ. [٤]

---

١. صحيح البخاري: ١/ ١٤، باب الزكاة من الإسلام؛ صحيح مسلم: ١/ ٣٠، كتاب الإيمان.

٢. مسند أحمد: ١/ ١٦٢.

٣. مسند أحمد: ١/ ١٦٢.

٤. صحيح مسلم: ٧/ ٩٥، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي.

وروى عن رافع بن خديج: قال: قدم نبي الله المدينة وهم يأبرون النخل، يقولون يلقّحون النخل، فقال: ما تصنعون؟ قالوا: كنا نصنعه، قال: لعلّكم لو لم تفعلوا كان خيراً فتركوه، فنقصت، قال: فذكروا ذلك له، فقال: إنّما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنّما أنا بشر. [١]

والعجب انّ مسلم النيسابوري مؤلف الصحيح ذكر الحديث في باب «أسماه» بوجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي.

نحن نعلق على الحديث تعليقاً مختصراً، ونحيل التفصيل إلى القارئ.

أوّلاً: نفترض انّ النبي ﷺ لم يكن نبيّاً، ولا أفضل الخليقة، ولم ينزل عليه الكتاب والحكمة، بل كان عربياً صميماً ولد في أرض الحجاز و عاش بين ظهراني قومه وغيرهم في الحضر والبادية، وقد توالىٰ سفره إلى الشام، وكلّ من هذا شأنه يقف علىٰ أنّ النخيل لا يثمر إلاّ بالتلقيح، فما معنىٰ سؤاله ما يصنع هؤلاء؟ فيجيبونه انّهم «يلقحونه».

أفيمكن أن يكون هذا الشيء البسيط خافياً على النبي ﷺ ؟

ثانياً: كيف يمكن للنبي ﷺ النهي عن التلقيح الذي هو سنة من سنن الله أودعها في الطبيعة، قال سبحانه: ﴿**فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً**﴾ (فاطر/ ٤٣) ومع ذلك فكيف يقول: ما أظن يغني ذلك شيئاً.

ثالثاً:انّ الاعتذار الوارد في الرواية يسيء الظن بكل ما يخبر به عن الله بلسانه ويخرج من شفتيه، وأسوأ من ذلك ما نسب إليه من الاعتذار بقوله: «وإذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به، فإنّي لن أكذب على الله عزّوجلّ »لأنّ فيه تلميحاً

---

١. شرح النووي على صحيح مسلم: ١٥/ ١٢٥ـ١٢٦، الباب ٣٨، كتاب الفضائل.

إلى أنّه ـ والعياذ بالله ـ يكذب في مواضع أُخر.

فلو كانت الرواية ونظائرها مصدراً للعقيدة فسيعقبها ـ العياذ بالله ـ جهل النبي ﷺ بأبسط السنن الجارية في الحياة فهل يصحّ التفوّه بذلك؟!

كيف يصحّ للنبي ﷺ أن يعتذر عمّا قال، بقوله ﷺ: وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنّما أنا بشر، مع أنّه ﷺ يقول في جواب عبد الله بن عمر (حيث نقل إليه اعتراض قريش عليه) «بأنّه يكتب كل شيء يسمعه من رسول الله، ورسول الله بشر يتكلّم في الغضب والرضا». مومياً باصبعه إلىٰ فيه: اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلاّ حق. [١]

٢ . عمرو بن العاص من صلحاء قريش

أخرج أحمد في مسنده عن ابن أبي مليكة، قال: قال طلحة بن عبيد: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: إنّ عمرو بن العاص من صالحي قريش. [٢]

ورواه الترمذي بالسند التالي: حدثنا إسحاق بن منصور، قال: أخبرنا أبو أُسامة عن نافع بن عمر الجمحي، عن ابن أبي مليكة، قال: قال طلحة بن عبيد الله...الخ.

وقال الترمذي: هذا حديث إنّما نعرفه من حديث نافع بن عمر الجمحي، ونافع ثقة وليس اسناده بمتصل،وابن أبي مليكة لم يدرك طلحة.

إذا كان هذا حال السند، فيعرف به حال المضمون ولكن يكفي لنا دراسة إجمالية لسيرة عمرو بن العاص ليتبين انّه هل كان من الصالحين؟ بل الرواية

---

١. سنن أبي داود: ٣/ ٣١٨ برقم ٣٦٤٦.

٢. مسند أحمد: ١/ ١٦١، ونقله الترمذي برقم ٣٨٤٥.

تخالف ما هو الثابت في التاريخ الصحيح.

وإليك هذه الوثيقة التاريخية:

لما علم معاوية انّ الأمر لم يتم لـه ان لم يبايعه عمـرو، فقال له: يـا عمرو؟ اتَّبعْني، قال: لماذا؟لـلآخرة؟ فوالله ما معـك آخرة، أم للدنيا؟ فـوالله لا كان حتى أكون شريكك فيها.

قال: فأنت شريكي فيها، قال: فاكتب لي مصر وكورها.

فكتب له مصر وكورها وكتب في آخر الكتاب وعلى عمرو السمع والطاعة.

قال عمرو : واكتب: انّ السمع و الطاعة لا ينقصان من شرطه شيئاً.

قال معاوية: لا ينظر الناس إلى هذا، قال عمرو: حتى تكتب.

قال: فكتب، والله ما يجد بُدّاً من كتابتها،... وعمرو يقول له، إنّما أُبايعك بها ديني.

وكتب عمرو إلىٰ معاوية:

معـاوي لا أُعطيـك ديني ولم أنـل ... بـه منك دنيا فـانظـرن كيف تصنع

ومـا الـديـن والـدُّنيـا سـواءٌ وإنّني ... لآخـذ مـا تُعطي ورأسي مقنَّـع[1]

ومن أراد أن يقف علىٰ شخصيته من حيث نسبه وإسلامه ودهائه، فعليه أن يطالع كلمات النبي ﷺ في حقّه وكلمات الإمـام أمير المؤمنين عليه السلام وسائر الصحابة والتابعين ليقف على أنّه هل كان من الصلحاء أو أنّه كان بؤرة الفتن والفساد؟

وقد قام العلاّمة المحقّق عبد الحسين الأميني بـدراسة وافية لسيرته في كتابه الغدير.[2]

---

١. العقد الفريد: ٥/ ٩٢، دار الكتب العلمية.

٢. الغدير:٢/ ١١٤ـ ١٧٦.

٨

حذيفة بن اليمان العبسي

(... ـ ٣٦هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١ . نفاة القدر مجوس هذه الأُمة ٢.وجوب إطاعة الجائر

٣. الاقتداء بالشيخين ٤ . غفران الله لمن أمر بحرق نفسه بالنار

٥. الدجال معه ماء ونار ٦. محمد بن مسلمة مصون عن الفتنة

هو حذيفة بن حسل بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن غطفان، أبو عبد الله العبسي، و اليمان لقب حسل بن جابر، وإنّما قيل له ذلك، لأنّه أصاب دماً في قومه فهرب إلى المدينة، وحالف بني عبد الاشهل من الأنصار، فسماه قومه اليمان لأنّه حالف الأنصار وهم من اليمن.

روى عنه: ابنه أبو عبيدة، وعمر بن الخطاب، وقيس بن أبي حازم، وأبو وائل، و زيد بن وهب وغيرهم، وهاجر إلى النبي ﷺ فخيّره بين الهجرة والنصرة، فاختار النصرة، وشهد مع النبي ﷺ أُحداً، وقتل أبوه بها [1]. قال الواقدي: آخىٰ رسول الله بين حذيفة وعمار.

---

١. اسد الغابة: ١/ ٣٩٠ـ٣٩١.

سُئل عليّ عن حذيفة، فقال: «عَلِمَ المنافقين، وسئل عن المعضلات، فإن تسألوه تجدوه بها عالماً» ولي حذيفة إمرة المدائن لعمر، فبقي عليها إلىٰ بعد مقتل عثمان، وتوفي بعد عثمان بأربعين ليلة. وكان النبي ﷺ قد أسرّ إلى حذيفة أسماء المنافقين، وضبط عنه الفتن الكائنة في الأُمة، وقد ناشده عمر، أ أنا من المنافقين؟ فقال: لا، ولا أُزكي أحداً بعدك.

قال ابن سيرين: بعث عمر حذيفة على المدائن، فَقُرِئ عهده عليهم، فقالوا: سل ما شئت، قال: طعام آكله ، وعلف حماري هذا ـ ما دمت فيكم ـ من تبن، فأقام فيهم ما شاء الله ثمّ كتب إليه عمر: أقدم.

فلما بلغ عمر قدومه، كمن له على الطريق، فلما رآه على الحالة التي خرج عليها، أتاه فالتزمه، وقال أنت أخي وأنا أخوك. [١]

وقد وقف حذيفة بن اليمان على المنافقين وأسمائهم عندما كان يسوق ناقة النبي ﷺ ويقودها عمار بن ياسر عند الرجوع من غزوة تبوك، فبينا هم يسيرون إذ التفت رسول الله ﷺ إلىٰ خلفه، فرأىٰ في ضوء ليلة مقمرة فرساناً متلثمين لحقوا به من وراء لينفّروا به ناقته، وهم يتخافتون، فغضب رسول الله ﷺ وصاح بهم، وأمر حذيفة أن يضرب وجوه رواحلهم، قائلاً: إضرب وجوه رواحلهم.

فارعبهم رسول الله ﷺ بصياحه بهم إرعاباً شديداً، وعرفوا بأنّ رسول الله ﷺ علم بمكرهم ومؤامرتهم، فاسرعوا تاركين العقبة حتىٰ خالطوا الناس.

يقول حذيفة: فعرفتهم برواحلهم، وذكرتهم لرسول الله ﷺ وقلت: يا رسول الله الا تبعث إليهم لتقتلهم؟ فأجابه رسول الله ﷺ في لحن ملؤه الحنان والعاطفة:

إنّ الله أمرني أن أعرض عنهم، وأكره أن يقول الناس: إنّه دعا أُناساً من

١. سير اعلام النبلاء: ٢/ ٣٦٣ـ٣٦٦.

قومه وأصحابه إلى دينه فاستجابوا له فقاتل بهم حتى ظهر علىٰ عدوه ثمّ أقبل عليهم فقتلهم، ولكن دعهم يا حذيفة فانّ الله لهم بالمرصاد. [١]

مات حذيفة بالمدائن سنة ٣٦ هـ وقد شاخ.

له في الصحيحين اثنا عشر حديثاً، وفي البخاري ثمانية، وفي مسلم ١٧ حديثاً، وقد جمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ١٤٠ حديثاً.

إنّ المترجَم صاحب السرّ وقد نقل عنه انّه قال: كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله الشر مخافة أن يدركني. [٢]

فلأجل ذلك نرىٰ في أحاديثه كثرة الإخبار عن الفتنة، فلنذكر شيئاً من روائع أحاديثه ثمّ ننقل بعض ما عزي إليه من الروايات السقيمة.

روائع أحاديثه:

١. أخرج مسلم في صحيحه، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة في حديث قتيبة، قال: قال نبيكم ﷺ: كل معروف صدقة. [٣]

٢. أخرج أحمد في مسنده، عن أبي عبيدة بن حذيفة، عن حذيفة، قال: سأل رجل علىٰ عهد النبي ﷺ فأمسك القوم، ثمّ إنّ رجلاً أعطاه فأعطى القوم، فقال النبي ﷺ: من سنّ خيراً فاستنّ به، كان له أجره ومن أُجور من اتبعه غير منتقص من أُجورهم شيئاً، و من سنّ شراً فاستنّ به، كان عليه وزره ومن أوزار من يتبعه غير منتقص من أوزارهم شيئاً. [٤]

---

١. المغازي للواقدي: ٣/ ١٠٤٢ـ ١٠٤٥؛ مجمع البيان: ٣/ ٤٦؛ بحار الأنوار: ٢١/ ٢٤٧.
٢. سير اعلام النبلاء: ٢/ ٣٦٥ نقلاً عن البخاري.
٣. صحيح مسلم: ٣/ ٨٢، باب انّ اسم الصدقة يقع علىٰ كلّ نوع من المعروف.
٤. مسند أحمد: ٥/ ٣٨٧.

٣. أخرج أحمد في مسنده، عن عابس، عن حذيفة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من شرط لأخيه شرطاً لا يريد أن يفي له به، فهو كا لمدلي جاره إلىٰ غير ذي منعة. [١]

٤. أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي وائل، عن حذيفة، انّه بلغه انّ رجلاً ينمّ الحديث، فقال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يدخل الجنة نمّام. [٢]

٥. أخرج أحمد في مسنده ،عن ربعي بن حراش، عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ : إنّ مما أدرك الناس من أمر النبوة الأُولىٰ: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت. [٣]

٦. أخرج ابن ماجة في سننه، عن ابن سيرين، عن حذيفة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تعلّموا العلم لتباهوا به العلماء، أو لتماروا به السّفهاء، أو لتصرفوا وجوه الناس إليكم، فمن فعل ذلك فهو في النار. [٤]

ولعلّ كونه في النار لأجل ما يترتب على تلك الأعمال من أُمور محرمة غير محمودة العواقب.

٧. أخرج أحمد في مسنده، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة، عن النبي ﷺ، قال:

إنها ستكون أُمراء يكذبون ويظلمون، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم علىٰ ظلمهم، فليس منّا ولست منهم، ولا يرد عليّ الحوض؛ ومن لم يصدّقهم بكذبهم، ولم يعنهم علىٰ ظلمهم فهو منّي وأنا منه، وسيرد عليَّ الحوض. [٥]

---

١. مسند أحمد: ٥/ ٤٠٤.

٢. صحيح مسلم: ١/ ٧٠، باب بيان غلظ تحريم النميمة.

٣. مسند أحمد: ٥/ ٣٨٣.

٤. سنن ابن ماجة: ١/ ٩٦ برقم ٢٥٩.

٥. مسند أحمد: ٥/ ٣٨٤.

٨. أخرج أحمد عن أبي وائل، عن حذيفة، انّ رسول الله ﷺ قال:

ليردنّ عليَّ الحوض أقوام ليختلجون دوني فأقول ربّ أصحابي، ربّ أصحابي، فيقال لي: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك. [١]

ويؤيده قوله سبحانه: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (التوبة/ ١٠١).

ورواه مسلم بلفظ قريب منه، عن شقيق، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: أنا فرطكم على الحوض، ولأنازعنَّ أقواماً ثمّ لأغلبنَّ عليهم، فأقول: يا ربّ، أصحابي، أصحابي، فيقال: أنت لا تدري ما أحدثوا بعدك». [٢]

٩. أخرج الترمذي في سننه، عن زر بن حبيش، عن حذيفة، في حديث... أتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب، فصلّى حتى صلى العشاء ثمّ انفتل، فتبعته فسمع صوتي، فقال: من هذا، حذيفة؟ قلت: نعم؛ قال: ما حاجتك غفر الله لك ولأُمّك، قال: إنّ هذا ملك لم ينزل الأرض قط، قبل هذه الليلة، استأذن ربّه أن يسلم عليَّ ويبشرني بأنّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة وانّ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة. [٣]

١٠. أخرج مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن عكيم، قال: كنّا مع حذيفة بالمدائن فاستسقىٰ حذيفة، فجاءه دهقان بشراب في إناء من فضّة فرماه به، وقال: إنّي اخبركم انّي قد أمرته أن لا يسقيني فيه، فانّ رسول الله ﷺ قال: لا تشربوا في إناء الذّهب والفضة، ولا تلبسوا الدّيباج والحرير، فانّه لهم في الدنيا وهو لكم في

---

١. مسند أحمد: ٥/ ٣٨٨.

٢. صحيح مسلم: ٧/ ٦٨، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

٣. سنن الترمذي: ٥/ ٦٦٠ـ ٦٦١ برقم ٣٧٨١ وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده: ٥/ ٣٩٢.

الآخرة يوم القيامة. (١)

هذه بعض روائع أحاديثه، وثمة مرويات عزيت إليه ربّما لا توافق الموازين وإليك نقل بعضها:

١. نفاة القدر مجوس هذه الأُمّة

أخرج أبو داود في سننه، عن رجل من الأنصار، عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: لكلّ أُمّة مجوس، ومجوس هذه الأُمّة الذين يقولون لا قدر، من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوهم، وهم شيعة الدجال، وحقّ على الله أن يلحقهم بالدجال. (٢)

لا شكّ انّ القضاء والقدر من العقائد الإسلامية التي لا يخفى على إنسان له أدنى إلمام بالقرآن والسنة قال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنّا كُنّا مُنْذِرِين* فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيم﴾ (الدخان/ ٣ـ٤).

والليلة المباركة هي ليلة القدر ، قال سبحانه: ﴿إِنّا أَنْزَلْناهُ في لَيْلَةِ القَدْر﴾ وقد ورد في غير واحدة من الآيات انّ كل ما يصيب الإنسان فقد قُدِّر من قبل أن يصيبه، قال سبحانه: ﴿ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاّ فِي كتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلى اللهِ يَسِير﴾ (الحديد/ ٢٢).

فمصير الإنسان تابع لأمرين، أحدهما: ما يصيبه من دون أن يكون له فيها دور أو إختيار، كالأُمور الخارجة عن اختياره من موته ومرضه إلى غير ذلك.

وثانيهما: الأفعال التي تعد ملاكاً للثواب والعقاب والتحسين والتقبيح. فليس معنى التقدير هو سلب المسؤولية والاختيار عنه، بل تقديره سبحانه، هو

١. صحيح مسلم: ٦/ ١٣٦، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة من كتاب اللباس والزينة.
٢. سنن أبي داود: ٤/ ٢٢٢ برقم ٤٦٩١.

انّه خلق الإنسان فاعلاً مختاراً وقدَّر أن يكون هو مصدراً للأعمال عن اختيار.

أقول: إنّ القدر بالمعنى الذي جاء في هذه الرواية وغيرها من الأفكار التي طرحت بعد رحيل النبي ﷺ وفرّق المسلمين إلىٰ فرقتين.

إحداهما: فرقة تفسّر الكون وما يصدر من الإنسان بتقديره سبحانه، و انّه لا مؤثر ولا فاعل ولا سبب إلاّ الله سبحانه، و انّه ليس ثمة دور للفواعل الطبيعية كالنار والماء ولا لغيرهما من الفواعل العالمة والمريدة.

فالقدر بهذا المعنى هو الجبر المطلق، وقد بثتها اليهود في الأوساط الإسلامية، ولأجل ذلك ذهبوا إلى أنّ يد الله سبحانه مغلولة بعد التقدير لا يمكن له أن يبدل القدر ، قال سبحانه: **﴿وَقالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِما قالُوا﴾** (المائدة/ ٦٤).

وقد اغترّ السُّذّج من المسلمين بهذه الإسرائيليات، وحيكت العديد من الروايات لدعم فكرة القدر، وإعطائها حجماً أكبر ممّا تستحق، وانّها نافذة تطل على الكون والحياة الإنسانية وما يصدر من الخير والشرّ، ومنها هذه الرواية.

ثانيهما: إثبات الاختيار للإنسان وجعل المسؤولية علىٰ عاتقه في المجال الذي يناط به الإيمان والكفر، والثواب والعقاب، والحسن والقبح، على وجه يجتمع مع القول بقضائه سبحانه وقدره بالبيان التالي:

إنّ تقديره سبحانه يشمل جميع العلل والفواعل، والجماد و الحيوان والإنسان، ولكن تختلف كيفية التقدير حسب اختلاف ذوات الفواعل، فالتقدير في الفاعل الطبيعي هو أن يصدر منه الفعل جبراً بلا اختيار، ومثله ما يصدر من الحيوان، فانّه وإن كان فاعلاً شاعراً، ولكنّه فاعل غير مختار، فالتقدير فيه صدور الفعل عن شعور بلا اختيار.

ويقابلها الإنسان فهو فاعل شاعر مختار، فتقديره سبحانه هو أن يكون مبدءاً لفعله عن شعور واختيار، مختاراً في فعله وتركه، غير مجبور على واحد من الطرفين، فاللازم الاحتفاظ بأصلين:

الأوّل: شمولية التقدير لكلّ فاعل طبيعي وغير طبيعي، حتى لا يخرج شيء في عام الوجود عن مجال تقديره وقضائه.

الثاني: التحفظ على كون الإنسان فاعلاً مختاراً يصدق في حقّه قوله سبحانه: ﴿فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُر ﴾ (الكهف/ ٢٩).

فأصحاب التقدير الذين يحتلّ عندهم القدر مقاماً شامخاً، يأخذون بالأصل الأوّل ويذرون الأصل الثاني، ولكن الإنسان الواعي يأخذ بكلا الأصلين ولا يُبطل أحدهما بالآخر.

فمن أمعن في الروايات المروية حول القضاء والقدر يستنبط انّها تروّج فكرة جبرية يهودية، بزعم انّ التقدير يخرج الأمر عن اختياره سبحانه، واختيار فاعله فردّ عليها سبحانه بقوله: ﴿وقالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِما قالُوا﴾ (المائدة/ ٤٦) وغيره مما ورد في تقرير كون الإنسان فاعلاً مختاراً.

٢. وجوب إطاعة الجائر

أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سلام، قال: قال حذيفة بن اليمان، قلت: يا رسول الله إنّا كنّا بشرّ فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: نعم.

قلت: كيف؟ قال: يكون بعدي أئمّة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم، قلوب الشياطين في جثمان انس، قال: قلت: كيف

اصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع. [١]

والحديث محمول على ما إذا كان في النهوض ضدهم والتمردعليهم مفسدة كبرى، وإلاّ فالسكوت امام الظالم وإطاعة أمره تقوية شوكته ودعم لمبدأ الظلم.

وهذا يخالف القرآن الكريم: ﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَاتَّبع هَواهُ وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ (الكهف/ ٢٨).

وقال سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثماً أَوْ كَفُوراً﴾ (الإنسان/ ٢٤).

كما يخالف ما روي عن النبي ﷺ عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام.

روى الطبري، عن الحسين بن علي عليهما السلام، انّه خطب أصحابه وأصحاب الحر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس انّ رسول الله ﷺ قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم و العدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله. [٢]

وهذه النصوص الرائعة المؤيدة بالكتاب والسنّة وسيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين الذين قاموا في وجه الطغاة من بني أُميّة وبني العباس، تشهد بأنّ ما نسب إلى الصحابة والتابعين من الاستسلام والسكوت أمام ظلم الظالمين ما هي إلاّ مفتعلات وضعها علماء البلاط الحاكم ومرتزقتهم بغية تحقيق مآربهم.

---

١. صحيح مسلم: ٦/ ٢٠، باب الأمر بلزوم الجماعة.

٢. تاريخ الطبري: ٤/ ٣٠٤ حوادث عام ٦١هـ وقد مرّ النص أيضاً فلاحظ.

٣. لزوم الاقتداء بالشيخين

أخرج الترمذي، عن ربعي، عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: اقتدوا باللّذين من بعدي أبي بكر و عمر.

وأخرج عنه أيضاً، قال: كنّا جلوساً عند النبي ﷺ فقال: إنّي لا أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللّذين من بعدي. وأشار إلىٰ أبي بكر وعمر.[١]

وثمة تساؤلات وتأملات في هذه الرواية:

أوّلاً: انّ الرواية معارضة بنفس ما روي عن حذيفة في ذلك المجال، فقد أخرج الترمذي في سننه عن زاذان، عن حذيفة، قال: قالوا: يا رسول الله لو استخلفت، قال: إن أستخلف عليكم فعصيتموه عُذّبتم، ولكن ما حدّثكم حذيفة فصدّقوه و ما أقراكم عبد الله فأقرؤه.

قال الترمذي: هذا حديث حسن[٢].

ثانياً: لو كان النبي أمر بالاقتداء به في حال يتنبأ عن عدم بقائه كان على الشيخين والمهاجرين في السقيفة الاستدلال بالرواية مع أنّهما لم يحتجّا بها ولا غيرهما أيضاً، بل كان الجهد منصباً على أنّ المهاجرين من عشيرة النبي ﷺ وعشيرته أولىٰ بالخلافة من غيرهم.

ثالثاً: انّ الحديث الثاني أيضاً مكذوب علىٰ لسان رسول الله ،فانّه استخلف غير مرّة استخلافاً عاماً، فتجد استخلافه في الموارد التالية:

---

١. سنن الترمذي: ٥/ ٦٠٩ـ ٦١٠ برقم ٣٦٦٢؛ وأخرجه أيضاً ابن ماجة باللفظ الأخير: ١/ ٣٧ برقم ٩٧.

٢. سنن الترمذي: ٥/ ٦٧٥ برقم ٣٨١٢.

أ. حديث بدء الدعوة

أخرج الطبري وغيره بسنده، عن علي بن أبي طالب، انّه لمّا نزلت هذه الآية علىٰ رسول الله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعا أربعين رجلاً فيهم أعمامه وعشيرته فتكلم بالكلام التالي، وقال:

يا بني عبد المطلب، إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني علىٰ هذا الأمر علىٰ أن يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم، قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: ... أنا يا نبي الله، أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثمّ قال: إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. [1]

ب. حديث المنزلة

روى أهل السير والتاريخ انّ رسول الله ﷺ خلف علي بن أبي طالب عليه السلام علىٰ أهله في المدينة عند توجهه إلىٰ تبوك، فأرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلفه إلاّ استثقالاً له، فلما قال ذلك المنافقون، أخذ علي بن أبي طالب عليه السلام سلاحه، ثمّ خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف، فقال: ما نشره المنافقون، فأجاب النبي ﷺ: أفلا ترضى يا عليّ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ انّه لا نبي بعدي. [2]

---

١. تاريخ الطبري: ٢/ ٦٣ـ٦٤ وغيره من المصادر المتوفرة.

٢. صحيح البخاري: ٦/ ٣، غزوة تبوك؛ وصحيح مسلم: ٧/ ١٢٠، في فضائل علي؛ السيرة النبوية: ٢/ ٥١٩؛ إلى غير ذلك.

ودلالة الحديث علىٰ أنّ النبي ﷺ أفاض علىٰ علي عليه السلام بإذن من الله سبحانه الخلافة، واضحة لأنّ كلمة «منزلة» اسم جنس أُضيف إلى هارون، وهو يقتضي العموم، فيدل علىٰ أنّ كلّ مقام و منصب كان ثابتاً لهارون فهو ثابت لعلي عليه السلام، إلاّ ما استثناه، وهو النبوّة، وقد كان هارون خليفة لموسى بالضرورة.

ج. حديث الغدير

وهوحديث معروف متواتر، وحاصله انّ النبي عندما وصل إلى غدير خم من الجحفة عند منصرفه من حجّة الوداع، أمر بردّ من تقدّم من الحجاج، وحبس من تأخر عنهم، حتى إذا أخذ القوم منازلهم، قام خطيباً وسط القوم علىٰ أقتاب الإبل فقال: ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً عبده و رسوله، وانّ جنّته حقّ، وناره حقّ، وانّ الموت حقّ، وانّ الساعة آتية لا ريب فيها، وانّ الله يبعث من في القبور؟

قالوا: بلىٰ نشهد بذلك.

قال: اللّهمّ اشهد، ثمّ قال : أيّها الناس، ألا تسمعون؟

قالوا: نعم.

قال: فانّي فرط على الحوض، فانظروني كيف تخلفوني في الثقلين.

فنادىٰ مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: الثقل الأكبر، كتاب الله، والآخر الأصغر عترتي، إنّ اللطيف الخبير نبأني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا.

ثمّ أخذ بيد عليّ فرفعها، حتى رُؤي بياض آباطهما، وعرفه القوم أجمعون،

فقال: أيّها الناس من أولى الناس با لمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولىٰ بهم من أنفسهم، من كنت مولاه، فعليّ مولاه ـ يقولها ثلاث مرّات ـ ثمّ قال: اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، الاّ فليبلغ الشاهد الغائب.

ثمّ لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله:

﴿الْيَوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (المائدة/ ٣)، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر علىٰ إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي والولاية لعلي من بعدي. (١)

٤ . غفران الله لمن أمر بإحراق بدنه بعد الموت

أخرج البخاري، عن ربعي بن حراش، قال: قال عقبة لحذيفة: ألا تحدثنا ما سمعت من النبيﷺ، قال: سمعته يقول: إنّ رجلاً حضره الموت لما آيس من الحياة أوصىٰ أهله إذا متّ، فأجمعوا لي حطباً كثيراً، ثمّ أوْرُوا فيه ناراً حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلىٰ عظمي، فخذوها فاطحنوها، فذروني في اليمّ،في يوم حارٍ أو راح، فجمعه الله.

فقال له: لِـمَ فعلت؟ قال: خَشْيَتَك، فغفر له. (٢)

---

١. الغدير: ١/ ٣٤ـ ٤٢ قد بسط الكلام في مصادر الحديث ورواته قرناً بعد قرن.

٢. صحيح البخاري: ٤/ ١٧٦، حديث الغار؛وأخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة:٨/ ٩٨، باب في سعة رحمة الله تعالى.

أقول: رواها أبو هريرة بلفظ آخر عن النبي ﷺ قال: كان رجلٌ يسرف على نفسه فلما حضره الموت، قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثمّ أطحنوني، ثمّ ذروني في الريح، فوالله لئن قدر عليّ ربّي ليعذبني عذاباً ما عذّب أحداً، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض، فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت فإذا هو قائم.

فقال: ما حملك علىٰ ما صنعت، قال: يا ربّ خشيتك، فغفر له، وقال غيره: مخالفتك يا ربّ. (١)

وقد رواه البخاري أيضاً عن أبي سعيد الخدريّ.

وعلىٰ أيّة حال، فالرواية تنتهي تارة إلىٰ حذيفة بن اليمان، وأُخرى إلى أبي هريرة، وثالثة إلىٰ أبي سعيد الخدري.

وفي الرواية تساؤلات

أولاً: الظاهر انّ الموصي أوصىٰ بما أوصىٰ لئلا يُحشر ويعذب، وزعم انّه سبحانه لا يقدر على حشره إذا أحرق بدنه وذُرّ رماد بدنه في الريح، كما هو ظاهر قوله على ما نقل أبو هريرة «والله لئن قدر عليَّ ربّي ليعذبني عذاباً ما عذّب أحداً» وهذا اعتقاد بعجزه سبحانه من حشره، إذا حرق و ذُرّ.

وهذا النوع من العقيدة جهل بقدرته سبحانه ﴿وَما قَدَرُوا الله حقّ قَدْرِهِ﴾ (الأنعام/ ٩١) وهو موجب للعقاب لا للغفران، ولما وقف ابن حجر على ذلك اعتذر بأنّ الرجل قال ذلك في حالة دهشته وغلبة الخوف عليه، حتىٰ ذهب بعقله لما يقول، ولم يقله قاصداً لحقيقة معناه، بل في حالة كان فيها كالغافل والذاهل والناسي الذي لا يؤاخذ بما يصدر منه. (٢)

---

١. صحيح البخاري: ٤/ ١٧٦، حديث الغار.

٢. فتح الباري: ٦/ ٥٢٣ شرح حديث ٣٤٨١.

وأنت خبير بأنّ تلك الوصية بالنحو الوارد في الرواية كاشفة عن أنّه أوصىٰ بذلك وهو في سلامة عقله، فكيف يحمل على أنّه أوصىٰ ذاهلاً وناسياً ؟

وانّه سبحانه وتعالىٰ أعرف بالإنسان من نفسه، فلماذا يأمر الأرض بجمع رماده ثمّ يحييه ويسأله: لِمَ فعلت ذلك ؟

ثانياً: انّ ظاهر الآيات انّ الإنسان إذا مات فلا يرجع إلى الدنيا إلاّ لغايات خاصة، كإحياء الموتىٰ لغاية إثبات النبوة، أو إحياء أصحاب الكهف لغاية إثبات إمكان المعاد.

قال سبحانه: ﴿**وَكَذٰلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السّاعَةَ لا رَيْبَ فِيها**﴾ (الكهف/ ٢١) إلى غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ إحياء الموتى كإحياء عزير[1] لتلك الغاية أيضاً. وأمّا إذا لم تكن ثمة غاية كإتمام الحجّة فلا يرجع إلى الدنيا، ويترك حسابه إلى الآخرة، قال سبحانه: ﴿**حَتّىٰ إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوت قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلاّ إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلىٰ يَوم يُبْعَثُونَ**﴾ (المؤمنون/ ٩٩ـ١٠٠).

فنخلص إلى القول: بأنّ الرواية تخالف الذكر الحكيم، مضافاً إلى أنّها أشبه بالاسرائيليات التي روّج لها مستسلمة أهل الكتاب، ثمّ نشرها السُّذّج في أوساط المسلمين دون وعي.

٥. الدجال معه ماء ونار

أخرج البخاري، عن عقبة بن عمر، عن حذيفة، انّه سأله وقال: ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ قال: إنّي سمعته يقول: إنّ مع الدجال إذا خرج ماءً وناراً، فأمّا الذي يرى الناس انّها النار فماء بارد، وأمّا الذي يرى الناس انّه ماء بارد،

١. البقرة: ٢٥٩.

فنار تحرق، فمن أدرك منكم فليقع في الذي يرى انهّا نار، فانّها عذب بارد. (١)

أقول: إنّ الرواية مهما صحّ سندها فهي من الإسرائيليات، التي لا يقام لها وزن، حتىٰ انّ البخاري ذكرها في باب تحت عنوان ما ذكر عن بني إسرائيل. (٢)

وان ذكرها في كتاب الفتن من الجزء التاسع بصورة موجزة. (٣)

وذلك أوّلاً: انّ تزويد الدجال بهذه المعاجز يؤدي إلى إضلال الناس، والغاية من خلقة الإنسان هي الهداية لا الضلالة، وسيوافيك توضيحه عند دراستنا لأحاديث المغيرة بن شعبة.

وثانياً: انّ اختلاف المرئي في نظر الرائي رهن كون الدجال ساحراً، ويُخيِّل الشيء بصورة عكسه، وهذا أيضاً من أسباب الضلال، فلماذا سلطه سبحانه على العباد.

وأمّا تفسير ابن حجر وقوله: يجعل الله باطن الجنّة التي يسخرها الدجال ناراً وباطن النار جنّة. (٤)

فهو تفسير بعيد لا يحمل عليه كلام أصحاب البلاغة، فالحقّ أنّ أكثر ما ورد حول الدجال إسرائيليات، لا يذعن بها العقل الحصيف، ولا يُظن لعاقل أن يصدقه، وإن كان أصل ظهور الدجال في آخر الزمان أمراً مسلّماً بين المسلمين.

---

١. صحيح البخاري: ٤/ ١٦٩، باب ما ذكر عن بني إسرائيل و٩/ ٦٠ باب ذكر الدجال؛ وأخرجه مسلم أيضاً في صحيحه: ٨/ ١٩٥، باب ذكر الدجال وصفته ومامعه.

٢. صحيح البخاري: ٤/ ١٦٩.

٣. صحيح البخاري: ٩/ ٦٠ ، باب ذكر الدجال من كتاب الفتن.

٤. فتح الباري: ١٣/ ٩٩.

٦. محمد بن مسلمة مصون عن الفتنة

أخرج أبـو داود ،عن محمد، قال: قـال حذيفة: مـا أحد من الناس تـدركه الفتنة إلاّ أنا اخافها عليه إلاّ محمد بن مسلمة، فانّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تضرك الفتنة [١].

أقول: إنّ التاريخ الصحيح لا يصدق الروايـة، فإنّ محمد بن مسلمة تخلّف عن بيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد أن تدافع إليها المسلمـون و في طليعتهم بقايا المهـاجريـن وجموع الأنصار ، وقعـد عن نصرة الإمـام في معـارك الجمل و صفين والنهـروان وبقي في المدينـة، فالـرجل سقط في الفتنـة، ﴿أَلَا فِي الفِتْنَـةِ سَقَطُوا﴾ (التوبة/ ٤٩).

وأغلب الظن انّ الـرواية حيكـت لأجل إراءة انّ قيام الإمـام علي عليه السلام ضد الناكثين والقاسطين والمارقين كان فتنة، وقد دخل في هـذه الفتنة وجوه المهاجرين والأنصار، لأنّهم لم يكونـوا مصونين عنها، ولم يدخلها محمـد بن مسلمة وجلس في بيته لأنّه كان مصوناً عنها بنص النبي ﷺ .

ولعمـر الحق، لو كـان النبي ﷺ بصـدد انقاذ محمـد بن مسلمـة وغيره من أصحابـه، كان عليـه أن يحدد الفتنة مـوضوعـاً ومحمولاً، والآثـار الوخيمـة المترتبة عليها، حتى يتبيّن الحق لطلابه، ولا يقع فيها جمهور المهاجرين والأنصار عن عمد أو غفلة، والظاهر انّ هـذه الرواية نظير ما رواه أبو موسى الأشعـري عندما اعتذر عن المشاركة في الأحداث الواقعـة بعد مقتل عثمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين أيديكـم فتن كقطع الليل المظلـم، يصبح الرجـل فيها مـؤمناً ويمسي كـافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كـافراً ، القاعد فيها خير من القـائم، والقائم فيها خير من

---

١. سنن أبي داود: ٤/ ٢١٦ برقم ٤٦٦٣.

الماشي، والماشي فيها خير من الساعي».

قالوا: فما تأمرنا، قال:« كونوا أحلاس بيوتكم». [١]

ومعنى ذلك انّ ما خاض فيه عليّ عليه السلام من الحروب الطاحنة ضد الناكثين والقاسطين والمارقين، كان فتنة، واللازم هو اجتنابها وهل يمكن لمسلم واع أن ينسب علياً إلى إثارة الفتنة مع انّ علياً بنص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع الحق، والحقّ معه حيث ما دار؟! [٢]

---

١. سنن أبي داود: ٤/ ١٠١ برقم ٤٣٦٢؛ مسند أحمد: ٤/ ٤٠٨.

٢. تاريخ بغداد: ١٤/ ٣٢١؛ تفسير الرازي: ١/ ١١١ في تفسير البسملة وغيرها.

٩

عقبة بن عمرو

«أبو مسعود الأنصاري»

(... ـ ٤٠هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. جواز الإصغاء لغناء الجواري في العرس

٢. تعريف ٣٦ رجلاً من المنافقين

٣. حب الأصحاب وبغضهم

هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أُسيرة بن عُسيرة الأنصاري، شهد ليلة العقبة وهو صغير، ولم يشهد بدراً، وشهد أُحداً، ونزل الكوفة، فلما خرج علي عليه السلام إلىٰ صفين استخلفه على الكوفة ثمّ عزله عنها، فرجع أبو مسعود إلى المدينة فمات بها في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان، وقد انقرض عقبه فلم يبق منهم أحد. [1]

وهو من المقلّين في الرواية، بلغت جميع رواياته في المسند الجامع إلىٰ ٣٦ رواية.

---

١. سير أعلام النبلاء:٢/ ٤٩٣ برقم ١٠٣؛ وقيل في نسبه غير ذلك لاحظ طبقات ابن سعد: ٦/ ١٦.

حدث عنـه: ولده بشير، وأوس بن ضمعج، وعلقمة، وأبـو وائل، وقيس بن أبي حازم، وربعي بن حراش، إلىٰ غير ذلك.

ومن روائع رواياته:

١. أخرج مسلم في صحيحه، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، قال: قال أبو مسعود البدريّ: كنت أضرب غلاماً لي بالسّوط، فسمعت صوتاً من خلفي: إعلم أبا مسعود، فلـم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلمّا دنا منّـي إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: اعلـم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود، قـال: فألقيت السّوط من يدي، فقال: اعلم أبا مسعود انّ الله أقدر عليك منك علىٰ هذا الغلام.

قال: فقلت: لا أضرب مملوكاً بعده أبداً. [١]

٢. أخـرج أحمد في مسنـده، عـن أبي عمـرو الشيبـاني، عن أبي مسعـود الأنصاري، قال:

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إنّي أُبـدع بي [٢] فاحملني، فقـال: ما عندي، فقال رجل: يا رسول الله أنا أدُلّه علىٰ من يحمله.

فقال رسول الله ﷺ: من دلَّ علىٰ خير فله مثل أجر فاعله. [٣]

وإليك بعض ما عزي إليه ممّا لا يصح.

١. جواز الإصغاء لغناء الجواري في العرس

أخرج النسائي، عن عامر بن سعد، قال: دخلت علىٰ قرظة بن كعب، وأبي

---

١. صحيح مسلـم:٥/ ٩١، باب صحبـة المماليك وكفـارة من لطم عبـده.ووصفه بـالبدريّ في سنـد الحديث محمول على المجاز لما عرفت أنّه لم يشهد بدراً.

٢. ابدع به: أهمله وخَذَلَه.

٢. مسند أحمد: ٥/ ٢٧٢.

مسعود الأنصاري في عرس، وإذا جوارٍ يغنين، فقلت: أنتما صاحبا رسول الله ﷺ، ومن أهل بدر، يُفعل هذا عندكم؟! فقال: اجلس إن شئت فاسمع معنا، وإن شئت فاذهب، قد رُخّص لنا في اللهو عند العرس.[١]

والظاهر انّ المرخص بزعمهما هو رسول الله، فعلىٰ ذلك رخّص رسول الله ﷺ غناء الجواري في العرس للرجال، وهذا ما لا يصدقه الكتاب العزيز والسنّة النبوية.

أمّا الكتاب فهو يأمر نساء النبي ﷺ بقوله: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ (النور/ ٣١).

وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ (الأحزاب/ ٣٢).

فإذا كان هذا أدب الإسلام، فكيف يرخّص النبي ﷺ للنساء أن يغنّين لغيرهن؟! أو يُرخِّص للرجال ما يثير الشهوة ويُميت القلب، ويحيي الغرائز الجامحة؟!

وأمّا السنة، فالرسول يفسّر الغناء: بأنّه من قبيل نفخ الشيطان في منخري المغنية.[٢]

ومع ذلك فكيف يسوغ لأُمّته أن تستمع إلىٰ نفخ الشيطان؟!

على أنّ تجويز اللهو في العرس، يخالف ما رواه عقبة بن عامر، من انحصار جواز اللهو في ثلاثة، حيث روى عبد الله بن زيد الأزرق، عن عقبة بن عامر الجهني، عن النبي ﷺ قال: ... كلّ ما يلهو به الرجل المسلم باطل، إلاّ رميه بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، فإنّهنّ من الحقّ.[٣]

---

١. النسائي: السنن:٦/ ١٣٥، باب اللهو والغناء عند العرس.

٢. مسند أحمد:٣/ ٤٤٩.

٣. سنن ابن ماجة: ٢/ ٩٤٠ برقم ٢٨١١؛ سنن الترمذي: ٤/ ١٧٤ برقم ١٦٣٧.

٢. تعريف ٣٦ رجلاً من المنافقين

أخرج أحمد في مسنده، عن عياض، عن أبي مسعود، قال:

خطبنا رسول الله ﷺ خطبة، فحمد الله و أثنىٰ عليه، ثمّ قال: إنّ فيكم منافقين، فمن سمَّيتُ فليقم، ثمّ قال: قم يا فلان، قم يا فلان، قم يا فلان، قم يا فلان، حتى سمّى ستة وثلاثين رجلاً، ثمّ قال: إن فيكم أو منكم، فاتقوا الله.

قال: فمرّ عمر علىٰ رجل ممّن سُمّي، مقنَّع، قد كان يعرفه، قال: مالك؟

قال: فحدَّثه بما قال رسول الله ﷺ، فقال: بُعْداً لك سائر اليوم. [1]

نعلق على الحديث بالقول:

أوّلاً: انّ الظاهر من قوله سبحانه: **﴿ومن أهل المدينةِ مَرَدُوا على النِّفاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلىٰ عَذابٍ عَظِيمٍ﴾** (التوبة/ ١٠١).

إنّ النبي لم يكن يعرف المنافقين المندسّين بين أصحابه، وإنّما أخبره بهم الله سبحانه، ويظهر من قوله سبحانه: **﴿ولو نَشاء لأَرَيْناكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ في لَحْنِ القَوْلِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعمالَكُمْ﴾** (محمد/ ٣٠). انّه ﷺ إنّما كان يعرفهم في لحن القول.

نعم عرف لفيفاً منهم عندما حاولوا اغتياله عند رجوعه من تبوك، فعرّفهم لحذيفة بن اليمان [2] وعلى هذا فكيف وقف النبي على أنّ هؤلاء منافقون، إلاّ أن يعرفهم من لحن القول فيعرّفهم.

---

١. مسند أحمد: ٥/ ٢٧٣.

٢. مسند أحمد: ٥/ ٤٥٣.

ثانياً: انّ رسول الله ﷺ كان يتمتع بأخلاق عالية، حتى وصفه الله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ كما وصفه بكونه رحمة للعالمين، أفيسوغ لمن يتمتع بالرأفة أن يعرّف ٣٦ رجلاً ممّن حوله بالنفاق ويقول: «إن فيكم أو منكم فاتقوا الله»؟ مضافاً إلى أنّه مخالف للسياسة الحكيمة، ولذلك لم يعرّف المحاولين لاغتياله عند رجوعه من «تبوك» إلاّ لشخص أو شخصين من أصحابه: حذيفة ابن اليمان و عمّار.

٣. حب الأصحاب وبغضهم

أخرج الترمذي، عن عبد الرحمان بن زياد، عن عبد الله بن مغفل، قال: قال رسول الله ﷺ: الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي، لا تتّخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبّهم فبحبي أحبّهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، و من آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله، و من آذى الله فيوشك أن يأخذه.[1]

إنّ هنا سؤالين:

الأوّل: انّ ظاهر مفاد الخطاب في قوله: «لا تتخذوهم غرضاً»، هو انّ الرسول خاطب رجالاً ليسوا من أصحابه فوصّى بأصحابه أن يحسن إليهم، مع أنّ الواقع لم يكن كذلك، بل هو كان يتكلّم بين أصحابه، ولا يوجد فيهم أحد سواهم، وكان الجميع بمرأى ومسمع منه ﷺ وعندئذٍ كيف يوصي أصحابه بالمخاطبين الذين هم أصحابه، وبالتالي يوصي أصحابه بأصحابه؟!

وواضع الحديث قد غفل عن هذه النكتة، لأنّه كان في زمان متأخر عن زمان الصحابة.

الثاني: انّ الرواية تخلق للصحابة هالة من القداسة، وتمنح لهم وصف

---

١. سنن الترمذي: ٥/ ٦٩٦ برقم ٣٨٦٢، باب ٥٩.

العدالة، بل العصمة، على وجه لا يجوز تجريح واحد منهم، فكأنّهم فوق مستوىٰ عامة الناس لا يتسرب الشك إلىٰ طهارتهم ونزاهتهم من كلّ عيب وشين.

مع أنّ صحيح الروايات يحكم على قسم كبير منهم بالردة والرجوع علىٰ أعقابهم القهقرىٰ، ونكتفي في ذلك بما جمعه ابن الأثير في كتابه في هذا المضمار، فقد نقل شيئاً كثيراً، منها:

١. روى عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: أنا فرطكم على الحوض، وليُرفعنَّ إليَّ رجال منكم، حتى إذا أهويت إليهم لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي ربّ، أصحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك. أخرجه البخاري ومسلم.

٢. روى أنس بن مالك: انّ رسول الله ﷺ قال: ليردنَّ عليَّ الحوض رجال ممّن صاحبني، حتى إذا رأيتهم، ورفعوا إليَّ اختلجوا دوني، فلأقولنَّ: أي ربّ، أصحابي أصحابي، فليُقالنّ لي: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

وفي رواية: ليردنّ عليّ الناس من أُمتي ــ الحديث ــ و في آخره، فأقول: «سحقاً لمن بدّل بعدي» أخرجه البخاري و مسلم.

٣. روىٰ أبو حازم، عن سهل بن سعد، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: أنا فرطكم علىٰ الحوض من ورد شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، وليردنّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثمّ يُحال بيني وبينهم، قال أبو حازم: فسمع النعمان بن أبي عياش، وأنا أُحدِّثهم هذا الحديث، فقال: هكذا سمعتَ سهلاً يقول؟ فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد علىٰ أبي سعيد الخدري: لسمعته يزيد، فيقول: إنّهم منّي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي. أخرجه البخاري و مسلم.

وللبخاري: أنّ رسول الله ﷺ، قال: بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة، حتى

إذا عرفتهم خرج رجل من بيني و بينهم، فقال: هلمّ. فقلت: أين؟ فقال: إلى النار و الله.

فقلت: ما شأنهم؟ قال: إنّهم قد ارتدوا على أدبارهم القهقرى. ثمّ إذا زمرة أُخرى، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني و بينهم، فقال لهم: هلمّ، قلت: إلىٰ أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم قال: إنّهم قد ارتدوا على أدبارهم. فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل هِمْل النعم.

ولمسلم: انّ رسول الله ﷺ قال: ترد عليّ أُمّتي الحَوض و أنا أذود الناس عنه، كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله. قالوا: يا نبيّ الله تعرفنا؟ قال: نعم. لكم سيما ليست لأحد غيركم. تردون عليَّ غرّاً محجّلين من آثار الوضوء، وليصدَّن عنّي طائفة منكم فلا يصلون.

فأقول: يا رب، هؤلاء من أصحابي، فيجيبني ملك، فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟!

٥. روت عائشة، قالت: سمعت رسول الله، يقول ــ و هو بين ظهراني أصحابه ـ: «إنّي على الحوض أنتظر من يرد عليَّ منكم. فوالله ليُقطعنّ دوني رجال، فلأقولنَّ: أي ربِّ، منّي ومن أُمتي! فيقول: إنّك لا تدري ماعملوا بعدك. مازالوا يرجعون علىٰ أعقابهم . أخرجه مسلم.

٦. روت أسماء بنت أبي بكر، قالت: قال رسول الله ﷺ: إنّي على الحوض، أنظر من يرد عليَّ و سيُؤخذ ناس دوني، فأقول: يا رب، مني ومن أمتي ـ و في رواية، فأقول: أصحابي ـ فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون علىٰ أعقابهم. أخرجه البخاري و مسلم.

٧. روت أُمّ سلمة، قالت: كنت أسمع الناس يذكرون الحوض. ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ فلما كان يوماً من ذلك والجارية تمشطني، سمعت رسول

الله ﷺ يقول: أيّها الناس، فقلت للجارية، استأخري عنّي. قالت: إنّما دعا الرجال ولم يدع النساء فقلت:إنّي من الناس. فقال رسول الله ﷺ: إنّي لكم فرط على الحوض، فإيّاي لا يأتينّ أحدكم، فيُذبُّ عني كما يذب البعير الضال، فأقول: فيم هذا؟ فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً. أخرجه مسلم.

٨. روى سعيد بن المسيب انّه كان يحدّث عن أصحاب النبي ﷺ قال: يرد عليّ الحوض رجال من أصحابي ، فيحُلؤون عنه. فأقول: يا رب، أصحابي، فيقول: إنّك لاعلم لك بما أحدثوا بعدك. انّهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى . أخرجه البخاري.

٩. روى أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده، لأذودنّ رجالاً عن حوضي. كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض. أخرجه البخاري ومسلم.

١٠. روى حذيفة بن اليمان: انّ رسول الله ﷺ قال: إنّ حوضي لأبعد من أيلة إلى عدن. والذي نفسي بيده: لأذودنّ عنه الرجال، كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه. قالوا: يا رسول الله، وتعرفنا؟ قال: نعم. تردون عليَّ غرّاً محجّلين من آثار الوضوء ليست لأحد غيركم. أخرجه مسلم. [1]

وهذه الأحاديث تعرب عن موقف محدِّثي أهل السنة بالنسبة إلى الصحابة، مع أنّهم يتجاهلون هذه الروايات، وربّما ينسبون مفادها إلى الشيعة، فأيّهما أحقّ بهذه النسبة، أهؤلاء الذين رووا تلك الروايات ودوّنوها في صحاحهم وأسموها بأصحّ الكتب بعد كتاب الله؟ أم الشيعة الذين يأتمون بالإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام الذي يصف صحابة النبي ﷺ بقوله: اللّهمّ وأصحاب محمّد

---

١. ابن الأثير: جامع الأُصول: ١١/ ١١٩ـ ١٢٣ برقم ٧٩٦٩ـ ٧٩٧٩، كتاب القيامة، الفرع الأوّل في صفة الحوض.

خاصّة الذيـن أحسنوا الصّحابة، والذين أبلوا البـلاء الحسن في نصره، وكانفوه [١] وأسرعـوا إلى وفادتـه، وسابقـوا إلىٰ دعوتـه، واستجـابوا لـه حيث أسمعهم حجّـة رسالاته وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمتـه، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبُوّته. [٢]

والقـول الحاسم في حقّ الصحـابـة هو مـاذهبت إليـه الشيعة، وهـو انّهم كالتابعين ففيهم الصالح والطالح والعادل والفاسق.

فالشيعة لا تغـالي في حقّ الصحابة، ولا تقدس جميع من سُمِّي بـالصحابة بمجرد انهّم رووا أو سمعوا حـديثه، أو عاشروه ولو زمنـا طويلاً، خصوصـاً الذين مارسوا الفتن في حيـاته، وبعد وفاته وختموا حياتهم إلى جـانب معاوية وغيره ممن تستروا بالإسلام بعد أن عجزوا عن مقاومته وباعوا ضمائرهم للشيطان.

---

١. كانفوه: أعانوه.

٢. الصحيفة السجادية الجامعة:٤٣، الدعـاء رقم١٤، تحقيق و نشر مؤسسة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

١٠
تميم الداري
(...ـ٤٠هـ)

سيرته وأحاديثه

أحاديثه السقيمة:

١. النبيّ ﷺ يحدِّث عن تميم الداري

تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة اللخمي الفلسطيني، و«الدار» بطن من لخم، ولخم: فخذ من يعرب بن قحطان.

وفد تميم الداري سنة تسع، كان نصرانيّاً فأسلم، فحدَّث عنه النبي ﷺ على المنبر بقصة الجسّاسة في أمر الدجال.

ولتميم عدة أحاديث.

حدّث عنه: ابن موهب عبد الله، وأنس بن مالك، وكثير بن مرّة، وعطاء بن يزيد الليثي، وزرارة بن أوفىٰ.

قال ابن سعد: لم يزل با لمدينة حتى تحول بعد قتل عثمان إلى الشام.

وروى الزّهـريّ، عن السائب بـن يزيـد، قال: أوّل من قصَّ تميـم الداري، استأذن عمر فأذن له، فقصَّ قائماً.

والعجب انّ الخليفة أذن لتميم الداري أن يقُصّ أساطير اليهود والنصارىٰ،

في الوقت الذي مَنَعَ عن كتابة الحديث، ونهىٰ عن إفشائه ومذاكرته، فما هو المبرّر من حرمان المسلمين عن سماع أحاديث نبيهم ﷺ والسماح للقصاصين في قص أساطيرهم وخرافاتهم؟!

وثمة نكتة جديرة بالإشارة وهي انّ النبي ﷺ أفضل الأُمّة وأعلمهم، فكيف يحدِّث عن واحد من أفراد الأُمّة، كتميم الداري ولم يـر في متون التاريخ رواية المعصوم عن غيره.

روى خالد بن عبدالله، عن بيان، عن وبرة، قال: رأى عمر تميماً الداري يصلي بعد العصر، فضربه بدرّته علىٰ رأسه. فقال له تميم: يا عمر، تضربني على صلاة صليتها مع رسول الله ﷺ؟! قال: يا تميم، ليس كلّ الناس يعلم ما تعلم.

وأخرج ابن ماجة باسناد ضعيف، عن أبي سعد، قال: أوّل من أسرج في المساجد تميم الداري.

يقال: وجد على بلاطة قبر تميم الداري: مات سنة أربعين.

وحديثه يبلغ ثمانية عشر حديثاً، منها في صحيح مسلم حديث واحد. [١]

وجمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ١١ حديثاً. [٢]

روائع أحاديثه

١. أخرج مسلم في صحيحه، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن تميم الداري، انّ النبي ﷺ قال: الدين النصيحة، قلنا: لمن، قال لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة

---

١. سير أعلام النبلاء: ٢/ ٤٤٢ـ ٤٤٨ برقم ٨٦.

٢. المسند الجامع: ٣/ ٢٩٢ ـ ٢٩٨ برقم ٥٩.

المسلمين، وعامتهم. (١)

٢. أخرج أحمد في مسنده، عن زرارة بن أوفى، عن تميم الداري، عن النبي ﷺ قال:

أوّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته، فإن أكملها كتبت له كاملة، وإن لم يكن أكملها، قال الله سبحانه لملائكته: انظروا، هل تجدون لعبدي من تطوع، فأكملوا بها ما ضيّع من فريضة، ثم الزكاة، ثمّ تؤخذ الأعمال على حسب ذلك. (٢)

وقد عزي إليه حديث لا يستقيم مع الضوابط المقررة.

النبي ﷺ يحدّث عن تميم الداري

أخرج مسلم في صحيحه، عن عامر بن شراحيل الشعبي شعب همدان انّه سأل فاطمة بنت قيس أُخت الضحاك بن قيس، وكانت من المهاجرات الأُول[قال شراحيل لفاطمة] حدّثيني حديثاً سمعتيه من رسول الله لا تسنديه إلى أحد غيره.

فقالت: لئن شئت لأفعلنّ ـ إلى أن قالت ـ سمعت نداء المنادي، منادي رسول الله ﷺ ينادي الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله ﷺ، فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم.

فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: ليلزم كل إنسان مصلاّه، ثمّ قال: أتدرون لِـمَ جمعتكم؟ قالوا: الله و رسوله أعلم.

---

١. صحيح مسلم:١/ ٥٣، باب بيان انّه لا يدخل الجنة إلاّ المؤمنون و انّ محبة المؤمنين من الإيمان من كتاب الإيمان.

٢. مسند أحمد:٤/ ١٠٣.

قال: إنّي والله مـا جمعتكم لرغبـة ولا لرهبة، ولكن جمعتكـم لأنّ تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم، وحـدثني حديثاً وافق الذي كنت أُحدّثكم عن مسيح الدجال.

حدثني انّه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجُذام، فلعب بهم الموج شهـراً في البحر، ثـم ارفؤا إلى جـزيـرة في البحـر حتى مغـرب الشمس، فجلسـوا في أقرب السفينـة فـدخلوا الجزيـرة فلقيتهم دابـة أهلبُ كثيرُ الشّعـر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر.

فقالوا: ويلك ما أنت؟

فقالت: أنا الجسّاسة.

قالوا: وما الجسّاسة؟

قـالت: أيها القـوم انطلقـوا إلى هـذا الـرّجـل في الـدّيـر، فـانّـه إلى خبركم بالأشواق.

قال: لما سمّت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة.

قال: فانطلقنـا سراعاً، حتى دخلنا الـدّير، فإذا فيه أعظم إنسـان رأيناه قطُّ خلقاً وأشدّه وثاقاً، مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد.

قلنا: ويلك ما أنت؟

قال: قد قدرتم على خبري فاخبروني ما أنتم؟

قالوا: نحن أُنـاس من العرب، ركبنا في سفينة بحرية فصـادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهراً، ثمّ ارفأنا إلىٰ جزيـرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب كثير الشَّعر لا يُدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر.

فقلنا: ويلك ما أنتِ؟

فقالت: أنا الجساسة.

قلنا: وما الجساسة؟

قالت: اعمـدوا إلى هذا الرجل في الدير فانّه إلىٰ خبركم بالأشـواق، فاقبلنا إليك سراعاً و فزعنا منها، ولم نأمن من أن تكون شيطانة.

فقال: أخبروني عن نخل بيسان.

قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟

قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟

قلنا له: نعم.

قال: أما إنّه يوشك أن لا تثمر.

قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية.

قلنا : عن أي شأنها تستخبر؟

قال: هل فيها ماء؟

قالوا: هي كثيرة الماء.

قال: أما إنّ ماءها يوشك أن يذهب.

قال: أخبروني عن عين زُغر.

قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟

قال: هل في العين ماء، وهل يزرع أهلها بماء العين؟

قلنا له: نعم، هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها.

قال: أخبروني عن نبي الأُميّين ما فعل؟

قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب.

قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم.

قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه انّه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه.

قال لهم: قد كان ذلك، قلنا: نعم، قال: أما إنّ ذاك خير لهم أن يطيعوه، وإنّي مخبركم عني، انّي أنا المسيح، وانّي أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلاّ هبطتها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة فهما محرّمتان عليّ كلتاهما كلّما أردت أن أدخل واحدة أو واحداً منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتاً يصدُّني عنها، وانّ على كلّ نقب منها ملائكة يحرسونها.

قالت: قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة يعني المدينة، ألا هل كنت حدثتكم ذلك، فقال الناس: نعم، فانّه أعجبني حديث تميم انّه وافق الذي كنت أحدثكم عنه، وعن المدينة ومكة، إلاّ انّه في بحر الشام أوبحر اليمن بل من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو، وأومأ بيده إلى المشرق.

قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ.[١]

وفي الحديث أمارات كثيرة على الدّس و الوضع، ونحن نقتصر منها على أمرين:

الأوّل: انّ النبي ﷺ أعلم الأُمّة وأفضلهم ولا يدانيه أحد في ذلك، الذي قال عنه سبحانه: ﴿وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ (النساء/ ١١٣).

فإذا كان هو أعلم الأُمّة، فكتابه هو المهيمن على جميع الكتب السماوية، كما

---

١. صحيح مسلم:٨/ ٢٠٣ـ ٢٠٥، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض من كتاب الفتن وأشراط الساعة.

قال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ (المائدة/ ٤٨).

فإذا كان الأمر كذلك، فما هي الحاجة للحصول على تأييد تميم الداري بصحة كلامه؟! وهذا يحط من شأن النبي ﷺ وكتابه المنزل.

فتميم الداري أحوج إلى تأييد النبي ﷺ.

الثاني: انّ هذه الجزيرة التي حدث عنها تميم الداري في أي مكان من الأرض تقع؟ فعلماء الجغرافية قد مسحوا الأرض مسحاً دقيقاً فلم يعثروا على مثل تلك الجزيرة.

مضافاً إلى مافي متن الحديث من أُمور خرافية لا يستحسنها إلاّ السُّذّج من الناس.

١١

أبو موسى الأشعري

(...ـ٤٢هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١ . صحابي أعرف بالمصلحة من رسول الله ﷺ.

٢ . أهل الكتاب لهم أجران.

٣ . التجسيم في أحاديثه

٤ . الفداء في أحاديثه

٥ . الميت يعذّب ببكاء الحيّ

٦ . القعود خير من القيام

٧ . الإرجاء في حديثه

هو عبد الله بن قيس بن سليم، قحطاني، أسلم بمكة، ويقال هاجر إلى أرض الحبشة، ثمّ قدم مع أهل السفينتين ورسول الله ﷺ بخيبر؛ وربّما يقال قد أسلم بمكة قديماً ثمّ رجع إلى بلاد قومه، فلم يزل بها حتى قدم هو وناس من الأشعريين على رسول الله ﷺ فوافق قدومهم قدوم أهل السفينتين جعفر وأصحابه من أرض الحبشة ووافقوا رسول الله ﷺ بخيبر. [1]

والثاني هو الصواب، فانّ ابن إسحاق والواقدي وغيرهما لم يذكراه من

---

١ . ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٤/ ١٠٥ .

مهاجرة الحبشة، وعلىٰ أية حال، كان عامل رسول الله ﷺ على زبيد وعدن، واستعمله عمر بن الخطاب على البصرة، وشهد وفاة أبي عبيدة الجرّاح في الشام، ولما قُتل عمر كان أبو موسى على البصرة فأقرّه عثمان عليها ثمّ عزله، واستعمل بعده ابن عامر، فسار من البصرة إلى الكوفة فلم يزل بها حتى أخرج أهل الكوفة سعيد بن العاص وطلبوا من عثمان أن يستعمله عليهم، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان [١] فأقره الإمام علي عليه السلام ثمّ عزله.

ولما نكثت طائفة بيعة الإمام علي عليه السلام وعلىٰ رأسهم طلحة والزبير وعائشة، وجعلوا البصرة قاعدة لجيشهم، سار الإمام نحوهم ليُطفئ نار الفتنة، وبعث بكتاب إلى أبي موسى الأشعري ليقرأه على الناس ويستنفرهم إلىٰ نصرته.

ذكر الطبري انّ الإمام كتب إلى أبي موسىٰ: انّي وجهت هاشم بن عتبة لينُهض من قبلك من المسلمين إليّ، فأشخص الناس فإنّي لم أوّلك الذي أنت به، إلاّ لتكون من أعواني على الحقّ.

فدعا أبو موسى، السائب بن مالك الأشعري، فقال له: ما ترى؟قال: أرى أن تتبع ما كتب به إليك، قال: لكنّي لا أرى ذلك، فكتب هاشم بن عُتبَة إلىٰ علي عليه السلام: أنّه قد قدمتُ على رجل غالٍ مشاقٍ ظاهر الغل و الشنآن.

وبعث بالكتاب مع المحل بن خليفة الطائي، ولمّا وصل الكتاب إلى الإمام ووقف على تثبيطه عزائم الناس، بعث ابنه الحسن بن علي و عمار بن ياسر يستنفران له الناس، وبعث قرظة بن كعب الأنصاري أميراً على الكوفة، وكتب معه إلىٰ أبي موسىٰ أمّا بعد: فقد كنت أرى أن تعزب عن هذا الأمر الذي لم يجعل الله عزّ وجلّ لك منه نصيباً، سيمنعك مِنْ ردّ أمري، وقد بعثت الحسن بن علي وعمار بن ياسر يستنفران الناس، وبعثت قرظة بن كعب والياً على المصر، فاعتزِل

---

١. الجزري: أُسد الغابة: ٣/ ٢٤٦.

عملنا مذموماً مدحوراً. [١]

لقد واجه الإمام بعد وقعة الجمل، واقعة صفين التي أشعل نائرتها القاسطون، وحمل رايتها معاوية بن أبي سفيان، فدارت بين علي والقاسطين حرب طاحنة كاد النصر أن يكون حليف علي وعساكره لولا الفتنة التي أثارها عمرو بن العاص، فرفعوا المصاحف على الأسنَّة، ونادوا يا معشر العرب، الله الله في نسائكم وبناتكم، فمن للروم والأتراك وأهل فارس غداً إذا فُنيتمُ، الله الله في دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم.

وقد أثَّرت تلك المكيدة علىٰ همم كثير من قُوّاد جيش علي عليه السلام ، فألزموا علياً على إيقاف الحرب والخضوع إلى حكم القرآن.

فانتهى الأمر إلى أن ينتخب كلّ من الطائفتين رجلاً، يتدارسا الموقف ويحُييا ما أحيا القرآن و يُميتا ما أمات القرآن، وقد قبل الإمام التحكيم علىٰ مضض شديد لم يكن له بدّ من القبول، وقد بلغ القوم في قلة الحياء وشكاسة الخُلْق بمكان انّهم فرضوا التحكيم عليه وفرضوا أيضاً أن يكون الحكَم من جانبه هو أبا موسى الأشعري فامتنع الإمام، وقال: إنّي لا أرضى بأبي موسىٰ ولا أرى بأن أُولِّيه، فقال الأشعث وزمرته: إنّا لا نرضى إلاّ به، فلم يـر الإمام بداً إلاّ النزول على رأيهم، فتم الإتفاق عليه من جانبه، وعلىٰ عمرو بن العاص من جانب معاوية غير انّ أبا موسى كما تنبأ به الإمام علي عليه السلام انخدع بالمكيدة التي حاكها له عمرو بن العاص، فخلع عليّاً عن الخلافة علىٰ أن يخلع عمرو بن العاص معاوية عن الحكم، لكن عمرو بن العاص خالف الشرط المتّفق عليه بينهما، فقال: إنّ هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبِّت صاحبي معاوية، فانّه وليُّ عثمان بن عفان، والطالب بدمه، وأحقّ الناس بمقامه.

---

١. تاريخ الطبري:٣/ ٥١٢.

فقال أبو موسى لعمرو: مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت، إنّما مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث.

قال عمرو: إنّ مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً. (١)

وبذلك تمت المكيدة لصالح معاوية.

هذه هي سيرة الرجل على وجه الإجمال، ولم يُر بعد مسألة التحكيم له أيُّ نشاط يُذكر، وقد مات بمكة عام ٤٢هـ وقيل ٤٤ هـ. وقيل غير ذلك.

اتّفق أهل السير علىٰ أنّ أبا موسى كان رجلاً ساذجاً غير فطن، كان علي عليه السلام واقفاً على سذاجته، وقال لما بعثه عن كُره: «وكأنّي به وقد خُدع».

فقال رجل للإمام عليه السلام :فلِمَ توجِّهه وأنت تعلم انّه مخدوع، فأجاب الإمام: يا بُنيّ لو عمل الله في خلقه بعلمه، ما احتج عليهم بالرسل. (٢)

وربما يتصور انّ أبا موسىٰ خلع عليّاً لانخداعه بمكر نظيره عمرو بن العاص، ولكن مع الإذعان بذلك كان ثمة عامل آخر أثَّر في عقد الاتّفاق مع نظيره على عزل الإمام ومعاوية عن الخلافة، وهو انّ الإمام لمّا وقف على خذلانه وتثبيطه عزائم الناس عن الجهاد، عزله ونصب مكانه عاملاً آخر، فلم يزل أبو موسىٰ فيّ حرج من هذا الموقف الذي ترك مضاعفات سلبية في نفسه، فحفّزه على عزل الإمام الذي اتّفق المهاجرون والأنصار على إمامته وخلافته، إلاّ نزراً يسيراً لا يتجاوز عددُهم عددَ الأصابع.

لما بلغ علياً ما جرى بين الحكمين من الحكم على خلاف كتاب الله وسنّة رسوله، وغدر عمرو بن العاص، وانخداع أبي موسى، قام خطيباً، رافضاً ما حكم

١. تاريخ الطبري: ٥/ ٣٨، طبعة مؤسسة عز الدين.

٢. ابن شهر آشوب، المناقب: ٢/ ٢٦١، طبعة قم.

به الحكمان الجائران، وقال:

«الحمد لله، وإن أتى الدهر بالخطب الفادح، والحدث الجليل، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، ليس معه إله غيره، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ﷺ.

أمّا بعد؛ فإنّ معصية الناصح، الشفيق العالم، المجرِّب، تورث الحسرة، وتعقب الندامة، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلت لكم مخزون رأيي، لو كان يطاع لقصير أمرٌ، فأبيتم عليَّ اباء المخالفين الجفاة، والمنابذين العصاة، حتّى ارتاب الناصح بنصحه، وضنَّ الزنْد بقدْحه، فكنت أنا وإياكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمري بمنعرج اللّوىٰ فلم تستبينوا النصح إلاّ ضحى الغد.[1]

صدق الإمام، إنّ من الخطب الفادح، والحدث الجليل، خلع صدّيق الأُمّة، وأوّل من آمن برسالة النبي ﷺ وصدّق به، وبات في فراشه، دفعاً لريب المنون عنه، وجاهد في سبيل الله بنفسه ونفيسه، وشهد المعارك كلها إلاّ تبوك، بأمر النبي ، إلى غير ذلك من فضائل ومناقب ومآثر جمّة اعترف بها الصديق والعدو والقريب والبعيد.

إنّ من المصائب العظام نصب معاوية بن أبي سفيان الطليق ابن الطليق، ابن آكلة الأكباد، للخلافة والزعامة الإسلامية، وأنّى هو من الإسلام، وهو ثمرة الشجرة الخبيثة الملعونة في القرآن، أو ليس هذا من أدهى الدواهي؟ ولأجل ذلك نرى أنّ الإمام يصف تلك الحادثة المريرة، بالخطب الفادح والحدث الجليل.

هذه سيرة الرجل على وجه الإجمال، التي هي مقدمة لدراسة ما روي عنه وعزي إليه، فلنذكر شيئاً من روائع أحاديثه التي تشهد الموازين على صحّتها.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٣٥.

روائع أحاديثه

١. أخرج الشيخان، عن أبي بردة (ابن أبي موسى) عن أبي موسىٰ، قال: قلت: يا رسول الله أيّ الإسلام أفضل؟قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده[١]

٢. أخرج الإمام أحمد، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: قال رسول الله تُستأمر اليتيمة في نفسها، فإن سكتت فقد أذنت، وإن أبت لم تكره.[٢]

٣. أخرج الإمام أحمد، عن أبي بردة، عن أبيه (أبو موسى)قال: قال رسول الله ﷺ: لا نكاح إلاّ بولي.[٣]

٤. أخرج الإمام أحمد، عن أبي بردة، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً.[٤]

٥. أخرج الإمام أحمد، عن أبي بردة، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: أطعموا الجائع، وفكُّوا العاني، وعوِّدوا المريض.[٥]

٦. أخرج الترمذي، عن أبي بردة، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته.[٦]

٧. أخرج الإمام أحمد، عن أبي بردة، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: أُعطيت خمساً: بعثت إلى الأحمر والأسود، وجعلت لي الأرض طهوراً

---

١. صحيح مسلم:١/ ٤٨، باب تفاضل الإسلام؛ صحيح البخاري: ١/ ١٠، باب أي الإسلام أفضل.

٢ و ٣. مسند أحمد:٤/ ٣٩٤.

٤. مسند أحمد:٤/ ٤٠٤.

٥. مسند أحمد:٤/ ٣٩٤.

٦.سنن الترمذي: ٤/ ٢٠٨ برقم ١٧٠٥.

ومسجداً، وأُحلَّت لي الغنائم ولم تحلّ لمن كان قبلي، ونُصرت بالرعب شهراً، وأُعطيت الشفاعة. وليس من نبي إلاّ وقد سأل شفاعة، وانّي أخبأت شفاعتي ثمّ جعلتها لمن مات من أُمّتي لمن لم يشرك بالله شيئاً.[١]

هذه نماذج من روائع أحاديثه ذكرناها ليكون القارئ علىٰ بصيرة من منزلة الرجل في نقله للحديث، وفي مقابلها روايات، رويت عنه، فيها شذوذ وعلل، لا يصحّ لباحث قبولها ونسبتها إلى الرسول ﷺ وإليك بعضها:

١ . صحابيّ أعرف بالمصلحة من رسول الله ﷺ

أخرج أحمد، عن أبي بكر بن أبي موسى، عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺومعي نفر من قومي، فقال:أبشروا وبشّروا من وراءكم انّه من شهد أن لا إله إلاّ الله صادقاً بها دخل الجنّة. فخرجنا من عند النبي نبشّر الناس، فاستقبلنا عمر بن الخطاب فرجع بنا إلى رسول الله، فقال عمر: يا رسول الله إذاً يتّكل الناس، قال: فسكت رسول الله ﷺ.[٢]

ولنا مع هذا الحديث وقفة قصيرة هي:

أوّلا: انّه معارض بما رواه معاذ بن جبل عن النبي ﷺ، قال: يا معاذ، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: لا يشهد عبد ان لا إله إلاّ الله ثمّ يموت علىٰ ذلك إلاّ دخل الجنّة، قال: أفلا أحدّث الناس؟ قال: لا، إنّي أخشىٰ أن يتّكلوا عليه.[٣]

فالمعارضة بين الحديثين واضحة، فإنّ الأوّل يدلّ علىٰ أنّ النبي ﷺ أمر بنشر الحديث، والثاني يدل على أنّه أمر بكتمه.

---

١. مسند أحمد:٤/ ٤١٦.

٢. مسند أحمد:٤/ ٤٠٢.

٣. مسند أحمد:٤/ ٢٣٠.

وثانياً: انّ الحديث الثاني، الذي رواه معاذ يدل على أنّ النبي كان واقفاً على العلة دون حاجة إلى أن يخبره أحد بذلك.

وثالثاً: انّ الحديث الأوّل يدل على أنّ عمر كان أعرف بالمصلحة من رسول الله ﷺ وانّ هذا الحديث يترك أثراً سلبياً في قلوب المؤمنين، فلذلك لمّا أخبره عمر، سكت الرسول.

والحقّ انّ الحديثين لا يخلوان عن شذوذ وعلّة، وقد سبق الذكر الحكيم بالتصريح بذلك .قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلك﴾ (النساء/ ١١٦) وقال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ العِقاب﴾ (الرعد/ ٦).

٢. أهل الكتاب لهم أجران

أخرج البخاري، عن أبي بردة، عن أبيه قال: قال رسول الله: ثلاثة لهم أجران، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيّه وآمن بمحمد. [١]

إنّ الإيمان بالرسل والنبي الخاتم ليس من خصائص من كان من أهل الكتاب ثمّ أسلم، بل كلّ من أسلم بلسانه وقلبه وآمن بالرسول، فقد آمن بمن قبله من الرسل، قال سبحانه: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِه وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقالُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وَإِلَيْكَ المَصِير﴾ (البقرة/ ٢٨٥).

نعم لو كان تعدد الأجر لأجل ترتّب أحد الإيمانين على الآخر كان لما ذكر وجه، ولكن الأجر علىٰ نفس الإيمان وسعة متعلقه، لا علىٰ ترتّب أحدهما على الآخر. وإلاّ يلزم أن يكون لمن كان يهودياً فتنصّر ثمّ أسلم، أُجور ثلاثة.

---

١. صحيح البخاري: ١/ ٣٥، باب تعليم الرجل أمته وأهله.

٣. التجسيم في أحاديثه

ظهر التجسيم والتشبيه في المرويّات عنه نذكر منها ما يلي:

الحديث الأوّل: أخرج مسلم، عن أبي عبيدة، عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: إنّ الله عزّوجلّ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور ـ وفي رواية أبي بكر:(حجابه) النار ـ لو كشفه لأحرقت سُبُحاتُ وجهه، ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه. [١]

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: فالسُّبُحاتُ (بضم السين والباء ورفع التاء في آخره) جمع سُبحة، قال صاحب العين والهروي وجميع الشارحين للحديث من اللغويين والمحدثين: معنى سُبُحاتُ وجهه: نوره وجلاله وبهاؤه.

وأمّا الحجاب (الذي يشير إلى قوله: حجابه النور أو النار) فأصله في اللغة المنع والستر، وحقيقة الحجاب إنّما تكون للأجسام المحدودة، والله تعالىٰ منزّه عن الجسم والحد. والمراد هنا المانع من رؤيته، وسمي ذلك المانع نوراً أو ناراً لأنّهما يمنعان من الإدراك في العادة لشعاعها.

والمراد من الوجه الذات، والمراد بـ «ما انتهى إليه بصره من خلقه» جميع المخلوقات، لأنّ بصره سبحانه و تعالى محيط بجميع الكائنات. ولفظة «من» لبيان الجنس لا للتبعيض والتقدير لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمىٰ نوراً أو ناراً وتجلّىٰ لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته. [٢]

---

١. صحيح مسلم:١/ ١١١، باب في قوله ﷺ: إنّ الله لا ينام و في قوله: حجابه النور لو كشفه لأحرق سُبُحاتُ وجهه.

٢. النووي: شرح مسلم: ٣/ ١٧.

ولنا مع هذا الحديث وتفسيره وقفة:

أوّلاً: إنّ النبي ﷺ كان يكلّم النـاس على قدر عقولهم شأن كـلّ نبي، فهذه التأويلات التـي ارتكبها الشارح مفاهيـم لا يقف عليها إلاّ من تـوغّل في العلوم العقلية، وليس المخاطب إلاّ نظراء أبي موسى، فأين هؤلاء من هذه التأويلات؟!

ثانياً: انّ السُّبحة في اللغـة تعني الدعـاء، قال في اللسان : سميـت الصلاة تسبيحاً، لأنّ التسبيح تعظيم لله وتنـزيهه عن كلّ سوء [1] وتفسيره بنور الله ووجهه وبهائه شيء لا تدل عليها مادة الكلمة، وإنّما جرّهم إلى ذلك التفسير لأجل جعل الرواية ذات مفهوم صحيح.

ونقـل ابـن الجوزي عـن أبي عبيـدة: لم نسمـع السُّبُحـات إلاّ في هـذا الحديث. [2]

ويظهر من المقـاييس: انّه ليس لتلك المادة إلاّ معنيان، أحـدهما جنس من العبادة والآخر جنس من السعي، فالأوّل السُّبحـة ومن هذا الباب التسبيح، وهو تنزيه الله جلّ ثناؤه عن كلّ سوء، وعلىٰ ذلك فتفسير السبحة بالأنوار لا دليل عليه في اللغة. [3]

ثالثاً: انّ المتبـادر من قـوله مـن خلقه انّ «مـن» للتبعيض بشهـادة قولـه: «انتهى إليه بصره» فيكون خلقه أوسع من نور بصره.

وأنـت إذا عـرضت هـذا الحديـث على عـربي صميم لم يشـب ذهنـه بهذه المعارف، لفسّر الحديـث على وجه يلازم التجسيـم، وليس في الحديث قـرينة على التأويل، وإلاّ لكان التأويل مقدماً على غيره.

---

١. لسان العرب:٢، مادة سبح.

٢. ابن الجوزي: دفع شبه التشبيه: ٢٠٢.

٣. المقاييس:٥/ ١٢٥.

الحديث الثاني: أخرج الإمام أحمد، عن أبي موسى الأشعري: قال: قال رسول الله ﷺ : يجمع الله عزّ وجلّ الأُمم في صعيد يوم القيامة، فإذا بدا لله عزّ وجلّ أن يصدع بين خلقه مثّل لكلّ قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يُقحمونهم النار، ثمّ يأتينا ربّنا عزّ وجلّ، ونحن على مكان رفيع فيقول: من أنتم؟ فنقول: نحن المسلمون، فيقول ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربّنا عزّ وجلّ، قال: فيقول: وهل تعرفونه إنْ رأيتموه؟ فيقولون: نعم، فيقول: كيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون: نعم انّه لا عدل له، فيتجلّىٰ لنا ضاحكاً، فيقول: أبشروا أيّها المسلمون، فانّه ليس منكم أحد إلّا جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً. [١]

ورواه مسلم في صحيحه، باب معرفة طريق الرؤية، بغير هذا اللفظ عن أبي هريرة. [٢]

وهذا الحديث يثير تساؤلات كثيرة.

الأوّل: إنّ لازم قوله: «مثّل لكلّ قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتّى يقحمونهم النار ثمّ يأتينا ربّنا عزّوجلّ» عدم وجود أيّ موحد يؤمن بالله الواحد وينكر عبادة الأوثان في الأُمم السالفة، وهذا علىٰ خلاف الضرورة وصريح القرآن الكريم، فها هو يقول في حقّ نوح: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاّ قَلِيلٌ﴾ (هود/ ٤٠) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على وجود الصالحين في الأُمم السالفة.

الثاني: انّ قوله: «ثم يأتينا ربّنا ونحن على مكان رفيع» حاك عن ثبوت الحركة لله سبحانه، بشهادة قوله: ونحن على مكان رفيع.

الثالث: انّ قوله: «من أنتم؟» أو قوله: «ما تنتظرون؟» أو قوله: «وهل تعرفونه ان رأيتموه؟» حاك عن تكلّمه سبحانه تكلّماً حسياً.

---

١. مسند أحمد: ٤/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨.

٢. صحيح مسلم: ١/ ١١٢، باب معرفة طريق الرؤية.

الرابع: انّه سبحانه يسألهم عن أنّهم هل يعرفون ربّهم ، وهم يجيبون بقولهم: نعم، ثمّ يسألهم عن السمات التي يعرفون بها ربّهم، ويقول: «كيف تعرفونه ولم تروه؟» فيجيبون بسمة كلّية لا صلة لها بمعرفة الربّ معرفة شخصية، حيث يقولون«نعم انّه لا عدل له» فانّ وصفه بعدم العدل والندّ له، لا يكون علامة وسمة للمعرفة الشخصية.

الخامس: انّ قوله فيتجلّىٰ لنا ضاحكاً، صريح في الجسم والجسمانية، وانّ له سبحانه ضحكاً حسياً.

السادس: انّ قوله: «أبشروا أيّها المسلمون، فانّه ليس منكم أحد إلاّ جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً، ينافي قوله سبحانه: ﴿فَاليَوم لاٰ يُؤخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلاٰ مِنَ الّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الحديد/ ١٥) والآية وإن كانت تخاطب المنافقين والكافرين، ولكن المورد غير مخصص، فانّ عدم أخذ الفدية لأجل انّه يخالف عدله سبحانه.

وبعبارة أُخرى: انّ اليهود والنصارىٰ إن كانوا مستحقين للدخول في النار، فهم يدخلونها لأعمالهم الشريرة، لا لأن يحلّوا مكان المسلمين، وإن لم يكونوا مستحقين للدخول في النار فملء الجحيم بهم يستلزم أخذ البريء بجرم المذنب والله سبحانه يقول: ﴿وَلاٰ تَزِرُ وٰازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ﴾ (الأنعام/ ١٦٤).

وبمقارنة هذا الحديث مع ما رواه أبو هريرة في هذا المجال، يعلم مدى الاختلاف الفاحش بين الروايتين، والظاهر انّهما رواية واحدة نقلت بصورتين مختلفتين.

أخرج مسلم عن أبي هريرة انّه قال: كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع

من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأُمّة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالىٰ في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربّكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربّنا فإذا جاء ربّنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربّكم، فيقولون: أنت ربّنا، فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم.[1]

فبالمقارنة بين الحديثين يعلم مدىٰ التحريف الطارئ على الرواية من أحد الجانبين، مثلاً انّ الرواية الأُولى: (رواية أبي موسىٰ) تصرّح بأنّه سبحانه يتكلّم مع المسلمين حيث قال: «فنقول نحن المسلمون» ويتجلىٰ لهم، امّا الرواية الثانية (رواية أبي هريرة) فالله سبحانه يتكلّم مع المسلمين مع ما فيهم من المنافقين ويتجلّىٰ للجميع.

وعلى كلّ تقدير سواء أكانتا رواية واحدة، أو كانتا روايتين فكلتاهما من الروايات المدسوسة من قِبل أهل الجعل والوضع و التحريف.

٤. الفداء في أحاديثه

إنّ مسألة الفداء، أي أخذ شخص محل شخص آخر يوم القيامة، فكرة يهودية ومسيحية تسرّبت إلى أحاديث أبي موسى الأشعري، وقد اتضح ذلك من خلال استعراض الرواية السابقة، وثمة روايات أُخرى نقلها مسلم عنه نأتي بنصها:

١. روى مسلم، عن أبي بردة، عن أبي موسىٰ، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة دفع الله عزّوجلّ إلى كلّ مسلم يهودياً أو نصرانياً، فيقول: هذا

---

١. صحيح مسلم: ١/ ١١٣، باب معرفة طريق الرؤية.

فكاكك من النار. [١]

٢. أخرج مسلم، عن عون وسعيد بن أبي بردة، انّهما شهدا أبا بردة يحدّث عمر بن عبد العزيز، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: "لا يموت رجل مسلم إلاّ أدخل الله مكانه النار يهودياً أو نصرانياً، قال: فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا إله إلاّ هو ثلاث مرّات أنّ أباه حدثه عن رسول الله ﷺ؟ قال: فحلف له. [٢]

٣. أخرج مسلم، عن أبي بردة ،عن أبيه عن النبي ﷺ، قال: يجيئ يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارىٰ، فيما أحسب أنّه قال: أبو روح لا أدري ممن الشك، قال أبو بردة: فحدثت به عمر بن عبد العزيز، فقال: أبوك حدثك هذا عن النبي ﷺ؟ قلت: نعم. [٣]

يظهر من الرواية الأخيرة انّ عمر بن عبد العزيز وغيره كانوا شاكين في صحّة هذا الحديث مهما صحّ سنده.

نعم تعجّب أبو روح «وقال: لا أدري ممن الشك» أقول منشأ الشك هو انّ هذه الروايات مخالفة للذكر الحكيم كما أوعزنا إليه ولأنّ الناس يجزون بأعمالهم لا بأعمال غيرهم قال سبحانه: ﴿وما تُجْزَوْنَ إلاّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُون﴾ (الصافات/ ٣٩) قال سبحانه: ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يوماً لا يجزي والِدٌ عَنْ وَلَدِه وَ لا مَولُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ وَالِدِه شَيئاً﴾ (لقمان/ ٣٣).

وقال سبحانه: ﴿فَالْيَومَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلا تُجْزَونَ إِلاّما كُنْتُمْ تَعْمَلُون﴾ (يٰس/ ٥٤) إلى غير ذلك من الآيات الصريحة في أنّ كلّ إنسان مرهون بعمله.

---

١. و ٢. و ٣. صحيح مسلم:٨/ ١٠٤ ـ ١٠٥، باب قبول توبة القاتل.

٥. الميت يُعذب ببكاء الحي

أخـرج أحمد، عن ابن أبي مـوسى الأشعـري ،عن أبيـه: انّ النبي ﷺ قال: الميت يعذب ببكاء الحي عليه، إذا قالت النائحة: وا عضداه، وا ناصراه وا كاسباه، جُبذَ[1] الميت وقيل له أنت عضـدها أنت ناصرها، أنت كـاسبها، فقلت سبحان الله: يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ، فقال: ويحك أحدثك عن أبي مـوسىٰ عن رسـول الله، وتقول هـذا، فأيّنـا كذّب؟! فـوالله ما كـذبت علىٰ أبي موسى ولا كذب أبو موسىٰ على رسول الله. [2]

وأخرجه الترمذي عن أبي موسى الأشعـري انّ رسول الله، قال: ما من ميت يموت فيقـوم باكيه، فيقـول واجبلاه، واسيـداه، أو نحو ذلك، إلاّ وكّل بـه ملكان يلهزانه[3]: أهكذا كنت.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. [4]

وأخرجه ابن ماجة في سننه. [5]

وكفىٰ في وهن الحديـث وشذوذه انّ السامع أدرك بفطـرته انّه يخالـف نداء الذكر الحكيم، غير انّ الـذي صدّه عن التكذيب هو كون الـرواية منسوبة إلىٰ أبي موسىٰ، عن طريق ولده، ولكن لم يعـرف انّ كتاب الله فوق كلّ شيء، و هو المعيار لتمييز الحقّ عن الباطل.

---

١. جبذ أي قطع.

٢. مسند أحمد:٤/ ٤١٤.

٣. يقال لهز فلاناً أي لكزه، وقيل ضربه بجمع كفه في اللهزمة والرقبة.

٤. سنن الترمذي:٣/ ٣٢٧ برقم ١٠٠٣.

٥. سنن ابن ماجة: ١/ ٥٠٨ برقم ١٥٩٤ وفيه مكان يلهز، يتعتع.

وقد مضىٰ انّ السيدة عائشة كذَّبت الرواية، وقالت: رحم الله أبا عبد الرحمان سمع شيئاً فلم يحفظه، إنّما مرّت علىٰ رسول الله جنازة يهودي وهم يبكون عليه، فقال: أنتم تبكون و إنّه ليعذّب . (١)

٦. القعود خير من القيام

أخرج أبو داود، عن أبي كبشة قال: سمعت أبا موسى يقول: قال رسول الله ﷺ: إنّ بين أيديكم فتناً كقِطَع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً و يمسي كافراً و يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «كونوا أحلاس بيوتكم». (٢)

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز في تفسير الحديث: هذه الفتنة هي الفتن التي لا يظهر وجهها ولا يعلم طريق الحقّ فيها، بل هي ملتبسة فهذه يجتنبها المؤمن ويبتعد عنها بأيّ ملجأ و من هذا الباب قوله ﷺ: «يوشك أن يكون خيرمال المسلم غُنم يتبع بها شعف الجبال مواقع القطر، يفرّ بدينه من الفتن». (٣)

أقول: أين الفتنة الواردة في الرواية من الاقتداء بإمام أصفقت الصحابة من المهاجرين والأنصار على بيعته، وقدّموه إماماً للمسلمين، فهل يتصور أن يكون القاعد فيها أفضل من القائم؟!

إنّ أبا موسى مما خذل علياً وثبّط عزيمة الناس عن المشاركة في قتال

---

١. صحيح مسلم: ٣/ ٤٤، باب البكاء على الميت.

٢. سنن أبي داود: ٤/ ١٠١ برقم ٤٢٦٢. وأخرجه أحمد في مسنده: ٤/ ٤٠٨.

٣. أمّ مالك الخالدي، بيعة علي بن أبي طالب في ضوء الروايات الصحيحة، ص ٢٣٥.

الناكثين، التي أخبر النبي ﷺ بأنّ الإمام سيقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين [١] .وقد تمسك أبو موسى بهذا الحديث ولم يشارك مع علي عليه السلام في القتال، ولكنّه شارك مع عمرو بن العاص في عزل علي عليه السلام عملاً بهذا الحديث، لكن من أين علم انّ النبي ﷺ يريد بكلامه حرب الناكثين، وقد قامت بعده فتن وحروب ولم يكن حرب الجمل أوّل حرب دارت بين المسلمين؟!

على أنّ قوله: «كونوا أحلاس بيوتكم» ينافي الذكر الحكيم فانّه يأمر بالإصلاح قال سبحانه: ﴿وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحداهُما عَلى الأُخرى فَقاتِلُوا الَّتي تَبغي حَتّى تَفِيءَ إِلىٰ أَمْرِ الله فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالعَدْلِ وَأَقسِطُوا إِن الله يُحِبُّ الْمُقْسِطين﴾ (الحجرات/ ٩).

فالله سبحانه يأمربالإصلاح أوّلاً ثمّ قتال الفئة الباغية، فكيف يأمر النبي بالانعزال والانزواء؟! فالتبرير الذي برّر به عمله غير مجدٍ.

٧. الإرجاء في حديثه

أخرج أبو داود، عن أبي بردة، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: أُمّتي هذه أُمّة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة، عذابها في الدنيا: الفتن و الزلازل والقتل. [٢]

أقول: إنّ فكرة الإرجاء وإن ظهرت في أواخر القرن الأوّل، فادّعت المرجئة أنّ الإيمان عبارة عن الإقرار بالقول واللسان وإن لم يكن مرافقاً للعمل، فأخذوا من الإيمان جانب القول وتركوا جانب العمل، فكأنّهم قدّموا الأوّل وأخّروا الثاني واشتهروا بمقولتهم «لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة».

---

١. تاريخ ابن عساكر:٥/ ٤١؛ تاريخ ابن كثير:٧/ ٣٠٦؛ كنز العمال:٦/ ٨٨؛ الغدير: ٣/ ١٩٢.

٢. سنن أبي داود: ٤/ ١٠٥ برقم ٤٢٧٨.

لكن الحديث يدعم تلك الفكرة فيبشّر الأُمّة المرحومة بالنجاة في الآخرة، وإن كان يصيبهم في الدنيا ببعض الجزاء، ولكن كتبت النجاة على الجميع، حتى الطواغيت والمجرمين والظالمين العتاة، ومن الواضح انّ الحديث مخالف للقرآن الكريم والسنّة النبوية واتّفاق المسلمين، فأين قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها﴾ (النساء/ ٩٣) وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمىٰ عَلَيْها في نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِها جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هٰذا ما كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة/ ٣٤ـ٣٥) إلى غير ذلك من الآيات العامة لجميع الأفراد خصوصاً الأُمّة المرحومة التي جاءهم نبيهم بهذه الآيات والأحكام.

١٢

زيد بن ثابت الأنصاري

(١١ق. هـ ـ ٤٥هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. عذاب بلا ذنب.
٢. اتخاذ اليهود قبور أنبيائهم مساجد.
٣. حرمان بعض الورثة من الميراث.
٤. تحريف القرآن الكريم.
٥. عدم سجود النبي عند قراءة سورة النجم.
٦. العثور على آية عند خزيمة.
٧. نهي الرسول ﷺ عن كتابة الحديث.
٨. البداء المحال في الوحي.
٩. الملائكة باسطوا أجنحتهم على الشام
١٠. ضرورة اتخاذ الخليفة من المهاجرين.

هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد الأنصاري الخزرجي ثمّ النجّاري، أُمّه النوار بنت مالك بن معاوية بن عدي بن النجّار، كنيته أبو سعيد، وكان عمره لما قدم النبي ﷺ المدينة إحدىٰ عشرة سنة، وكان يوم بعاث ابن ست سنين، وفيها قتل أبوه واستصغره رسول الله ﷺ يوم بدر فردّه، وشهد أُحداً، وقيل: لم يشهدها، وإنّما شهد الخندق أوّل مشاهده، وكانت راية بني مالك بن النجار يوم تبوك بيد زيد بن ثابت. [1]

وقد أطراه أصحاب المعاجم بأُمور وربّما ذكروا ما يخالفها.

---

١. أُسد الغابة: ٢/ ٢٢١ـ٢٢٣.

١. هل كان زيدجامعاً للقرآن ؟

إنّ أبا بكر قال له: أنت رجل شاب عاقل لانتّهمُك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبّعِ القرآن فاجمعه.

فقال زيد: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟

قال: هو والله خير.

فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ﴾ حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفّاه الله تعالى، ثمّ عند عمر حياته، ثمّ عند حفصة بنت عمر. [1]

يلاحظ عليه، أوّلاً: أنّ البخاري نقل انّ القرآن جمع في عصر رسول الله ﷺ، وأحد الجامعين هو زيد بن ثابت، فروىٰ عن أنس، قال: مات النبي ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، و معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قال: ونحن ورثناه[2] ومعه كيف يكون جامعاً للقرآن أيضاً بعد رحيله؟!

ثانياً: لو صحّ ما في الخبر، و افترضنا أنّه لم يجمع القرآن في عهد الرسول، كان اللازم على الخليفة أبي بكر أن يترك جمع القرآن الكريم إلى عبد الله بن مسعود، الذي يرويٰ البخاري عنه، انّه قال : والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلاّ أنا أعلم أين أُنزلت، ولا أُنزلت آية من كتاب الله إلاّ أنا أعلم فيم

---

١. صحيح البخاري: ٦/ ١٨٣، باب جمع القرآن.

٢. صحيح البخاري: ٦/ ١٨٧، باب القراء من أصحاب النبي.

أُنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم منّي بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه. [١]

كما روى البخاري أيضاً عن مسروق: أنّه ذكر عبد الله بن عمرو، عبدَ الله بن مسعود، فقال: لا أزال أحبه، سمعت النبي ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة من: عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأُبي بن كعب.

كما روى أيضاً، انّه خطب عبد الله بن مسعود، وقال: والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ انّي من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم قال شقيق: فجلست في الحِلَق أسمع ما يقولون، فما سمعت رادّاً يقول غير ذلك. [٢]

ومع هذه الروايات التي رواها البخاري في حق عبد الله بن مسعود، فمن البعيد أن يترك الخليفة ذلك المقرئ الكبير ويلتجئ إلىٰ شاب أدرك من عصر الرسالة عشرة أعوام وهو بعدُ صبيّ لم يبلغ الحُلُم، ويترك عبد الله بن مسعود أحد السابقين في الإسلام، أدرك رسول الله ﷺ في مكة المكرمة والمدينة المنوّرة.

كلّ ذلك يرشدنا إلى أنّ جمع القرآن الكريم بعد رحيل الرسول ﷺ بيد زيد ابن ثابت مزعمة لا يذعن لها العقل ولا النقل.

وأعجب منه انّ قاطبة المسلمين لم يحفظوا آخر آية سورة التوبة حتى زيد بن ثابت نفسه، فأخذها من أبي خزيمة أحد الصحابة.

أو ليس معنى ذلك انّ المعجزة الكبرىٰ والسند الوثيق للإسلام، لم يصل إلى المسلمين بطريق متواتر، بل وجده الجامع عند واحد من الصحابة فأدرجه في القرآن، وهذا إنكار لتواتر القرآن وبالتالي إنكار تلك المعجزة الكبرىٰ.

---

١. صحيح البخاري: ٦/ ١٨٧.

٢. المصدر السابق: ٦/ ١٨٦.

وثمة نكتة جديرة بالامعان وهي:

إنّ هذه الروايات مخالفة لحكم العقل، فانّ عظمة القرآن بنفسه، واهتمام النبي ﷺ بحفظه وقراءته، واهتمام المسلمين بما يهتم به النبي ﷺ وما تستوجب تلاوة القرآن من الثواب، كل ذلك يبعثنا إلى القول بأنّ القرآن جمع في عهد الرسالة، وينافي القول بجمعه على النحو المذكور في تلك الروايات.

إنّ العقل الصريح يحكم بأنّ قائداً كالنبي ﷺ الذي كان واقفاً على أنّ القرآن دعامة دينه ومعجزة شريعته والمرجع الأوّل للأُمّة إلىٰ يوم القيامة في العقيدة والشريعة، لا يمكن أن يترك القرآن في مهبّ الرياح مبعثراً بين الرقاع والاكتاف بين العسب وصدور الرجال، دون أن يجمعه في كتاب ويدونه كي يكون حجّة خالدة على مدى العصور. فمن زعم انّ الرسول ﷺ مضىٰ ولم يبذل عناية كافية في جمع القرآن وتدوينه وصيانته عن طروء الحوادث، فقد جعل النبي ﷺ غير معنيّ بقوام شريعته وبرهان رسالته وشؤون أُمّته. أعاذنا الله و إيّاكم من تلك الفكرة الخاطئة.

هذا هو موجز البحث عن المفخرة الأُولى التي أثبتها أصحاب المعاجم لزيد بن ثابت وانّه الجامع للقرآن بعد رحيل النبي ﷺ، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى الكتب المعدّة لهذا الغرض.

٢. هل كان زيد أعلم بالفرائض؟

قد ذكر غير واحد من أصحاب المعاجم انّ زيداً أفرض الصحابة وأعلمهم بالفرائض.

روى ابن سعد في طبقاته عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: أفرض أُمّتي زيد بن ثابت.

وروى أيضاً، انّ عمر وعثمان ما كانا يُقدِّمان علىٰ زيد بن ثابت أحداً في الفرائض، و الفتوىٰ، والقراءة، والقضاء، كما روى عن عمر بن الخطاب، انّه قال: من كان يريد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت. [١]

ونقل الذهبي عن الشعبي، انّه قال: غلب زيد الناس علىٰ اثنين: الفرائض والقرآن. [٢]

أقول: ما نقله عن الشعبي فقد نقل عنه خلافه.

قال ابن شهر آشوب في بيان انّ علياً هو المرجع في جميع العلوم الإسلامية، ما هذا لفظه: و منهم الفرضيون وهو أشهرهم فيها؛ ثمّ نقل عن فضائل الصحابة لأحمد، عن طريق ابنه، انّه قال: إنّ أعلم أهل المدينة بالفرائض علي بن أبي طالب عليه السلام، قال الشعبي: ما رأيت أفرض من علي عليه السلام ولا أحسب منه، وقد سئل عنه وهو على المنبر يخطب عن رجل مات وترك امرأة وأبوين وابنتين، كم نصيب المرأة؟ فقال: صار ثمنها تسعاً، فلقّبت با لمسألة المنبرية.

شرح ذلك: للأبوين السدسان، وللبنتين الثلثان، وللمرأة الثمن، عالت الفريضة فكان لها ثلاث من أربعة وعشرين ثمنها، فلمّا صارت إلىٰ سبعة وعشرين صار ثمنها تسعاً، فإنّ ثلاثة من سبعة وعشرين تسعها، ويبقىٰ أربعة وعشرون، للابنتين ستة عشر، وثمانية للأبوين سواء، قال: هذا على الاستفهام، أو على قول القائلين بالعول، فلذا صار ثمنها تسعاً، أو سئل كيف يجيء الحكم على مذهب من يقول بالعول؟ فبيّن الجواب والحساب والقسمة والنسبة.

---

١. طبقات ابن سعد: ٢/ ٣٥٩؛ ولاحظ سير اعلام النبلاء: ٢/ ٤٣١ برقم ٨٥، وقد ناقش المعلّق في اسناد بعض تلك الروايات.

٢. سير اعلام النبلاء: ٢/ ٤٣٢.

ومنه المسألة الدينارية.[١]

وكان ابن عباس يردّ على زيد قوله بالعول في الفرائض، فمن ذلك قوله: إن شاء، أو قال: من شاء باهلته، إنّ الـذي أحصىٰ رمل عالج عدداً أعدل من أن يجعل في مـال نصفاً ونصفـاً وثلثاً، هـذان النصفان قـد ذهبا بـا لمال، فأين موضع الثلث؟[٢]

وللإمـام الصادق ردٌّ على مـا قضى بـه زيد بن ثـابت في مسألـة، وهي: إذا ماتت امرأة وتركت زوجها و إخوة، وأُمّها وأُختاً لأبيها؛ فمن أراد التفصيل فليرجع إلى تهذيب الأحكام.[٣]

٣. كان زيد عثمانيّ الهوى

ذكر الجزري انّ زيداً كان عثمانياً، ولم يشهد مـع علي شيئاً من حروبه، وكان يظهر فضـل عليّ وتعظيمه، وهـو من الذين لم يبـايعوا عليـاً عند مـا بايعـه وجوه المهاجرين والأنصار، وعلى الرغم من ذلك لم يكن يكتم فضائل علي عليه السلام ومناقبه.

روى يعقوب بـن سفيان بسنده، عـن زيد بن ثـابت، قال: قـال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّي تـارك فيكم خليفتي: كتـاب الله عـزّوجلّ، وعترتي أهل بيتـي؛ وانّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.[٤]

وهو أحد رواة حديث الغدير من الصحابة.[٥]

---

١. بحار الأنوار: ٤٠/ ١٥٩ نقلاً عن مناقب ابن شهر آشوب، لاحظ المناقب: ١/ ٢٥٩.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٠/ ٢٥ـ ٢٧.

٣. الطوسي: تهذيب الأحكام: ٩/ ٢٩١ـ ٢٩٢.

٤. كتاب المعرفة والتاريخ: ١/ ٥٣٧.

٥. الغدير: ١/ ٣٧.

روائع أحاديثه

١. أخرج مسلم في صحيحه، عن بسر بن سعيد، عن زيد بن ثابت، قال: احتجر رسول الله ﷺ حجيرة بخصفة أو حصير، فخرج رسول الله ﷺ يُصلي فيها. قال: فتتبّع إليه رجال وجاءوا يصلّون بصلاته، قال: ثمّ جاءوا ليلة فحضروا وأبطأ رسول الله ﷺ عنهم، قال: فلم يخرج إليهم فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب، فخرج إليهم رسول الله ﷺ مغضباً.

فقال لهم رسول الله ﷺ: ما زال بكم صنيعكم حتّى ظننت انّه سيكتب عليكم، فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فانّ خير صلاة المرء في بيته، إلاّ الصلاة المكتوبة. (١)

إنّ هذه الرواية تُعد من الأدلة الواضحة علىٰ عدم جواز إقامة نوافل رمضان جماعة، وانّ إقامتها كذلك بدعة حدثت بعد النبي ﷺ، وقد بسطنا الكلام عنها في كتابنا «البدعة». (٢)

٢. أخرج ابن ماجة في سننه، عن أبي هبيرة الأنصاري، عن أبيه ، عن زيد ابن ثابت، قال: قال رسول الله ﷺ: نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فبلّغها، فربَّ حامل فقه غير فقيه، وربَّ حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه.

زاد فيه عليّ بن محمد: «ثلاث لا يُغلُّ عليهنَّ قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم. (٣)

٣. أخرج أحمد، عن القاسم بن حسان، عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول

---

١. صحيح مسلم: ٢/ ١٨٨. باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد.

٢. البدعة، ص ١٥٤ـ١٩٨.

٣. سنن ابن ماجة: ١/ ٨٤ برقم ٢٣٠؛ مسند أحمد: ٥/ ١٨٢.

الله ﷺ: إنّي تارك فيكم خليفتي، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وانّهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض [١].

هذه بعض رواياته الرائعة استعرضناها، فلنعطف عنان الكلام إلى ما عُزِي إليه مما يخالف الموازين السالفة الذكر.

١ . عذاب بلا ذنب:

أخرج ابن ماجة في سننه، عن ابن الديلمي، عن زيد بن ثابت، قال: سمعت رسول الله، يقول: لو انّ الله عذَّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذّبهم وهو غير ظالم لهم. ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم. ولو كان لك مثل أُحد ذهباً أو مثل جبل أُحد ذهباً تنفقه في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر كله . فتعلم انّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وانّك إن متَّ علىٰ غير هذا دخلت النار. [٢]

والحديث وإن نقل عن ثلة من الصحابة كأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، لكن يرده العقل الحصيف و الفطرة السليمة، إذ انّ هنا كلاماً مع غض النظر عن مسألة التحسين والتقبيح وهل هما عقليان أو شرعيان وهو:

إنّ الوجدان خير شاهد علىٰ قبح تعذيب البريء من أي فاعل صدر، سواء كان الفاعل هو الواجب أو الممكن، فلو لم يتمكن العقل من درك هذا المقدار من التحسين والتقبيح فلا يصحّ له القضاء في أيّ أمر يمتّ إليه بصلة.

نعم انّ السماوات والأرض وما فيهما ملك لله تبارك وتعالىٰ لا ينازعه فيها أحد، فلو عذب أهلها لا يمنعه منه شيء، ولكن هل يجوز له حسب حكمته

١ . مسند أحمد: ٥/ ١٨١ ـ ١٨٢ .
٢ . سنن ابن ماجة: ١/ ٣٠ برقم ٧٧.

وعدله أن يعذب البريء، ويدخل الطفل الـرضيع النار بحجة انّه ملكه؟ كلاّ.لا، إذ عندئذٍ يكون ظالماً وجائراً ويكون مناقضاً لحكمته وعدله.

وقد احتكـم سبحانه في غير واحـد من المسائل إلى العقل والفطـرة، فقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (القلم/ ٣٥) ويقـول سبحانـه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصّـالِحـات كَالْمُفْسِـدِيـنَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَـلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجّار﴾ (ص/ ٢٨) أي لا نجعلهما على حد سواء لأنّه قبيح.

انّ المتبادر من الآيات الآمرة بالعدل والناهية عن الظلم هو انّ الإنسان إذا رجع إلىٰ فطرتـه تتجلىٰ له تلك الحقيقـة ويتميّز عنده العـدل عن الظلم دون أدنىٰ ريب، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِـالعَدْلِ وَالإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي القُـرْبىٰ وَيَنْهىٰ عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْي يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل/ ٩٠).

والدليل على ذلك انّ كلّ إنسان يدرك من صميم ذاته معنى العدل والظلم وغيرهما ممّا يرجع إلى محاسن الأفعال ومساويها، ولا يصحّ الأمر بالعدل ولا النهي عن الظلم إلاّ إذا كان الموضوع (العدل و الظلـم) محدداً معروفاً للمكلّف مع قطع النظر عن التشريع، وإلاّ يلزم الخطاب بأمر لم يكن المخاطب واقفاً عليه.

فإذا شهد سبحانه على قيامه بـالعدل والقسط أو شهد علىٰ نفسه بأنّه ليس بظالم ولا ظـلام ولا يظلم الناس، فمعنىٰ ذلـك انّه سبحانـه يصف نفسه بـالعدل والظلم بالمعنى المعـروف عند العقلاء قال سبحـانه: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلـهَ إِلاّ هُوَ وَالْمَلائِكَة وَأُولُوا العِلْم قائِماً بِالقِسْطِ﴾ (آل عمران/ ١٨)، وقال سبحانه: ﴿ذٰلِكَ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلّامٍ لِلْعَبِيد﴾ (آل عمران/ ١٨٢) وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ النّاسَ شَيْئاً وَلكِنّ النّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (يونس/ ٤٤).

فالله عادل بنفس المعنى الذي ندركه عن العدل، و ليس بظالم بنفس ذلك المعنى الذي نـدركه عن الظلم، و من المعلوم انّ تعـذيب أهل الأرض والسماوات

بلا جرم وإثم ظلم يقبحه العقل، ولا يُنسب إلى الله سبحانه لمنافاته العدل، فكيف يصحّ أن يقال: إنّ الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذّبهم وهو غير ظالم لهم؟! بل يكون ظالماً قطعاً تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

إنّ إنكار إدراك العقل الأُمور البديهية في مجال الحسن والقبح إعدام للعقل وإطاحة به، ومع رفضه في مجال العقائد لا يمكن أن يثبت شيء من المعارف الإلهية، فلو أنكرنا قضاء العقل بقبح الكذب أو قبح تزويد الكاذب بالكرامات لا يصح إثبات نبوّة أيّ أحد ولو جاء بمعاجز باهرة، لاحتمال الكذب عليه وعلىٰ مرسله، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

٢. اتخاذ اليهود قبور الأنبياء مساجد

أخرج أحمد في مسنده، عن عبد الرحمان بن ثوبان، عن زيد بن ثابت: انّ رسول الله ﷺ قال: لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. [1]

إنّ ظاهر الرواية يعرب انّ قاطبة اليهود اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وما هذا إلاّ بسبب التكريم والتبجيل، سواء اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يصلّون فيها أو تبركاً بهم أو يسجدون على قبورهم على نحو يكون القبر مسجوداً عليه أو يسجدون لهم بحيث يكون الركوع والسجود للأنبياء.

وعلىٰ جميع التقادير (وإن كان التقدير الأخير بعيداً) فعملهم ـ لو صحّ ـ يعرب عن تكريمهم لأنبيائهم وتبجيلهم لهم. هذا هو معنى الحديث.

ومن جانب آخر إنّ تاريخ اليهود حافل بقتل الأنبياء والرسل، فكيف يمكن الجمع بين مضمون الحديث والآيات الصريحة الدالة على تحقيرهم لأنبيائهم؟!

---

١. مسند أحمد: ٥/ ١٨٤.

قال سبحانه: ﴿أَفَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِما لاتَهوىٰ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُون﴾ (البقرة/ ٨٧) وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَولَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِياءُ سَنَكْتُبُ ما قالُوا وَقتلَهُمُ الأَنْبياءَ بِغَيْرِ حَقّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذابَ الحَرِيق﴾ (آل عمران/ ١٨١) إلى غير ذلك من الآيات المندِّدة بعمل اليهود.

إنّ هذا الحديث الذي اتخذه ابن تيمية وابن قيم الجوزيّة ومن لفّ لفّهما ذريعة إلىٰ تحريم الصلاة عند قبور الأنبياء، حديث لا يعتمد عليه مهما صحّ سنده، لأنّ المضمون يخالف صريح القرآن والسيرة الثابتة عند اليهود، فانّ اليهود لم يكونوا أهل تكريم وتبجيل لأنبيائهم، أفمن المعقول عندئذ أن يتخذوا قبورهم مصلّى؟! وقد بسطنا الكلام في ذلك في كتابنا «الوهابية في الميزان».

٣. حرمان بعض الورثة من الميراث

أخرج أحمد في مسنده عن راشد، عن زيد بن ثابت، انّه سئل عن زوج، وأُخت لام، وأب فأعطى الزوج النصف و الأُخت النصف، فكلم في ذلك فقال: حضرت رسول الله قضىٰ بذلك. [1]

أقول: لو قلنا بأنّ لفظ «وأب» معطوف على «أُخت» فالوارث في المسألة ثلاثة وهم: بين وارث ذي فرض، ووارث بالقرابة، أمّا الأوّل فالزوج يرث النصف من المال، والأُخت لأُمّ ترث السدس، قال سبحانه في حقّ الزوج: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ ما تَرَكَ أَزْواجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَد﴾ (النساء/ ١٢).

وقال سبحانه في حقّ الأُخت للأُمّ: ﴿وَإِنْ كانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَو أُختٌ فَلِكُلّ واحِدٍ مِنْهُما السُّدُس﴾ (النساء/ ١٢).

---

١. مسند أحمد: ٥/ ١٨٨.

وأمّا الثـاني كالأب فلو كـان المورّث ذا ولد ففـرضه السدس، لكنّـه خلاف المفروض و إلاّ فلا فرض له في الكتاب العـزيز، قال سبحانه: ﴿ولأبويه لكلّ واحدٍ منهما السُّـدُسُ مِمّا تـرَكَ إنْ كانَ لَـهُ وَلَدٌ فـإنْ لَمْ يَكُنْ لَـهُ وَلَدٌ وَوَرِثَـهُ أَبَواهُ فـلأُمّهِ الثُّلُث﴾ (النساء/ ١١) وهو يـرث ما بقي بعد إخـراج سهام ذوي الفروض وعلىٰ ضوء ذلك ففي المسألة :

يرث الزوج النصف.

والأُخت السدس.

والباقي أي الثلث للأب.

ومع ذلك فكيـف ورّث أفرض الصحابـة الزوج النصـف والأُخت النصف الآخر وحرم الأب؟!

هذا إذا قلنا بأنّ الورثة كانـوا ثلاثة، وأمّا لو قلنا بعطف لفظ الأب على الأُمّ وانّ المراد الأُخت لأب وأُم فـالوارث اثنان وتقسيم التركـة صحيح حسب الـذكر الحكيم.

أمّا في جانـب الزوج فقد عرفت، وأمّـا في جانب الأُخت فلقولـه سبحانه: ﴿إنِ امرؤٌا هَلَكَ لَيسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَها نِصفُ ما تَرَكَ﴾ (النساء/ ١٧٦) لكن يرد على الجواب بأنّ أفرض الصحـابة غفل عن النص القرآني، وبـرّر عمله بقضاء رسول الله بذلك.

٤ . تحريف القرآن الكريم

أخرج أحمد في مسنده عـن كثير بن الصلت، قال: كان ابن العـاص، وزيد ابن ثابت يكتبان المصاحف، فمرّوا على هـذه الآية، فقال زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة»

فقال عمر: لمّا أنزلت هذه أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: اكتبنيها.

قال شعبة: فكأنّه كره ذلك، فقال عمر: ألا ترى انّ الشيخ إذا لم يحصن جلد وانّ الشّابّ إذا زنىٰ، وقد أحصن رجم. [١]

أقول: إنّ القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة الذي يتميز بأُسلوبه ومضمونه.

والعبارة المحكية عن الخليفة ــ بأنّه من القرآن الكريم ـ كلام حيك علىٰ نسق قوله سبحانه: ﴿**الزّانيةُ وَالزّاني فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مائةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأفَةٌ في دِينِ اللهِ**﴾ (النور/ ٢).

أو قوله سبحانه: ﴿**وَالسّارِقُ وَالسّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا نَكالاً مِنَ اللهِ**﴾ (المائدة/ ٣٨).

ولو افترضنا انّ زيداً سمع من رسول الله قوله: «الشيخ و الشيخة إذا زنيا» فلا يكون ذلك دليلاً على أنّه من القرآن الكريم، بل هو كلام الرسول ﷺ ألقاه لبيان حكم الله الشرعي.

ثمّ إنّ القول بالتحريف يخالف النصّ الصريح للذكر الحكيم، قال سبحانه: ﴿**إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنّا لَهُ لَحافِظُونَ**﴾ (الحجر/ ٩).

وقال سبحانه: ﴿**لا يَأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكيمٍ حَمِيدٍ**﴾ (فصلت/ ٤٢) وأيُّ باطل أوضح من تطرّق الزيادة والنقيصة إلى تلك المعجزة الخالدة.

والعجب انّ الذين يروون هذه الروايات الضعيفة يتهمون الشيعة بالتحريف، وفاتهم انّ العثور على رواية في هذا الصدد في كتبهم لاتكون دليلاً على العقيدة، وعلىٰ فرض التسليم فكتب هؤلاء أيضاً تعجّ بالأحاديث التي تدل على التحريف.

---

١. مسند أحمد: ٥/ ١٨٣؛ وانظر سنن الدارمي: ٢/ ١٧٩، باب في حد المحصنين بالزنا.

٥. عدم سجود النبي عند قراءة سورة النجم

أخرج أبو داود في سننه، عن عطاء بن يسار، عن زيد بن ثابت، قال: قرأت على رسول الله ﷺ النجم فلم يسجد فيها. [١]

إنّ الحديث يخالف ظاهر القرآن الكريم حيث ورد فيه السجود بصيغة الأمر الظاهر في الوجوب، قال سبحانه: ﴿أَفَمِنْ هذا الحَديثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سامِدُونَ * فاسجُدُوا للهِ واعْبُدُوا﴾ (النجم/ ٥٩ـ ٦٢).

نعم لو ثبت فعل النبي ﷺ يكون قرينة على حمل الأمر في الآية على استحباب السجود لكن الروايات المتضافرة دلّت على وجوبه.

أخرج البخاري، والترمذي وابن مردويه عن ابن عباس، قال: سجد النبي ﷺ في النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس.

وأخرج أحمد والنسائي وابن مردويه عن المطلب بن أبي وداعة، قال: قرأ النبي ﷺ بمكة ﴿والنجم﴾ فسجد وسجد من معه.

وأخرج سعيد بن منصور، عن سبرة، قال: صلّى بنا عمر بن الخطاب الفجر، فقرأ في الركعة الأُولى سورة يوسف، ثمّ قرأ في الثانية النجم، فسجد، ثمّ قام: فقرأ إذا زلزلت ثمّ ركع. [٢]

٦. العثور على آية عند خزيمة

أخرج البخاري في صحيحه، عن خارجة بن زيد بن ثابت، انّ زيد بن

---

١. سنن أبي داود: ٢/ ٥٨ برقم ١٤٠٤.

٢. الدر المنثور: ٧/ ٦٦٨.

ثابت، قال: نسخت الصحف في المصاحف ففقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فلم أجدها إلاّ مع خزيمة بن ثابت الأنصاري الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين، وهو قوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾ .[١]

قد عرفت أنّ القرآن الكريم جمع في عصر الرسالة وانّ القول بجمعه بعد رحيله يخالف العقل والنقل.

والعجب انّ القرآن الكريم الذي كان يسمعه مئات الصحابة وهم يعدون في طليعة الحفّاظ كيف نسي الجميع هذه الآية علىٰ وجه لم يجدها زيد بن ثابت إلاّ عند خزيمة بن ثابت؟! ومعنىٰ ذلك انتهاء القرآن الكريم إلى النبي ﷺ بخبر الواحد، وكون شهادة خزيمة تعادل شهادة رجلين لا يخرجها عن حدّ خبر الواحد.

على أنّ زيداً قد اعتمد في كتابة آخر آية من سورة البراءة على نفس ذلك الشخص، وفاته انّ تلك التشبثات لا تضفي على القرآن وصف التواتر.

٧. نهي الرسول ﷺ عن كتابة الحديث

أخرج أبو داود في سننه، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، قال: دخل زيد بن ثابت علىٰ معاوية، فسأله عن حديث فأمر إنساناً يكتبه، فقال له زيد: إنّ رسول الله ﷺ أمرنا أن لا نكتب شيئاً من حديثه فمحاه.[٢]

إنّ البحث في منع الرسول عن كتابة حديثه ذو شجون، وقد استوفينا الكلام فيه في مقدمة هذا الكتاب، فلو كان الرسول أمر بمحو ما كتب فهو ﷺ أُسوة، كما

---

١. صحيح البخاري: ٤/ ١٩، باب قول الله تعالى ﴿من المؤمنين﴾ ؛ سنن الترمذي: ٥/ ٢٨٤ـ ٢٨٥ برقم ٣١٠٤.

٢. سنن أبي داود: ٣/ ٣١٨ـ ٣١٩ برقم ٣٦٤٧.ورواه أحمد في مسنده:٣/ ١٢ عن أبي هريرة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب/ ٢١). فلنقتد جميعاً برسول الله ولنحرق جميع الصحاح والمسانيد والسنن، ولم يكن أمر الرسول أمراً مؤقّتاً مقطعياً وإنّما كان أمراً شمولياً عبر الزمان، أفيصح ذلك في منطق العقل؟! كيف ولو انفصلنا عن السنة لخفي علينا معالم الدين والشريعة؟!

كيف يأمر النبي ﷺ بمحو كتابة الحديث مع أنّه كتب إلىٰ الأساقفة وشيوخ القبائل والرؤساء كتباً ورسائل اتّفق فيها معهم علىٰ أُمور؟ وهذه الكتب كانت موجودة في أيدي الناس ولم يأمر رسول الله ﷺ بمحوها وإبطالها.

أمر القرآن الكريم بكتابة الدين مهما كان صغيراً أو كبيراً، أو ليس لكلامه ـ نعوذ بالله ـ قيمة بمقدار الدين.

كلّ ذلك يعرب عن أنّ المنع عن كتابة الحديث كان منعاً سياسياً من جانب الخلفاء، ولم يكن له أصل دينيّ، ولذلك لما بلغ السيل الزبى، وتسرّبت كثير من الإسرائيليات والمسيحيات والمجوسيات إلىٰ أوساط المسلمين. وقف المسلمون وفي طليعتهم عمر بن عبد العزيز على الخسارة الفادحة التي منوا بها من جرّاء ذلك، فكتب إلى أبي بكر بن حزم بضبط الحديث وتدوينه من رأس، قائلاً: انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإنّي خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلاّ حديث النبي ﷺ، وليفشوا العلم وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإنّ العلم لا يهلك حتى يكون سراً. [١]

والذي يؤيد كون الحديث موضوعاً علىٰ لسان رسول الله ﷺ ما رواه ابن داود، عن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كلّ شيءٍ أسمعه من رسول الله ﷺ

---

١. صحيح البخاري: ١/ ٢٧، باب الحرص على الحديث.

أُريد حفظه، فنهتني قريش، وقـالوا: أتكتب كلّ شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا ؟ فأمسكت عن الكتـاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال: اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلاّ حقّ. (١)

٨. البداء المحال في الوحي

أخرج البخاري في صحيحه، عن سهل بن سعد الساعدي، انّه قال: رأيت مروان بن الحكـم جالساً في المسجـد فأقبلت حتى جلست إلىٰ جنبـه، فأخبرنا انّ زيد بن ثابت أخبره انّ رسول الله ﷺ أملى عليه:«لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله».

قال: فجاءه ابن أُمّ مكتوم وهو يمليهـا عليّ، فقال: يا رسول الله لو أستطيعُ الجهاد لجاهدت وكان رجلاً أعمىٰ، فأنزل الله تبارك وتعالىٰ على رسوله ﷺ وفخذه علىٰ فخـذي فثقلت عليَّ حتّى خفت ان تـرضّ فخذي ثـم سُرّيَ عنه، فأنـزل الله عزّوجلّ ﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ (النساء/ ٩٥). (٢)

أقول: إنّ فصل الخاص عن العام، والمقيد عن المطلق أمر جائز في التشريع الإسلامي، لأنّ السنة الإلهية جرت على بيان الأحكـام الشرعية بالتدريج، وهذا مما لا مشـاحة فيـه . إنّما الكـلام في الآية المبـاركـة التي ليست بصـدد بيـان الحكم الشرعي حتى يتماشىٰ فيهـا الضابطة المذكورة، وإنّما هي بصدد بيـان حقيقة وهي عدم استواء القاعد و المجاهد، فإذاً الموضـوع امّا هو مطلق القاعد أو القاعد غير أُولي الضرر.

فلو كان الموضوع ــ في الواقع ـ هو مطلق القاعـد، فلماذا أُضيف إليه قيد

١. سنن أبي داود: ٣/ ٣١٨ برقم ٣٦٤٦.

٢. صحيح البخاري: ٤/ ٢٤ و٢٥ باب قول الله تعالى: ﴿لاَ يَسْتَوِي القاعِدُونَ مِنَ المؤمِنِينَ﴾ .

(غير أُولي الضرر) في المرّة الثانية، ولو كان الموضوع منذ أوّل الأمر هو المقيد (أي لا يستوي القاعدون غير أُولي الضرر) فلماذا فصل عنه القيد في المرّة الأُولى وضمّ إليه ثانياً ؟ ومعنىٰ ظاهر الرواية حدوث البداء على الله سبحانه، وظهور ما خفي عليه وهو أمر محال، فلم يعلم وجه هذا الفصل إلاّ أن تكون الغاية تكريم ابن أُمّ مكتوم وهذا أمر بعيد، فالحكم بوضع الرواية أحسن من هذا التوجيه.

وقد زعم أبو جعفر الطحاوي انّ الإشكال يكمن في التسوية بين القاعدين لعذر وبغير عذر.

فأجاب انّه سبحانه لم يقصد من القاعدين في الآية القاعدين بالزمانة مع النية انّهم لو أطاقوا الجهاد لجاهدوا، ولكن ذهب ذلك عن ابن أُمّ مكتوم حتى قال ما قال[1].

أقول: خفي عليه موضع الإشكال، فانّ محله هو انّه سبحانه إمّا أراد من القاعدين عمومهم، أو خصوص غير القاعدين بالزمانة، فعلى الأوّل يلزم البداء بإنزال القيد، وعلى الثاني يلزم تأخير القيد المتصل عن الآية وهو كما ترى.

٩. الملائكة باسطوا أجنحتهم على الشام

أخرج أحمد في مسنده، عن عبد الرحمان بن شماسة، عن زيد بن ثابت، قال:

بينا نحن عند رسول الله نؤلّف القرآن من الرقاع، إذ قال: طوبى للشام، قيل: ولِـمَ ذلك يا رسول الله؟ قال: لأنّ ملائكة الرحمن باسطوا أجنحتها عليه.[2]

---

١. مشكل الآثار: ٢/ ١٥٤.

٢. مسند أحمد: ٥/ ١٨٤.

إنّ النبي ﷺ أفصح من نطق بالضاد، فهو لا يتكلم اقتضاباً إلاّ أن يكون في المقام أدنى مناسبة، فلو افترضنا انّ زيداً كان يؤلف القرآن من الرقاع، ولم يكن يتكلّم مع النبي ﷺ فبأيِّ مناسبة ألقىٰ رسول الله ﷺ كلامه وأظهر فضائل الشام؟ وأغلب الظن انّ الحديث وضع في أوائل العهد الأموي لتثبيت أركان الجهاز الحاكم.

١٠. ضرورة اتخاذ الخليفة من المهاجرين

أخرج أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار فجعل منهم من يقول: يا معشر المهاجرين إنّ رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلاً منكم قرن معه رجلاً منّا، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان، أحدهما منكم، والآخر منّا، قال: فتتابعت خطباء الأنصار علىٰ ذلك، قال: فقام زيد بن ثابت، فقال: إنّ رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وإنّما الإمام يكون من المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنّا أنصار رسول الله ﷺ، فقام أبو بكر، فقال: جزاكم الله خيراً من حيٍّ يا معشر الأنصار وثبّت قائلكم، ثمّ قال: والله لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم. [١]

إنّ الخلافة كالرسالة فرع وجود مؤهلات و صلاحيات تؤهل الإنسان لأن يشغل منصّة الخلافة ويقوم بنفس الوظائف المخوّلة إلى النبي ﷺ سوى النبوّة، وعلى ضوء ذلك فليست العناوين الطارئة كعنوان الأنصار أو المهاجرين من المؤهلات للقيام بأعباء الخلافة، ولذلك يقول سبحانه: ﴿**اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ**﴾ (الأنعام/ ١٢٤). فما صرح به زيد من أنّ الرسول كان من المهاجرين فليكن الإمام منهم،من الوهن بمكان لعدم الدليل على الملازمة.

---

١. مسند أحمد:٥/ ١٨٥.

وتشهد على بطلانه هذه الوثيقة التاريخية:

لما عرّف الرسول نفسه علىٰ بني عامر الذين جاءوا إلىٰ مكة المكرمة في موسم الحج ودعاهم إلى الإسلام، قال له كبيرهم: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثمّ أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟

فقال النبي ﷺ: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء.[1]

فعلى ذلك فمنطق المهاجرين والأنصار في مسألة الخلافة منطق غير سديد، إذ ليست الخلافة رهن عنوان المهاجرين والأنصار، وإنّما هي رهن ملاكات وصلاحيات لا حصر لها، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوت مَلِكاً قالُوا أَنّى يَكُونُ لَهُ المُلكُ عَلَيْنا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ المالِ قالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَزادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ وَالجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة/ ٢٤٧) فقد انطلق بنو إسرائيل من مبدئية الثراء وكثرة المال، والله سبحانه ردّ عليهم وجعل المعيار هو كثرة العلم والقدرة الجسمانية، وأين هذا من منطق الحاضرين في سقيفة بني ساعدة؟!

---

١. ابن هشام السيرة النبوية: ٢/ ٤٢٤.

١٣

المغيرة بن شعبة

(٢٠قهـ ـ ٥٠هـ)

سيرته و أحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. النبي ﷺ بال قائماً.

٢. يعذب الميت بما يُناح عليه.

٣. إخبار النبي ﷺ عن الحوادث إلى يوم القيامة.

٤. الدجال معه جبل خبز.

المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك الثقفي، يُكنّى أبا عبد الله.

روى ابن إسحاق عن عامر بن وهب، قال: خرج المغيرة في ستة من بني مالك إلىٰ مصر تجّاراً حتى إذا كانوا ببزاق [1] عدا عليهم فذبحهم واستاق العير وأسلم.

وروى الواقدي: انّه قدم على النبي ﷺ وعليه ثياب سفره، وكان أبو بكر

---

١. موضع قريب من مكة.

عنده فسأله، وقـال: أمن مصر أقبلتم؟ قال: نعم، قال: مـا فعل المالكيون؟ قال: قلت: قتلتهم وأخـذت اسلابهم وجئت بها إلى رسـول الله ليخمِّسها، فقـال النبي ﷺ: أمّـا إسلامك فنقبلـه، ولا آخذ مـن أموالهم شيئـاً، لأنّ هذا غـدر ولا خير في الغدر، فأخذني ماقرب وما بعد، وقلت: إنّما قتلتهم وأنا على دين قومي. وكان قتل منهم ثلاثة عشر فبلغ ثقيفاً بالطـائف فتداعوا للقتال، ثمّ أصلحوا على أن يحمل عني عروة بن مسعود ثلاث عشرة دية.

وهذا يعرب انّه التجأ إلى الإسلام كي يصون به نفسه عن سطوة ثقيف، وقد التقىٰ في الحديبية مع عروة بن مسعود وهو مندوب قريش فلما عرفه عروة ، قال له: يا غدر، والله ما غُسِلتْ عني سوأتك إلاّ بالأمس.

استأمره عمر على البحـرين فكرهوه فعزله عمـر، ثمّ ولاّه البصرة فبقي عليها ثلاث سنين واتّهم فيها بـالزنا، فشهد عليـه أبو بكرة ونافع ابنـا الحارث وشبل بن معبد وزياد بن أبيه، لكن الأخير عدل عن شهادته، وقال: لم أر ما قالوا لكن رأيت ريبة و سمعت نفساً عالياً. فكبّر عمر وضرب القوم إلاّ زياداً، ثمّ عزله من البصرة فولاّه الكوفة.

وقد عُدَّ من دهاة العرب الأربعة، أعنـي: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد بن أبيه.

ومن نماذج دهـائه انّه: دعـا معاويـةُ عمروَ بـن العاص، فقـال: أعنّي علىٰ الكوفـة، قال: كيف بمصر؟ قـال: استعمل عليها ابنـك عبد الله بن عمـرو، قال: فنعم. فبيْنـاهم على ذلك جـاء المغيرة بن شعبـة وكان معتـزلاً بالطـائف، فناجـاه معاوية، فقال المغيرة: أتؤمِّر عمراً على الكـوفة وابنه على مصر وتكون كالقاعد بين لحيي الأسد؟

قال: فما ترى؟ قال: أنا أكفيك الكوفة، قال: فافعل.

فقال: معاويـة لعمرو حين أصبح: إنّي قد رأيت كذا، ففهـم عمرو، فقال: ألا أدلّك علىٰ أمير الكـوفـة؟ قـال: بلىٰ، قال: المغيرة، واستغـن برأيـه وقـوّتـه عن المكيدة، واعـزله عن المال، قـد كان قبلك عمـر وعثمان فعلا ذلك، قال: نعـم ما رأيت.

فدخـل عليه المغيرة، فقال: إنّي أمّـرتك على الجند والأرض ثمّ ذكـرتُ سنّة عمر وعثمان قبلي، قال: قد قبلتُ.

ومن دهائه أنّ عليّاً لما دفن النبي ﷺ ألقى المغيرة خاتمه في القبر حتى ينزل في القبر ويجعل ذلك ذريعة إلى الافتخار بأنّه آخـر من عَهِدَ برسول الله ﷺومَسَحَ كفنه، ولكن لم تنطلِ هذه الحيلة على الإمام عليه السلام ، فقال له: لا يتحدث الناس انّك نزلت في قبر نبي الله ﷺ ولا يتحدثون انّ خـاتمك في قبره، ونزل هوعليه السلام في القبر فناوله إياه.

كان المغيرة ينال في خطبته من عليعليه السلام وأقام خطباء ينالون منه.

قال الـذهبي: مات أمير الكـوفة المغيرة في سنـة ٥٠ في شعبان ولـه سبعون سنة، ولـه في الصحيحين اثنا عشر حديثاً، وانفـرد له البخاري بحـديث، ومسلم بحديثين. هذا بعض ما يمكن أن يذكر في سيرته، وليس الرجل صاحب صحيفة بيضاء، ولنقتصر على ذلك. [١]

وقد بلغ عدد رواياته في المسند الجامع ما يربو علىٰ ٥٨ حديثاً. [٢]

---

١. سير اعلام النبلاء: ٣/ ٢١ـ٣٢؛ أُسد الغابـة: ٤/ ٤٠٦؛ تاريخ ابن عساكر:١٧/ ٤٢؛ طبقات ابن سعد: ٤/ ٢٨٤ وج ٦/ ٢٠؛ انساب الاشراف:٣/ ٦٨، إلى غير ذلك من المصادر.

٢. المسند الجامع: ١٥/ ٣٧٨ برقم ٦٤٧.

روائع أحاديثه

١. أخرج البخاري في صحيحه، عن الـورّاد، كاتب المغيرة بن شعبة، قال: أملىٰ عليَّ المغيرة بن شعبة في كتاب إلى معـاوية انّ النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتـوبة : لا إله إلاّ الله وحده لا شريك لـه، له الملك، وله الحمـد وهو على كلّ شيء قديـر، اللّهم لا مانع لما أعطيـت ولا معطي لما منعت.[١] ويصدقه قوله سبحانه:﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلاّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رادّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم﴾ (يونس/ ١٠٧).

٢. أخرج البخاري عن المغيرة بن شعبـة، قال: كسفت الشمس علىٰ عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم فقال الناس: كُسِفتِ الشمسُ لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: إنّ الشمس والقمر لا ينكسفـان لموت أحد ولا لحياتـه، فإذا رأيتم فصلوا وادعوا الله.[٢]

٣. أخـرج مسلم في صحيحـه عـن علي بن ربيعـة الأسـدي، قـال: أتيت المسجد والمغيرة أمير الكوفة، قـال: فقال المغيرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ كـذباً عليّ ليس ككـذب على أحد، فمـن كذّب عليَّ متعمـداً فليتبوّأ مقعـده من النار.[٣]

٤. أخرج أحمد في مسنده عن رجل من ولـد المغيرة بن شعبة عنه، قال: نهى رسول الله ﷺ عن المثلة.[٤]

٥. أخـرج الترمـذي في سننـه، عن ميمـون بـن أبي شبيب، عـن المغيرة بن

---

١. صحيح البخاري: ١/ ١٦٤، باب الذكر بعد الصلاة.

٢. صحيح البخاري: ٢/ ٣٤، باب الصلاة في كسوف الشمس.

٣. صحيح مسلم: ١/ ٨، باب النهي عن الحديث بكلّ ما سمع.

٤. مسند أحمد: ٤/ ٢٤٦.

شعبة، عن النبي ﷺ قال: من حدث عني حديثاً وهو يرى انّه كذب فهو أحد الكذّابين.[١]

هذا شيء من روائع أحاديثه، ولكن عزيت إليه أحاديث لا تصدقها الموازين السابقة، وإليك ما يلي :

١. النبي ﷺ بال قائماً

أخرج ابن ماجة، عن أبي وائل، عن المغيرة بن شعبة، انّ رسول الله ﷺ أتى سباطة[٢] قوم،فبال قائماً.[٣]

والرواية لو صحت فإنّما تحمل على صورة الاضطرار، فإنّ البول قائماً ينافي ما ثبت منه خلافه.

قال ابن قدامة: ويُستحب أن يبول قاعداً لئلا يترشش عليه، قال ابن مسعود: من الجفاء أن تبول وأنت قائم، وكان سعد بن إبراهيم لا يجيز شهادة من بال قائماً، قالت عائشة: من حدثكم انّ رسول الله ﷺ كان يبول قائماً فلا تصدقوه، ما كان يبول إلاّ قاعداً.

قال الترمذي: هذا أصحّ شيء في الباب، وقد رويت الرخصة فيه عن علي عليه السلام، وعمر، وابن عمر، وزيد بن ثابت، وسهل بن سعد، وأنس، وأبي هريرة، وعروة، ورواه البخاري وغيره ولعلّ النبي ﷺ فعل ذلك لتبيين الجواز ولم يفعله إلاّ مرّة واحدة، ويحتمل انّه في موضع لا يتمكن من الجلوس فيه.[٤]

---

١. سنن الترمذي: ٥/ ٣٦ برقم ٢٦٦٢.
٢. سباطة: الكناسة.
٣. سنن ابن ماجة: ١/ ١١١ برقم ٣٠٦.
٤. المغني: ١/ ١٥٦.

وما نقله عن عـائشة فقد رواه ابن ماجة، انّها قالـت: من حدَّثك انّ رسول الله بال قائماً فلا تُصدِّقه، أنـا رأيته يبول قاعداً. (١) وروى ابن ماجـة في سننه عن عمر، انّه قال: رآني رسول الله ﷺ أبول قائماً. فقال: يـا عمر: لا تبل قائماً، فما بلت قائماً، بَعْدُ. (٢)

وروى جابر بن عبد الله قال: نهىٰ رسول الله ﷺ أن يبول قائماً. (٣) وما وجّه به ابن قدامة صدوره من النبي ﷺ من أنّه كـان لتبيين الجواز وجه تافه، إذ بإمكـانه ﷺ أن يبيّنه بكلامه دون حاجة إلى بيانه بالفعل الذي يعدّ من صفات غير المبالين بـأحكـام الشريعـة، وأمّـا نسبـة ذلك إلى عليّ ، فـالمروي عـن أئمّـة أهل البيـت خلافه. (٤)

٢. يعذب الميت بما يُناح عليه

أخرج أحمد في مسنـده، عن علي بن ربيعـة الأسدي، قـال: مات رجـل من الأنصار يقال له قرظة بن كعب فنِيح عليه.

فخرج المغيرة بن شعبة فصعد المنبر فحمد الله وأثنـى عليه، ثم قال: ما بال النوح في الإسلام أما إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: من ينح عليه يعذّب بما يناح به عليه. (٥)

قد تناولنـا البحث في البكاء على الميت والنياحة عليه عنـد دراسة أحاديث أبي موسى الأشعـري وذكرنا فيها انّ البكـاء على الميت أمر فطري نـابع من صميم العاطفة الإنسانية، ومثله غير خاضع للنهي، وإنّما المنهي عنه هو التكلّم والدعاء

---

١ و ٢ و ٣. سنن ابن ماجة: ١/ ١١٢ برقم ٣٠٨ـ٣٠٩.

٤. الوسائل: الجزء ١، الباب ١٦ من أحكام الخلوة، الحديث ١.

٥. مسند أحمد: ٤/ ٢٤٥.

بالويل والثبور وكل ما يُسخط الرب والاعتراض على قضائه وقدره .

أخرج ابن ماجـة في سننه، عن مكحول والقاسم، عن أبي امـامة: انّ رسول الله ﷺ لعن الخامشة وجهها، والشاقّة جيبها والداعية بالويل والثبور. [١]

ومعنى هـذا، انّ المنهيّ عنه نظير هـذه الأعمال الخارجة عـن أدب التسليم والرضا بقدره وقضائه.

وقد أمر النبي ﷺ بالنياحة على حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب، كما بكى ﷺ على ولده إبراهيم وبكت معه الصحابة.

وما تضمنه الخبر من أنّ الميت يعذب بما يناح عليه، يخالف القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخرىٰ﴾ (الأنعام/ ١٦٤) فهو من قبيل أخذ البريء بجرم المذنب، والعقل الحصيف يردّه.

٣.إخبار النبي ﷺ عن الحوادث إلى يوم القيامة

أخرج أحمد في مسنده، عن محمد بن كعـب القرظي، عن المغيرة بن شعبة، انّه قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فأخبرنا بما يكون في أُمّته إلىٰ يوم القيامة، وعاه من وعاه ونسيه من نسيه. [٢]

إنّ الإخبار عن الحوادث التي تقع في حياة الأُمّة الإسلامية محمول علىٰ وجه الإجمال دون التفصيـل وذكــر رؤوس الحوادث دون الخوض في تفـاصيلهـا و إلاّ لاستغرق مدة مديدة ربّما لا يتسع لها عمر المتكلّم والسامع.

وعلى ذلك فهـل وعىٰ المغيرة بن شعبـة من تلك الأخبـار شيئاً مفيـداً لحال الأُمّة أو كـان ممن نسي الجميع؟ فلو كـان ممن وعاه، فلماذا لم يخبر الأُمّـة بما سمعه

١ .سنن ابن ماجة:١/ ٥٠٥ برقم ١٥٨٥.

٢. مسند أحمد: ٤/ ٢٥٤.

ولم يُبيّـن جـانباً من تلك الجوانـب؟ ولو كان ممـن نسيه، فهذا يعـرب عن ضعف ذاكـرته، حيث لم يضبـط شيئاً ممّـا سمعه من رسـول الله ﷺ حـول تلك الحوادث المهمـة التي تتشـوق النفس إلى معـرفتهـا وحفظهـا، وعنـد ذاك لا يمكن الاعتماد والركون إلى جميع ما أخبر به عن النبي مـن أحاديث رواها عنه أصحاب الصحاح والمسانيد.

وقد نقل أيضاً عن حذيفة، انّه قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فحدثنا بما هو كائن إلى قيام الساعة، فحفظه من حفظه و نسيه من نسيه.

قال الـذهبي بعـد نقل الروايـة في ترجمتـه: قلت: قـد كان ﷺ يرتّل كلامه ويفسّره، فلعلّه قال في مجلسه ذلك ما يكتب في جزء، فذكر أكبر الكوائن، ولو ذكر أكثر مـا هو كائن في الـوجود لما تهيّأ أن يقولـه في سنة، بل ولا في أعـوام، ففكّر في هذا. [١]

وهذا التوجيه لو تمّ فإنّما يتم علىٰ روايـة المغيرة بن شعبة، دون رواية حذيفة ابن اليمان الآنفة الذكـر حيث خصّص الأوّل بيانه ﷺ لما يقع في أُمّتـه دون الثاني حيث عمّم بيانه لما هو كائن إلى قيام الساعة.

٤ . الدجال معه جبل خبز

أخرج البخاري عن المغيرة بن شعبة: ما سأل أحد النبي ﷺ عن الدّجّال ما سألته، وانّـه قال لي: ما يضرّك منه؟ قلـت لأنّهم يقولون: إنّه معـه جبل خبز ونهر ماء، قال: هو أهون على الله من ذلك. [٢]

وروى مسلم عنـه انّه قـال: ما سأل رسـول الله أحد عن الـدجال أكثـر ممّا

---

١ . سير أعلام النبلاء: ٢/ ٣٦٦ برقم ٧٦.

٢ . صحيح البخاري: ٩/ ٥٩، باب ذكر الدجال.

سألتـه عنه، فقـال لي: أي بُنيّ ومـا ينصبك منه انّـه لن يضرك؟ قـال: قلت: إنّهم يزعمون أنّ معه أنهار الماء وجبال الخبز، قال: هو أهون على الله من ذلك. [١]

لا شكّ انّ الله سبحانـه أقدرُ على ذلك وأهون عليه وانّ كلّ ممكـن بالنسبة إليه سـواء فلا يتصـور فيه اليسر ولا العسر إذا كـان الشيء بذاتـه أمراً ممكنـاً غير ممتنع. وقال علي عليه السلام: «ما الجليل واللطيف والثقيـل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه إلاّ سواء». [٢] ولكن الكلام في أنّـه هل من الممكن عقلاً و منطقاً تـزويد الدجال المضلّ بتلك الكرامات الكبيرة والمعجزات الباهرة التي هي خير ذريعة لإضلال الناس؟

وبعبارة أُخرى: انّ تـزويده بتلك القُدُرات الخارقة للعادة، يـوجب التفاف الناس حوله وإيمانهم به وبدعوته، وهو غير جائز ببداهة العقل إذ معنى ذلك إنّه سبحانه مهد الطـريق لإضلال الناس، وحكمته سبحانه تصدّنـا عن تجويزه عليه قال سبحانه: ﴿وَلَو تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الأَقاوِيل* لأَخَـذْنا مِنْهُ بِاليَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الوَتِينَ* فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ﴾ (الحاقة/ ٤٤ـ٤٧).

ومفاد الآية: انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما كان صاحب معاجز وكـرامات باهرة فالناس بطبعهم يلتفون حـوله ويرون ذلك دليلاً على اتصـاله بالله وكونـه سفيراً من قبله، فلو تقوّل ـ والعياذ بالله ـ على الله سبحانه والحال هذه، فمقتضى حكمته أن يأخذ منه باليمين ويقطع منه الوتين بلا تريّث وتردد.

ومع ذلك فكيف يزوّد دجال العصر الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غير واحد من أحاديثه بهذه القـدرات الغيبية ويُمهله مدّة مديدة لإضـلال الناس ولا يأخذ منه باليمين ولا يقطع منه الوتين؟!

---

١. صحيح مسلم: ٦/ ١٧٧، باب جواز قوله لغيره يا بني.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٥.

١٤
جرير بن عبد الله البجلي
(... ـ ٥١هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

رؤية الله يوم القيامة

ابن جابر بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن حشم بن عوف البجلي القسري، أبو عمرو، وقيل أبو عبد الله، من أعيان الصحابة .

حدّث عنه: أنس، وقيس بن أبي حازم، وأبو وائل، والشعبي، وهمّام بن الحارث، وأولاده الأربعة: المنذر، وعبيد الله، وإبراهيم، وأيوب، وشهر بن حوشب، وزياد بن علاقة، وحفيده أبو زرعة بن عمرو بن جرير، وأبو إسحاق السبيعي، وجماعة.

قال الواقدي: حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه، قال: قدم جرير البجلي في رمضان سنة عشر ومعه من قومه خمسون ومائة، فقال رسول الله ﷺ: يطلع عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن، فطلع جرير علىٰ راحلته ومعه قومه فأسلموا.

شهد حرب القادسية ثمّ نزل الكوفة، ولما قدم أمير المؤمنين علي عليه السلام الكوفة

بعد وقعة الجمل، كتب إلىٰ جرير وكـان عاملاً لعثمان علىٰ همدان يدعوه إلى البيعة، فكتب إليه جرير جواب كتابه بالطاعة ثمّ أقبل إلى الكوفة فبايعه، بعثه الإمام علي عليه السلام رسولاً إلىٰ معاوية يـدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المهـاجرون والأنصار من طاعته.

قال ابن عساكر: سكن جرير الكـوفة، ثمّ سكن قرقيسياء، وقدم رسولاً من عليّ إلىٰ معاوية.

توفي جرير سنة إحدىٰ وخمسين.

ومسند جريـر نحو من مائة حـديث بالمكرر، اتّفق لـه الشيخان علىٰ ثمانية أحاديث، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بستة. [١]

عدّ من المقلّين في الفتيا من الصحابة، وله في المسند الجامع ٥٧ حديثاً. [٢]

وقد عزيت إليه أحاديث رائعة وأُخرى سقيمة.

فمن روائع أحاديثه:

١. أخـرج مسلم في صحيحـه، عن عبـد الـرحمان بن هـلال العبسي، عن جرير بن عبد الله، قال:

جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصوف، فرأىٰ سوء حالهم قد أصـابتهم حاجة، فحثّ النـاس على الصّدقة فأبطأوا عنـه حتّى رؤي ذلك في وجهه. قال: ثمّ إنّ رجلاً من الأنصار جـاء بصُرّة من ورق ثمّ جاء آخر، ثمّ تتابعوا

---

١. سير أعـلام النبلاء: ٢/ ٥٣٠ بـرقم ١٠٨؛ أُسد الغـابـة:١/ ٢٧٩؛ الطبقات الكبرىٰ لابن سعـد: ٦/ ٢٢.

٢. المسند الجامع: ٤/ ٤٨٦ برقم ٨٩.

حتى عرف السّرور في وجهه.

فقال رسول الله ﷺ: من سنَّ في الإسلام سنّة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أُجورهم شيء؛ و من سنّ في الإسلام سنّة سيئة فعُمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء. (١)

٢. أخرج الحميدي عن قيس بن أبي حازم، قال: قال لي جرير: سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَنْ لا يَرْحم الناس لا يرحمه الله عزّوجلّ. (٢)

وعزي إليه حديث لا يستقيم مع الضوابط المقررة.

رؤية الله يوم القيامة

أخرج الحميدي في مسنده، عن قيس، قال: قال لي جرير بن عبد الله:

كنّا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر. فقال: أما إنّكم سترون ربّكم، كما ترون هذا، لا تضامُّون في رؤيته، فمن استطاع منكم لا يغلب على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثمّ قال: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ (طه/ ١٣٠). (٣)

قوله: «لا تضامّون » امّا بالتخفيف بمعنى لا يحصل لكم ضيم، وبالتشديد أي لا تزاحمون.

وحاصل الحديث: انّ ثمّة فرق بين رؤية الهلال و إراءته للآخرين وبين

---

١. صحيح مسلم:٨/ ٦١، باب من سنّ سنة حسنة أو سيئة.

٢. مسند الحميدي: ٢/ ٣٥١برقم ٨٠٢.

٣. مسند الحميدي: ٢/ ٣٥٠ برقم ٧٩٩.

رؤية البدر، فالأوّل لأجل ضآلة رؤيته فهو بحاجة إلى مشاركة الناس بغية رؤيته، بخلاف البدر فهو لأجل وضوح رؤيته لا يحتاج إلىٰ تلك العناية، بل يراه كلّ الناس في محله وموضعه.

إنّ مسألة الرؤية من المسائل المستوردة من اليهود الذين كانوا يصرّون على موسى أن يريهم الرب في ميقاتهم، فنزل عليهم ما نزل.

ولما كان عليّ عليه السلام من المنكرين للرؤية والقائلين بالتنزيه، عمد مخالفوه إلىٰ نقل روايات حول الرؤية عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مقابلة له.

وقيس بن أبي حازم كان من مناوئي علي عليه السلام و مخالفيه.

يقول ابن حجر: وقد تكلّم أصحابنا فيه فمنهم من رفع قدره وعظّمه وجعل الحديث عنه من أصح الاسناد، ومنهم من حمل عليه، و قال: له أحاديث مناكير، والذين أطروه حملوا هذه الأحاديث على أنّها عندهم غير مناكير، وقالوا : هي غرائب. ومنهم من حمل عليه في مذهبه وقالوا: كان يحمل على عليٍّ، والمشهور عنه انّه كان يقدّمُ عثمان ولذلك تجنب كثير من قدماء الكوفيين الرواية عنه. [1]

أقول: ما قيمة رواية تخالف الذكر الحكيم حيث يقول: **﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾** (الأنعام/ ١٠٣) ويقول سبحانه مخاطباً لموسى : **﴿لَنْ تَرَانِي﴾** (الأعراف/ ١٤٣) ولفظة «لن» في لغة العرب للتأبيد، و قد تكلمنا حول الرؤية في هذا الكتاب فلا نعيد.

وتخالف أيضاً العقل الصريح الذي به عرفنا الله سبحانه، والذي يحكم بامتناع رؤيته لاستلزامها كونه جسماً أو جسمانياً، محاطاً واقعاً في جهة ومكان ـ تعالى عن ذلك علواً كبيراً ـ .

---

١. تهذيب التهذيب: ٨/ ٣٨٨.

١٥

عمران بن الحصين الخزاعي

(...ـ ٥٢هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. الميت يعذب ببكاء الحي.

٢. خير القرون قرني.

٣. أكثر أهل النار النساء.

٤. كل ميسر لما خلق له.

عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي الكعبي، يكنّى أبا نجيد، أسلم هو وأبوه وأبو هريرة في سنة ٧هـ وله عدّة أحاديث، وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات، بعثه عمر بن الخطاب إلى البصرة ليفقّه أهلها، وكان من فضلاء الصحابة، واستقضاه عبد الله بن عامر على البصرة فأقام قاضياً يسيراً ثمّ استعفى فأعفاه.

روى عنه الحسن وابن سيرين.

وقال الذهبي: وكان ممّن اعتزل الفتنة، ولم يحارب مع علي عليه السلام.

أقول: ما ذكره الذهبي شنشنة أعرفها من كلّ من يكنّ العداء لأهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كيف يصف الذهبي حروب علي مع الناكثين و القاسطين والمارقين فتنة، وقد أخبر النبي ﷺ بها؟!!

روى أبو أيّوب الأنصاري، قال: أمرني رسول الله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي. (١)

روىٰ أبو سعيد الخدري: أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، قلنا: يا رسول الله، أمرتنا بقتال هؤلاء، فمع من؟ قال: مع علي بن أبي طالب، معه يقتل عمار بن ياسر. (٢)

روى عمّار بن ياسر، قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. (٣)

قال الخطيب في تاريخه عن خليد العصري، قال: سمعت أمير المؤمنين علياً يقول يوم النهروان: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين. (٤)

والروايات المروية عنه تحكي عن تعاطفه مع علي عليه السلام ولعلّه لم يشارك في الحروب، لعذر كالمرض كما يظهر ممّا نقله العلاّمة المجلسي في البحار.

توفي عمران سنة ٥٢ في البصرة.

قال الذهبي: مسنده ١٨٠ حديثاً، اتّفق الشيخان له علىٰ تسعة أحاديث، وانفرد البخاري بأربعة أحاديث، ومسلم بتسعة. (٥)

وقد جمعت رواياته في المسند الجامع فبلغت ٩٨ حديثاً. (٦)

فلنذكر شيئاً من روائع رواياته، ثمّ نذكر ما عزي إليه وهي تخالف الأُصول الصحيحة.

---

١. الاستيعاب: ٣/ ٥٣.

٢. البداية و النهاية:٧/ ٣١٧.

٣. مجمع الزوائد: ٧/ ٢٣٨.

٤. تاريخ بغداد: ٨/ ٣٤٠؛ تاريخ ابن كثير: ٧/ ٣٠٥.

٥. سير أعلام النبلاء: ٢/ ٥١٢؛ أسد الغابة: ٤/ ١٣٨.

٦. المسند الجامع: ١٤/ ٢٠٦ـ ٢٨١ برقم ٥٠٨.

روائع رواياته:

١ . أخرج مسلم في صحيحه، عن مطرّف، عن عمران بن حصين، قال: تمتّعنا مع رسول الله ﷺ ولم ينزل فيه القرآن، قال رجل برأيه ما شاء. [١]

وقد رواه مسلم أيضاً بطرق أُخرى عن عمران بن حصين، ومراده من «رجل» هو عمر بن الخطاب الذي نهىٰ عنه كما رواه أحمد في مسنده. [٢]

٢ . أخرج أحمد في مسنده عن أبي داود، عن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: من كان له على رجل حق، فمن أخر، كان له بكلّ يومٍ صدقة. [٣]

٣ . أخرج أبو داود في سننه عن محمد بن سيرين، عن عمران بن حصين، قال: قال النبي ﷺ: من حلف علىٰ يمين مصبورة [٤] كاذباً فليتبوأ بوجهه مقعده من النار. [٥]

٤ . أخرج النسائي في سننه، عن محمد بن الزبير، عن أبيه، عن رجل من أهل البصرة، قال: صحبت عمران بن حصين، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: النذر نذران، فما كان من نذر في طاعة الله فذلك لله، وفيه الوفاء، وما كان من نذر في معصية الله فذلك للشيطان ولا وفاء فيه، ويكفره ما يكفر اليمين. [٦]

٥ . أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي المهلّب، عن عمران بن حصين: انّ امرأة من جهينة أتت نبي الله ﷺ وهي حبلىٰ من الزنا فقالت: يا نبيّ الله أصبت

---

١ . صحيح مسلم: ٤/ ٤٨، باب جواز التمتّع من كتاب الحج.

٢ . مسند أحمد: ٤/ ٤٣٦.

٣ . مسند أحمد: ٤/ ٤٤٢.

٤ . المصبورة أي الزم بها وحبس عليها.

٥ . سنن أبي داود: ٣/ ٢٢٠ برقم ٣٢٤٢؛ مسند أحمد: ٤/ ٤٣٦.

٦ . سنن النسائي: ٧/ ٢٨ـ ٢٩، باب كفارة النذر.

حدّاً فأقمه عليّ، فدعا نبي الله ﷺ وليّها، فقال: أحسن إليها فإذا وضعت فائتني بها، ففعل فأمر بها نبي الله ﷺ فشكّت عليها ثيابها ثمّ أمر بها فرجمت ثمّ صلىٰ عليها.

فقال له عمر: تصلّي عليها يا نبيّ الله وقد زنت؟ فقال: لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى؟! (١)

٦. أخرج أحمد، عن أبي الرجاء العطاردي، قال: خرج علينا عمران بن حصين وعليه مطرّف من خز لم نره عليه قبل ذلك ولا بعد، فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: من أنعم الله عزّ وجلّ عليه نعمة فانّ الله عزّوجلّ يحب أن يرىٰ أثر نعمته على خلقه، وقال الروح ببغداد... يحب أن يرىٰ أثر نعمته على عبده. (٢)

٧. أخرج الدارمي في سننه، عن الحسن، عن عمران بن حصين، انّ رسول الله ﷺ قال: مقام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل من عبادة الرجل ستين سنة. (٣)

٨. أخرج أحمد في مسنده، عن أبي مراية، عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ قال: لا طاعة في معصية الله تبارك و تعالى. (٤)

٩. أخرج الترمذي في سننه، عن مطرّف بن عبد الله عن عمران بن حصين، قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً، واستعمل عليهم علي بن أبي طالب عليه السلام فمضىٰ في السرّيّة، فأصاب جارية، فأنكروا عليه، وتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله

---

١. صحيح مسلم: ٥/ ١٣٠، باب من اعترف على نفسه بالزنا.

٢. مسندأحمد: ٤/ ٤٣٨.

٣. سنن الدارمي: ٢/ ٢٠٢، باب في مقام الرجل في سبيل الله.

٤. مسند أحمد: ٤/ ٤٢٦.

ﷺ فقالوا: إذا لقينا رسول الله ﷺ أخبرناه بما صنع عليّ، وكان المسلمون إذا رجعوا من السّفر بدأوا برسول الله ﷺ فسلّموا عليه، ثمّ انصرفوا إلى رحالهم، فلمّا قدمتِ السّريّةُ، سلّموا على النبي ﷺ فقام أحد الأربعة، فقال: يا رسول الله، ألم تر انّ علي بن أبي طالب صنع كذا و كذا، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثمّ قام الثاني فقال مثل مقالته، فأعرض عنه، ثمّ قام الثالث فقال مثل مقالته: فأعرض عنه، ثمّ قام الرابع فقال مثل ما قالوا. فأقبل رسول الله ﷺ والغضب يعرف في وجهه، فقال: ما تريدون من عليّ، ما تريدون من عليّ، ما تريدون من عليّ؟! إنّ عليّاً منّي، وأنا منه، وهو وليُّ كلّ مؤمن بعدي. (١)

١٠. أخرج ابن ماجة في سننه، عن القاسم بن مهران، عن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله يحبُّ عبده المؤمن، الفقير، المتعفف، أبا العيال. (٢)

ويؤيده قوله سبحانه: ﴿**لِلْفُقَراءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لا يَسْئَلُونَ النّاسَ إِلحافاً وَما تُنفِقُوا مِنْ خَيرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾ (البقرة/ ٢٧٣).

هذه شيء من روائع رواياته وكم لها من نظير، وقد عزي إليه ما لا ينطبق عليه الموازين التي استعرضناها في صدر الكتاب فلنذكر منها شيئاً

١. الميت يعذب ببكاء الحي

أخرج أحمد في مسنده عن محمد بن سيرين، قالوا: ذكروا عند عمران بن حصين «الميت يعذب ببكاء الحي»، فقالوا: كيف يعذب الميت ببكاء الحي؟ فقال

---

١. سنن الترمذي: ٥/ ٦٣٢ برقم ٣٧١٢؛ و مسند أحمد: ٤/ ٤٣٧.

٢. سنن ابن ماجة: ٢/ ١٣٨٠ برقم ٤١٢١.

عمران قد قاله رسول الله ﷺ.(١)

إنّ تعجّب الحاضرين أوضح دليل على أنّ الرواية مخالفة للفطرة الإنسانية التي بني عليها الدين، وقد أثارت حفيظتهم ودفعتهم إلى القول بأنّه «كيف يعذب الميت ببكاء الحي؟»وقد ذكرنا ما هو الصحيح غير مرّة .

٢. خير القرون قرني

أخرج مسلم في صحيحه، عن زهدم بن مُضرّب، سمعت عمران بن حصين يحدث انّ رسول الله ﷺ قال: إنّ خيركم قرني، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدري أقال رسول الله ﷺ بعد قرنه مرّتين أو ثلاثة، ثمّ يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون،ويخونون ولا يُؤتمنون، ويَنذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السِّمن.(٢)

التاريخ الصحيح لا يذعن بما جاء في الرواية، فلنضرب عن عصر الخلفاء الراشدين صفحاً، ونستعرض العهد الأُموي الذي تسلم فيه الأُمويون منصة الخلافة ابتداءً من معاوية بن أبي سفيان فيزيد بن معاوية فمروان بن الحكم ثم أبناؤه الأربعة، فهل يمكن أن نعدَّ هذه الحقبة من التاريخ خير القرون، وقد قتل فيها سبط النبي ﷺ الحسين بن علي ﵉، وأُبيحت دماء أهل المدينة وأعراض نسائهم، وحوصرت مكة وهتكت حركتها بيد الحجاج بن يوسف الثقفي، واستعبد أبناء المهاجرين والأنصار، ونُقش على أيديهم كما ينقش على أيدي غلمان الروم؟! إلى غير ذلك من الجرائم البشعة التي يندى لها جبين الإنسانية.

وأنت إذا أمعنت في كتب التواريخ وجدت النصف الثاني من القرن الأوّل

١. مسند أحمد: ٤/ ٤٣٧.

٢. صحيح مسلم: ٧/ ١٨٥ـ ١٨٦، باب فضل الصحابة ، ثمّ الذين يلونهم ثمّ الذين يلونهم.

من أشرِّ القرون لا خير فيـه، ولا في خلفائه وأُمرائه، والنـاس بأُمرائهم أشبـه منهم بآبائهم.

٣. أكثر أهل النار النساء

أخرج البخـاري في صحيحه، عن أبي رجـاء، عن عمـران بن حصين، عن النبي ﷺ، قال: اطّلعـت في الجنّة فـرأيت أكثر أهلهـا الفقراء، واطّلعـت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء. [١]

أقول: لو ثبـت الحديث وانّ النبي ﷺ اطّلع مـن عالم الغيب على أنّ أكثـر أهل النار من النساء، لأخذنا بـه ، لكنّه لم يثبت، و الواقع المشهود في تاريخ البشر هو انّ نسبـة وقوع المعاصي من قِبـل الرجال أكثر منـه عند النساء، فثمـة معاصي موبقة لا يقوم بها غالباً إلاّ الرجال كاللواط والسرقة والقتل وغيرها.

أمّا النسـاء فيلازمـن المنازل غالبـاً ويقمنَ بالـوظائف البيتيـة أو العمل في المزارع والمعامل.

أضف إلى ذلك انّ المعـاناة التي تلاقيهـا المرأة أيّام الحمل والوضع بمثـابة مطهر لها من الذنوب ولو ماتت في هذا السبيل ماتت شهيدة.

روى النسائي عن عقبة بن عامر انّ رسول الله ﷺ قال: «والنفساء في سبيل الله شهيد». [٢]

ومن لاحظ الروايـات الواردة في هذا المجال رأى فيها قسـوة ظاهرة في حقّ النساء.

---

١. صحيح البخاري: ٤/ ١١٧، باب ماجاء في صفة الجنة.

٢. سنن النسائي: ٦/ ٣٧.

روى مسلم، عن عمران بن حصين، عن رسول الله ﷺ قال: إنّ أقل ساكني الجنة النساء. [١]

وروى أيضاً عن أُسامة بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ: كنت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين، وإذا أصحاب الجد محبوسون إلاّ أصحاب النار فقد أُمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء.

والقضية في كلا الجانبين قابلة للنقاش، ومعنى ذلك انّه لا يدخل غني الجنة ولا يدخل رجل النار.

وروى مسلم أيضاً عن أُسامة بن زيد بن حارثة، وسعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل انّهما حدثا عن رسول الله ﷺ انّه قال: ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء. [٢]

إنّ القرآن الكريم يذكر الأموال والأولاد من أسباب الفتنة، ويقول: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (التغابن/ ١٥).

ولا يذكر النساء من أسبابها وإنّما يصفهنّ بقوله: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ (التغابن/ ١٤).

فضرر النساء على الرجال أقل بكثير من ضرر حبّ الرئاسة والجاه والمال.

٤. كل ميسّر لما خلق له

أخرج البخاري في صحيحه، عن عمران بن حصين، قال: قال رجل: يا رسول الله، أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم، قال: فلم يعمل العاملون؟

---

١. صحيح مسلم: ٨/ ٨٨، باب أكثر أهل الجنة الفقراء.

٢. المصدر نفسه.

قال: كلّ يعمل لما خلق له، أو لما يسّـر له. [١]

أقول: لما كان مضمـون الحديث يعادل الجبر، سأل السـائل رسول الله ﷺ، وقال: إذا كـان كلّ إنسان مسيّر إمـا إلى الجنة أو إلى النار فلماذا يعمل أهـل الجنة مع أنّ مصيرهم إليها، (فلِمَ يعمل العاملون)؟

والسؤال جيد جداً، وأمّا الجواب فليس بمقنع ولا قـالع للاشكال لولم نقل انّـه دعم للاشكـال، حيث جـاء فيه: كـلّ ميسر لما خلق له، فـأهل الجنة خلقـوا للجنة فيعملون لها، وأهل النار خلقوا للنار فيعملون لها.

فعنذئذٍ تثار تساؤلات:

الأوّل: إذا كان أهل الجنّة خلقوا للجنة فهم يدخلون الجنة شاءوا أم أبوا، فما معنى التكليف والعمل؟

الثاني: إذا كـان أهل النـار خلقـوا للنـار شـاءوا أم أبـوا، فما هـو ذنبهـم في دخلوهم النار؟

وقد حاول الشارحون دفع الإشكال فلم يأتوا بشيء مقنع .

قـال ابن حجـر في شرحـه للحديـث: وفيه قصـة لأبي الأسـود الـدؤلي مع عمران، وفيه قوله له: أ يكون ذلك ظلماً؟ فقال: لا، كلّ شيء خَلْقُ الله وملك يده فلا يسأل عمّا يفعل.

قال عياض: أورد عمـران على أبي الأسود شبهة القدريـة من تحكمهم على الله ودخولهم بآرائهـم في حكمه، فلما أجابه بما دلّ على ثبـاته في الدين قواه بـذكر الآية وهي حدّ لأهل السنة، وقوله :«كلّ شيء خلق الله وملكه» يشير إلى أنّ المالك الأعلى الخالق الآمـر لا يُعترض عليـه إذا تصرف في ملكه بما يشـاء، وإنّما يعترض

---

١. صحيح البخاري: ٧/ ١٢٢، باب في القدر.

على المخلوق المأمور.[١]

ما نقله ابن حجر عن عياض مخالف للفطرة الإنسانية التي بني عليها الدين، إذ لا شكّ انّه سبحانه هو الخالق وله التصرّف في ملكه كيفما يشاء هذا من جانب.

ومن جانب آخر انّه حكيم وحكمته تصدّه عن أن يختار الجانب الذي فيه تعذيب البريء والرضيع إلى غير ذلك من الأعمال التي تعد ظلماً عند العقل وقبيحاً عند الجميع.

فهؤلاء ينظرون إلى سعة قدرته ويغضّون البصر عن حكمته ورأفته وعدله.

وما نقله من مناظرة أبي الأسود الدؤلي مع عمران بن الحصين نقله الإمام أحمد في مسنده وإليك نصه:

أخرج أحمد في مسنده عن أبي الأسود الدؤلي، قال: قال لي عمران بن الحصين: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم و مضىٰ عليهم من قدر ما سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم،وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت : بل شيء قضي عليهم، ومضىٰ عليهم. قال: فقال: أفلا يكون ظلماً؟ قال: ففزعت من ذلك فزعاً شديداً. وقلت: كلّ شيء خلق الله وملك يده، فلا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون، فقال لي : يرحمك الله. إنيّ لم أرد بما سألتك إلاّ لأحرز عقلك.

إنّ رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس اليوم، ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم و مضىٰ فيهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: لا بل شيء

---

١. فتح الباري: ١١/ ٤٩٣.

قضى عليهم و مضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾. [١]

إنّ أبا الأسود الدؤلي عالم من علماء الأُمّة تخرّج على يدي علي بن أبي طالب وله الفضل في تدوين علم النحو برعاية الإمام عليه السلام.

وعمران بن الحصين صحابي جليل نهل من نمير علم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقد دارت المناظرة بين تابعي وصحابي، ولكن الغلبة كانت حليف أبي الأسود الدؤلي لأنّه إذا كان مصير كلّ إنسان محتوماً عليه ومقضيّاً به ولم يكن للإنسان دور فيه، فما معنى حمل مسؤوليته على عاتقه. قال سبحانه: ﴿انَّ السَّمعَ والبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤولاً﴾ (الإسراء/ ٣٦). وقال سبحانه: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسؤُولون﴾ (الصافات/ ٢٤) وقال تعالى: ﴿وَكانَ عَهْدُ اللهِ مَسْؤولاً﴾ (الأحزاب/ ١٥).

ولأجل ذلك اعترض أبو الأسود الدؤلي على عمران، بأنّ إنكار دور الإنسان في مصيره يلازم كون العقاب عليه ظلماً.

فما أجاب به عمران بن الحصين: من أنّ كلّ شيء خلق الله وملك يده فلا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون ،جواب غير مقنع، إذ لا شكّ انّ الله سبحانه مالك للملك والملكوت، ولا يملك إنسان شيئاً إلاّ بإذنه، ولكنّ حكمته سبحانه وعدله يصدّه عن أن يظلم عباده، وكون الدنيا وما فيها ملكاً له لا يبرّر التصرف في ملكه على خلاف العدل. أي أخذ البريء بلا جرم.

وخلاصة الكلام: انّ هنا أصلين كونه مالكاً وكونه حكيماً، فلا يتصرف في ملكه إلاّ في إطار الحكمة مع كونه قادراً على التصرف على خلافها، والله سبحانه لا

---

١. مسند أحمد: ٤/ ٤٣٨.

يسأل عما يفعل، لأنّه حكيم لا يفعل على خلاف حكمته، ويعود السؤال عنه سؤالاً لغواً غير مجدٍ.

ثمّ إنّ الصحابي الجليل استند ـ حسب الرواية ـ إلى قصة رجلين من مزينة وهو أيضاً غير مقنع، إذ يرد عليه ما أورد على جواب المناظر.

فرفض أمثال هذه الروايات أفضل من أخذها وتأويلها.

١٦

اسامة بن زيد بن حارثة

(... ـ ٥٤ هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة :

١ . اتخاذ اليهود قبور أنبيائهم مساجد .

٢ . النساء أضرّ شيء على الرجال .

ابن حارثة بن شراحيل بن عبد العزّى بن امرئ القيس، أبو زيد، ويقال: أبو حارثة .

استعمله النبي ﷺ على جيش لغزو الشام، وفي الجيش، عمر و كبار الصحابة، وهو ابن حاضنة النبي ﷺ أُم أيمن.

أمّر رسول الله أُسامة فطعنوا في إمارته، فقال: إنْ يطعنوا في إمارته فقد طعنُوا في إمارة أبيه، وأيم الله انّه كان خليقاً بالإمارة.

ينقل الذهبي عن عبيد الله بن عبد الله، قال: رأيت أُسامة يصلّي عند قبر النبي ﷺ فمرّ به مروان، فقال: أتصلّي عند قبر؟! وقال له قولاً قبيحاً.

فقال: يا مروان، إنّك فاحش متفحّش، وإنّي سمعت رسول الله، يقول: إنّ

الله يُبغض الفاحش المتفحّش.

حدّث عنه: أبو هريرة، وابن عباس، وأبو وائل، وأبو عثمان الهندي، وعروة ابن الزبير، وأبو سلمة وأبو سعيد المقبري، وعامر بن سعد، وأبو ظبيان، وعطاء بن أبي رباح، وابناه حسن و محمد.

وله في «مسند بَقيّ» مائة وثمانية عشر حديثاً منها في البخاري و مسلم خمسة عشر، وفي البخاري حديث و في مسلم حديثان.

قال الزهري: مات أُسامة بالجرف [١] في آخر خلافة معاوية سنة أربع وخمسين [٢] وبلغت أحاديثه في المسند الجامع ٥٧ حديثاً. [٣]

وقد رويت عنه روايات رائعة كما عزيت إليه أُخرى سقيمة.

روائع رواياته

١. أخرج أحمد في مسنده، عن الزبرقان، عن أُسامة بن زيد:

«انّ رسول الله ﷺ كان يصلّي الظهر بالهجير ولا يكون وراءه إلاّ الصف والصفان و الناس في قائلتهم وفي تجارتهم، فأنزل الله تعالى: ﴿**حافِظُوا عَلى الصَّلَواتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطىٰ وَقُومُوا للهِ قانِتين**﴾ .

قال: فقال رسول الله ﷺ: لينتهينّ رجال أو لأحرقنّ بيوتهم. [٤]

ومعنى ذلك انّ الصحابة كان يشغلهم الصفق في الأسواق عن الحضور في

---

١. الجرف موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام.

٢. أُسد الغابة: ١/ ٦٤؛ طبقات ابن سعد: ٤/ ٦١ـ٧٢؛ سير اعلام النبلاء: ٢/ ٤٩٦.

٣. المسند الجامع: ١/ ٩٩ـ١٤١.

٤. مسند أحمد: ٥/ ٢٠٦ والآية ٢٣٨ من سورة البقرة.

صلاة النبي ﷺ، ويدل عليه قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ (الجمعة/ ١١).

٢. أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي عثمان النهدي، عن أُسامة بن زيد، قال:

كنّا عند النبي ﷺ فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أنَّ صبيّاً لها، أو ابناً لها في الموت.

فقال للرسول: ارجع إليها فأخبرها أنّ لله ما أخذ وله ما أعطى، و كلّ شيء عنده بأجل مسمّى، فمرها فلتصبر ولتحتسب، فعاد الرسول، فقال: إنّها قد أقسمت لتأتينّها.

قال: فقام النبي ﷺ وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل، وانطلقتُ معهم، فرفع إليه الصبي ونفسه تقعقع كأنّها في شنَّة ففاضت عيناه.

فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟

قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء. (١)

٣. أخرج النسائي، عن أبي سعيد المقبري، قال: حدّثني أُسامة بن زيد، قال:

قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم شهراً من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب و رمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى ربّ العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم. (٢)

---

١. صحيح مسلم: ٣/ ٣٩، باب البكاء على الميت.

٢. سنن النسائي: ٤/ ٢٠١، صوم النبي ﷺ.

٤. أخرج الترمذي في سننه عن أبي عثمان النهدي، عن أُسامة بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ: من صنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيراً. فقد أبلغ في الثناء. (١)

وإليك ما عزيت إليه من الأحاديث السقيمة.

١. اتخاذ اليهود قبور أنبيائهم مساجد

أخرج أحمد في مسنده، عن أُسامة بن زيد قال: قال لي رسول الله ﷺ: **أدْخل عليَّ أصحابي**، فدخلوا عليه فكشف القناع، ثمّ قال: لعن الله اليهودَ والنصارىٰ اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد. (٢)

نعلق على الحديث، ونقول:

أوّلاً: إنّ اليهود هم الذين كانوا يقتلون أنبياءهم بغير حق وقد اشتهروا بتلك الوَصْمة، قال سبحانه: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة/ ٩١) فمن كانت شيمته قتل الأنبياء لا يتخذُ قبورهم مساجد سواء أكانت الصلاة لأجل التبرك بهم أو لاتخاذ قبورهم قبلة.

ثانياً: لم يكن للنصارى أنبياء حتى يقتلوهم ويتخذون قبورهم مساجد. وأمّا السيد المسيح فهو عندهم إله متجسّد وليس بنبيّ حيث قالوا: بالأقانيم الثلاثة: إله الأب، إله الابن ، روح القدس.

وأمّا غير المسيح لدى النصارى فليسوا بأنبياء وإنّما هم آباء التبليغ والتبشير، إلاّ أن يراد مطلق أنبياء بني إسرائيل وهو خلاف الظاهر.

---

١. سنن الترمذي: ٤/ ٣٨٠ برقم ٢٠٣٥.

٢. مسند أحمد:٥/ ٢٠٣.

٢. النساء أضرّ شيء على الرجال

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي عثمان النهدي، عن أُسامة بن زيد، عن النبي ﷺ قال:

ما تركت بعدي فتنة هي أضرّ على الرجال من النساء.[1]

لا يشك عاقل انّ من أسباب الفتنة هي النساء، قال سبحانه: **﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾** (التغابن/ ١٤).

وأمّا كونهنّ أضرّ شيء على الرجال من حبّ الجاه والمال والأولاد فليس بثابت لو لم يثبت خلافه، ولذا نرى انّه سبحانه يقول: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** (الأنفال/ ٢٨) ويقول أيضاً: **﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** (التغابن/ ١٥) فيذكر الأموال والأولاد ولا يعطف عليها النساء وهذا دليل على أنّ ضرر الأوّلين على الرجال أكثر من ضررهنَ.

نعم : لا ننكر بأنّ الرجال ربما يُفْتنون بالنساء فيتوغلون في الفساد من أجل كسب رضاهنَ، ولكن ليس إضرارهنَ عند المقايسة بأشد من إضرار الآخرين كما هو واضح.

وأنت إذا تفحصت فيما روي عن لفيف من الصحابة حول النساء تجد انّ الروايات تتضمن تحقير النساء وأنهنَّ محط الفتنة والضلال، وكأنّ الرواة لم يطرق أسماعهم قوله سبحانه: **﴿إنّ المسلمينَ والمسلماتِ والمؤمنينَ والمؤمناتِ والقانتينَ والقانتاتِ ...﴾** (الأحزاب / ٣٥).

---

١. صحيح مسلم: ٨/ ٨٩، باب أكثر أهل الجنّة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء؛ صحيح البخاري:٧/ ٨، باب ما يتقى من شؤم المرأة.

١٧

ثوبان مولى رسول الله ﷺ

(...ـ ٥٤ هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة

١. ضرب النبي ﷺ يد بنت هبيرة.

٢. دعاء النبي غير المستجاب .

٣. خروج رايات سود من المشرق.

وهو ثوبان بن بجدد، وقيل: ثوبـان بن جحدر، يُكنّىٰ أبا عبد الله، وهو من حمير من اليمن، أصابه سباء فاشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه، وقال له: إن شئت أن تلحق بمن أنت منهم، وإن شئت أن تكون منّا، فثبت على ولاء رسول الله ﷺ، ولم يزل معه سفـراً وحضراً إلىٰ أن توفي رسول الله ﷺ فخرج إلى الشام فنـزل إلى الرملة وابتنىٰ بها داراً وابتنـىٰ بمصر داراً وبحمص داراً، وتوفي بها سنـة ٥٤ هـ وشهـد فتح مصر.

روىٰ عن رسول الله ﷺ أحاديث، روى عنه: شدّاد بن أوس، وجبير بن نفير، وأبو إدريس الخولاني، وأبو سلام ممطور الحبشي، ومعدان بن طلحة، وأبو الأشعث الصنعاني، وأبو أسماء الرحبي، وأبو الخير اليزنيّ، وغيرهم. [١]

---

١. أُسد الغابة: ١/ ٢٤٩؛ سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٥ برقم ٥.

وقد جمعت رواياته في المسند الجامع فبلغت ٦٤ رواية.[١]

كما نقلت عنه روايات رائعة و عزيت إليه أُخرى سقيمة.

روائع أحاديثه

١. أخرج أحمد في مسنده، عن عبد الرحمان بن ميسرة، عن ثوبان، عن النبي ﷺ قال: استقيموا تفلحوا، وخير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلّا مؤمن.[٢]

٣. أخرج أحمد في مسنده، عن سالم بن أبي الجعد، قال: قيل لثوبان: حدثنا عن رسول الله ﷺ فقال: لتكذبون عليّ سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من مسلم يسجد لله سجدة إلّا رفعه الله بها درجة، وحطّ عنه بها خطيئة.[٣]

٣. أخرج أحمد عن أبي زرعة، عن ثوبان، قال: لعن رسول الله ﷺ الراشي، والمرتشي، والرائش. (يعني الذي يمشي بينهما).[٤]

٤. أخرج ابن ماجة في سننه، عن عبد الله بن أبي الجعد، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: لا يزيد في العمر إلّا البرّ، ولا يردّ القدر إلّا الدّعاء، وانّ الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها.[٥]

والرواية من دلائل القول بالبداء، وهو تغيير المصير بصالح الأعمال.

٥. أخرج الترمذي، عن أبي سلمة، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ:

---

١. المسند الجامع: ٣/ ٣١٥ـ ٣٥٣.

٢. مسند أحمد: ٥/ ٢٨٠.

٣. مسند أحمد: ٥/ ٢٨٣.

٤. مسند أحمد: ٥/ ٢٧٩.

٥. سنن ابن ماجة: ١/ ٣٥ برقم ٩٠.

من قال حين يمسي: «رضيت بالله ربّاً وبالإسلام ديناً، و بمحمّد ﷺ نبيّاً» كان حقاً على الله أن يرضيه. [١]

٦. أخرج الترمذي في سننه، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّما أخاف على أُمّتي الأئمّة المضلّين، قال: وقال رسول الله ﷺ: لا تزال طائفة من أُمّتي على الحقّ ظاهرين لا يضرّهم من يخذلهم حتى يأتي أمر الله. [٢]

هذه ثلّة من رواياته الرائعة ،وقد عزيت إليه طائفة أُخرى من الروايات ممّا لا تخلو من إشكال:

١. ضرب النبي ﷺ يدَ بنت هبيرة

أخرج النسائي في سننه، عن أبي أسماء الرحبي، انّ ثوبان مولى رسول الله ﷺ حدَّثه، قال:

جاءت بنت هبيرة إلىٰ رسول الله ﷺ وفي يدها فتخ(فقال كذا في كتاب أبي، أي خواتيم ضخام) فجعل رسول الله ﷺ يضرب يدها، فدخلت علىٰ فاطمة بنت رسول الله ﷺ تشكو إليها الذي صنع بها رسول الله ﷺ، فانتزعت فاطمة سلسلة في عنقها من ذهب، وقالت: هذه أهداها إليّ أبو حسن، فدخل رسول الله ﷺ والسلسلة في يدها، فقال يا فاطمة أيغرُّك أنْ يقول الناس: ابنة رسول الله وفي يدها سلسلة من نار، ثمّ خرج ولم يقعد.

فأرسلت فاطمة عليها السلام بالسلسلة إلى السوق ، فباعتها، واشترت بثمنها غلاماً، وقال مرّة عبداً ـ و ذكر كلمة معناها ـ فأعتقته، فحُدِّث بذلك.

---

١. سنن الترمذي: ٥/ ٤٦٥ برقم ٣٣٨٩.

٢. سنن الترمذي: ٤/ ٥٠٤ برقم ٢٢٢٩.

فقال: الحمد لله الذي أنجىٰ فاطمة من النار. [١]

أقول:ثمة تساؤلات:

أوّلاً:انّ الخواتيم التي كانت في يد بنت هبيرة ـ سواء أكانت من فضة أم من ذهب ـ لم يكن التزيّن بها محظوراً على المرأة، فكيف يعاتبها النبي ﷺ لا سيما إذا كان اقتناؤها لها مشروعاً كما هو المفروض؟

وثانياً:الظاهر انّ بنت هبيرة كانت بالغة بشهادة انّها كانت تتختم بخواتيم ضخام، ودخلت علىٰ فاطمة تشكو إليها ما صنع بها رسول الله ﷺ،فكيف يصحّ للنبي ﷺ مس يدها بالضرب مع أنّها أجنبية؟! والظاهر انّ الضرب كان بالمباشرة لا بالآلة.

ثالثاً: لو افترضنا جواز الضرب، لكن النبي ﷺ أجلّ من أن يضرب يد بنت هبيرة تأدباً وترهباً، بل كان اللازم أن يأمرها بالمعروف بأُسلوب لائق.

رابعاً:انّ الحديث يدل على أنّه لما دخلت بنت هبيرة علىٰ فاطمة واشتكت عمّا صنع بها رسول الله، انتزعت فاطمة سلسلة في عنقها من ذهب، وقالت: هذه أهداها إليَّ أبو حسن ، مستظهرة بأنّ التزين بالذهب أمر حلال للمرأة وليس لأحد الاعتراض عليك.

ومن الواضح انّ فاطمة من أهل البيت الذين طهّرهم الله تطهيراً، وهي أجلّ من أن تعترض علىٰ أبيها بانتزاع ما في عنقها من الذهب.

خامساً: ثمّ إنّ الحديث يتضمن انّ النبي ﷺ دخل عليها والسلسلة في يدها، فقال: «يا فاطمة أيغرّك أن يقول الناس ابنة رسول الله وفي يدها سلسلة من نار».

---

١. سنن النسائي: ٨/ ١٥٨.

ثمّ خرج ولم يقعد....

وعندئذٍ يثار السؤال التالي.

إنّ السلسلة التي كانت في يدها لا تخلو عن حالتين، إمّا أن تكون ملكاً للغير غير راض بالتصرف فيها، أو ملكاً لفاطمة.

والأوّل لا يليق أن ينسب إلىٰ بنت رسول الله ﷺ التي يدور علىٰ رضاها وغضبها رضى رسول الله ﷺوغضبه.

وعلى الثاني كيف يفسّر ما ورد في الحديث«وفي يدها سلسلة من نار»وليس ما تتزيّن به المرأة من أقسام الكنز حتى تكون سلسلة من نار؟!

وأغلب الظن انّ الحديث من الموضوعات التي اختلقها الجهاز الأموي الحاكم للحطّ من شأن فاطمة الزهراء وبعلها .فسلام الله عليهما يوم ولدا ويوم استشهدا، ويوم يبعثان حيّين.

٢. دعاء النبي غير المستجاب

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي أسماء، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ:

زوي لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وانّ أُمّتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، و أُعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وانّي سألت ربّي لأُمّتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وانّ ربّي، قال: يا محمد إنّي إذا قضيت قضاء فانّه لا يرد وانّي أعطيتك لأُمّتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا اسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، أو قال: من بين أقطارها حتى يكون بعضهم

يُـهلك بعضاً ويُسبي بعضهم بعضاً. [١]

أقول: وقد رواه الإمام أحمد بلفظ آخر، عن عبـد الله بن شداد، عن معاذ بن جبل، وقد ذكرناه في ترجمة معاذ بن جبل.

ومن الواضح انّ الحوادث والنوازل التـي ألمّت با لمسلمين عبر التاريخ خير شـاهـد على أنّـه سبحـانه سلّـط عليهم عـدواً مـن غير أنفسهم نتيجـة أعمالهم وانحـرافهم، فقـد بسط الـوثنيون المغـول نفوذهـم على معظم البـلاد الإسلاميـة واستولوا على حاضرتها بغداد وأبادوا الحرث والنسل.

فكيف يدّعي الحديث بأنّ النبي ﷺ أُعطي سؤله؟!

٣. خروج رايات سود من المشرق

أخرج أحمد في مسنده، عن أبي قلابة، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ:

وإذا رأيتم الرايـات السود قد جـاءت من قبل خراسـان، فأتوها فـانّ فيها خليفة الله المهدي. [٢]

ونظير ذلك ما أخرجه ابن ماجـة عن أبي قلابة، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: يقتتل عند كنزكم ثـلاثة كلّهم ابن خليفة، ثمّ لا يصير إلى واحد منهم، ثمّ تطلع الرايات السـود من قبل المشرق ويقتلونكم قتلاً لم يقتله قـوم ـ ثمّ ذكـر شيئاً لا أحفظه ـ فقال: فإذا رأيتمـوه فبايعوه ولـو حبواً على الثلج فانّه خليفة الله المهدي. [٣]

قـال في الـزوائد: هـذا اسنـاد صحيـح، رجـالـه ثقـات، ورواه الحاكـم في

---

١. صحيح مسلم: ٨/ ١٧١، باب هلاك هذه الأُمّة بعضهم ببعض من كتاب الفتن.

٢. مسند أحمد: ٥/ ٢٧٧.

٣. سنن ابن ماجة: ٢/ ١٣٧٦ برقم ٤٠٨٤.

المستدرك، وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين.

إنّ أمثال هذه الروايات ـ وإن رويت باسناد صحيح ـ وضعت حينما قامت الدولة العباسية التي وليها أبو العباس السفاح (١٠٨ ـ ١٣٦هـ) ــ و هو أوّل خليفة عباسي يتولىٰ زمام الأُمور ـ فكيف يبشّر النبي ﷺ بهذا الخليفة المهدي الذي خضّب الأرض بدماء المسلمين حتى لُقّب بالسفاح؟!

قال السيوطي: وكان السفاح سريعاً إلى سفك الدماء، فأطمعه في ذلك عمّاله في المشرق والمغرب، ومن أراد الإلمام بسيرته فليقرأ ما ذكره ابن الأثير في تاريخه.[1]

وقد أسرف تجار الحديث وعلماء البلاط العباسي في وضع الحديث في فضل العباس وأولاده ممّا حدا بابن الجوزي أن يذكر قسماً وافراً منها في كتابه «الموضوعات» تحت العناوين التالية:

١. باب في فضل العباس وأولاده.

٢. باب في عدد خلفاء بني العباس.

٣. باب في زيادة ولاية بني العباس على ولاية بني أُمية.

وجاء من يحمل نزعة أموية فوضعوا روايات في غمض بني العباس، نقلها ابن الجوزي تحت ذلك العنوان، وقال في آخره: وقد روي ضد هذا. فنقل باسناده عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أقبلت الرايات السود من خراسان فأتوها فإنّ فيها خليفة الله المهدي.

وقال هذا حديث لا أصل له، ولا نعلم أنّ الحسن (الوارد في سند الحديث) سمع من عبيدة ولا ابن عمر سمع من الحسن، قال يحيى: عمر لا شيء[2].

---

١. الكامل في التاريخ، لابن الأثير: ٥/ ٤٠٨.

٢. الموضوعات: ٢/ ٣٠ـ ٣٩.

١٨

سعد بن أبي وقاص

(٢٨ق.هـ ـ ٥٤هـ)

سيرته و أحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. إثبات الجهة لله سبحانه
٢. الطواف أكثر من سبعة أشواط
٣. الرمي بست حصيّات
٤. الطيرة في المرأة والفرس والدار
٥. التنديد بالشعر
٦. لم يسلم أحد قبل سعد
٧. دخول الامة قاطبة الجنة بشفاعة النبي ﷺ
٨. عمر أفظ و أغلظ من رسول الله
٩. سؤال النبي من الله ثلاثاً
١٠. الله ليس بأعور
١١. عبد الله بن سلام من أصحاب الجنة

هو سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري، يكنّى أبا إسحاق، وأُمّه: حمنة بنت سفيان بن أُمية بن عبد شمس، وقيل حمنة بنت أبي سفيان بن أُمّية أسلم بعد ستة، و قيل بعد أربعة، وكان عمره عندما أسلم ١٧ سنة.

أحد السابقين الأوّلين، وأحد ستة أهل الشورىٰ، شهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ وأبلى يوم أحد بلاءً عظيماً، و هو أوّل من أراق دماً

في سبيل الله، وأوّل من رمىٰ بسهم في سبيله.

استعمله عمر بن الخطاب على الجيوش الـذين سيّرهم لقتال الفرس، وكان أميرَ الجيش في معركة القـادسية وجلولاء، وهو الذي فتح مـدائن كسرىٰ بالعراق، وبنى الكوفة وولي العراق ثمّ عزله، فلمّا حضرت عمـرَ الوفاةُ جعله أحد أصحاب الشورىٰ، ثـمّ استعمله عثمان فولّاه الكـوفة ثمّ عـزله، و لما قتل عثمان لـزم بيته ولم يبايع عليّاً، فلما اعتزل طمع فيه معاوية فكتب إليه يدعوه إلى أن يعينه على الطلب بدم عثمان فأجابه بالأبيات التالية:

معـــاوي داؤك الـــداء العيّـــاء ... وليـــس لما تجيْ بـــه دواء

أيـــدعـــوني أبـــوحســن عليّ ... فلـم أردد عليـــه مـــا يشـــاء

وقلـت لـــه اعطني سيفـــاً قصيراً ... تميـــز بـــه العـــداوة والـــولاء

أتطمـع في الـــذي أعيـــا عليّـــاً ... علىٰ مـــا قـــد طمعـــت بـــه العفـــاء

ليـــوم منـــه خير منـــك حيّـــاً ... وميتـــاً أنـــت للمـــرء الفـــداء [١]

وما حضر سعد وقعة الجمل ولا صفين ولا التحكيم في دومة الجندل. [٢]

يقول ابن مزاحم: وكان سعد بن أبي وقـاص قد اعتزل عليّاً ومعاوية، فنزل علىٰ ماء لبني سليـم بأرض البادية يتشـوّف الأخبار، وكان رجـلاً له بأس ورأي في قريش، ولم يكن له في عليٍّ ولا معاوية هوىٰ، فأقبل راكب يُوضِعُ من بعيد فإذا هو بابنه عمر بن سعد فقال له أبوه: مَهْيَمْ. [٣]

---

١. أُسد الغابة: ٢/ ٢٩٠ـ ٢٩٢.

٢. سير اعلام النبلاء: ١/ ١٢٢.

٣. مَهْيَمْ: كلمة يمانية معناها ما أمرك وما شأنك.

فقال: يا أبي ! التقى النـاس بصفين و كان بينهم ما قد بلغك حتـى تفانوا، ثمّ حكّموا الحكمين: عبد الله بن قيس، و عمـرو بن العاص، وقد حضر ناس من قريش عنـدهما، وأنت من أصحاب رسـول الله و من أهل الشورىٰ ولم تـدخل في شيء ممّا تكره هذه الأمّة، فاحضر دومة الجندل فانّك صاحبها غداً.

فقال: هذا أمر لم أشهد أوّله فلا أشهـد آخره، ولو كنت غامساً يدي في هذا الأمر لغمستها مع عليٍّ، إلى أن قال: فلما جنّه الليل رفع صوته ليسمع ابنه:

دعـوت أبـاك اليـوم والله للّـذي ... دعـاني إليـه القوم والأمـر مقبـل

فقلـت لهم للمـوت أهـون جـرعـة ... من النّار فاستبقـوا أخاكم أو اقتلـوا

إلى أن قال:

لـو كنت يومـاً لا محـالـة وافـداً ... تبعـت عليـاً والهوىٰ حيث يجعـل [1]

وليس ما جاء في بيتـه الأخير أوّل مرة ولا آخرها باح فيهـا بفضل الإمام أمير المؤمنين، بل نـرى نظـائر هذه الكلمات في أحـاديثـه، حيث ينقـل فضائل الإمـام بصدر رحب.

١. أخرج مسلم في صحيحه، عن سعيد بن المسيب، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عـن أبيه قال: قـال رسول الله ﷺ لعليّ: أنت منّي بمنزلـة هارون من موسىٰ إلاّ أنّه لا نبي بعـدي. قال سعيـد: فأحببت أن أشـافه بها سعـداً، فلقيت سعداً فحدثته بما حـدثني عامر، فقال: أنا سمعته. فقلـت: أنت سمعته؟ فوضع اصبعيه علىٰ أُذنيه فقال: نعم، وإلاّ فاستكتا. [2]

ولما كانت الـرواية من الدلائل السـاطعة علىٰ خلافـة الإمام علي عليه السلام بعد

---

١. وقعة صفين، ابن مزاحم: ٦١٩ـ ٦٢٠.

٢. صحيح مسلم: ٧/ ١٢٠، باب من فضائل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

رسول الله ﷺ حاول بعض المعلّقين على صحيح مسلم أن يشكّك في دلالتها على الخلافة وقال: والمستدل بهذا الحديث على أنّ الخلافة له بعد رسول الله زائغ عن منهج الصواب، فإنّ الخلافة في الأهل في حياته لا تقتضي الخلافة في الأُمّة بعد مماته.(١)

وقد عزب عن المعلّق انّه لو كان المراد خصوص الخلافة في الأهل لما احتاج إلى استثناء مقام النبوّة بقوله: «إلاّ أنّه لا نبي بعدي» فانّ الاستثناء دليل على ثبوت ما كان لهارون من مقامات و مناصب لعلي إلاّ النبوة، وقد جاء في الذكر الحكيم انّه كان وزيراً لموسى وفي الوقت نفسه نبيّاً مثله.

قال سبحانه: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي* هارونَ أَخِي﴾ (طه/ ٣٠) وقال سبحانه: ﴿وَوَهَبْنا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنا أَخاهُ هارونَ نَبيّاً﴾ (مريم/ ٥٣) إلى غير ذلك من الآيات التي تشير بوضوح إلى مناصب هارون العامة في بني إسرائيل، والحديث المروي عن النبي ﷺ الذي يسمى «بحديث المنزلة» يُثبت لعلي كلّ ما كان لهارون من مناصب إلاّ النبوة، فيكون الإمام خليفة النبي ﷺ ووزيره.

٢. أخرج الإمام أحمد، عن عبد الله بن الرقيم الكناني، قال: خرجنا إلى المدينة زمن الجمل، فلقينا سعد بن مالك بها، فقال: أمر رسول الله ﷺ بسدّ الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب علي عليه السلام.(٢)

٣. أخرج مسلم، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسبَّ أبا التراب؟

فقال: أما ما ذكرتُ ثلاثاً قالهنّ له رسول الله ﷺ فلن أسُبّه لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبُّ إليَّ من حمر النعم: سمعت رسول الله ﷺ يقول له وقد خلّفه في

١. هامش صحيح مسلم: مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة.
٢. مسند أحمد: ١/ ١٧٥.

بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلاّ انّه لا نبوة بعدي.

وسمعته يقول يوم خيبر: لأُعطينَّ الراية رجلاً يحبُّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، قال: فتطاولنا لها، فقال: ادعوا لي عليّاً، فأُتي به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه.

ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعالَوا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ عليّاً و فاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللّهمّ هؤلاء أهلي. [1]

ورغم علمه بمواقف علي عليه السلام وفضائله لم يمدَّ يد البيعة إليه، نقل الطبري: انّه جئ بسعد إلى المسجد حتى يبايع علياً فلم يبايع، وقال : لا أُبايع حتى يبايع الناس، والله ما عليك مني بأس، قال علي عليه السلام : خلّو سبيله. [2]

والعجب انّه بعد ما سمع ما ذكره الرسول في حقّ علي عليه السلام يصف بيعة الناس لعليٍّ وجهاده مع الناكثين والقاسطين والمارقين، فتنة.

أخرج الإمام أحمد، عن بسر بن سعيد انّ سعد بن أبي وقاص قال عند قتل عثمان بن عفان: أشهد انّ رسول الله ﷺ قال: إنّها ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، قال: أفرأيت إن دخل عليّ بيتي وبسط يده إليَّ ليقتلني، قال: كن كابن آدم [3] . [4]

ارتحل الرسول إلى الرفيق الأعلىٰ وجابه المسلمون حوادث مرّة مروراً

---

١. صحيح مسلم: ٧/ ١٢٠، باب فضائل علي بن أبي طالب. والآية ٦١ من سورة آل عمران.

٢. تاريخ الطبري: ٣/ ٤٥١.

٣. أي لا تقتله بل قل: لئن بسطت إليَّ يدك... الخ.

٤. سنن الترمذي: ٤/ ٤٨٦ برقم ٢١٩٤؛ مسند أحمد: ١/ ١٨٥.

بالسقيفة إلىٰ حوادث الردة إلى قتل عثمان، ورغم كل هذه الحوادث فما وجه تخصيص الحديث ببيعة الإمام علي عليه السلام ـ الذي بايعه معظم الأنصار والمهاجرين وتمت الحجة على الغائب ـ دون سائر الحوادث؟

فإذا ثبتت خلافة الخليفتين ببيعة عدّة من المهاجرين والأنصار وخلافة الخليفة الثالث ببيعة نفر قليل من أعضاء الشورىٰ الستة، فلماذا لا تثبت خلافة الإمام علي عليه السلام ببيعة جماهير الأنصار والمهاجرين ولم يتخلف إلّا نفر يسير من أصحاب الأهواء والمصالح؟ [1] و الرواية على فرض صحتها تنبئ عن ظهور فتنة على نحو كلي دون أن تحددها، بحدث خاص، لكن ابن أبي وقّاص طبّقها على قتل عثمان وعلى الأحداث التي تلته، ولذلك لم يبايع علياً عليه السلام ولم يشارك في الحروب التي خاضها الإمام مع الناكثين وغيرهم.

ويظهر انّه كان حريصاً على الدنيا ومكباً عليها.

روى ابن سعد قال: انبأنا محمد بن عمر، حدثنا فروة بن زبيد، عن عائشة بنت سعد قالت: أرسل أبي إلى مروان بزكاة خمسة آلاف، وترك يوم مات مائتي ألف وخمسين ألفاً.

وقال الزبير بن بكار: كان سعد قد اعتزل في آخر عمره في قصر بناه بطرف حمراء الأسد.

روى نوح بن يزيد، عن إبراهيم بن سعد: انّ سعداً مات وهو ابن ٨٢ سنة في سنة ٥٦هـ وقيل سنة ٥٧هـ وقال المدائني: توفي سنة ٥٥ وعلىٰ قول سنة ٥٤. [2]

---

١. لاحظ تاريخ الطبري: ٣/ ٤٥٢، وقد ذكر وجه إعراض قليل من الصحابة عن بيعة علي عليه السلام.

٢. سيرة أعلام النبلاء: ١/ ١٢٢، وحمراء الأسد موضع على ثمانية أميال من المدينة علىٰ يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة، وإليها انتهى رسول الله في مطاردة المشركين يوم أُحد.

قال الذهبي: روىٰ جملة صالحة من الحديث، وله في الصحيحين ١٥ حديثاً، وانفرد له البخاري بخمسة أحاديث، ومسلم ١٨ حديثاً، وقال أيضاً: وقع له في مسند «بَقي بن مخلد» ٢٧٠ حديثاً فمن ذاك في الصحيح ٣٨ حديثاً. [١]

وقد جمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ١٤٤ رواية [٢].

وعلى أية حال فهو صحابي، وله ما لسائر الصحابة من الفضل والكمال، ولا يعني ذلك براءته من كلّ رين وشين، فلنذكر شيئاً من روائع أحاديثه.

روائع أحاديثه

١. أخرج ابن ماجة في سننه، عن محمد بن سعد، عن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر. [٣]

٢. أخرج الترمذي في سننه، عن محمد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل انّه سمع سعد بن أبي وقاص والضحاك بن قيس، وهما يذكران التمتّع بالعمرة إلى الحج. فقال الضحاك بن قيس: لا يصنع ذلك إلّا من جهل أمر الله، فقال سعد: بئس ما قلت يا ابن أخي.

فقال الضحاك بن قيس: فإنّ عمر بن الخطاب قد نهى عن ذلك.

فقال سعد: قد صنعها رسول الله ﷺ وصنعنا معه. [٤]

وهذه الرواية حجّة علىٰ من يقلد الخليفة في إفتائه بحرمة المتعتين، متعة الحج ومتعة النساء.

وقد روى الإمام البخاري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمان، عن عبد الله بن عمر، عن سعد بن أبي وقاص، عن النبي انّه مسح على الخفين.

---

١. سير أعلام النبلاء: ١/ ٩٣و١٢٤.

٢. المسند الجامع: ٦/ ٦٣ برقم ٢٣٩.

٣. سنن ابن ماجة: ٢/ ١٣٠٠ برقم ٣٩٤١.

٤. سنن الترمذي: ٣/ ١٨٥ برقم ٨٢٣.

وانّ عبد الله بن عمر سأل عمر عن ذلك، فقال: نعم إذاحدثك شيئاً سعدُ عن النبي ﷺ فلا تسأل عنه غيره. [١]

وعلى ذلك فقد حدّث سعد عن حلية المتعتين فيجب على الخليفة وغيره اتّباعه.

٣. أخرج الدارمي في سننه، عن سعيد بن المسيب، عن سعد بن أبي وقاص، قال: لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان ممّن ترك النساء، بعث إليه رسول الله ﷺ فقال: يا عثمان: إنّي لم أؤمر بالرهبانية، أرغبتَ عن سنتي؟

قال: لا، يا رسول الله، قال ﷺ: إنّ من سنتي ان أُصلّي وأنام، وأصوم وأطعم وأنكح وأطلق، فمن رغب عن سنتي فليس مني، يا عثمان إنّ لأهلك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً.

قال سعد: فوالله لقد كان أجمع رجال من المسلمين علىٰ أنّ رسول الله ﷺ إن هو أقرّ عثمان على ما هو عليه، ان نختصي فنتبتل. [٢]

٤. أخرج مسلم في صحيحه ،عن خالد ،عن أبي عثمان قال: لمّا ادُّعي زياد لقيت أبا بكرة فقلت له: ما هـذا الذي صنعتم؟ انّي سمعت سعد بن أبي وقاص، يقول: سَمِعَ أُذناي من رسول الله ﷺ وهو يقول: من ادّعىٰ أباً في الإسلام غير أبيه يعلم انّه غير أبيه فالجنّة عليه حرام. [٣]

٥. أخرج الترمذي في مسنده، عن صالح بن أبي حسان، قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: إنّ الله طيّب، يحب الطيّب، نظيف يحبُّ النّظافة، كريم

---

١. صحيح البخاري: ١/ ٤٧، باب المسح على الخفين؛ مسند أحمد: ١/ ١٥.

٢. سنن الدارمي: ٢/ ١٣٣، باب النهي عن التبتل.

٣. صحيح مسلم: ١/ ٥٧، باب بيان من رغب عن أبيه وهو يعلم من كتاب الإيمان.

يحبُّ الكرم، جواد يحبُّ الجود، فنظِّفوا ـ أُراهُ ـ قال: أفنيتكم ولاتشبَّهوا باليهود. (١)

٦. أخرج ابن ماجة، عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: خياركم من تعلَّم القرآن وعلمه، قال: وأخذ بيدي فأقعدني مقعدي هذا، أُقرئُ. (٢)

٧. أخرج أحمد في مسنده، عن أبي بكر بن حفص: قال سعد: إنّي سمعت رسول الله، يقول: نعم الميتة، أنْ يموت الرجل دون حقّه. (٣)

٨. أخرج النسائي في سننه، عن مصعب بن سعد، عن أبيه، أنّه ظن انّ له فضلاً على من دونه من أصحاب النبي ﷺ، فقال نبي الله ﷺ: إنّما ينصر الله هذه الأُمّة بضعيفها بدعوتهم، وصلاتهم وإخلاصهم. (٤)

٩. أخرج أحمد في مسنده، عن ابن سعد بن أبي وقاص، قال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول:

إنّ الإيمان بدأ غريباً وسيعود كما بدأ، فطوبىٰ يومئذٍ للغرباء إذا فسد الناس، والذي نفس أبي القاسم بيده، ليأرزنَّ الإيمان بين هذين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها. (٥)

١٠. أخرج أحمد في مسنده، عن عمر بن سعد عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ:

عجبت للمؤمن إذا أصابه خير حمد الله وشكر، وإن أصابته مصيبة، حمد الله وصبر، فالمؤمن يؤجر في كلِّ أمره حتّى يؤجر في اللقمة يرفعها إلىٰ في امرأته. (٦)

---

١. سنن الترمذي: ٥/ ١١١ برقم ٢٧٩٩. قوله «أراه» صيغة متكلم مجهول وهو قول الراوي: أي الذي فهمت من كلامه أنّه قال.

٢. سنن ابن ماجة: ١/ ٧٧ برقم ٢١٣.

٣. مسند أحمد: ١/ ١٨٤.

٤. سنن النسائي: ٦/ ٤٥.

٥. مسند أحمد: ١/ ١٨٤.

٦. مسند أحمد: ١/ ١٧٣.

إلى غير ذلك من روائع أحاديثه، وقد عـزّيت إليه أحاديث سقيمة نشير إلى بعضها:

١. إثبات الجهة لله سبحانه

أخرج عبد حميد، عن عامر بن سعد، عن أبيه قال: لما حكم سعد بن معاذ في بني قـريظة أن يقتـل من جـرت عليه المواسي، و أن يقسم أمـوالهم وذراريهم، فقال رسول الله ﷺ:

«لقـد حكـم فيهم اليـوم بحكم الله عـزّوجلّ، الـذي حكـم فـوق سبـع سماوات». (١)

هذه الروايـة بظاهرها تثبت الجهـة لله سبحانه وانّه فـوق سبع سماوات، وما هذا شأنه فله جهـة ومكان متحيّز فيه، وهو يلازم التجسيم ـ نعوذ بالله ـ في حين انّه سبحانه يعرف نفسه على خلاف ما في هذه الرواية ويقول سبحانه: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِـرُ وَالظّاهِـرُ وَالبـاطِنُ وَهُـوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليـمٌ* هُوَ الَّـذِي خَلَقَ السَّمـاواتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيّامٍ ثُـمَّ اسْتَوىٰ عَلَى العَرْشِ يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِـي الأَرْضِ وَما يَخْرُجُ مِنْها وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَ ما يَعْرُجُ فِيهـا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِير﴾ (الحديد/ ٣ و ٤).

ويقول سبحانه: ﴿ما يَكُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاثَةٍ إِلاّ هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاّ هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنىٰ مِنْ ذٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا يَوم القِيامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾ (المجادلة/ ٧)

فعلى ضوء هذه الآيات فالله سبحانـه هو الموجود المحيط بجميع الممكنات

---

١. مسند حميد برقم ١٤٩؛ فضائل الصحابة للنسائي برقم ١١٩.

وهو الـذي معنا أينما كنّـا وما مـن نجوىٰ إلاّ هـو مع من ينـاجيه، ومثلـه لا يكون متحيزاً فوق سبع سماوات.

نعم كونه معنـا أو في كلّ مكان ليس بمعنىٰ حلولـه فينا، أو في الأشياء بل المراد إحاطته القيومية بما سواه وكونه قائماً به، وهو غير الحلول في الأشياء.

والعجب انّ السلفية المغـرورة بأمثال هذه الـرواية يأوّلون هـذه الآيات بأنّ المراد علمه سبحـانه بالظاهـر والباطن أو علمه بما يجري في مجلس النجـوىٰ وهذا هو التأويل الذي لو قام به مسلم لرُمي بالجهمية .

٢ . الطواف أكثر من سبعة أشواط

أخرج أحمد، عن مجاهد، عن سعد بن مالك قال: طفنا مع رسول الله، فمنّا من طاف سبعاً، و منّا من طاف ثمانياً، و منّا من طاف أكثر من ذلك، فقال رسول الله ﷺ : لا حرج . [١]

إنّ الحجّ عبادة جماعيـة شرعها الله سبحانـه منذ عهـد إبراهيم وقد حـرِّفت بمرور الزمان إلى أن بعث نبي الإسلام ﷺ فعلّم الناس معالم الحج في العام العاشر من الهجرة ولم يحج بعد الهجرة إلاّ مرّة واحـدة وان اعتمر غير مرّة وقد جاءت صفة حجّ النبي في روايـة جابر بن عبـد الله (رض) ورواه مسلم علىٰ تفصيله وفيهـا قال جابر: لسنـا ننوي إلاّ الحج، لسنا نعرف العمرة، حتىٰ إذا أتينـا البيت معه، استلم الركن فرمّل ثلاثاً و مشىٰ أربعاً ثمّ نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصلّىٰ﴾ . [٢]

فهو ﷺ رمّل ثلاثاً أي أسرع في مشيه وهزَّ منكبيه من الأشواط الثلاثة الأُول

---

١ . مسند أحمد: ١/ ١٨٤ .

٢ . صحيح مسلم: ٣/ ٣٩، باب حجّة النبي ﷺ.

ومشىٰ علىٰ عادته في الأربعة الأخيرة، وصار المجموع سبعة أشواط.

فإذا كان هذا طواف النبي والمسلمون وراءه، فكيف يمكن أن يطوف واحد سبعة، وآخر ثمانية، وثالث أكثر من ذلك، وكان النبي ﷺ بصدد تعليم آداب الحج و المسلمون بصدد التعلّم؟!

فالحديث مع تضمّنه جواز الزيادة في العبادة، بعيد عن موقف المسلمين يومذاك الذين كانوا وراء النبي في اعمال الحج كما هو صريح الرواية حيث يقول: «طفنا مع رسول الله فمنّا من طاف سبعاً».

٣. الرمي بست حصيات

أخرج النسائي في سننه، عن ابن أبي نُجيح قال: قال مجاهد: قال سعد: رجعنا في الحجة مع النبي ﷺ وبعضنا يقول رميت بسبع حصيات وبعضنا يقول رميت بست فلم يعب بعضهم على بعض.

ثمّ روىٰ عن قتادة قال: سمعت أبا مجلز يقول: سألت ابن عباس عن شيء من أمر الجمار، فقال: ما أدري رماها رسول الله ﷺ بست أو بسبع. [١]

روى مسلم في صحيحه، عن جابر في باب صفة حجّ النبي، قال: ثمّ سلك الطريق الوسطىٰ التي تخرج على الجمرة الكبرىٰ حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبّر مع كل حصاة منها، كلّ حصاة منها مثل حصى الخذف، رمى من بطن الوادي. [٢]

وقد تقدم انّ النبي ﷺ كان بصدد تعليم آداب الحج وفرائضه ومحظوراته

---

١. سنن النسائي: ٥/ ٢٧٥، باب عدد الحصى التي يرمىٰ بها الجمار.

٢. صحيح مسلم: ٣/ ٤٢، باب حجّة النبي ﷺ.

وقد حرص المسلمون على التعلم، فكيف يصح انّه رمىٰ بعضهم بسبع، وبعضهم الآخر بست، ولا يعيب بعضهم على بعض؟

وما رواه النسائي عن ابن عباس انّه قال: ما أدري رماها رسول الله ﷺ بست أو سبع يخالف ما رواه في الباب التالي عن ابن عباس عن طريق أخيه الفضل بن العباس، قال: كنت ردف النبي ﷺ فلم يزل يلبّي حتى رمى جمرة العقبة فرماها ﷺ بسبع حصيات يكبر مع كلّ حصاة. (١)

٤ . الطيرة في المرأة والفرس والدار

أخرج أبو داود، عن سعيد بن المسيب، عن سعد بن مالك، انّ رسول الله ﷺ قال: لا هامة ولا عدوىٰ ولا طيرة، وإن تكن الطيرة في شيء ففي الفرس والمرأة والدار. (٢)

وأخرج أحمد في مسنده، عن سعيد بن المسيب قال: سألت سعد بن أبي وقاص، عن الطيرة؟ فانتهرني، وقال: من حدَّثك؟ فكرهت أن أحدثه من حدثني، قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا عدوىٰ ولا طيرة ولا هام، إن تكن الطيرة في شيء ففي الفرس والمرأة والدار، وإذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تَهبطوا، وإذا كان بأرض وأنتم بها فلا تفرّوا منه. (٣)

وأخرج أيضاً، عن سعد بن أبي وقاص، انّ رسول الله ﷺ قال: إذا كان الطاعون بأرض فلا تهبطوا عليه، و إذا كان بأرض وأنتم بها فلا تفرّوا منه. (٤)

---

١ . سنن النسائي: ٥/ ٢٧٥، باب التكبير مع كلّ حصاة.

٢ . سنن أبي داود: ٣/ ١٩ برقم ٣٩٢١.

٣ و ٤ . مسند أحمد: ١/ ١٨٠و١٨٦.

وثمة شكوك تحوم حول تلك الروايات:

أوّلاً: انّ الرواية الأُولىٰ تنفي العدوىٰ، وهي انتقال المرض من سقيم إلى سليم، فلو صحّ النفي، فلماذا يروي سعدعن النبي ﷺ في روايته الثانية والثالثة انّه أمر بأن لا يُهبط بأرض فيها الطاعون، وإذا هُبط فيها فلا يُخرج منها ؟ فانّ ذلك صريح في الاعتراف بمبدأ العدوىٰ. لأنّه إذا كان في أرض ليس فيها طاعون وأُخبر بوجوده في أرض أُخرى فلا يهبط فيها خوفاً من الابتلاء، كما انّه إذا كان في أرض فيها طاعون فلا يخرج منها لئلا ينقل المرض معه إلىٰ أرض أُخرى، وهو نفس القول بالعدوىٰ.

وبالتالي فقد عزي إلى النبي ﷺ عن طريق سعد قولين متناقضين.

ثانياً: انّ الذكر الحكيم يصف العالم بالحسن والجمال وانّه سبحانه ما خلق شيئاً إلاّ حسناً وجميلاً قال سبحانه: ﴿**رَبُّنَا الّذي أَعطَىٰ كُلَّ شيءٍ خَلقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ**﴾ (طه/ ٥٠) وقال سبحانه: ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدأَ خَلق الإِنْسان مِنْ طين**﴾ (السجدة/ ٧) وقال سبحانه: ﴿**وَصَوّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبات**﴾ (غافر/ ٦٤) فهذه الآيات تصف فعل الله سبحانه وكلّ ما خلقه بالجمال، فكيف يحلّ الشؤم في المرأة والفرس والدار ؟!

إنّ الشؤم والطيرة إنّما هو وليد عمل الإنسان، فهو بفعله يجعل اليوم سعداً أو نحساً، وإلاّ فاليوم هو اليوم، والشمس هي الشمس، والقمر هو القمر، يجريان بأمر الله سبحانه: ﴿**قالُوا إنّا تَطَيّرنا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسّنّكُمْ مِنّا عَذابٌ أَلِيمٌ * قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَومٌ مُسْرِفُونَ**﴾ (يس/ ١٨ـ ١٩).

يعني: قال أصحاب القرية لرسلهم انّا تشاءمنا بكم، فوافاهم الجواب بأنّ طائركم معكم، وانّ الذي ينبغي أن تتشاءموا به هو معكم، وهو حالة اعراضكم

عن الحق وإقبالكم على الباطل.

وعلى كلّ تقدير، فالشرّ الذي يصيب الإنسان في داره وبعد زواجه، له سبب واقعي، لا صلة له بالدار والزوجة التي تخدم الزوج وأولاده بجدٍّ ومثابرة.

كيف يكون الشؤم في المرأة مع أنّها إحدى الثلاث التي اختارهنّ رسول الله ﷺ من الدنيا ؟ قال:

حُبّب إليّ من الدنيا :النساء، والطيب، وجعل قرّة عيني في الصلاة. [١]

أخرج مسلم عن عبد الله بن عمر، انّ رسول الله ﷺ قال: الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة. [٢]

هذا هو الإمام أبو الحسن علي الهادي عليه السلام يخاطب أحد أصحابه الذي كان يقول: «كفاني الله شرك من يوم فما أيشمك» بقوله: ترمي بذنبك من لا ذنب له، ما ذنب الأيام حتى صرتم تتشأمون بها إذا جُوزيتم بأعمالكم فيها، ثمّ قال: إنّ الله هو المثيب والمعاقب، والمجازي بالأعمال عاجلاً وآجلاً، لا تعد ولا تجعل للأيام صنعاً في حكم الله. [٣]

٥. التنديد بالشعر

أخرج مسلم، عن محمد بن سعد، عن سعد، عن النبي ﷺ قال: لأَن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً يريه خير من أن يمتلئ شعراً. [٤]

إنّ الشعر على نمطين:

---

١. مسند أحمد: ٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥.

٢. صحيح مسلم: ٤/ ١٨٧، باب استحباب نكاح البكر.

٣. الحراني، تحف العقول: ٤٨٢ـ ٤٨٣ بتلخيص. وسنوافيك عند دراسة أحاديث أبي هريرة انّ عائشة كذبت أمثال هذه الرواية ، لاحظ ص ٣٠٨.

٤. صحيح مسلم: ٧/ ٥٠، باب كتاب الشعر؛ سنن الترمذي: ٥/ ١٤١ برقم ٢٨٥٢ ؛ مسند أحمد: ١/ ١٧٥ وفيه (حتى يريه) بدل يريه.

نمط منه لا يهدف إلاّ إلى نشر الفساد والدعارة ودعم الظلم وتوطيد أركانه إلى غير ذلك من غايات ساقطة، فصاحبه هو الذي نزل في حقّه قوله سبحانه: **﴿وَالشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ* أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ في كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ* وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ﴾** (الشعراء/ ٢٢٤ـ ٢٢٦) فأصحاب هذا النوع من الشعر هم سماسرة الأهواء يتبعون الهوىٰ، و يبرمون أمراً، اليوم وينقضونه غداً، فليس لهم مآرب في الحياة إلاّ إشباع رغباتهم وميولهم الفاسدة.

ونمط آخر منه يهدف إلى بثّ الأخلاق الحميدة و إنهاض الهمم، لبسط العدل ونشره، وكبح جماح الظلم، والدعوة إلى الحقّ بأُسلوب بديع، يمازج الأرواح ويخالط الأدمغة، فهذا النوع من الشعر بغية العالم، ومقصد الحكيم، ومأرب الأخلاقي، وطلبة الأديب، وأمنية العالم الاجتماعي، فأصحاب هذا النوع من الشعر هم الذين استثناهم الله سبحانه بقوله: **﴿إِلاّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحات وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وَانْتَصِرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾**(الشعراء/ ٢٢٧).

إنّ التقدير الوافر لهذا النمط من الشعر وتكريم قائله عملٌ قام به النبي ﷺ، فانّه أوّل فاتح لهذا الباب على مصراعيه مدحاً وهجاءً باصاختته للشعراء المادحين له ولأُسرته الكريمة، وكان يَنشد الشعر ويستنشده، ويجيز عليه ويرتاح له، ويكرم الشاعر مهما وجد في شعره هذه الغاية الوحيدة، كإرتياحه لشعر عمّه شيخ الأباطح أبي طالب عليه السلام لمّا استسقىٰ فسُقي، قال: لله درّ أبي طالب لو كان حياً لقرّت عيناه، من ينشدنا قوله؟ فقام علي عليه السلام قال: كأنّك أردت يا رسول الله قوله:

وأبيضَ يُستسقى الغمام بوجهه ... ربيع اليتامى عصمة للأرامل
تلوذ به الهُلاّك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل

وكإرتياحه ﷺ لشعر كعب بن زهير لما أنشده في مسجده الشريف لاميته التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيّم إثرها لم يفد مكبول

فكساه النبي ﷺ بردة اشتراها معاوية بعد ذلك بعشرين ألف درهم، وهي التي يلبسها الخلفاء في العيدين. [١]

روى الحاكم النيسابوري: لما أنشد كعب قصيدته وبلغ قوله:

انّ الرسول لسيف يستضاء به ... وصارم من سيوف الله مسلول

أشار ﷺ بكمه إلى الخلق ليسمعوا منه.

ويروىٰ انّ كعباً أنشد من سيوف الهند، فقال النبي ﷺ من سيوف الله [٢]، إلى غير ذلك من الموارد الكثيرة التي قدّر فيها النبي ﷺ الشعر و الشعراء، وبذلك أثبت انّ الشعر المذموم غير الشعر الممدوح، وانّه سبحانه إنّما يذم النمط الأوّل ولو جاء في حديث النبي ﷺ ما نقله «سعد» فإنّما يرمي إلىٰ الصنف الأوّل وإلاّ فالشعر في العصور الأُولى كان سهماً في أكباد أعداء الله، وخير دعاية إلى الإسلام في كلّ صقع وناحية، ولذلك كان أئمّة الدين يبذلون من مال الله للشعراء ما يغنيهم عن التكسب والاشتغال بغير هذه المهنة.

ولما نصب النبي ﷺ علياً عليه السلام للخلافة والإمامة يوم الغدير استجاز حسان ابن ثابت أن يصبّ كلامه في قالب الشعر، فلما قرأ على النبي ﷺ قال ﷺ: لا تزال يا حسّان مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك. [٣]

---

١. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص ٦٢ كما في الغدير: ٢/ ٤.

٢. مستدرك الحاكم: ٣/ ٥٨٢.

٣. الفصول المختارة: ٢٣٦.

٦. لم يسلم أحد قبل سعد

أخرج البخاري في باب مناقب سعد، قال: عن سعيد بن المسيب يقول: سمعت سعد بن أبي وقاص قال: ما أسلم أحد إلاّ في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإنّي لثُلُثُ الإسلام. [١]

إنّ معنى الرواية كما ذكره ابن حجر هو انّه لم يسلم أحد قبله، ولما وقف ابن حجر على بطلانه، عاد يؤوّل المرويّ عن سعد، ويقول: والسبب فيه انّ من كان أسلم في ابتداء الأمر كان يخفي إسلامه، ثمّ أوضح معنى قوله وانّي لثلث الإسلام بأنّه أراد بالاثنين الآخرين خديجة وأبا بكر، أو النبي وأبا بكر وقد كانت خديجة أسلمت قطعاً ولعلّه خصَّ الرجال.

وعلى أيّة حال فلم يكن سعد أوّل من أسلم لا خفاءً ولا علانية، وقد تضافرت الروايات على أنّ أوّل من أسلم هو علي بن أبي طالب، و إليك بعض ما أثر عن النبي ﷺ في هذا الصدد.

١. أخرج الحاكم في مستدركه عن النبي ﷺ انّه قال: أوّلكم وارداً ـ وروداً ـ على الحوض أوّلكم إسلاماً علي بن أبي طالب. [٢]

كيف يكون هو أوّل من أسلم مع أنّ حديث بدء الدعوة يشهد بوضوح انّ علياً عليه السلام هو أوّل من أسلم.

روى الطبري في تاريخه: انّه لما نزل قوله سبحانه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ دعا النبي علياً عليه السلام فقال له : يا علي إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، إلى أن قال: فلما جاء القوم خاطبهم بقوله: يا بني عبد المطلب إنّي قد

---

١. صحيح البخاري: ٥/ ٢٢، باب مناقب سعد.

٢. الحاكم، المستدرك: ٣/ ١٣٦ وصححه تاريخ بغداد: ٢/ ٨١.

جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني علىٰ هذا الأمر علىٰ أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعاً، فقام علي عليه السلام ، وقال: أنا يا نبيّ الله فأخذ برقبته، وقال: إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. [1]

٢. قال الحاكم النيسابوري: ولا أعلم خلافاً بين أصحاب التواريخ انّ علي ابن أبي طالب (رض) أوّلهم إسلاماً. [2]

٣. وقال ابن عبد البر: اتّفقوا على أنّ خديجة أوّل من آمن بالله ورسوله وصدقه فيما جاء به ثمّ علي بعدها. [3]

٤. وقال المقريزي: وأمّا علي بن أبي طالب فلم يشرك بالله قط، وذلك انّ الله تعالى أراد به الخير فجعله في كفالة ابن عمه سيد المرسلين محمد، فعندما أتىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوحي وأخبر خديجة وصدّقت كانت هي، وعلي بن أبي طالب وزيد ابن حارثة يصلون معه... إلى أن قال: فلم يحتج عليّ (رض) أن يُدعىٰ ولا كان مشركاً حتى يوحّد فيقال أسلم، بل كان عمره عندما أوحى الله إلىٰ رسوله ثماني سنين وقيل سبع سنين، وقيل: إحدى عشر سنة، وكان مع رسول الله في منزله بين أهله كأحد أولاده يتبعه في جميع أحواله. [4]

روى ابن الأثير عن أبي يحيى بن عفيف، عن أبيه، عن جدّه عفيف، قال: جئت في الجاهلية إلى مكة وأنا أُريد أنْ ابتاع لأهلي من ثيابها وعطرها، فأتيت العباس بن عبد المطلب، وكان رجلاً تاجراً، فأنا عنده جالس حيث انظر إلى

---

١. تاريخ الطبري: ٢/ ٢١٦ وللحديث مصادر كثيرة اكتفينا بها ذكر.

٢. المعرفة: ٢٢.

٣. الاستيعاب: ٢/ ٤٥٧.

٤. الامتاع: ٤٢.

الكعبة وقد حلقت الشمس في السماء فارتفعت وذهبت إذ جاء شاب فرمىٰ ببصره إلى السماء ثمّ قام مستقبل الكعبة، ثمّ لم ألبث إلاّ يسيراً حتى جاء غلام فقام علىٰ يمينه، ثمّ لم ألبث إلاّ يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما فركع الشاب فركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة، فسجد الشاب فسجد الغلام والمرأة، فقلت: يا عباس أمر عظيم، قال العباس: أمر عظيم تدري من هذا الشاب؟ قلت: لا، قال: هذا محمد بن عبد الله ابن أخي، أتدري من هذا الغلام؟ هذا علي بن أخي، أتدري من هذه المرأة؟ هذه خديجة بنت خويلد زوجته، انّ ابن أخي هذا أخبرني انّ ربّه ربّ السماء والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه ولا والله ما على الأرض كلّها أحد علىٰ هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة. [١]

٧. دخول الأُمّة قاطبة الجنة بشفاعة النبيّ

أخرج أبو داود، عن عامر بن سعد، عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ من مكة نريد المدينة، فلما كنّا قريباً من عَزْوَرا نزل ثمّ رفع يديه فدعا الله ساعة ثمّ خرّ ساجداً، فمكث طويلاً ثمّ قام فرفع يديه فدعا الله ساعة ثمّ خرّ ساجداً، فمكث طويلاً ثمّ قام فرفع يديه ساعة ثمّ خرّ ساجداً.

ذكره أحمد ثلاثاً: قال: «إنّي سألت ربي وشفعت لأُمتي، فأعطاني ثلث أُمتي، فخررت ساجداً شكراً لربي، ثمّ رفعت رأسي فسألت ربّي لأُمّتي، فأعطاني ثلث أُمتي، فخررت ساجداً لربي شكراً، ثمّ رفعت رأسي فسألت ربي لأُمتي، فأعطاني الثلث الآخر، فخررت ساجداً لربي. [٢]

---

١. أُسد الغابة: ٣/ ٤١٤ـ ٤١٥؛ ورواه النسائي في خصائصه: ٣؛ ولاحظ الاستيعاب: ٢/ ٥٥٩. وكان النبي يصلّي إلى الكعبة قبل الهجرة و إنّما صلّى إلى بيت المقدس في المدينة بعدها إلى سبعة عشر شهراً.

٢. سنن أبي داود: ٣/ ٩٠ برقم ٢٧٧٥.

إنّ الامعان في الآيـات الواردة حـول الشفاعـة تثبت بأنّها حقّ خـاص بالله سبحانه يأذن لعدّة خاصّـة من عباده المقربين، ولا يأذن لهم أن يشفعوا إلاّ في حقّ عدّة معينة، فقد وضع القرآن حدوداً وقيوداً في الشافع والمشفوع له.

إنّ الشفـاعة في حـقّ من قطعـوا صلتهم بالله سبحـانـه فلم يـؤمنوا بـه أو بوحدانيته أو بقيامته ، منتفية قطعاً لا تنالهم شفاعة الأنبياء.

قال سبحانه: ﴿يَقُولُ الّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَد جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالحَقِّ فَهَلْ لَنا مِنْ شُفعـاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا أو نُردُّ فَنَعْمَلَ غَيـرَ الّذي كُنّا نَعْمَلُ قَـدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كـانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (الأعراف/ ٥٣) . وقال سبحـانه: ﴿وَكُنّا نُكَذِّبُ بِيَومِ الدِّين * حَتّى أَتانا اليَقيـنُ * فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشّافِعين﴾ (المدثر/ ٤٦ ـ ٤٨).

وثمة روايات متضافرة تحدد شفـاعة الأنبياء، ومع ذلك فكيف ورد في هذه الرواية انّ الأُمّة بقاطبتها عادلها وظالمها، تقيّها وفاجرها، صالحها وطالحها علىٰ حدّ سواء في الشفاعة، والله سبحانه يقبل شفاعة نبيّه في حقّهم؟!

ولا يـراد من الأُمّة في الـروايـة إلاّ من آمن بـالله ورسولـه وإن فسق وفجـر وخضب الأرض بإراقة دماء الأبرياء.

٨. عمر أفظّ وأغلظ من رسول الله

أخرج البخـاري في صحيحه، عن محمد بـن سعد بن أبي وقاص، عـن أبيه قال: استأذن عمر بـن الخطاب علىٰ رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلّمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن علىٰ صوته، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمنَ فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك.

فقال عمـر: أضحك الله سنَّك يا رسـول الله، فقال النبي ﷺ : عجبت من

هؤلاء اللاتي كنَّ عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب، فقال عمر: فأنت أحقّ أن يهبن يا رسول الله، ثمّ قال عمر: يا عدوّات أنفسهنّ أتهبنني ولا تهبنَ رسول الله ﷺ ؟! فقلن: نعم، أنت أفظُّ وأغلظ من رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: «اِيهاً يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجّاً قطّ إلاّ سلك فجّاً غير فجِّك». (١)

وثمة شكوك تحوم حول تلك الرواية:

أوّلاً: انّ ظاهر الرواية انّ النبي اجتمع مع نسوة من قريش وهنّ أجنبيات من دون أن يضرب ساتر بينهما، وهذا لا يليق بأن ينسب إلى مؤمن فضلاً عن النبي ﷺ، ويعلم ذلك من خلال بيان أمرين:

الأمر الأوّل: انّ التعبير بقوله: «وعنده نسوة من قريش» يعرب انّ فيهنّ أجنبيات عنه ﷺ، وإلاّ فلو كان المراد زوجاته لكان اللازم التعبير بالزوجات لا بنسوة من قريش.

على أنّ بعض زوجاته ﷺ لم يكنَّ من قريش فمثل ميمونة بنت حُييّ بن أخطب كانت يهودية فأسلمت، ومارية القبطية أهديت إلى النبي ﷺ فأنجبت له إبراهيم.

وقوله يستكثرنه بمعنى انهنّ يكثرن الكلام عنده لا أنّهن يطلبن نفقة كثيرة.

الأمر الثاني: انّ الاجتماع كان بعد نزول آية الحجاب، بشهادة انهن ابتدرن للحجاب عندما أقبل عليهنّ عمر بن الخطاب.

ولازم هذين الأمرين أن يجتمع النبي مع نساء أجنبيات دون أن يضرب ساتر بينهما.

---

١. صحيح البخاري: ٥/ ١١، باب مناقب عمر.ونقله مسلم في صحيحه:٧/ ١١٥ باب فضائل عمر.

ثانياً: انّ لازم صحّة الخبر أن يكـون النبي ﷺ ـ والعيـاذ بالله ـ فظـاً غليظ القلب وإن كان أقلّ من فظاظة عمر، مع أنّـه سبحانه ينفي عنه هذه التهمة، قال سبحانه: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ (آل عمران/ ١٥٩) إلاّ أن يحمل على جهل النسوة بحال النبي ﷺ ورأفته.

ثالثاً: انّ ظـاهر قـوله: إيهاً يـا ابن الخطـاب، والذي نفسي بيـده مـا لقيك الشيطان سـالكاً فجّاً قط إلاّ سلك فجّـاً غير فجّك» يدل علىٰ عصمته وكـونه من المخلَصين ودخولـه في قولـه سبحانـه: ﴿**ولأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِيـنَ * إلاّ عِبادكَ مِنْهُمُ المُخْلَصينَ**﴾ (الحجر/ ٣٩ـ٤٠).فالشيطان عندمـا يلتقي مع الأنبيـاء لا يسلك فجّـاً غير فجّهم بـل يقابلهـم فيوسـوس إليهـم: قال سبحـانـه : ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطان قالَ يا آدَمُ**﴾ (طه/ ١٢٠) ولكنّه عندما يلتقي مع عمر، يسلك فجّاً آخر، فهل يصحّ ذلك يا تُرى؟!

وثمّـة رواية أُخـرى عن جـابـر رواهـا مسلم ربما تكـون قرينـة علىٰ تفسير الحديث السابق.

روى مسلم، عن جابر بن عبد الله، قـال: دخل أبو بكر يستأذن علىٰ رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر ودخل، ثمّ أقبل عمـر فأستأذن فأذن له فـوجد النبي ﷺ حوله نساؤه واجماً سـاكتاً، قال: لأقولنّ شيئاً أُضحك النبيﷺ فقال : يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليهـا فوجأت عنقهـا، فضحك رسول الله ﷺ وقال: هـنّ حولي كما ترى يسألنني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة : يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقـول: تسألنّ رسول الله ما ليس عنـده فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده، ثـم اعتزلهنَّ شهراً أو تسعاً وعشرين ثمّ نزلت إليه هذه الآية: ﴿**يٰـا أَيُّهَـا النَّبِـيُّ قُلْ لأَزْواجِـكَ** ـ حتى بلـغ ـ **لِلْمُحْسنـاتِ مِنكُنَّ أَجْراً**

عَظِيماً﴾ (الأحزاب/ ٢٨ـ ٢٩).

فبدأ بعائشة وقال: يا عائشة إنّي أُريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك، قالت: وما هو يا رسول الله؟فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يا رسول الله استشير أبويّ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت، قال: لا تسألني امرأة منهنّ إلاّ أخبرتها، انّ الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسّراً. [١]

وعلى ضوء هذا الحديث يكون المراد من نساء قريش هو زوجاته ونساؤه، ولا يكون اجتماعه اجتماعاً مع أجنبيات، ولكنّه وإن رفع الإشكال الأوّل لكنّه زاد في الطين بلّة، لأنّه يصرح بأنّ كلاً من الشيخين قاما ليجأ ويضربا بنتيهما (زوجتي النبي ﷺ) مع أنّهما كانتا تطلبان النفقة الواجبة التي عند النبي ﷺ بشهادة قولهما: (فقلن والله لا نسأل رسول الله شيئاً أبداً ليس عنده) فعند ذلك كان سؤالهما سؤالاً شرعياً، وطعن الشيخين وضربهما أمراً غير مشروع بالمرة، إلاّ أن يكون تكلمهما وضربهما لإيجاد السرور ورفع الحزن عن قلب النبي ﷺ.

ثمّ إنّه ليس فيما رواه مسلم من قوله ﷺ لعمر: إيهاً يا ابن الخطاب «والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً... الخ» عين ولا أثر ولا أظن أحداً من المحدثين يتمسّك في المقام لإثبات صحّة ما سقط في حديث مسلم بقاعدة «تقدم النقيصة على الزيادة وانّ القول بسقوط الزيادة عن رواية مسلم أولى من القول بأنّ الراوي أضاف من نفسه بلا وعي» فانّ تلك القاعدة إنّما تتمشىٰ إذا لم تكن قرينة على العكس، فانّه من البعيد أن يقوم النبي ﷺ بمدح عمر بن الخطاب وينساه الراوي، أو يمدحه وعنده من هو أفضل منه وأقدم منه إسلاماً، فانّ ذلك يعد نوع إهانة لأبي بكر.

١. صحيح مسلم: ٤/ ١٨٧، باب تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلاّ بالنية.

وعلىٰ أيّة حـال فالروايتان ــ على الرغم من رواية مسلم والبخـاري لهما ـ لا يخلوان من إشكالات وتساؤلات، والنفس لا تسكن لما جاء فيهما.

٩. سؤال النبي من الله ثلاثاً

أخرج مسلم، عن عامر بن سعد، عن أبيه: انّ رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية، حتى إذا مرّ بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه، ودعا ربّـه طويـلاً، ثمّ انصرف إلينـا، فقال ﷺ: سألت ربي ثلاثـاً فأعطاني ثنتين ومنعني واحـدة، سألت ربّي أن لا يهلـك أُمتي بالسَّنَـةِ فأعطـانيها، وسألتـه أن لا يهلك أُمّتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها. [١]

هذا مـا رواه مسلم عن سعد، ولكـن روى الإمام أحمد، عن معـاذ بن جبل نفس الرواية بنحو آخر، قال: وجدت رسول الله قائماً يصلي، فقمت خلفه، فأطال الصلاة، فلما قضـى الصلاة قال: قلـت يا رسول الله لقـد صليتَ صلاة طـويلة؟ فقال رسول الله ﷺ: إنّي صليت صـلاة رغبة ورهبة، سألـت الله عزّ وجلّ ثـلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحـدة، سألته أن لا يهلك أُمّتي غرقاً فأعطـانيها، وسألته أن لا يُظهر عليهم عـدواً ليس منهم فأعطانيها، وسألتـه أن لا يجعل بأسهم بينهم فردّها عليّ. [٢]

فالنبي حسب رواية سعد سأل الله سبحانه الثلاثة التالية:

١. أن لا يهلك أُمّته بالسّنة، والمراد بها المجاعة العامّة التي تعم الجميع، لا أن تصيب ناحية دون أُخرى.

٢. أن لا يهلكهم بالغرق.

---

١. صحيح مسلم: ٨/ ١٧١ـ١٧٢، باب هلاك هذه الأُمّة بعضهم ببعض.

٢. مسند أحمد: ٦/ ٣١٧.

٣. أن لا يجعل بأسهم بينهم.

ولكن الثلاثة التي سألها النبيّ ﷺ في رواية معاذ بن جبل [١]، عبارة عن الأُمور التالية:

١. أن لا يُظهر عليهم عدواً ليس منهم.

٢. أن لا يهلك أُمّته غرقاً.

٣. أن لا يجعل بأسهم بينهم.

فالحديثان يشتركان في الثاني والثالث دون الأوّل.

وقد رواه مسلم أيضاً عن ثوبان بنحو آخر، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّي سألت ربّي لأُمّتي أن لا يهلكها بسَنَةٍ بعامّةٍ، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وانّ ربي قال: يا محمد إنّي إذا قضيت قضاء فإنّه لا يرد وإنّي أعطيتك لأُمّتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أُسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتّى يكون بعضهم يهلك بعضاً و يسبي بعضهم بعضاً. [٢]

فقد جاء في هذا الحديث السؤالان المقضيان دون الثالث، كلّ ذلك يعرب عن اضطراب الحديث في النقل ولا يصحّ الاعتماد عليه.

ثمّ إنّ ثمة تساؤلات وهي:

١. انّ النبي سأل أن لا يهلك أُمّته، فما هو المراد من هذا السؤال؟ أسأل أن لا يكون غلاء في صقع معين من نواحي الأمصار الإسلامية، أو المراد هو المجاعة العامة التي تُهلك الأُمة من رأس؟

---

١. لاحظ ص ٨٦.

٢. صحيح مسلم: ٨/ ١٧١، باب هلاك هذه الأُمّة بعضهم ببعض.

أمّا الأوّل فلم يستجب دعاؤه، فما أكثر الغلاء في الأقطار الإسلامية لا سيما في العصر الحاضر.

وأمّا الثاني فالدعاء كان أمراً لغواً لأنّه سبحانه وعد في الذكر الحكيم بقاء الأُمّة الإسلامية إلىٰ يوم القيامة، قال سبحانه: ﴿أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُون﴾ (الأنبياء/ ١٠٥) وقال سبحانه: ﴿هُوَ الّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدىٰ وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة/ ٣٣) وقال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللهُ الّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دينَهُمُ الّذِي ارْتَضىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَني لاٰ يُشْرِكُونَ بي شَيئاً وَمَنْ كَفَر بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾ (النور/ ٥٥).

٢. انّ السؤال الأخير أي «لا يجعل بأسهم بينهم» من الأدعية التي لا تستجاب أبداً، لأنّه علىٰ خلاف السنن السائدة في الكون، و الاختلاف أمر طبيعي لكافة أبناء البشر، فكيف يطلب النبي من الله سبحانه أن لا يجعل بأسهم بينهم وهو القائل: افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ أو اثنتين وسبعين فرقة وافترقت النصارىٰ على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أُمّتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة؟

رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.[1]

١٠. الله ليس بأعور

أخرج أحمد في مسنده، عن داود بن عامر بن سعد بن مالك، عن أبيه، عن

---

١. المستدرك على الصحيحين: ١/ ١٢٨، وقد أشبعنا الكلام في هذا الموضوع عند دراسة أحاديث معاذ بن جبل، فلاحظ.

جدّه سعد انّه قال: قال رسول الله ﷺ: إنّه لم يكن نبي إلاّ وصف الدجال لأُمّته، ولأصفنّه صفة لم يصفها أحد قبلي، انّه أعور و انّ الله عزّ وجلّ ليس بأعور. (١)

هـذا الحديث يثبت العضـو لله سبحـانـه، وانّ لله عيناً، لكنّـه ليس أعـور، والله سبحانه أجلّ من التجسيم. وقد مرّ الكـلام فيه عند دراسة أحاديث معاذ بن جبل.

١١. عبد الله بن سلام من أصحاب الجنّة

أخرج مسلم عن عامر بن سعـد، قال سمعت أبي يقول: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لحيٍّ يمشي انّه في الجنّة إلاّ لعبد الله بن سلام. (٢)

إنّ أثـر الوهـن باد على هـذا الخبر بوضـوح لانطـوائه علىٰ تناقـض سافـر للحديث التالي.

أخرج أبو داود في سننـه، عن عبد الرحمان بن الأخنس، انّـه كان في المسجد فذكر رجل عليّاً عليه السلام فقام سعيـد بن زيـد، فقال: «أشهـد علىٰ رسول الله ﷺ انّي سمعتـه وهو يقـول عشرة في الجنّـة: النبيّ في الجنة، وأبـو بكـر في الجنّة، وعمـر في الجنّة، وعثمان في الجنّة، وعلي في الجنّة، وطلحة في الجنّة، والزبير بن العوام في الجنّة، وسعد بـن مالك في الجنّـة ، و عبد الرحمان بن عـوف في الجنّة ولـو شئت لسميت العاشر، قال: فقالوا: من هو؟ فسكت: قال: فقالوا: من هو؟ فقال: هو سعيد بن زيد. (٣)

---

١. مسند أحمد: ١/ ١٧٦.

٢. صحيح مسلم : ٧/ ١٦٠، باب فضائل عبد الله بن سلام؛ و أخرجه أيضاً البخاري: ٥/ ٣٧، باب مناقب عبد الله بن سلام.

٣. سنن أبي داود: ٤/ ٢١١ برقم ٤٦٤٩.

وهذا التناقض بين الحديثين يجرّنا إلى القول بوضع أحد الحديثين أو كليهما، ومن البعيد أن لا يسمع سعد ما سمعه سعيد بن زيد من النبيّ في حقّ العشرة المبشرة بالجنة مع أنّه هو منهم.

أضف إلى ذلك أنّ لازم صحّة الخبر الأوّل أن يصل عبد الله بن سلام اليهودي ـ الذي أسلم وبث طائفة كبيرة من الإسرائيليات في أوساط المسلمين ـ مرتبة يتفوّق فيها على أكابر الصحابة وأعيانهم الذين ضحوا بنفسهم ونفيسهم في سبيل إعلاء كلمة الله.

ثمّ إنّ الذي يسيء الظن بصحة الحديث الثاني انّ الناقل هو سعيد بن زيد وهو أحد تلك العشرة المبشرة.

وما أحسن ما يقال: «بأبي زوجة تمدحها أُمّها» وأقول: «بأبي راوٍ ينقل عن النبي انّه من أهل الجنّة».

إنّ طبيعة الحال تقتضي أن يدلي النبي ﷺ قوله في حشد كبير، يحضره أكثر العشرة المبشرة بالجنة، لا أن يدلي بكلامه هذا أمام أحدهم خاصّة، ولا يبوح هو أيضاً بما سمعه إلاّ عندما رأى نيل الناس من عليّ عليه السلام وذكره بالسوء.

١٩

أبو هريرة

(٢١ق.هـ ـ ٥٧هـ)

سيرته و أحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة

١ . محاولة عفريت من الجن قطع صلاة النبي ﷺ.
٢ . الشيطان إذا سمع الأذان ولىٰ....
٣. وجوب الجهاد تحت راية كلّ بر و فاجر.
٤ . قبول التوبة مع عدم الندم.
٥ . النبيّ ﷺ يمنع من كتابة الحديث.
٦ . من هو خالق الله؟
٧. انّ الله خلق آدم علىٰ صورته طوله ستون ذراعاً.
٨. سليمان يطوف على ستين امرأة في ليلة واحدة.
٩ . موسى يفقأ عين ملك الموت.
١٠ . رؤية الله بالعين الباصرة.
١١ . لا تملأ النار حتى يضع الرب رجله فيها.
١٢ . نزول الرب كل ليلة إلى السماء الدنيا.
١٣ . نقض سليمان حكم أبيه داود.
١٤ . ظهور موسى عرياناً أمام الملأ.
١٥ . اتهام أُولو العزم من الأنبياء بالعصيان.
١٦ . شك الأنبياء وتفضيل يوسف على نبيناﷺ.
١٧ . نبي من الأنبياء يحرق قرية النمل.
١٨ . أيوب يحثي رجل جراد من ذهب في ثوبه.
١٩ . النبي يؤذي ويجلد ويسب ويلعن من لا يستحق.
٢٠ . التلاعب بحديث بدء الدعوة.
٢١ . إيقاع الفعل في وقت لا يسعه.
٢٢ . امة مسخت فأراً .
٢٣ . أبو طالب أبى النطق بالشهادتين عند الموت
٢٤ . أبو هريرة ينسب ما سمعه عن الفضل إلى النبي ﷺ.
٢٥ . إبراهيم يخاصم ربّه .
٢٦ . دخول امرأة في النار بسبب هرّة.
٢٧ . في إحدى جناحي الذبابة داء وشفاء.

إنّ أبا هـريرة غـامض الحسب، مغمـور النسب، اختلف النـاس في اسمه واسم أبيه اختـلافاً كثيراً، وقد نقل الـذهبي أقوالاً عشرة في اسمـه ورجّح انّ اسمه عبد الرحمان بن صخر، كما نقل الأقوال في اسم أبيه، ولا يهمُّنا التحقيق في اسمهما فقد سرد هشام [بن محمد] بن الكلبي نسب أبيه، بقوله:هو عمير بن عامر بن ذي الشرى بن طريف بن عيّان بن أبي صعب بـن هُنيَّة بن سعد بن ثعلبة إلى أن ينتهي إلى نصر بن الأزد. (١)

ويكنّى أبا هريرة لهرّة صغيرة كان مغرماً بها.

قال ابن قتيبة: إنّ أبا هريرة كان يقول: وكُنِّيت بأبي هريرة بهرة صغيرة كنت ألعب بها. (٢)

وأخرج ابن سعد في تـرجمة أبي هريرة في الطبقات بالاسنـاد إليه، قال: كنت أرعىٰ غنماً، وكانت لي هريرة صغيرة، فكنت إذا كان الليل وضعتها في شجرة، وإذا أصبحت أخذتها فلعبت بها فكنّوني أبا هريرة. (٣)

إسلامه

اتّفقوا على أنّه أسلم بعد فتح خيبر، يقول أبو هريرة:

خرج النبي إلىٰ خيبر وقدمت المدينة مهاجراً ،فصلّيت الصبح خلف سِباع ابن عُـرفُطة ــ كان استخلفـه ـ فقـرأ في السجدة الأُولى [كـذا] بسورة مـريم، وفي الآخرة ﴿ويلٌ للمُطففِين﴾ .

---

١. سير أعلام النبلاء: ٢/ ٥٧٨ برقم ١٢٦.

٢. ابن قتيبة: المعارف:١٥٨.

٣. الطبقات الكبرىٰ لابن سعد:٤/ ٣٢٩. وقـد جرت سنّة النبي ﷺ على تبديل الأسماء والكُنى غير الحسنة، إلى الحسنة منها ولكنّهﷺ أبقى كنيـة أبي هريـرة على حالها و لم يُغيّرهـا ، فما هو السرّ في ذلك؟!

فقلت: ويل لأبي، قلّ رجل كان بأرض الأزد، إلاّ وكـان له مكيالان، مكيال لنفسه، و آخر يبخس به الناس. [١]

وعلى ذلك فقـد أدرك من عهـد الرسـالة أربـع سنين، إذا صحّ وقوع غـزوة خيبر في شهر محرم الحرام، وهو بعدُ محل خلاف بين كُتّاب السيرة النبويّة. ولكن ، قال ابن أبي خالد: حـدثنا قيس بن أبي حازم، قال لنا أبو هـريرة: صحبت رسول الله ثلاث سنين. [٢]

والجمع بين القـولين هـو انّ النبي أمّـر العـلاء بن الحضرمـي في البحـرين وبعث معه أبا هريـرة مؤذِّناً له، فلو لبث فيها سنـة واحدة، فقد صحب النبي ﷺ ثلاث سنين، و إن أدرك من عهد الرسالة أربع.

ويظهر مما وَصف به أرض الأزد وما دعا به علىٰ والده بقوله: «ويل لأبي» أنّ منبَته لم يكـن منبَت خير، و قد روى هـو أيضاً: انّه قـال لي النبي ﷺ : ممن أنت؟ قلت: من دوس، قال: ماكنت أرى انّ في دوس أحداً فيه خير [٣].

كثرة أحاديثه

يصفه الذهبي بقوله: الإمام، الفقيه، المجتهد، الحافظ، صاحب رسول الله، أبو هـريرة الدوسي اليماني، سيـد الحُفاظ الأثبات، حمل عن النبـي علماً كثيراً طيّباً مباركاً ـ لم يُلْحق في كثرته ـ و عن أُبيّ و أبي بكـر و عمر و أُسامة وعائشة والفضل وبُصرة بن أبي بُصرة، وكعب الحبر.

حدَّث عنـه خلق كثير من الصحـابة والتـابعين، فقيل بلغ عـدد أصحابـه

١. سير أعلام النبلاء:٢/ ٥٨٩.

٢. مسند أحمد:٢/ ٤٧٥و مختصر تاريخ ابن عساكر:٢٩/ ١٨٢.

٣. مختصر تاريخ ابن عساكر:٢٩/ ١٨١.

ثمانمائة، ثمّ نقل عن صاحب التهذيب أسماء من له رواية عنه في كتب الأئمّة الستة.[١]

وبلغ مسنده ٥٣٧٤ حديثاً، المتّفق في البخاري و مسلم منها ٣٢٦، وانفرد البخاري بـ ٩٣ حديثاً، ومسلم بـ ٩٨ حديثاً.[٢]

ولم يتفق لأحد من الصحابة ذلك الحجم الهائل من الروايات عن النبي ﷺ وعلى الرغم من أنّه لم يكن يكتب الحديث ولكنّه حفظ هذا العدد الهائل من الروايات عن ظهر قلب.

وقد روى سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن وهب بن منبه، عن أخيه همام، قال: سمعت أبا هريرة، يقول: ما أحد من أصحاب رسول الله أكثر حديثاً عنه منّي، إلّا ما كان من عبد الله بن عمرو، فانّه كان يكتب و كنت لا أكتب.[٣]

وعلى ضوء ذلك فيلزم أن يكونا متكافئين في نقل الحديث مع أنّ المروي عن عبد الله بن عمرو أقل بكثير عمّا روي عن أبي هريرة.

فإذا كان المروي عن أبي هريرة ٥٣٧٤ حديثاً، فلازمه آن يكون المروي عن عبد الله بن عمرو مثل هذا أو أكثر، مع أنّ المروي عنه سبعمائة حديث، فتكون النسبة بينهما هي السُّبْع، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على ضعف الاعتماد على مروياته.

وقد اعتذر المعلِّق على سير أعلام النبلاء عن هذا الفارق الشاسع بين الراويتين بوجوه ضعيفة لا يُركن إليها. فمن جملة ما اعتذر به: «انّ عبد الله كان مشتغلاً بالعبادة أكثر من اشتغاله بالتعليم، فقلّت الرواية عنه»[٤] وفي الوقت

---

١ و ٢. سير أعلام النبلاء: ٢/ ٥٧٨ برقم ١٢٦.

٣. مختصر تاريخ ابن عساكر: ٢٩/ ١٩١.

٤. سير أعلام النبلاء: ٢/ ٥٩٩.

نفسه يذكر في الوجه الرابع ما يخالف ذلك و يقول: «إنّ عبد الله كان قد ظفر بالشام بحِمْل جمل من كتب أهل الكتاب، فكان ينظر فيها ويحدِّث منها، فتجنّب الأخذ عنه لذلك كثير من أئمّة التابعين».

إنّ عناية عبد الله بكُتب أهل الكتاب والنظر فيها والتحديث منها يعرب عن اشتغاله بالتعليم أكثر من العبادة، أو مثلها ولو كان أبو هريرة يحسن القراءة والكتابة أو يمارسها لنقل من حِمْل ذلك الجمل ما شاء.

وعلىٰ أية حال فقد جمعت رواياته في المسند الجامع فبلغت ٢٧٤٠ حديثاً.[1] ولكن الموجود في مسند أبي هريرة تأليف عبد السلام بن محمد بن عمر علوش أكثر من ذلك حيث بلغ عدد أحاديثه من المسند والموقوف والمعلّق إلىٰ ٦٤٢٨، وقد جمع ما روي عنه في ثلاثة أجزاء أسماه «التمام الحسن» وهو تتمة جامع المسانيد والسنن تأليف عماد الدين ابن كثير القرشي، طبع في دار الفكر، بيروت.

ملامح من شخصيته

يظهر ممّا روي عنه من الأقوال والأفعال انّه كان كثير الهزل، يمارس علىٰ كبر سنّه ما يمارسه الأطفال من الأفعال.

يقول ابن قتيبة نقلاً عن أبي رافع: كان مروان ربّما استخلف أبا هريرة على المدينة، فيركب حماراً قد شدّ عليه برذعة، وفي رأسه خلبة من ليف، فيسير فيلقى الرجل، فيقول: الطريق قد جاء الأمير.

وربّما أتى الصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الغراب فلا يشعرون بشيء حتى

---

١. انظر المسند الجامع: ١٦ و١٧ و١٨، ولكن المسند الجامع ليس بجامع لا في هذا المورد، ولا في موارد أُخر، وقد وقفنا على روايات لأبي هريرة في الصحيحين والسنن لم تُذكر في الجامع.

يلقي نفسه بينهم و يضرب برجليه فينفر الصبيان فيفرّون.

وربّما دعاني إلى عشائه بالليل، فيقول: دع العراق للأمير، فانظر فإذا هو ثريدة بزيت. [١]

ونقل عن سعد بن أبي مالك القرظي، قال: أقبل أبو هريرة في السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان، فقال: أوسع الطريق للأمير. [٢]

حبّه للثروة

يدل ما أثر عنه من فعل وقول انّه كان رجلاً محبّاً للمال وذاخراً له، فلنأت ببعض النماذج الدالة على ذلك:

فعن ابن المسيب، قال: كان أبو هريرة إذا أعطاه معاوية سكت، وإذا أمسك عنه تكلّم. [٣]

روى إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة: انّ عمر قال لأبي هريرة: كيف وجدت الأمارة؟ قال: بعثتني وأنا كاره، و نزعتني وقد أحببتها.وأتاه بأربعمائة ألف من البحرين.

فقال: ما جئت به لنفسك؟ قال: عشرين ألفاً.

قال: من أين أصبتها ؟ قال: كنت أتّجر، قال: أنظر إلى رأس مالك و رزقك فخذه، واجعل الآخر في بيت المال. [٤]

صلته بالبيت الأموي

وممّا لا يمكن إنكاره انّه كان له صلة وثيقة بالبيت الأموي، ولذلك كان

---

١. ابن قتيبة، المعارف، ص ١٥٨.

٢. أبو نعيم، حلية الأولياء:١/ ٣٨٤.

٣. سير أعلام النبلاء:٢/ ٦١٥.

٤. المصدر السابق:٢/ ٦١٧ـ٦١٨.

ينوب مروان بن الحكم في المدينة.

يقول ثابت بن مشحل: قال: كتب الوليد إلى معاوية بموت أبي هريرة، فكتب إليه: أنظر من ترك فادفع إلى ورثته عشرة آلاف درهم وأحسن جوارهم وافعل إليهم معروفاً فانّه كان ممن نصر عثمان و كان معه في الدار. (١)

روى عاصم بن محمد، عن أبيه، قال: رأيت أبا هريرة يخرج يوم الجمعة فيقبض على رمانتي المنبر قائماً ويقول: حدثنا أبو القاسم الصادق المصدوق، فلا يزال يحدِّث حتى إذا سمع فتح باب المقصورة لخروج الإمام للصلاة جلس. (٢)

هذا وغيره يدل على أنّه كان عثمانيّ الهوىٰ، أمويّ النزعة وإن كان لا يتجاهر به إلاّ انّه يعلم من أحواله، ومع ذلك ففي أحاديثه ما يظهر منه التعاطف مع الحسنين عليهما السلام.

دراسة الإطراءات الواردة في حقّه

قد رويت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إطراءات عديدة في حقّ أبي هريرة، تشير إلى أنّه كان موضع اهتمام من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعلّمه من العلوم النبوية ما لم يُعلّم غيره، ودعا له أن لا ينسىٰ ما تعلمه، فلو ثبتت تلك الروايات، فهو كما قال الذهبي: سيد الحفاظ الأثبات، ولكن تلك الإطراءات لم تنقل عن غير طريق أبي هريرة إلاّ القليل، فلنذكر بعض ما رواه هو:

١. روى انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ألا تسألني من هذه الغنائم التي يسألني أصحابك؟ قلت: أسألك أن تعلمني ممّا علّمك الله، فنزع نمرة كانت علىٰ ظهري، فبسطها بيني وبينه، حتى كأنّي أنظر إلى النمل يدبّ عليها فحدثني، حتى إذا

١ و ٢. الحاكم النيسابوري، المستدرك:٣/ ٥٠٨و٥١٢.

استوعبت حديثه.

قال: أجمعها فصرها إليك، فأصبحت لا أسقط حرفاً ممّا حدثني.

٢. و قال يوماً: إنّكم تقولون انّ أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله، وتقولون ما للمهاجرين والأنصار لا يحدّثون مثله، و إنّ إخواني المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وكان إخواني من الأنصار يشغلهم عمل أموالهم وكنت امرئً مسكيناً من مساكين الصفّة، ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأحضُر حين يغيبون، وأعي حين ينسون، وقد قال رسول الله ﷺ في حديث يحدِّثه يوماً:

انّه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي جميع مقالتي، ثمّ يجمع إليه ثوبه الاّ وعى ما أقول، فبسطت نمرة عليَّ، حتى إذا قضىٰ مقالته، جمعتها إلىٰ صدري فما نسيت من مقالة رسول الله ﷺ تلك من شيء.

٣. روى الزهري، عن الأعرج، عن أبي هريرة ،قال: قال أتزعمون انّي أكثر الرواية عن رسول الله ـ والله الموعد ـ انّي كنت امرأً مسكيناً أصحب رسول الله على ملءِ بطني و إنّه حدَّثنا يوماً، وقال: من يبسط ثوبه حتى أقضي مقالتي، ثمّ قبضه إليه[1] لم ينس شيئاً سمع مني، ففعلت. فوالذي بعثه بالحقّ ما نسيت شيئاً سمعته منه.[2]

وقال ابن حجر في فتح الباري بعد أن ذكر الاسنادين: والاسنادان جميعاً محفوظان صححهما الشيخان.[3]

---

١. كذا في المصدر الصحيح ثمّ يقبضه إليه.

٢. سير أعلام النبلاء: ٢/ ٥٩٥.

٣. فتح الباري: ١/ ١٠٤.

وهاهنا سؤالان:

الأوّل: لماذا خصّص النبي ﷺ هذه الكرامة بأبي هريرة دون سواه من أصحاب الصفة، ولا أظنُّ انّه لم يكن يوجد بينهم من هو عدل لأبي هريرة في النيل بهذه الكرامة؟

والثاني: ما معنى انّه بسط ثوبه وأفضى النبي جميع مقالته في ثوبه ثمّ هو قبضه إلىٰ صدره فصار ما ألقاه النبي ﷺ عجيناً مع روحه ونفسه فلم ينس ما سمعه أبداً؟

فلو كان النبي ﷺ يريد أن يُخصِّص هذه الكرامة بأبي هريرة لكان له أن يضع يده علىٰ صدره ويدعو له كما فعل ذلك مع غيره نظير، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام . كلّ هذه النصوص المنتهية إليه تجعل الإنسان في حيرة من أمر هذا الرجل.

أبو هريرة متهم في روايته

يظهر ممّا نقله الذهبي وغيره انّ الرجل كان متهماً في روايته بعد رسول الله ﷺ في عهد الخلافة وبعدها، وإليك بعض ما نقله في ذلك المقام.

١. أخرج غير واحد من المؤرّخين والمحدّثين، عن السائب بن يزيد انّه سمع عمر يقول لأبي هريرة: لتتركنّ الحديث عن رسول الله وإلاّ لألحقنّك بأرض الدوس.(١)

وقال لكعب: لتتركنّ الحديث أو لألحقنّك بأرض القردة.(٢)

لم يكن الخليفة مانعاً عن التحديث بقلة، ولذلك كان يقول: «أقلّوا الرواية

---

١ و ٢. سير أعلام النبلاء: ٢/ ٦٠١.

عن رسول الله »و إنّما خالف أبا هريرة في تكثيره.

٢. روى ابن عجلان أنّ أبا هريرة، كان يقول: إنّي لأحدِّث أحاديث لو تكلّمت بها في زمن عمر، لشجّ رأسي.

٣. روى الشعبي قال: حدث أبو هريرة فسرد عليه سعد حديثاً، فوقع بينهما كلام حتى ارتجَّت الأبواب.

٤. روى إسحاق بن سعيد، عن أبيه قال: دخل أبو هريرة علىٰ عائشة، فقالت له: أكثرت يا أبا هريرة عن رسول الله ﷺ، قال: أي والله يا أُمّاه، ما كانت تشغلني عنه المرآة، ولا المِكْحَلةُ، ولا الدهن، قالت: لعلّه.

٥. لما أرادوا أن يدفنوا الحسن في الحجرة النبوية وقع خصام.

قال الوليد بن رباح: سمعت أبا هريرة يقول لمروان: والله ما أنت والٍ، وانّ الوالي لغيرك، فدعه ــ يعني حين أرادوا دفن الحسن عليه السلام مع رسول الله ﷺ ـ ولكنّك تدخل فيما لا يعنيك، إنّما تريد إرضاء من هو غائب عنك ــ يعني معاوية ــ.

فأقبل عليه مروان مغضباً، وقال: يا أبا هريرة، إنّ الناس قد قالوا أكثر أبو هريرة الحديث عن رسول الله ﷺ و إنّما قدم قبل وفاته بيسير. [١]

٦. أخرج البخاري عن أبي صالح، قال: حدّثني أبو هريرة، قال: قال النبي ﷺ: أفضل الصدقة ماترك غنىً، واليد العليا خير من اليد السفلىٰ، وابدأ بمن تعول، تقول المرأة: إمّا أن تطعمني و إمّا أن تطلقني.

ويقول العبد: اطعمني واستعملني.

ويقول الابن: اطعمني إلىٰ من تدعني؟

فقالوا: يا أبا هريرة، سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟!

---

١. سير أعلام النبلاء: ٢/ ٦٠٥.

قال: لا، هذا من كيس أبي هريرة.[١]

ورواه الإمام أحمد في مسنده باختلاف طفيف في اللفظ.[٢]

انظر إلى الرجل ينسب في صدر الحديث الرواية إلى النبي ﷺ بضرس قاطع، ولكنّه عندما سُئل عن سماع الحديث من رسول الله ﷺ عدل عمّا ذكره أولاً، وصرح بأنّه من كيسه الخاص أي من موضوعاته.

وبعد هذا فهل يصح توثيقه؟!

هذه النصوص تعرب عن أنّ الرجل كان متهماً في عصره، وإن كان هو يبرّر عمله بأنّ الآخرين كانوا منشغلين بالصفق في الأسواق أو بالمرآة والمكحلة والدهن، ولكن كان في القوم من لم يكن له ذلك الشأن كعلي بن أبي طالب عليه السلام وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وأُبيّ بن كعب وأبي أيوب الأنصاري وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو، إلى غير ذلك من أقطاب الحديث، الذين كان لهم شغف بنقل الحديث وضبطه وتحديثه، ومع ذلك لم يبلغ حديث أكثرهم معشار ما نقله أبو هريرة.

كان أبو هريرة يجلس إلىٰ حجرة عائشة فيحدِّث، ثمّ يقول: يا صاحب الحجرة، أتنكرين مما أقول شيئاً؟

فلما قضت صلاتها، لم تُنكر ما رواه، لكن قالت: لم يكن رسول الله ﷺ يسرد الحديث سردكم.

وكذلك قيل لابن عمر: هل تنكر مما يحدِّث به أبو هريرة شيئاً؟ فقال: لا، ولكنّه اجترأ، وجبُنّا.

---

١ صحيح البخاري: ٧/ ٦٢، ٦٣، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال من كتاب النفقات.

٢ مسند أحمد: ٢/ ٢٥٢.

فقال أبو هريرة: فما ذنبي إن كنت حفظت ونسوا. (١)

قال ابن عساكر: إنّ رجلين من بني عامر دخلا على عائشة، فقالا لها: إنّ أبا هريرة يقول: إنّ الطيرة في الدار والمرأة والفرس، فقالت: كذب والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم ﷺ ما قاله إنّما قال: كان أهل الجاهلية يتطيرون من ذلك.

وعن عائشة انّها قالت لأبي هريرة: إنّك تحدّث عن رسول الله أشياء ما سمعتها منه؟! فقال لها مجيبا: إنّه كان يشغلك عن تلك الأحاديث، المرآة والمُكْحُلة. (٢)

هذه النصوص توقفك على حقيقة الحال وانّ الرجل كان متّهماً في روايته في عصره، ولكن القول بعدالة الصحابة حال بين المحققين والتحقيق في رواياته ومروياته، ولولا ذلك لما أخذوا بكثير ممّا عزاه إلى النبي ﷺ.

التحديث بنصف ما معه

يظهر ممّا رواه أبو هريرة انّه إنّما حدَّث بنصف ما وعاه عن النبي ﷺ وحبس النصف الآخر لأنّ الظروف لم تساعد لبثّه.

روى البخاري، عن المقبُري، عن أبي هريرة، قال: حفظت من رسول الله وعاءين، فأمّا أحدهما فبثثته وأمّا الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم. (٣)

التدليس في الحديث

قال يزيد بن هارون: سمعت شعبة، يقول: كان أبو هريرة يدلّس.

---

١. سير أعلام النبلاء: ٢/ ٦٠٧.

٢. مختصر تاريخ ابن عساكر:٢٩/ ١٩٥ـ١٩٦.

٣. صحيح البخاري: ١/ ٣١، باب حفظ العلم من كتاب الايمان.

وذكره ابن عساكر في تاريخه والحافظ ابن كثير في البداية.[١]

ولما كانت شهادة شعبة تحطُّ من مكانة أبي هريرة عاد الذهبي ناقضاً للقاعدة، فقال:

قلت: تدليس الصحابة كثير ولا عيب فيه، فانّ تدليسهم عن صاحبٍ أكبر منهم، والصحابة كلّهم عدول.

وأنت خبير بأنّ التدليس من أسباب الضعف، فكيف صار هناك من أسباب الفخر، حيث قال: إنّ تدليسهم عن صاحب أكبر منهم.

وقد أشار الحافظ ابن كثير في البداية إلى تفسير كلام شعبة، بقوله: وكان شعبة يشير بهذا إلى حديث: «من أصبح جنباً فلا صيام له» فانّه لما عوتب عليه، قال: أخبرنيه مخبر ولم أسمعه من رسول الله ﷺ.

وسيوافيك عند دراسة أحاديثه انّه نسب هذا الحديث إلى الرسول ﷺ، فلمّا شهد غير واحد من الصحابيات على خلافه، قال: أخبرني به الفضل بن العباس.

وأيّ تدليس كان أعظم من ذلك؟ بل كان ينسب ما سمعه من كعب الأحبار إلى النبي ﷺ، وهو من أسوأ التدليسات، وها نحن نوقفك على نموذج من هذا النوع من التدليس الذي كان يرتكبه أبو هريرة.

روى الطبري عن أبي نعيم، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة، قال: بينا ابن عباس ذات يوم جالس إذ جاءه رجل، فقال: يا ابن عباس سمعت العجب من كعب الحبر يذكر في الشمس والقمر.

قال: وكان متكئاً فاحتفز، ثمّ قال: وما ذاك؟ قال: زعم انّه يُجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كانّهما ثوران عقيران فيُقذفان في جهنم.

---

١. انظر سير أعلام النبلاء: ٢/ ٦٠٨ قسم التعليقة.

قال عكرمة: فطارت من ابن عباس شفة ووضعت أُخرى غضباً، ثمّ قال: كذب كعب، كذب كعب، كذب كعب، ثلاث مرات، بل هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام، الله أجل وأكرم من أن يعذِّب على طاعته، ألم تسمع قول الله تبارك و تعالى ﴿وَسخّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ والقَمَرَ دائبَيْنْ﴾ إنّما يعني دؤوبهما في الطاعة فكيف يعذِّب عبدين يُثني عليهما انّهما دائبان في طاعته؟! قاتل الله هذا الحبر وقبّح حبريته، ما أجرأه على الله وأعظم فريته على هذين العبدين المطيعين لله.

قال: ثمّ استرجع مراراً وأخذ عُوَيداً من الأرض فجعل ينكته في الأرض، فظلّ كذلك ما شاء الله، ثمّ إنّه رفع رأسه ورمىٰ بالعويد، فقال: ألا أحدثكم بما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما فقلنا: بلىٰ رحمك الله.... [1]

وهذا النسج الخرافي للقصة التي حاكتها مخيّلة كعب وأضرابه، رواها أبو هريرة مباشرة عن النبي ﷺ.

روى ابن كثير في تفسير سورة التكوير:

حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج، قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمان بن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد، مسجد الكوفة، وجاء الحسن فجلس إليه، فحدث، قال: حدثنا أبو هريرة: إنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة، فقال الحسن: وما ذنبهما؟

فقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول أحسبه، قال: وما ذنبهما. [2]

ترى أنّ حديثاً واحداً يرويه رجل عن كعب، وفي الوقت نفسه يرويه أبو هريرة عن النبي ﷺ، فبما انّ كعباً لم يدرك النبي ﷺ لم يستطع أن ينسبه إليه وبما انّ

---

١. تاريخ الطبري: ١/ ٤٤.

٢. تفسير ابن كثير: ٧/ ٢٢١، تفسير سورة التكوير.

أبا هريرة أدرك عصر الرسالة أخذ بالتدليس فنسب ما سمعه عن كعب إلى النبي ﷺ.وأيّ تدليس أسوأ من ذلك؟ وليس هذا إلاّ من مقولة الكذب المنافي للعدالة.

ومما يقضى منه العجب ما ذكره أبو جعفر الطحاوي لتصحيح هذا الأثر حيث قال: إنّ الشمس والقمر كالملائكة الموكلين لأهل النار، معذِّبان لأهل النار لا معذَبان فيها، إذ لا ذنوب لهما(١).

يلاحظ عليه: أنّ التفسير خلاف ما فهمه المخاطبون بهذا الحديث، مضافاً إلى أنّه لا يناسب قوله «عقيران» وما العقر إلاّ لتعذيبهما.

وحيث إنّ أهل السنة ذهبوا إلى عدالة الصحابة بأجمعهم أخذوا بروايات أبي هريرة وأمثاله دون أدنىٰ تحقيق، و إذا فتشوا عن اسناد الرواية فإنّما يفتشون عمّن ورد اسمه قبل الصحابة، فإذا وصل الكلام إليهم يكسر القلم ويُضبط اللسان فلا كلام فيهم و إن صدر عنهم ما صدر.

إنّ تقديس جميع من أسموهم بالصحابة لمجرد أنّهم رأوا الرسول ﷺ أو سمعوا حديثه أو صاحبوه ولو زمناً قصيراً ممّا لا يمكن تصديقه، لأنّ مجرد الصحبة لا يُضفي على المصاحب ثوب القداسة ولا يخلق حوله هالة من التقديس بعد ما شهد القرآن والسنّة علىٰ كون لفيف منهم مصدراً للفتنة والفساد، وهذا هو الذكر الحكيم يصرّح ويقول:

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لاٰ تعلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ (التوبة/ ١٠١).

وهؤلاء الذين مردوا على النفاق كانوا مندسّين بين الصحابة، ولم يكن عددهم قليلاً، وإلاّ لما استأثروا باهتمام بالغ من قبل القرآن الكريم في غير واحد من سوره وآياته.

---

١. مشكل الآثار: ١/ ٤٨.

إنّه سبحانه يصف بعض الصحابة بالفسق ويقول: ﴿إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات/ ٦).

فمن هذا الفاسق الـذي أخبر القرآن عنه بين صحابته؟ و ما هـو إلاّ الوليد ابن عقبة الذي صاحب النبي ﷺ أعواماً عديدة.

وليس الوليد نسيـج وحده في هذا المضمار، بل انّ كثيراً من الصحابـة تركوا النبي قائماً حينما كان يخطب للجمعة وخرجوا من المسجد طلباً لحطام الدنيا، فنزل قوله سبحانه: ﴿فَإِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَـهْواً انْفَضُّـوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائِماً قُـلْ ما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرّازِقِينَ﴾ (الجمعة/ ١١).

أتـرى أنّ من يـرجح اللهـو وحطام الـدنيـا علىٰ صلاة الجمعـة يكـون من القدّيسين و من العدول الذين تنبض قلوبهم بذكر الله ويخافون يوماً قمطريراً ؟!

ويكفي من السنة ما وردت حول ارتداد الصحابة عقب وفاة النبي ﷺ وقد رواها البخاري في كتاب الفتن. [١]

وقد جمعها ابن الأثير في جامعه فبلغت عشرين حديثاً فلاحظ. [٢]

وفاته

توفي أبو هريرة سنة ٥٧ وقيل ٥٨ وهو ابن ٧٨، قيل مات بالعقيق وحمل إلى المدينة وصلّى عليـه الوليـد بن عتبـة بن أبي سفيان و كـان أميراً على المدينة لعمِّـه معاوية بن أبي سفيان. [٣]

وقـد مضى الـرجـل وعزّي إليـه أحـاديـث كثيرة إلى النبي ﷺ ، وهـي بين صحيحة تعلـو علىٰ هامّاتها سمات الصحـة والاتقان، وسقيمة مخالفـة لكتاب الله والسنّة الثابتـة والعقل الحصيف، فمن أراد تنزيه السنة النبويـة وتمحيصها، فعليه

---

١. صحيح البخاري: ٩/ ٤٢، كتاب الفتن.

٢. جامع الأُصول: ١٠/ ٤٦٨ـ٤٧٣، باب صفة الحوض من كتاب القيامة.

٣. ابن الأثير: أُسد الغابة: ٥/ ٣١٧، قسم الكنى.

بدراسة روايات هذا الصحابي، وكفانا مؤونة ذلك ما ألّفه العالمان الكبيران أحدهما شيعي والآخر سني، فالأوّل هو العلم المفرد المجاهد السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي فقد فتح هذا الباب على مصراعيه في وجه الأُمّة ونشر كتابه المعروف بـ«أبو هريرة».

وأمّا الثاني فهو الكاتب المجاهد محمود أبو رية مؤلف كتاب «أبو هريرة شيخ المضيرة» فقد بلغا الغاية في دراسة رواياته. ولقد صدرنا في بعض ما ذكرناه في المقام عمّا أفاده العلمان لا سيما ما أفاده العلاّمة شرف الدين العاملي «طيب الله رمسه».

ولنذكر شيئاً من روائع أحاديثه

١. أخرج مسلم، عن سعيد بن المسيب انّ أبا هريرة أخبره انّ رسول الله ﷺ ، قال: أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله، فمن قال: لا إله إلاّ الله عصم منّي ماله ونفسه إلاّ بحقه وحسابه على الله.

وفي لفظ آخر عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله، ويؤمنوا بي، و بما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاّ بحقها، وحسابهم على الله.[1]

وهذه الرواية نقلت عن النبي ﷺ متضافرة، نقلها غير واحد من الصحابة.

٢. أخرج مسلم، عن أبي سهيل، عن أبيه ،عن أبي هريرة انّ رسول الله ﷺ قال: آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان.[2]

٣. أخرج أحمد ، عن أبي رافع، عن أبي هريرة انّ رسول الله ﷺ قال: للصائم فرحتان: فرحة في الدنيا عند إفطاره، وفرحة في الآخرة.[3]

---

١. صحيح مسلم: ١/ ٣٩، باب الأمر بقتال الناس.

٢. صحيح مسلم: ١/ ٥٦، باب خصال المنافق.

٣. مسند أحمد: ٢/ ٣٤٥.

٤. أخرج أحمد، عن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: رُبّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، وربّ قائم حظه من قيامه السهر.[١]

٥. أخرج ابن ماجة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقي الله عزّ وجلّ: مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله .[٢]

٦. أخرج الترمذي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، انّ رسول الله ﷺ قال: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه النّاس علىٰ دمائهم وأموالهم.[٣]

٧. أخرج أحمد، عن الحسن، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: من سنّ سنّة ضلال اتّبع عليها، كان عليه مثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيء، و من سنّ سنّة هدى فاتّبع عليها كان له مثل أُجورهم من غير أن ينقص من أُجورهم شيء.[٤]

٨. أخرج الترمذي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: إنّ الدين النصيحة، إنّ الدين النصيحة، إنّ الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمّة المسلمين وعامتهم.[٥]

٩. أخرج الترمذي، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال:

سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل، وأيّ الأعمال خير؟ قال: إيمان بالله

---

١. مسند أحمد: ٢/ ٣٧٣.

٢. سنن ابن ماجة: ٢/ ٨٧٤ برقم ٢٦٢٠.

٣. سنن الترمذي: ٥/ ١٧ برقم ٢٦٢٧.

٤. مسند أحمد: ٢/ ٥٠٤ـ٥٠٥.

٥. سنن الترمذي: ٤/ ٣٢٤ برقم ١٩٢٦.

ورسوله، قيل: ثمّ أيّ شيء؟ قال: الجهاد سنام العمل، قيل : ثمّ أيّ شيء يا رسول الله؟ قال: ثمّ حجّ مبرور. [١]

١٠. أخرج البخاري في الأدب المفرد، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:

«إيّاكم والظلم، فانّ الظلم ظلمات يوم القيامة، وإيّاكم والفحش، فانّ الله لا يحب الفاحش المتفحش، وإيّاكم والشحّ، فانّه دعا مَنْ كان قبلكم، فقطعوا أرحامهم، ودعاهم فاستحلوا محارمهم. [٢]

هذه طائفة من روائع رواياته، ولكن عزيت إليه روايات سقيمة لا يصحّ عزوها إلى النبي ﷺ لمخالفتها للمعايير العامة لصحّة الحديث التي استوفينا الكلام حولها في صدر الكتاب وإليك نزراً منها.

١. محاولة عفريت من الجن قطع صلاة النبي ﷺ

أخرج مسلم في صحيحه، عن ابن زياد، قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: إنّ عفريتاً من الجنّ جعل يفتك [٣] عليَّ البارحة ليقطع عليَّ الصلاة، و انّ الله أمكنني منه فذعته، [٤] فلقد هممت أن أربطه إلى جانب سارية من سواري المسجد حتى تُصبحوا تنظرون إليه أجمعون أو كلكم، ثمّ ذكرت قول أخي سليمان: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنبَغِي لأحَدٍ مِن بَعْدِي﴾ فردّه الله خاسئاً. [٥]

---

١. سنن الترمذي: ٤/ ١٨٥ برقم ١٦٥٨.

٢. البخاري: الأدب المفرد، ص ١٧٠ برقم ٤٨٧.

٣. العفريت: العاتي المارد من الجن: الفتك: هو الأخذ في غفلة وخديعة.

٤. خنقته ، وفي نقل فدعته: دفعته دفعاً شديداً.

٥. صحيح مسلم: ٢/ ٧٢، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والآية ٣٥ من سورة ص .

وفي الحديث تساؤلات:

أوّلاً: انّ المنقول عن أبي هريرة يختلف مضمونه مع ما نقل عن أبي سعيد الخدري، حيث نقل عنه الإمام أحمد: «انّ رسول الله ﷺ قام فصلّى صلاة الصبح وهو خلفه، فقرأ فالتبست عليه القراءة، فلمّا فرغ من صلاته قال: لو رأيتموني وإبليس، فأهويت بيدي فمازلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين اصبعي هاتين: الابهام والتي تليها، ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية، من سواري المسجد، يتلاعب به صبيان المدينة، فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل.[1]

كما انّ مضمونه يختلف عمّا رواه نفس مسلم، عن أبي الدرداء، في ذلك المقام . قال: قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول: أعوذ بالله منك، ثمّ قال: ألعنك بلعنة الله ثلاثاً، وبسط يده كأنّه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة، قلنا: يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، و رأيناك بسطت يدك؟ قال: إنّ عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرّات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر ثلاث مرات، ثمّ أردت أخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة.[2]

والظاهر وحدة الواقعة، والاختلاف في المضمون بيّن غني عن البيان، كلّ ذلك يسلب الاعتماد على هذه النقول مع وحدة الواقعة.

وثانياً: انّ الرواية تعرب عن أنّ لإبليس وجنوده سلطة على النبي ﷺ حيث

---

١. مسند أحمد:٣/ ٨٢.

٢. صحيح مسلم:٢/ ٧٣، باب جواز لعن الشيطان أثناء الصلاة.

أخذه في غفلـة وخديعة، كما يشهد عليـه قوله «يفتـك»، وهذا ما يكذبـه الكتاب العزيز ويقول: ﴿إِنَّـهُ لَيْسَ لَـهُ سُلْطَـانٌ عَلَى الَّذِيـنَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَـوَكَّلُـون﴾ (النحل/ ٩٩)وحمل السلطة على خصوص الإغواء خلاف الإطلاق.

وثالثاً: انّ الرواية تدل على مشاهـدة الناس للجن، ولذلك صمّم النبي ﷺ علىٰ أن يـربط ذلـك العفريـت العـاتي المارد من الجن، علىٰ سـاريـة من سـواري المسجد حتى يصبـح الناس وينظروا إليه، مـع أنّه خلاف القرآن الكـريم، حيث يقول: ﴿إِنَّهُ يَراكُم هُوَ وَقَبيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَونَهُمْ﴾ (الأعراف/ ٢٧).

وحمله على غالب النـاس خلاف الظاهر، وعلى فرض الصحّـة فأهل المدينة من تلك الأغلبية الذين لا يستطيعون رؤية الجن.

ورابعاً: الـرواية تـدل على أنّ النبي ﷺ انصرف عن عملـه، لأنّه ذكـر قول أخيه سليمان : ﴿ربِّ اْغفِر لي وَهَـبْ لي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِـنْ بَعْدِي﴾ فلأجل ذلك ردَّ الله ذلك الجن خاسئاً ذليلاً صاغراً مطروداً.

ولكن الآية لا تصلح أن تكون سبباً لانصرافه ﷺ، وذلك لأنّها لا تدل علىٰ أنّ ربط الجن العـاتي من خصـائص سليمان، فما هو مـن خصائصـه هـو الملك المبني على قـدرة قاهـرة واستخدام الجن والإنـس والطير إلى غير ذلك مما جـاء في الذكـر الحكيم من الجنود، وأيـن هذا من ربط الجن العـاتي بسارية مـن سواري المسجد في مورد واحد؟

فنفس الرواية حاكية علىٰ أنّها مندسة بين الروايات ، فنجلّ ساحة النبي ﷺ أن يستدل بآية علىٰ أمر ليس فيها دلالة عليه.

٢ . الشيطان إذا سمع الأذان ولّى ...

أخـرج أحمد، عن عبـد الـرحمان بن يعقـوب، عن أبي هـريـرة، قال: قـال

رسول الله ﷺ: إذا سمع الشيطان الأذان ولّى وله ضراط حتى لا يسمع الصوت.[١]

أقول: نحن لا نعلّق على هذا الحديث شيئاً، ولكن هل للشيطان قدرة على هذا العمل الذي هو من شؤون الموجود المادي؟!

ثمّ على فرض صحته، فالأذان ظاهرة مستمرة بين المسلمين حسب اختلاف الآفاق، والشيطان له إحاطة بالبشر فهو يواجه في كلّ حين أذاناً في البلدان المختلفة، فهل يقوم بذلك العمل حسب استمرار الأذان في بلدان المسلمين ليلاً ونهاراً؟ لا أدري ولا المنجم يدري ولا القراء يدرون!!

إضافة إلى أنّ النبي ﷺ كان إنساناً حَيِيّاً حسب ما ورد في الروايات، فمن البعيد أن يتفوّه بتلك الكلمة.

٣. وجوب الجهاد تحت راية كلّ برّ وفاجر

أخرج أبو داود في سننه، عن مكحول، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:

الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برّاً كان أو فاجراً، والصلاة واجبة عليكم خلف كلّ مسلم برّاً كان أو فاجراً وإن عمل الكبائر، والصلاة واجبة علىٰ كل مسلم برّاً كان أو فاجراً وإن عمل الكبائر.[٢]

أقول: الجهاد لا ينفك عن التصرف في الأنفس والأعراض والأموال، فكيف يجب مع أمير فاجر، مع أنّه ربما يدعو إلى العيث والفساد والعصيان وقتل الأبرياء وهتك الأعراض وغصب الأموال؟

---

١. مسند أحمد: ٢/ ٤١١.

٢. سنن أبي داود: ٣/ ١٨ برقم ٢٥٣٣.

ولقائل أن يحمل الرواية على ما إذا دعا الأمير الفاجر إلى البرّ والإحسان، ولكنّه في غير محله، لأنّ معرفة ذلك في ميادين الجهاد أمر صعب جداً لو لم يكن بمتعذر.

فمن مارس الجهاد في ساحات الوغىٰ ، يعلم انّه لا يمكن لمجاهد أن يتفحص في الأُمور المشتبهة ويأخذ بالبر ويترك خلافه. فالحقّ انّ الجهاد إنّما هو مع إمام عادل لا الأعم من البرّ والفاجر، والرواية من صنائع يد السياسة التي تبغي من وراء ذلك إضفاء المشروعية على الجهاد تحت لواء الطلقاء وأبناء البيت الأموي.

ولكن المروي عن أئمّة أهل البيت خلاف ذلك.

قال الإمام الرضا عليه السلام :والجهاد واجب مع الإمام العادل. [1]

وقال الإمام الصادق عليه السلام : إنّ القتال مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير. [2]

إلى غير ذلك من الروايات.

٤ . قبول التوبة مع عدم الندم

أخرج مسلم في صحيحه، عن عبد الرحمان بن أبي عمرة، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يحكي عن ربّه عزّ وجلّ، قال: ذنب عبد ذنباً، فقال: اللّهمّ اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم انّ له ربّاً يغفر الذّنب ويأخذ بالذّنب، ثمّ عاد فأذنب، فقال: أي ربِّ اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى

---

١. الوسائل: ١١، كتاب الجهاد، الباب ١، الحديث ٢٤، من أبواب جهاد العدو.

٢. المصدر نفسه، الباب ١٢، الحديث ١، من أبواب جهاد العدو.

عبدي أذنب ذنباً فعلم انّ له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ بالذّنب، ثمّ عاد فأذنب، فقال: أي ربِّ اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالىٰ: أذنب عبدي ذنباً فعلم انّ له ربّاً يغفر الذّنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك. (١)

يلاحظ عليه : أنّ حقيقة التوبة عبارة عن الندم على المعصية والعزم على ترك المعاودة في المستقبل، وإلاّ فلو لم يعزم على ترك المعاودة فهو دليل على عدم ندمه.

فإذا كان هذا حقيقة التوبة التي يصبح التائب معه كمن لا ذنب له، فلم تكن متحققة في توبة الرجل فكيف قُبلتْ توبته؟

وبعبارة أُخرى: انّ حقيقة التوبة عبارة عن الندم على ما فعل من المعصية، والعزم على ترك المعاودة إليها في المستقبل، وهذا هو الذي دعا إليه الذكر الحكيم بقوله: ﴿**يا أَيُّها الّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوبَةً نَصُوحاً**﴾ (التحريم/ ٨).

قال الراغب: التوبة النصوح: ما يصرف صاحبه عن العودة إلى المعصية، أو ما يخلص العبد للرجوع عن الذنب فلا يرجع إلى ما تاب منها. (٢)

وعلى ذلك ففي الرواية ملاحظتان:

الأُولى: انّ الظاهر من الرواية انّ التوبة لم تكن جامعة للشرائط ومنها الندم علىٰ ما مضىٰ، بل كان يذنب رجاء غفران الرب له من دون الندم، وهذه الفكرة من الوهن بمكان، لأنّ الربّ إنّما يغفر الذنوب إذا تاب العاصي توبة نصوح،

---

١. صحيح مسلم: ٨/ ٩٩، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب؛ صحيح البخاري:٩/ ١٤٥، باب قول الله تعالى﴿**يريدون أن يبدّلوا كلام الله**﴾ .

٢. وقد تضافرت الروايات عن رسول الله ﷺ من أنّ المراد من التوبة النصوح هو أن يتوب الرجل من العمل السيّء ثمّ لا يعود إليه أبداً، أخرجه السيوطي عن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود وابن عباس، ومجاهد، وقتادة (الدر المنثور:٨/ ٢٢٧).

نابعة من الندم، على ما مضىٰ فكيف قبلت توبته في كلّ مرّة؟

الثانية: انّ قوله سبحانه: «اعمل ما شئت فقد غفرت لك» هو في الواقع رخصة في ارتكاب الآثام والمعاصي دون أي وازع، وحاشا الله أن يرخّص للعبد في ارتكاب المعاصي إلىٰ ما شاء بمجرد انّه غفار للذنوب و إن عصىٰ وتاب إلى ما شاء الله.

٥. النبي ﷺ يمنع من كتابة الحديث

أخرج أحمد في مسنده، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، قال:

كنّا قعوداً نكتب ما نسمع من النبي ﷺ فخرج علينا، فقال: ما هذا تكتبون؟

فقلنا: ما نسمع منك، فقال: أكتاب مع كتاب الله؟ فقلنا: ما نسمع، فقال: اكتبوا كتاب الله، امحضوا كتاب الله، أكتاب غير كتاب الله، امحضوا كتاب الله أو خلّصوه، قال: فجمعنا ما كتبناه في صعيد واحد ثمّ أحرقناه بالنار.

قلنا: أي رسول الله، أنتحدّث عنك؟ قال: نعم، تحدّثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار. قال: فقلنا: يا رسول الله أنتحدّث عن بني إسرائيل؟ قال: نعم. تحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، فانّكم لا تحدّثون عنهم بشيء إلاّ وقد كان فيهم أعجب منه. [١]

وفي الحديث ملاحظات:

الأُولى: انّ هذا الحديث يعارض مع كثير ممّا يدل عن أنّ النبي ﷺ رخّص في الكتابة، ونحن نذكر موجزاً ممّا وقفنا عليه، وقد مرّ أيضاً في المقدمة.

١. مسند أحمد: ٣/ ١٢.

١. ما رواه البخاري، عن أبي هريرة انّ خزاعة قتلوا رجلاً من بني ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه، فأُخبر بذلك النبي ﷺ فركب راحلته فخطب، فقال: إنّ الله حبس عن مكة القتل أو الفيل (شك أبـو عبد الله) وسلّط عليهم رسول الله ﷺ والمؤمنين. ألا وإنّها لم تحلّ لأحـد قبلي ولم تحلّ لأحـد بعدي ــ إلىٰ أن قـال ــ : فجاء رجل من أهل اليمن،فقال:

اكتب لي يا رسول الله فقـال: اكتبوا لأبي فلان ـ إلى أن قال: ــ كتب له هذه الخطبة.[1]

٢. روى البخاري، عن أبي هريرة، يقول: مـا من أصحاب النبي أحد أكثر حديثاً عنه مني، إلاّ ما كان من عبد الله بن عمرو فانّه كان يكتب ولا أكتب.[2]

٣. ما رواه البخاري عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال:

لما اشتدّ بالنبي ﷺ وجعه، قال: ائتـوني بكتاب أكتب لكم كتابـاً لا تضلوا بعده.

قال عمر: إنّ النبيّ ﷺ غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغَّط، قال: قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التنازع.

فخرج ابن عبـاس، يقول: إنّ الرزيّة كـلّ الرزيّة ما حـال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه.[3]

٤. عن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتنـي قريش وقالوا: تكتب كلّ شيء سمعتـه من رسول الله ﷺ

---

١. صحيح البخاري: ١/ ٢٩ـ ٣٠، باب كتابة العلم، الحديث ١١٢.

٢. المصدر نفسه: ١/ ٣٠، باب كتابة العلم، الحديث ١١٣.

٣. صحيح البخاري: ١/ ٣٠، باب كتابة العلم.

ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا ؟ فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ باصبعه إلى فيه، وقال: اكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلّا حق. [١]

٥. ما رواه نفس أبي هريرة، قال: كان رجل من الأنصار يجلس إلى النبي ﷺ فيسمع من النبي الحديث فيعجبه ولا يحفظه، فشكا ذلك إلى النبي، فقال: يا رسول الله إنّي أسمع منك الحديث فيعجبني ولا أحفظه، فقال رسول الله ﷺ: استعن بيمينك وأومأ بيده للخط. [٢]

إلى غير ذلك من الروايات الحاثة علىٰ كتابة السنة قولاً وتقريراً التي هي فوق المال الذي هو زينة الحياة الدنيا، وقد أمر سبحانه أن يكتب الدين وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ - إلى أن قال: - وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ (البقرة/ ٢٨٢).

الثانية: انّ أبا هريرة كان أُمياً لا يجيد القراءة والكتابة كما مرّ في حديث وهب بن منبه عن أخيه همام [٣]، فكيف يقول كنا قعوداً نكتب ما نسمع من النبي ﷺ فخرج علينا، فقال: ما هذا تكتبون؟

ولأجل ذلك سأل رسول الله أن يدعو له بعدم النسيان.

قال: قلت: يا رسول الله إنّي أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه، قال: ابسط رداءك فبسطته فغرف بيديه، ثمّ قال: ضمه، فضممته، فما نسيت شيئاً بعده. [٤]

الثالثة: انّ الرواية تصرح بأنّ أبا هريرة ومن كان معه من الجماعة الذين كانوا

---

١. سنن أبي داود: ٣/ ٣١٨ برقم ٣٦٤٦، باب في كتاب العلم؛ مسند أحمد: ٢/ ١٦٢؛ سنن الدارمي: ١/ ١٢٥، باب من رخّص في كتابة العلم.

٢. سنن الترمذي: ٥/ ٣٩ برقم ٢٦٦٦.

٣. لاحظ ص ٣٠٠ من هذا الكتاب.

٤. صحيح البخاري: ١/ ٣١، باب حفظ العلم.

يكتبون الحديث جمعوا ما كتبوا ثمّ أحرقوه بالنار، وهو معارض لما تضافر عن الخليفة الثاني من انه أراد أن يكتب السنن، فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله ﷺ، فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله شهراً، ثمّ أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال: إنّي كنت أردت أن أكتب السنن وإنّي ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبُّوا عليها وتركوا كتاب الله، وإنّي والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً. (١)

فلو كان هناك حظر عن تدوين الحديث إلى حد فهم أبو هريرة وأضرابه انّه يجب اعدام ما كُتِب بالاحراق، لما شاور عمر بن الخطاب أصحاب النبي ﷺ في كتابة الحديث، بل منع عنها بلا تشاور، فاستخارته شهراً يدل علىٰ عدم صدور نهي عن النبي ﷺ.

الرابعة: انّ ظاهر قوله: «قلنا أي رسول الله أنتحدث عنك؟ قال: نعم تحدثوا عني ولا حرج» لا يلائم مع منعهم عن كتابة الحديث إذ أيّ فرق بين صيانة الحديث بالكتابة أو صيانته بالتحدّث، فما هو الوجه من التفريق بين الكتابة والتحديث؟

وتصور انّ كتابة الحديث يوجب اختلاطه بالقرآن فهو اعتذار بوجه أسوأ، فانّ القرآن معجزة بلفظه و معناه لا يشابهه غيره ولا يخالطه شيء، وقد مرّ تفنيده في مقدّمة الكتاب فلاحظ.

والعجب مما نقله عن رسول الله ﷺ أنّه أجاز التحدّث عن بني إسرائيل، قال: تحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج.

كيف يجوّز النبي ﷺ التحدّث عن بني إسرائيل مع أنّهم كانوا يحرّفون التوراة والإنجيل، وكانوا يتاجرون بكتبهم المحرفة؟ قال سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ

---

١. تقييد العلم، ص ٤٩.

يَكْتُبُونَ الكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمّ يَقُولُونَ هٰذا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة/ ٧٩).

لا أدري مـاذا يستفيد المجتمـع الإسلامي مـن الإسرائيليات والمسيحيـات والمجوسيات التي لعب بها الدهر والزمان، وكانت النقلة طيلة الزمان يتاجرون بما جاء فيها ويروون ما يوافق أهواء الجهاز الحاكم؟

والحديث وُضع لجواز التحـديث عن بني إسرائيل، وقـد حدَّث أبو هـريرة عن طريق كعب الأحبار عنهم ـ أعاذنا الله من شرورهم ـ وأكثر ما يرويه أبو هريرة من القصـص عن بني إسرائيـل منتهية إلى أُستـاذه كعب الأحبـار ـ الذي قـال في حقه: ما رأيت أحداً لم يقرأ التـوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة [١] ـ وإن صبّها في قالب الحديث عن الرسول الأعظم ﷺ .

٦ . من هو خالق الله؟

روى مسلم عن يزيد بن الأصمّ قال: سمعت أبـا هريرة، يقول: قال رسول الله ﷺ : ليسألنكم النـاس عن كلّ شيء حتى يقولـوا: الله خلق كلّ شيء، فمن خلقه؟! [٢]

وأخرج أيضاً عنه، قـال: قال لي رسول الله ﷺ : لا يزالون يسألـونك يا أبا هريـرة حتى يقـولوا هذا الله، فمـن خلق الله؟ قال: فبينـا أنا في المسجـد إذ جاءني ناس من الأعـراب، فقالوا: يـا أبا هريـرة، هذا الله فمن خلق الله؟! فـأخذ حصىً بكفه فرماهم، قال: قوموا صدق خليلي.[٣]

والحديث يعرب انّ الرسول ﷺ لم يُعلِّم أبا هريرة جواب السؤال، ولذلك لما

---

١ . سير أعلام النبلاء: ٢/ ٦٠٠.

٢ و ٣. صحيح مسلم: ١/ ٨٤ ـ ٨٥، باب بيان الوسوسة في الايمان و ما يقولها من وجدها.

سأله الأعراب أخذ حصىً بكفّه فرماهم وأمرهم بالقيام.

مع أنّ هـذا بعيـد عـن أدب النبي ﷺ، فإنّ السؤال لائق بـالبحث، لأنّه يخطر هذا السؤال في ذهن كثير من النـاس، فالمترقب من الرسول الأعظم ﷺ إذا تنبأ عن مستقبل أبي هريرة أن يُعلّمه الجواب.

والحـديث إمّـا مكذوب علـى رسـول الله ﷺ، وعلىٰ فـرض الصحّة فهـو يعرب عن عدم استعداده لتلقي الجواب.

مع أنّ الإمام أحمـد نقل عن النبي ﷺ انّه علم الأُمّة جـواب هذا السؤال، فقال: قـال: قال جعفر: بلغني انّ النبـي ﷺ قال: إذا سألكم النـاس عن هذا فقولوا: الله ﷺ كـان قبل كـلّ شيء، والله خلق كـلّ شيء، و الله كـائن بعـد كلّ شيء.[1]

ولعلّ مـراده من جعفر هـو جعفر بن بُـر الذي روى عنـه مسلم، الحديث المتقدّم في صحيحه.

والجواب في غاية المتـانة، لأنّه سبحانه ليـس ظاهرة مسبوقة بـالعدم، حتى يُسأل عن علّة الإيجاد، فإذا كان واجبَ الوجـود، كان موجوداً في الأزل والأبد، ولا يتصور له العدم حتى يُسأل عن علّة الوجود، والتفصيل في محلّه.

٧. انّ الله خلق آدم على صورته طوله ستون ذراعاً

أخـرج البخاري في صحيحـه، عن همام، عـن أبي هـريرة ،عـن النبي ﷺ قال:

خلق الله آدم علىٰ صورتـه طوله ستون ذراعاً (وزاد أحمد من طـريق سعيد ابن المسيب، عن أبي هريرة مرفوعاً: في سبعة أذرع عرضاً) فلمّا خلقه، قال: اذهب

---

١. مسند أحمد:٢/ ٥٣٩.

فسلّم علىٰ أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيُّونك فانّها تحيتك وتحيَّة ذريتك.

فقال : السلام عليكم، فقالـوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه «ورحمة الله» فكلّ من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعدُ حتّى الآن. [١]

وفي الحديـث عـدّة إشكـالات تسقطـه عـن الاعتبـار وتجعلـه في عـداد الموضوعات:

الأوّل: انّ الظاهـر انّ الضمير علىٰ صورته يـرجع إلى الله تبارك وتعـالى وهو نفس القـول بـالتجسيم ولا يـرجع إلى آدم، إذ يكـون مفاد الحديـث عندئذٍ أشبـه بتوضيح الـواضحات، لأنّ كلّ شيء مخلوق على صورتـه لا علىٰ صورة غيره، وإنّما يفيد معنى جديداً وهو الإخبار بكـرامة آدم وانّه مخلوق علىٰ صورة الله سبحانه، إذا عاد الضمير إلى الله سبحانه، وعلى هذا يلزم أن يكون لله صورة طولها ستون ذراعاً.

والذي يـدل علىٰ أنّ الضمير يرجـع إلى الله سبحانـه هو مـا روىٰ نفس أبي هريرة في غير مورد.

فقد روىٰ هذا الحديث بصور مختلفـة فتارة رواه كما سمعت وأُخرى بلفظ: إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فانّ الله خلق آدم علىٰ صورته. [٢]

وثالثـة بأنّـه إذا ضرب أحدكم فليجتنب الـوجه ولا يقـل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فانّ الله خلق آدم علىٰ صورته. [٣]

وربما يؤوّل الحديـث بإرجاع ضمير صـورته إلى آدم نفسـه لا إلى الله تبارك وتعالى بمعنـى انّ الله عزّوجلّ خلقـه في الجنة علىٰ صـورته التـي كان عليهـا بعد

---

١. صحيح البخـاري: ٨/ ٥٠، كتاب الاستئذان، بـاب بدو السلام؛ صحيح مسلـم:٨/ ١٤٩، باب يدخل الجنة أقـوام افئدتهم مثل أفئدة الطير من كتاب الجنـة، ولاحظ ارشاد الساري:٥/ ٣١٩ في باب خلق آدم وذرّيته من كتاب بدء الخلق، فقد جاء فيه: في سبعة أذرع عرضاً

٢. صحيح مسلم : ٨/ ٣٢، باب النهى عن ضرب الوجه من كتاب البر والصلة والآداب.

٣. البخاري: الأدب المفرد، ص٧٣و٧٤ برقم ١٧٣و١٧٤.

هبوطه منها، إذ أنشأه تـاماً مستوياً طوله ستون ذراعـاً وعرضه سبعة أذرع لم يتغير من حال إلىٰ حال ولم يكن مثل ذريته حتى تكون نطفة ثمّ علقة إلىٰ أن يكون رجلاً سوياً بل خلقه دفعة واحدة علىٰ صورته التي رآها عليها بنوه في الأرض.

ولكن التأويل بـاطل جداً لمخالفتـه ما نقلناه عنه، كما يخالف مـا روي عنه مرفوعاً: خلق آدم على صورة الرحمن. (١)

كما يخالف ما روي عنه انّ موسى ضرب الحجر لبني إسرائيل فتفجر فقال: اشربوا يـا حمير، فأوحى الله إليـه عمدت إلى خلق خلقتهم علىٰ صـورتي فشبهتهم بالحمير. (٢)

كلّ هذه الأحاديث تدل على أنّ الرواية لا تقبل التأويل.

الثاني: انّه إذا كـان طول آدم ستين ذراعـاً فلازم تنـاسب أعضـائه أن يكون عرضه سبعة عشر ذراعاً وسُبع الذراع، وإذا كان عرضه سبعة أذرع يجب أن يكون طوله أربعة وعشرين ذراعاً ونصف الـذراع، لأنّ عرض الإنسان مع استواء خلقه، بقدر سبعي طوله، فما بال أبي هريرة يقول طوله ٦٠ ذراعاً في سبعة أذرع عرضاً؟! فهل كان آدم غير متناسب في خِلقته مشوَّهاً في تركيبه؟!

الثالث: انّ تحية السلام إنّما شرعت في دين الإسـلام وقد قال رسول الله ﷺ: ما حسـدكم اليهود علىٰ شيء كما حسدوكـم على السلام، فلولا اختصـاصه بهذه الأُمّة ما اختصوهـم بالحسد عليه، فما بال أبي هريـرة يقول في هذا الحديث: «فلما خلق الله آدم، قـال: اذهـب فسلم على أولئـك النفر مـن الملائكـة، فـاستمع مـا يحيونك فانّها تحيتك وتحية ذريتك».

وعلى أية حال فما رأي أُولي النظـر في هذا الخبر؟ وماذا يقولـون في قول أبي هريرة: ولم يزل الخلق ينقص بعده حتّى الآن ؟ (٣)

---

١. إرشاد الساري: ٥/ ٣١٩.
٢. كتاب تأويل مختلف الحديث، ص ١٨٠.
٣. عبد الحسين شرف الدين: أبو هريرة: ٦٣ـ٦٦.

نظر أئمّة أهل البيت في الحديث

ذهب أئمة أهل البيت إلى أنّ الرواية محرّفة وقد نقلت بغير وجهها.

روى الصدوق باسناده عن أبي الورد بن ثمامة، عن علي عليه السلام قال: سمع النبي صلى الله عليه وآله رجلاً يقول لرجل: قبّح الله وجهك ووجه من يشبهك فقال صلى الله عليه وآله: مه، لا تقل هذا فإنّ الله خلق آدم على صورته.

قال الصدوق: تركت المشبّهة من هذا الحديث أوّله، وقالوا: إنّ الله خلق آدم على صورته فضلّوا في معناه وأضلّوا.

وروى أيضاً الحسين بن خالد، عن الإمام الرضا عليه السلام، قال: قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله انّ الناس يروون أنّ رسول الله، قال: «إنّ الله خلق آدم على صورته» فقال عليه السلام: قاتلهم الله لقد حذفوا أوّل الحديث، انّ رسول الله مرّ برجلين يتسابّان فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبّح الله وجهك ووجه من يشبهك. فقال صلى الله عليه وآله: يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك، فانّ الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته.[1]

وبهذا صانت أئمة أهل البيت الأحاديث النبويّة من التحريف، و كم لمثل هذا المورد من نظير، بمعنى أنّه يظهر الحق، إذا رجعنا إلى رواياتهم. كما في مورد «نزوله سبحانه كلّ ليلة إلى سماء الدنيا» كما سيوافيك.

٨. سليمان يطوف على ستين امرأة في ليلة واحدة

أخرج البخاري في صحيحه، عن محمد، عن أبي هريرة، قال:

إنّ نبي الله سليمان عليه السلام كان له ستون امرأة، فقال: لأطوفنّ الليلة على نسائي فلتحمِلْن كلّ امرأة ولتلِدْن فارساً يُقاتِل في سبيل الله، فطاف على نسائه، فما

---

١. الصدوق، التوحيد: ١٥٢ـ١٥٣.

ولدت منهنّ إلاّ امرأة وَلدت شقّ غلام.

قال نبي الله: لو كان سليمان استثنىٰ لحملت كلّ امـرأة منهنّ فولدت فارساً يقاتل في سبيل الله. [1]

وفي الحديث عدة تساؤلات:

١. انّ الله سبحانـه أدّب أنبياءه فأحسن أدبهم، وهـم أكثر حياءً مـن سائر الناس ليكونـوا أسوة لغيرهم في الحياة، فهل يصـح لنبي حَيِيٍّ أن يصرِّح أمام الملأ العام بأنّه سيطوف علىٰ نسائه في هذه الليلة؟!

٢. انّ الذكر الحكيم يصف سليمان في آياته الكريمة بما يلي:

﴿وَإنّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفَىٰ وحُسنَ مَآب﴾ (ص/ ٤٠).

﴿وَلَقَـدْ آتَيْنا داودَ وَسُلَيمانَ عِلماً وَقـالا الحَمْدُ للهِ الَّـذِي فَضّلَنـا عَلىٰ كَثِيرٍمِنْ عِبادِهِ المُؤْمِنِينَ﴾ (النمل/ ١٥).

﴿وَوَرِثَ سُليمانُ داودَ وَقالَ يا أَيُّها النّاسُ عُلِّمْنـا مَنْطِقَ الطَّيرِ وَأُوتينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إنّ هذا لَهُوَالفَضْلُ المُبين﴾ (النمل/ ١٦).

﴿فَفَهّمناها سُليمانَ وَكُلاًّ آتَينا حُكْماً وَعِلماً﴾ (الأنبياء/ ٧٩).

﴿وَوَهَبْنا لِداودَ سُليمانَ نِعْمَ العَبْدُ إنّهُ أوّاب﴾ (ص/ ٣٠).

أفيصح لنبيّ قـد أطراه الذكـر الحكيم بما تلوناه عليـك، أن يخبر بأنّ نساءه سيلدنَّ ستين فارساً؟!

فإن علـم به من طـريق الغيب، فلماذا تخلّـف الخبر عن المطابقـة؟! وإن لم يعلم به كذلك، فكيف تفوّه بذلك بضرس قاطع؟!

---

١. صحيـح البخـاري: ٩/ ١٣٨، بـاب قـول الله إنّما قـولنـا لشيء من كتـاب التـوحيـد ؛ صحيـح مسلم: ٥/ ٨٧، باب الاستثناء.

٣. هل في استطاعـة الإنسان أن يطوف علىٰ ستين امرأة في ليلـة واحدة كي يلدن لـه ستين فارسـاً؟ انّ هذا و إن كان في واقع الأمـر أمراً غير محال إلاّ انّـه بعيد جداً، وليست عظمة النبي ﷺ مقرونة بالقدرة الجنسية كي نتصور انّها مفخرة له.

نعم كـانت تُعدّ مفخرة في العصر الجاهلي فـانعكست في رواية أبي هـريرة الذي تأثر بها ونسج الحديث علىٰ وفق مايعدّ فضيلة في تلك البيئات.

٩. موسى يفقأ عين ملك الموت

أخـرج مسلم في صحيحه، عـن ابن طـاووس، عن أبيـه، عن أبي هريـرة، قال:

أُرسل ملك الموت إلىٰ موسى ﷺ فلما جاءه صكّه ففقأ عينه، فرجع إلىٰ ربه، فقال: أرسلتني إلىٰ عبـد لا يريد الموت، قال: فـردَّ الله إليه عينه، وقـال: ارجع إليه فقل له يضع يـده علىٰ متن ثور، فله بما غطَّت يده بكلِّ شعـرة سنة، قال: أي ربِّ ثمّ مه؟ قال: ثمّ الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يـدنيه من الأرض المقدسة رميةً بحجرٍ، فقال رسول الله ﷺ: فلو كنـت ثمّ لأريتكم قبره إلى جانب الطـريق تحت الكثيب الأحمر. (١)

أقول: ورواه البخاري في صحيحه تارة في بـاب من أحبّ الدفن في الأرض من كتاب الجنائز. (٢)

وأُخرى في باب وفاة موسى من كتاب بدء الخلق. (٣)

و قد سقط من نسخـة البخاري ما نقله مسلم من قولـه «ففقأ عينه» ولكن

---

١. صحيح مسلم: ٧/ ٩٩ـ١٠٠، باب من فضائل موسى.

٢. صحيح البخاري: ٢/ ٩٠.

٣. صحيح البخاري: ٤/ ١٥٧.

ذيله يدل على سقوطه حيث قال : «فردّ الله عليه عينه» إذ لو لم يُحدث موسى شيئاً من فقوء العين أو نظيره لماكان لقوله: فردّ الله عليه عينه، وجه.

وفي الحديث دلالات متعددة على كونه موضوعاً علىٰ لسان النبي ﷺ.

أمّا أوّلاً: فلأنّه يصوّر النبي موسى ﷺ كأنّه أحد الجبارين يبطش ويصكُّ ويَفْقأ العين، ويوقع بأسه حتى في ملائكة الله المقربين.

فلو كان الكليم ــ و العياذ بالله ــ علىٰ هذه الدرجة الساقطة، فكيف اصطفاه الله من عباده وآثره بمناجاته وكتابه؟!

وثانياً: هل كان موسى ﷺ يحب الدنيا على وجه، خاصَمَ ملكَ ربه، وليس هذا إلاّ من سمات أهل الدنيا خصوصاً اليهود الذين يكرهون الموت لا من صفات الأنبياء، فانّ رغبتهم إلى لقاء الله أشد من رغبتهم في البقاء في الدنيا؟

قال سبحانه: ﴿يا أَيُّها الّذينَ هادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَولياءُ للهِ مِنْ دُونِ النّاسِ فَتَمَنَوا المَوت إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ* وَلا يَتَمَنَّونَهُ أَبداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِين﴾ (الجمعة/ ٦ـ٧).

وهذا هو الإمام أمير المؤمنين يصف المتقين بقوله: «فلولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين». (١)

وثالثاً: انّ الحديث يصوِّر انّ موسىٰ كان أقوىٰ من ملك الموت ولذلك تمكّن موسى من الوقيعة به ولم يتمكن الملك من دفع العادية، وهذا عجيب جدّاً !! لأنّه كان مأموراً بإزهاق روحه ولازم ذلك أن تفوق قوته، قوة الضارب فصار الأمر على العكس.

ورابعاً: انّ لازم ما جاء في التوراة من ﴿أَنَّ النفسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ

ــــــــــ

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣.

بِـالعَيْنِ وَالأَنْـفَ بِـالأَنْـفِ وَالأُذُنَ بِـالأُذُنِ وَالسِّـنَّ بِـالسِّـنِّ والجُرُوحَ قِصَـاصٌ﴾ (المائدة/ ٤٥)، أن يقتص الملك مـن الكليم عليه السلام تحقيقاً للتشريـع الذي جـاء به موسى عليه السلام، لكن صار الأمر على العكـس فالله سبحانه أكرمـه وقال: ارجع فقل له يضع يده على متن ثور....

وخامساً: هل ملك الموت عنصر مادي له عين مادية تُفقأ بالصك عليها ؟! هذا هو مـا لا أعرفه أنا ولا الراوي يعـرفه ولا القارئ يعرفه. وكم لهذا الـراوية من هذه السقطات التي جلّها حصيلـة الإسرائيليات التي بثّها بين المسلمين ويا ليت انّه لم يبث ذلك الوعاء بل يعقد عليـه كما عقد على الوعاء الآخر على ما مضى في ترجمته[1].

١٠ . رؤية الله بالعين الباصرة

أخـرج البخاري في صحيحـه، عن عطـاء بن يزيـد الليثي، انّ أبـا هريـرة أخبرهما انّ الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربّنا يوم القيامة؟ قال: هل تمارون في القمر ليلة البـدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا، يـا رسول الله، قال: فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فانّكـم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامـة، فيقول: من كان يعبـد شيئاً فليتبع، فمنهم من يتبـع الشمس ومنهم من يتبع القمر و منهم من يتبع الطواغيت وتبقىٰ هذه الأُمّة فيها منافقوها فيأتيهم الله، فيقول: أنـا ربكم، فيقولـون: هذا مكـاننا حتى يأتينـا ربنا فإذا جـاء ربّنا عـرفناه، فيأتيهم الله فيقـول أنا ربّكم، فيقولـون: أنت ربنا فيـدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أوّل من يجوز من الرسل بأُمّته....

---

١. لاحظ ص ٣٠٨.

هذا ما أخرجه في باب فضل السجود من كتاب الصلاة.[١]

وأخرجه أيضاً في باب «الصراط جسر جهنم» من كتاب ما جاء في الرقاق وان لا عيش إلاّ عيش الآخرة، ويختلف لفظه مع السابق وجاء فيه:

...وتبقى هذه الأُمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربّنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربّنا، فيتبعونه ويضرب جسر جهنم.

قال رسول الله ﷺ: فأكون أوّل من يجيز.[٢]

ورواه أيضاً مسلم عن أبي هريرة في باب معرفة طريق الرؤية من كتاب الإيمان ونذكر موضع الحاجة... فيتبع من كان يعبد الشمسَ، الشمسَ، ويتبع من كان يعبد القمرَ، القمرَ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقىٰ هذه الأُمّة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالىٰ في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربّكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربّنا، فإذا جاء ربّنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربّنا، فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا و أُمّتي أوّل من يجيز.[٣]

وقد نقله مسلم عن أبي سعيد الخدري بصورة أكثر شناعة، ومماجاء فيه: انّ ناساً في زمن رسول الله قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: نعم، قال: هل تضارّون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها

---

١. صحيح البخاري: ١/ ١٥٦.

٢. صحيح البخاري: ٨/ ١١٨.

٣. صحيح مسلم: ١/ ١١٣.

سحاب؟ وهل تضارّون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيها سحاب؟... إلى أن قال: حتى إذا لم يبق إلاّ من كان يعبد الله تعالىٰ من برٍّ وفاجرٍ أتاهم ربّ العالمين سبحانه وتعالى في أدنىٰ صورة من التي رأوه فيها، قال: فما تنتظرون تتبع كلّ أُمّة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربّنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنّا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئاً، مرّتين أو ثلاثاً حتى انّ بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها ؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقىٰ من كان يسجد لله من تلقاء نفسه، إلاّ أذن الله له بالسجود، ولا يبقىٰ من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلاّ جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلّما أراد أن يسجد خرَّ علىٰ قفاه... الحديث. [1]

وفي الحديث بعامّة صوره أمارات على الدسّ والوضع.

الأوّل: وجود الاختلاف الفاحش بين صور الحديث، فما نقله البخاري في باب «فضل السجود» يختلف عمّا نقله هو في باب «الصراط جسر جهنم» وهو واضح لمن قابل النصين، فقد جاء في النص الثاني قوله: «فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون...» في حين انّ النص الأوّل خالٍ عن هذه الإضافة إلى غير ذلك من الاختلافات.

كما انّ ما نقله البخاري في باب «فضل السجود» يختلف مع ما نقله مسلم في صحيحه في باب «معرفة طريق الرؤية».

كما انّ ما نقله مسلم عن أبي سعيد الخدري يختلف مع ما نقله الشيخان عن أبي هريرة إذ ليس في حديثه قوله: «ويكشف عن ساق».

وهذا الاختلاف يسلب الاعتماد على الحديث لا سيما إذا كان الراوي ممن لا يجيد القراءة والكتابة فيضع لفظاً مكان لفظ آخر.

---

١. صحيح مسلم:١/ ١١٥، باب معرفة طريق الرؤية.

الثاني: انّ مجموع الصور تثبت الرؤية بالعين الباصرة وانّ المؤمنين يرونه سبحانه كرؤية أحدنا للآخر مع أنّه يستلزم أن يكون سبحانه جسماً وله جهة وآثار مادية وذلك انّ الرؤية قائمة بأُمور ثمانية:

١. سلامة الحاسة، ٢. المقابلة أو حكمها كما في رؤية الصور المنطبعة في المرآة، ٣. عدم القرب المفرط، ٤. عدم البعد كذلك، ٥. عدم الحجاب بين الرائي والمرئي، ٦. عدم الشفافية فانّ ما لا لون له كالهواء لا يُرىٰ، ٧. قصد الرؤية، ٨. وقوع الضوء على المرئي وانعكاسه منه إلى العين.

فلو قلنا بأنّ هذه الشرائط ليست إلزامية بل هي تابعة لظروف خاصة، ولكن قسماً منها يعدّ مقوماً للرؤية بالأبصار، وهو كون المرئي في حيز خاص، وتحقق نوع مقابلة بين الرائي والمرئي، وعند ذلك كيف يمكن أن تتحقق الرؤية من دون بعض هذه الشرائط؟ ومع تحقق هذه، يلزم أن يكون المرئيّ جسماً أو جسمانياً، تعالى عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

الثالث: ماذا يريد الراوي من قوله: فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربّنا، فمن أين يعرفون انّ الجائي هو الله سبحانه، وما هي أمارته وعلامته؟

وأسوأ من هذا ما في النقل الثاني: فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربّنا فإذا أتانا ربّنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون .

فهل لله تبارك وتعالى صور متعددة تعرف بعضها وينكر البعض الآخر؟ فكيف يعرفون انّ بعضاً منها صورته دون البعض الآخر؟ فهل شاهدوا تلك الصور في الدنيا أو في البرزخ؟

الرابع: انّ ما نقله مسلم عن أبي سعيد الخدري أسوأ حالاً من سابقيه، فماذا

يريد الراوي من قوله: «فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقىٰ من كان يسجدلله من تلقاء نفسه...»؟ فانّ معناه انّ المؤمنين والمنافقين يعرفونه سبحانه بساقه، فكانت هي الآية الدالة عليه. فهل لله سبحانه ساق، يكشف يوم القيامة عنها؟

الخامس: كفىٰ في ضعف الحديث ما علق عليه العلاّمة السيد شرف الدين ﷺ حيث قال: إنّ الحديث ظاهر في أنّ لله تعالى جسماً، ذا صورة مركبة تعرض عليها الحوادث من التحول والتغير، وانّه سبحانه ذو حركة و انتقال، يأتي هذه الأُمّة يوم حشرها، وفيها مؤمنوها ومنافقوها، فيرونه بأجمعهم ماثلاً لهم في صورة غير الصورة التي كانوا يعرفونها من ذي قبل، فيقول لهم: أنا ربّكم، فينكرونه متعوذين بالله منه، ثمّ يأتيهم مرّة ثانية في الصورة التي يعرفون، فيقول لهم: أنا ربّكم، فيقول المؤمنون والمنافقون جميعاً:

نعم، أنت ربنا و إنّما عرفوه بالساق إذ كشف لهم عنها، فكانت هي آيته الدالة عليه، فيتسنّىٰ حينئذٍ السجود للمؤمنين منهم دون المنافقين وحين يرفعون رؤوسهم يرون الله ماثلاً بصورته التي يعرفون لا يمارون فيه، كما كانوا في الدنيا لا يمارون في الشمس والقمر، ماثلين فوقهم بجرميهما النيرّين ليس دونهما سحاب.[1]

١١. لا تملأ النار حتى يضع الربُّ رجله فيها

أخرج مسلم في صحيحه، عن الأعرج، عن أبي هريرة ،عن النبي ﷺ قال: تحاجت النّار والجنّة، فقالت النار: أُوثرتُ بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلاّ ضعفاء النّاس وسقطهم وعجزهم، فقال الله للجنّة:

---

١. كلمة حول الرؤية، لشرف الدين العاملي، ص٦٥.

أنت رحمتي أرحم بـك من أشاء من عبادي، وقـال للنار: أنت عـذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكـلّ واحدة منكم ملؤها، فأمّا النّار فـلا تمتلئ فيضع قدمه عليها فتقول: قط قط فهنالك تمتلئ ويزوىٰ بعضها إلى بعض. [١]

وفي الحديث ملاحظات ربما تجعله في مدحرة البطلان:

الأُولى: أي فضل في المتكبرين والمتجبريـن حتى تفتخر بهم النـار، ثُمّ ومن أين علمت الجنة بأنّ الفائزين بها من عجزة النـاس مع أنّه سبحانه أعدها للنبيين والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين؟!

الثانية: ثمّ هل للجنة والنار عقل ومعـرفة بمن حلّ فيهما من متجبر ومتكبر أو ضعيف وساقط من الناس؟

الثالثة: انّه سبحانه قد أخبر بأنّه يملأ جهنـم بالجِنّة والناس لا برجله تعالى كما قال سبحانه: ﴿**لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْـكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ (ص/ ٨٥)، وقال: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ (هود/ ١١٩).

وعلى ذلك فالموعود هـو امتلاء جهنم بهما، وما هو المتحقق فـإنّما هو امتلاء النار بإدخال رجل الرب فيها، فما وُعد لم يتحقق، وما تَحقق لم يُعد.

رابعاً: هل لله سبحانه رجل أكبر وأوسع حتى تمتلئ بها نار جهنم بحد يضيق الظرف عن المظروف فينادي بقوله: قط قط.

فالحديث أشبه بالأُسطورة وقد صـاغها الراوي في ثوب الحديث عن رسول الله ﷺ فجنىٰ بـه على الرسول وحـديثه وسـوّد صحائف كتب الحديـث وصحيفة عمره ـ أعاذنا الله من الجهل المطبق، والهوى المغري ـ.

---

١. صحيح مسلـم:٨/ ١٥١، بـاب النـار يدخلهـا الجبـارون والجنـة يـدخلهـا الضعفـاء ؛ وصحيح البخاري:٦/ ١٣٨، تفسير سورة ق.

١٢ . نزول الرب كلّ ليلة إلىٰ السماء الدنيا

أخرج البخاري في صحيحه، عن أبي عبد الله الأغر وأبي سلمة بن عبد الرحمان، عن أبي هريرة:

إنّ رسول الله ﷺ قال: يتنزّل ربنا تبارك وتعالىٰ كلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له. [1]

وفي الحديث تساؤلات

أوّلاً: انّ ربّنا هو الغفور الرحيم وهو القائل عزّ من قائل: ﴿**فَمَنْ تابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (المائدة/ ٣٩).

والقائل تبارك وتعالى: ﴿**أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (المائدة/ ٧٤).

والقائل سبحانه: ﴿**قُلْ ياعِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً**﴾ (الزمر/ ٥٣). إلى غير ذلك من الآيات التي تكشف عن سعة رحمته لعموم مغفرته.

كما انّه سبحانه وعد عباده بأنّه يستجيب دعاء من دعاه ويقول: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ (غافر/ ٦٠) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على قُرب المغفرة من المستغفرين، والإجابة من الله سبحانه للسائلين آناء الليل والنهار فأي حاجة إلىٰ نزول الرب الجليل من عرشه الكريم إلىٰ سماء الدنيا وندائه بقوله: « **من يدعوني فاستجيب له**».

---

١. صحيح البخاري:٨/ ٧١، باب الدعاء نصف الليل من كتاب الدعوات؛ وأخرجه مسلم في صحيحه:٢/ ١٧٥، باب الترغيب في الدعاء من كتاب الصلاة عن أبي عبد الله الأغر وعن أبي سلمة بن عبد الرحمان عن أبي هريرة.

ثانياً: تعالىٰ ربّنا عن النزول والصعود والمجيء والذهاب والحركة والانتقال وسائر العوارض والحوادث وقد صار هذا الحديث سبباً لذهاب الحشوية إلى التجسيم والسلفية إلى التشبيه، وإن كنت في شكّ فاستمع لكلام من أحيىٰ تلك الطريقة بعد اندثارها وانطماسها، يقول الرّحالة ابن بطوطة في رحلته:

وكان بدمشق من كبار فقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام يتكلم في فنون، إلاّ أنّ في عقله شيئاً، وكان أهل دمشق يعظّمونه أشدّ التعظيم، ويعظهم على المنبر، وتكلم مرّة بأمر أنكره الفقهاء...ورفعوه إلى الملك الناصر فأمر بإشخاصه إلى القاهرة، وجمع القضاة والفقهاء بمجلس الملك الناصر، وتكلم شرف الدين الزواوي المالكي، وقال: «إنّ هذا الرجل قال كذا وكذا» وعدّد ما أُنكر على ابن تيمية، وأُحضر الشهود بذلك ووضعها بين يدي قاضي القضاة.

قال قاضي القضاة لابن تيمية: ما تقول؟ قال: لا إله إلاّ الله، فأعاد عليه فأجاب عليه بمثل قوله: فأمر الملك الناصر بسجنه، فسجن أعواماً وصنف في السجن كتاباً في تفسير القرآن سماه بـ«البحر المحيط».

ثمّ إنّ أُمّه تعرضت للملك الناصر، وشكت إليه فأمر بإطلاقه إلى أن وقع منه مثل ذلك ثانية، وكنت إذ ذاك بدمشق، فحضرتُه يوم الجمعة، وهو يعظ الناس علىٰ منبر الجامع ويذكرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: إنّ الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا،ونزل درجة من درج المنبر، فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزاهراء، وأنكر ما تكلّم به، فقامت العامة إلىٰ هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً. [1]وسيوافيك في ترجمة جبير بن مُطعِم، حديث الإمام الطاهر موسى بن جعفر عليه السلام حول نزول الربّ فانتظر.

---

١. ابن بطوطة، الرحلة، ص ١١٢ طبع دار الكتب العلمية.

١٣. نقض سليمان حكم أبيه داود

أخرج البخاري، عن أبي الزناد، عن عبد الرحمان، حدّثه انّه سمع أبا هريرة انّه سمع رسول الله ﷺ يقول:... كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتها: إنّما ذهب بابنك وقالت الأُخرى: إنّما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلىٰ داود فقضىٰ به للكبرىٰ، فخرجتا علىٰ سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتاه فقال: ائتوني بالسكين أشقّه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى، قال أبو هريرة: والله إن سمعت بالسكين إلاّ يومئذٍ وما كنا نقول إلاّ المدية.[1]

وفي الحديث تساؤلات:

الأوّل: انّه سبحانه تبارك وتعالى يصف داود بقوله: ﴿**يا داودُ إنّا جَعَلْناكَ خَليفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النّاسِ بِالحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الهَوىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ**﴾(ص/ ٢٦).

فهو عليه السلام لا يحكم إلاّ بالحقّ ولا يحكم بالباطل وإلاّ فيكون ضالاً عن سبيل الله، وقد بيّن سبحانه حكم الضال عن سبيله في ذيل الآية، وقال: ﴿**إِنَّ الّذينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَومَ الحِساب**﴾ (ص/ ٢٦).

فحكمه عليه السلام بأنّ الولد للكبرى لم يكن يخلو من أحد وجهين: إمّا كان حقّاً أو كان باطلاً، فلو كان حقّاً فليس لسليمان أن ينقضه ويحكم على خلافه، ولو كان باطلاً فإمّا يكون عن عمد أو عن سهو.

---

١. صحيح البخاري: ٤/ ١٦٢، باب قول الله ﴿وَوهبنا لداود سليمان﴾؛ وأخرجه مسلم في صحيحه:٥/ ١٣٣ عن أبي زنّاد عن الأعرج عن أبي هريرة، في باب اختلاف المجتهدين من كتاب الأقضية.

فعلى الأوّل: يكون ضالاً محكوماً بما جاء في الآية ـ نعوذ بالله ـ و على الثاني فيلزم أن لا يحكم بالحقّ مع أنّه سبحانه أمره بالحكم بالحقّ، ومن أمره به فيجهّزه بما يوصله إليه. إلاّ أن تُفسّر الآية: بما رآه حقّاً، و إن كان في الواقع باطلاً، وهو كما ترى.

الثاني: انّ حكم داود بأنّ الولد للكبرى إمّا أن يكون مستنداً إلى بيّنة شرعية فليس للقاضي الآخر نقض حكمه إذا كان المستند صالحاً للقضاء، و إن كان غير مستند إليه بل مستنداً إلى علمه غير الخاطئ فهو غير قابل للنقض أيضاً لاستحالة تخلف علمه عن الواقع لعصمته.

الثالث: ما في ذيل الرواية من أنّ أبا هريرة لم يسمع بالسكين إلاّ في هذه الواقعة يعرب عن إعراضه عن الذكر الحكيم، فقد جاء فيه قوله: ﴿**وَآتَتْ كُلَّ واحدَةٍ مِنْهُنَّ سِكّيناً**﴾ (يوسف/ ٣١) و السورة مكّية نزلت قبل إسلامه بأعوام.

كيف وقد روى هو نفسه عن الرسول الرواية التالية:

أخرج أحمد، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، قال: قال ﷺ: من جُعل قاضياً بين الناس فقد ذبح بغير سكين. [1]

ولعل أبا هريرة قد نسج هذه القصة الخيالية لتفسير قوله سبحانه:

﴿**وَداوُدَ وَسُليمانَ إِذْ يَحْكُمان في الحَرثِ إِذْ نَفشَت فيهِ غَنَمُ القَومِ وَكُنّا لِحُكْمِهِمْ شاهدين* فَفَهَّمْناها سُلَيمانَ وَكُلاًّ آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً**﴾ (الأنبياء/ ٧٨ـ٧٩).

وما ذكره من القصة الخيالية لا تنطبق على الآية فانّه سبحانه يصف كلا الحكمين صدقاً وصواباً ويقول: ﴿**وَكُلاًّ آتَيْنا حُكْماً وَعِلماً**﴾ ، فلابدّ أن يكون للآية سبب نزول آخر ينطبق عليه وقد ورد على لسان أئمّة أهل البيت عليهم السلام سبب نزولها

---

١. مسند أحمد: ٢/ ٢٣٠.

وانّ كلاً من الرأيين كان حقاً غير مخالف للواقع.

وحاصله: انّ على صاحب الحرث أن يحفظه بالنهار وليس على صاحب الماشية حفظها بالنهار إنّما رعيها بالنهار و إرزاقها، فما أفسدت فليس عليها. وعلى صاحب الماشية حفظ الماشية بالليل عن حرث الناس فما أفسدت بالليل فقد ضمنوا وهو النفش، ثمّ إنّ داود حكم للذي أصاب زرعه رقاب الغنم. وحكم سليمان عليه السلام بأنّ له اللبن والصوم في ذلك العام. [1]

ولعلّ القيمة السوقية لهما في ذلك اليوم كانت متساوية، فلذلك يكون كلّ من القضائين خروجاً عن الغرامة التي يجب على صاحب الماشية دفعها إلى صاحب الحرث.

١٤. ظهور موسى عرياناً أمام الملأ

أخرج البخاري في صحيحه، عن الحسن، ومحمد، وخلاس، عن أبي هريرة، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ موسى كان رجلاً حيياً سِتّيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلاّ من عيب بجلده امّا برص، وامّا أدْرَة، وامّا آفة، وانّ الله أراد أن يُبرئه ممّا قالوا لموسى، فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر، ثمّ اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وانّ الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إنّ بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلك

---

١. البرهان في تفسير القرآن: ٣/ ٦٦ في تفسير قوله: وداود وسليمان نقلاً عن الكليني.

قوله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمّا قالُوا وَكانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً﴾ (الأحزاب/ ٦٩). [1]

وفي الحديث عدّة تساؤلات:

الأوّل: إذا أراد سبحانه أن يبرّئ موسى من العيب الملصق به فله أساليب أُخرىٰ أكثر معقولية من هذا الأُسلوب الذي انتهى فيه إلىٰ وقوف موسى أمام الناس وهم ينظرون إليه عرياناً مكشوف العورة.

الثاني: لو افترضنا انّ الحجر ذهب بثوبه، فكان عليه الوقوف في مكانه وطلب الثوب كي يُؤتىٰ بثيابه أو بساتر غيره كما هو الحال فيمن ابتلى بهذه القصة، لا أن يخرج من مكانه ويتابع الحجر فلا يصل إليه إلاّ عندما وجد نفسه عرياناً بين الناس.

الثالث: انّ حركة الحجر وذهابه بالثوب كان أمراً من الله سبحانه فلماذا غضب عليه موسىٰ؟!

ثمّ أيّ أثر لغضبه حيث جعل يضرب الحجر كما هو حال المجانين وفاقدي الشعور؟!

الرابع: انّ الابتلاء بالأدْرة ليس عيباً منفّراً للطبائع، خصوصاً فيمن طعن في السن، وإنّما المستحيل ابتلاء الأنبياء بالعيوب المنفِّرة، أو ما يورد النقص في مشاعرهم ومداركهم.

فأيّ حاجة لاظهار براءة موسىٰ من هذا النقص غير المنفِّر بهذه الكيفية الّتي انتقصت من شخصيته؟

والعجب انّ الشيخين أخرجا هذا الحديث في باب فضائل موسىٰ، وأيّ

---

١. صحيح البخاري: ٤/ ١٥٦، باب حدثني إسحاق بن نصر بعد حديث الخضر مع موسى عليه السلام؛ وأخرجه مسلم في صحيحه: ٧/ ٩٩ في باب فضائل موسى، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة.

منقبة في إبداء العورتين للناظرين، بل يكفي لموسى ما صدع به الذكر الحكيم من معجزاته ومواقفه المحمودة امام الكفر والشرك وصبره في السّراء والضراء .

١٥ . اتهام أُولي العزم من الأنبياء بالعصيان

أخرج البخاري في صحيحه، في تفسير سورة الاسراء في تفسير قوله: ﴿ذُرّيةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ إنّهُ كانَ عَبداً شَكُوراً﴾ أخرج فيه عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة في حديث طويل نذكر خلاصته:

وهو انّ الله سبحانه يجمع الناس الأوّلين والآخرين في صعيد واحد، فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون، وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون: أنت أبو البشر خلقك الله بيده، اشفع لنا إلى ربّك، فيقول آدم: إنّ ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وانّه نهاني عن الشجرة فعصيته، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح إنّك أوّل الرسل إلى أهل الأرض، اشفع لنا إلىٰ ربّك فيقول: إنّ ربّي عزّوجلّ غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، اذهبوا إلى إبراهيم .

فيأتون إبراهيم فيسألونه مثل ما سألا آدم ونوحاً، وهو يجيب انّي قد كنت كذبت ثلاث كذبات اذهبوا إلىٰ موسى.

فيأتون موسى فيسألونه مثل ما سألوا السابقين وهو يردّهم بقوله: إنّ ربّي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وانّي قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى فيسألونه الشفاعة كما سألوا السابقين وهو يجيبهم بقوله: إنّ ربّي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله اذهبوا إلى محمّد

ﷺ فيأتونه فيشفع لهم عند الله ... [١] الخ.

وفي الحديث نظر

أوّلاً: انّ الأنبياء لا سيما أُولو العزم منهم معصومون عن العصيان قبل البعثة وبعدها ، فما معنى ما جاء فيه «انّه سبحانه غضب على آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله»؟!

ثانياً: انّ آدم وإن خالف نهيَه سبحانه عن أكل ثمر الشجرة، ولكن النهي لم يكن نهياً مولوياً مورِثاً للعقاب، بل كان نهياً إرشادياً إلى ما يترتب على المخالفة من المضاعفات كالخروج من الجنة، كما هو ظاهر من قوله سبحانه: **﴿فقُلنا يا آدَمُ إنّ هذا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِزَوجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الجَنَّةِ فَتَشقىٰ * إنّ لَكَ ألاّ تَجُوعَ فِيها وَلا تَعْرىٰ * وَأَنَّكَ لا تَظْمَؤُا فيها وَلا تَضْحىٰ﴾** (طه/ ١١٧ـ ١١٩).

فالآيات صريحة في أنّ النهي عن الأكل كان نهياً نُصحياً إرشادياً إلى ما يترتب على المخالفة من الشقاء، المفسَّر في الآية بالابتلاء بالعُري والظمأ والجوع، ولو افترضنا انّ النهي كان مولوياً تلازم مخالفتُه العصيان، فقد تاب الله عليه، في الحياة الدنيا حيث قال: **﴿فَتَلَقىٰ آدمُ مِنْ رَبّـهِ كَلماتٍ فَتابَ عَلَيْـهِ إنّهُ هُـوَ التَّوّابُ الرَّحِيم﴾** (البقرة/ ٣٧) فصار كمن لا ذنب له، فما وجه الغضب عليه؟ ونظيره كليم الله، فقد غفر الله له، قال سبحانه: **﴿قالَ رَبِّ إنّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِر لي فَغَفَرَ لَهُ إنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم﴾** (القصص/ ١٦) أفيصح بعد ذلك غضب الله عليه وعلى أبيه آدم يوم القيامة؟

---

١. صحيح البخاري: ٦/ ٨٤ـ ٨٥ في تفسير سورة بني إسرائيل ذكرنا موضع اللزوم من الرواية، و من أراد التفصيل فعليه الرجوع إلى نفس المصدر؛ صحيح مسلم: ١/ ١٢٧ـ ١٢٨، باب أدنى أهل الجنّة منزلة من كتاب الإيمان.

ثالثاً: ثمّ إنّه لم يذكر الذنب الذي صدر من شيخ الأنبياء نوح والمسيح ابن مريم مع أنّه أشار في حقّ غيرهما إلى العثرة التي ابتلوا بها.

رابعاً: انّ الكذبات الثلاث التي كذب بها إبراهيم لم تكن ـ في الواقع ـ كذباً، وسنحيل توضيحه إلى دراسة أحاديث أبي سعيد الخدري.

إنّ الرواية تحط من شأن الأنبياء العظام الذين هم في الذروة والسنام من الفضائل والمكارم، وقد وصفهم سبحانه بقوله: ﴿**غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّين**﴾ فكيف يغضب عليهم الربّ؟

خامساً: ثمّ كيف يتسنى لأهل المحشر أن يأتمروا ويتفحصوا عن الأنبياء واحداً تلو الآخر على الترتيب المذكور في الرواية، مع أنّ هول المحشر يمنع عن الائتمار والاستشارة؟ وهذا هو الذكر الحكيم يصفه بقوله: ﴿**يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَتَرَى النّاسَ سُكارىٰ وَما هُمْ بِسُكارىٰ وَلٰكِنَّ عَذابَ اللهِ شَدِيدٌ**﴾ (الحج/ ٢).

سادساً: إنّ هؤلاء الذين رجعوا إلىٰ أنبيائه سبحانه: امّا أن يكونوا من أُمّتهم أو من أُمّة محمّد ﷺ، فإن كانوا من أُمّة نبيّنا ﷺ فما الذي دعاهم إلى أن يسألوا آدم فنوحاً فإبراهيم فموسىٰ فعيسى فمحمداً ﷺ؟

وإن كانوا من غيرهم، فلماذا خيّبهم سبحانه من شفاعة نبينا إذا كانت فيهم قابلية للشفاعة؟ كما هو الظاهر من آخر الرواية بانّه لا يشفع إلاّ لأُمّته، حيث يخاطبه سبحانه بقوله: يا محمد ارفع رأسك سل تُعْطَه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أُمّتي يا ربّ، أُمّتي يا ربّ، فيقول: يا محمّد أدخل من أُمّتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من أبواب الجنّة وهم شركاء الناس... الخ.

١٦ . شك الأنبياء وتفضيل يوسف على نبيّنا

أخرج البخاري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة انّ رسول الله، قال:

نحن أحقّ من إبراهيم، إذ قال:﴿ربّي أَرِني كَيْفَ تُحْيي المَـوتَىٰ قالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِن قالَ بَلىٰ وَلٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ .

ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلىٰ ركن شديد.

ولو لبثتُ في السجن طول لبث يوسف لأجبتُ الداعي. [١]

أقول: الحديث يتضمن أُموراً ثلاثة:

الأوّل: نسبة الشك إلى إبراهيم في إمكان إحياء الموتىٰ، وانّه إذا شكّ إبراهيم فعامة الأنبياء ومنهم النبي أولىٰ منه بالشك.

الثاني: التنديد بلوط مع طلب الرحمة له، لأنّه كان يأوي إلىٰ ركن شديد.

الثالث: تفضيل يوسف على جميع الأنبياء حتى نفسه ﷺ حيث إنّ يوسف لما طولب بالخروج من السجن لم يسرع إلى الإجابة وانّما قدّم طلب البراءة فخرج بعد ثبوت براءته بخلاف غيرهم، فانّهم لو كانوا بمكانه يلبُّون الداعي إلى الخروج قبل ثبوت براءتهم.

والجميع من الوهن بمكان.

أمّا الأوّل: فلم يشك إبراهيم طرفة عين أبداً وربما طلب زيادة اليقين، فإنّ لليقين مراتب ودرجات مختلفة.

فيقيننا بأنّ نور القمر مستفاد من نور الشمس ليس مثل يقيننا بأنّ النار

---

١. البخاري، الصحيح:٥/ ١٤٧، باب قوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْراهيم﴾ ، صحيح مسلم١/ ٩٢، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة من كتاب الإيمان.

حـارة، ولكن القضيتين كلتيهما مـن القضايـا اليقينيـة، والشـاهـد على ذلك انّـه سبحانه لما خاطبه بقوله : ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ ، أجاب بقوله:﴿ قالَ بلىٰ ولكِن ليَطْمَئِنَّ قَلْبي﴾ فحاول تحصيل اليقين الآكد المعبّر عنه بقوله: ﴿ليطمئنّ قلبي﴾ .

وعلى ذلك فنسبـة الشكّ إلى إبراهيم أوّلاً ثـمّ الأنبياء ثانيـاً والنبي ﷺ ثالثاً كذب محض لا يتفوّه به من له عرفان بالأنبياء والرسل.

وأمّا الثاني: فلم يصدر من لوط أمر مكروه حتى يُندَّد به، ثمّ تُطلب له الرحمة فانّه لما بـوغتَ بمجيْ الضيوف ضاق بمجيئهـم ذرعاً، ولما كان عا لماً من أنّ قـومه يسارعون إلى أمثالهم بالفاحشة خاطب قومه أوّلاً بقوله: ﴿يا قَوم هٰؤلاءِ بَناتي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَلاٰ تُخْزُونِ فِي ضَيفي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشيد﴾ .

فلمّا أجيب بقولهم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مٰا لَنا فِي بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّـكَ لَتَعْلَمُ مٰا نُريد﴾ .

وقف على أنّهم لا يقبلـون الموعظـة وتـأسّف علىٰ فقـده المكنـة مـن دفعهم بوجهين:

أ. قال: لو انّ لي بكم قوة، أي منعـة وقدرة أتقوى بها عليكم، فأدفعكم عن ضيوفي.

ب. أو آوى إلىٰ ركن شديد وعشيرة منيعة تنصرني لدفعكم عما تريدون.

فأي عمـل صـدر من لـوط لا يليق بمنـزلتـه وليس الاستنصـار بـالعشيرة والقبيلة ملازمـاً لقلّة الثقة بالله وإنّما هو تـوصل بالأسباب الظاهريـة التي أمر بها سبحانه فهذا هو ذو القرنين يستنصر بمـن حوله من الناس، و يقول: ﴿فَأَعِينُوني بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾ (الكهف/ ٩٥).

وأمّـا الثالـث: فهو ظـاهـر في تفضيل يـوسف على النبي الخاتـم حيث إنّ

يوسف ما خرج من السجن حتى تجلت براءته ولكن رسول الله لو كان مكانه لما صبر وأجاب الداعي بمجرد الدعوة إلى الخروج.

فهذا محض افتراء على أفضل الخليقة فانّ رسول الله في الصبر و الأناة والحلم والحزم أُسوة للعالمين حتى وصفه سبحانه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم/ ٤) وقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَولِكَ﴾ (آل عمران/ ١٥٩).

ولقد وقف ابن حجر العسقلاني على ما في الرواية من الاشكال فالتجأ إلى عذر غير مقبول، قائلاً: بأنّه قاله ﷺ تواضعاً والتواضع لا يحطُّ مرتبة الكبير بل يزيده رفعة وجلالة. [١]

أقول: إنّ لسان الحديث آب عن التواضع وإنّما يريد تفضيل يوسف وانّه كان أصبر من غيره وعلى فرض صحّته فالإشكالان الأوّلان باقيان بحالهما.

١٧. نبي من الأنبياء يحرق قرية النمل

أخرج البخاري في صحيحه، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة انّ أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: قرصت نملة نبيّاً من الأنبياء فأمر بقرية النّمل فأحرقت، فأوحى الله إليه أن قرصتْك نملة أحرقت أُمّة من الامم تُسبّح. [٢]

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي سلمة بن عبد الرحمان، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: انّ نملة قرصت نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت،

---

١. فتح الباري: ٦/ ٤١٣ باب قول الله عزّوجلّ ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْراهيم﴾.

٢. صحيح البخاري: ٤/ ٦٢، باب حدثنا يحيى بن بكير من كتاب الجهادو السير ؛ سنن أبي داود: ٤/ ٣٦٧ برقم ٥٢٦٦.

فأوحى الله إليه أفي أنْ قرصتْك نملة أهلكتَ أُمّة من الأُمم تسبح. [١]

إنّ هذا النبي سواء أكان من أُولي العزم أو من غيرهم، إنسان معصوم لا يأخذ البريء بذنب المجرم، فلو افترضنا انّ النملة كانت مجرمة ــ مع أنّها ليست كذلك لأنّ عملها عمل غريزي ـ فما هو ذنب سائر النمل؟

إنّ المحرِّق كان أقل شعوراً ورأفة من جنود سليمان فانّهم ما كانوا يحطّمون النمل عن شعور و لو كانوا يحطمون فانّما يفعلون ذلك دون أي شعور، قال سبحانه: ﴿حَتّىٰ إِذا أَتَوْا عَلىٰ وادِ النَّمْلِ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ (النمل/ ١٨).

وهذا النبي المزعوم كان أقلّ رأفة وعطفاً من جنود سليمان حيث أحرق وادي النمل عن علم وشعور، بجرم نملة واحدة وقد عرفت انّ عملها لم يكن جناية.

إنّ علياً عليه السلام لم يكن نبيّاً بل كان وصياً ولكنّه يقول: والله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها علىٰ أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت وانّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعليّ ولنعيم يفنىٰ، ولذة لا تبقىٰ. [٢]

أضف إلى ذلك انّ النبي قد نهى عن قتل أربعة من الدواب: النملة ـ النحلة ـ الهدهد ـ الصُّرد. [٣]

---

١. صحيح مسلم: ٧/ ٤٣، باب النهي عن قتل النمل من كتاب قتل الحيات وغيرها.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤.

٣. سنن أبي داود: ٤/ ٣٦٧ برقم ٥٢٧٦.

١٨ . أيوب يَحْثي رجل جراد من ذهب في ثوبه

أخـرج البخاري في صحيحـه، عن معمـر، عن حمام، عن أبي هـريـرة، عن النبي ﷺ قال:

بينما أيوب يغتسل عرياناً خرّعليه رجل [١] جراد من ذهب فجعل يحثي [٢] في ثـوبه، فنـادى ربّه «يـا أيوب لم أكـن أغنيتك عما تـرى، قال: بلى يـا رب ولكن لاغنىٰ لي عن بركتك». [٣]

أوّلاً: جرت سنـة الله تبارك و تعـالى على خلق الجراد على النحـو المعلوم ولا تبديل لسنته، إلاّ إذا كان هناك داع إليـه، كإثبات نبوة نبي أو وصاية وصي إلى غير ذلك، فعندئذٍ يسأل، فما هو السبب للعـدول عن السنّة الإلهية إلىٰ خلق الجراد من ذهب مع أنّه لم يكن هناك أيّ حاجة إلى ذلك؟ فخلقها من الذهب عبث وجزاف ولم يكن امتحان أيّوب واستظهار مدى ثقتـه بما أغناه الله، متوقفاً على العدول عن السنة الإلهية.

ثانياً: لو افترضنـا انّ أيّوب خرّعلىٰ جمعـه في ثوب فليس ذلك بمعنـى عدم الثقة بالله تبـارك وتعالى أو الانكباب على الدنيا بل لأجـل أن يستعين في أمر دنياه وأُخراه وينفقه في سبيله وابتغاء مرضاته وانّما الأعمال بالنيات فلا عتب علىٰ عمله.

والباحـث في روايات أبي هريـرة يقف على أنّـه كان يحطُّ من مقـام الأنبياء بنقل هذه الأسـاطير الخرافية التي سمعهـا من كعب الأحبار وغيره كما هـو معلوم من حاله، وقد عرفت أنّه كان يدلّس في نقل الروايات.

---

١. رجل جراد أي جماعة جراد.

٢. يحثي ـ بالمثلثة ـ أي يأخذ بيديه جميعاً فكأنّ أيوب ينشر طرف ثوبه ليأخذ الجراد.

٣. صحيح البخاري: ٤/ ١٥١، باب قول الله تعالى: ﴿وأيوب إذ نادىٰ ربّه﴾ من كتاب بدء الخلق.

١٩. النبي يؤذي ويجلد ويسبّ ويلعن من لا يستحق

أخرج البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة انّه سمع النبي ﷺ يقول: فأي مؤمن سببتُه فاجعل ذلك قربة إليك يوم القيامة.[١]

وأخرج مسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:

اللّهمّ إنّما أنا بشر فأيما رجل من المسلمين سببته أولعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة.

وفي رواية أُخرى: فإنّما أنا بشر فأيّ المؤمنين آذيته، شتمته، لعنته، جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة.[٢]

وقد أخرجها مسلم بطرق كثيرة.

كما أخرجها أيضاً في صحيحه عن أبي سفيان عن جابر.[٣]

وموردها لا يخلو عن صورتين:

الأُولى: أن يصدر السب واللعن والجلد من النبي ﷺ عن مبرّر شرعي كما إذا قامت البينة علىٰ استحقاق شخص للّعن والسبّ والجلد ولكن كانت البينة كاذبة فعند ذلك يرجع التقصير إلى البينة لا إلى النبي الأعظم حتى يسأل الرب بجعله له زكاة ــ مضافاً ـ إلى أنّ هذه الصورة لا تناسب صدر الرواية على بعض صورها، لأنّه يقول: اللّهمّ إنّما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر، ومعناه انّه ربما يستفزّه الغضب إلىٰ جلد من لا يستحق الجلد، بلا مبرّر شرعي، وهكذا الحال في اللعن والسب.

الثانية: أن يصدر كلّ ذلك بلا مبرّر شرعي كما هو الظاهر من قوله: «إنّما

١. صحيح البخاري: ٨/ ٧٧، باب قول النبي من آذيته فاجعله له زكاة رحمة من كتاب الدعوات.
٢. صحيح مسلم:٨/ ٢٥، باب من لعنه النبي أو سبّه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك.
٣. صحيح مسلم:٨/ ٢٥، باب من لعنه النبي أو سبّه أو دعا عليه.

محمد بشر يغضب» فتعرّف النبي ﷺ بأنّه إنسان عادي ربما يغضب بلا مبرّر ويلعن ويسب كذلك، وعندئذ تكون الرواية مردودة لوجوه:

١. لو صحّ الفرض يكون النبي عندئذٍ عاصياً في فعله غير معصوم من الذنب في هذه الحالة، ومرتكباً (العياذ بالله) للقبيح وخارجاً عن طاعة الله سبحانه، فهل يجوز لمسلم أن ينسب إليه تلك الفرية الشائنة؟

كيف وهو أفضل الخليقة وأشرف أنبياء الله ورسله الذين وصفهم الله سبحانه بقوله: ﴿**غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضّالّين**﴾ ،﴿**فَأُولئِكَ مَعَ الَّذينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقينَ وَالشُّهَداءِ والصّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً**﴾ (النساء/ ٦٩).

٢. كيف تصف الرواية النبي ﷺ بأنّه بشر يغضب كما يغضب البشر مع أنّ المروي عن طريق عبد الله بن عمرو خلافه.

روى عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أُريد حفظه فنهتني قريش وقالوا:

أتكتب كلّ شيء تسمعه، ورسول الله يتكلم في الرضا والغضب، فأمسكت عن الكتابة، وذكرت ذلك لرسول الله، فأومأ باصبعه إلىٰ فيه، وقال: اكتب فوالذي نفسي بيده لا يخرج عنه إلاّ حقّ.

وفي رواية أُخرىٰ: قلت: يا رسول الله أكتب كلّ ما أسمع منك؟ قال: نعم. قلت: في الرضا والغضب؟ قال: نعم، فإنّي لا أقول في ذلك كلّه إلاّ حقّاً.[1]

٣. كيف يسبّ النبي ﷺ أو يلعن أو يجلد أو يؤذي، وقد قال سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً**

---

١. مختصر جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، باب الرخصة من كتاب العلم، ص ٣٦.

وَإِثْماً مُبِيناً﴾ (الأحزاب/ ٥٨).

كيف يمكن وصف النبي ﷺ بما جاء في هذه الرواية من أنّه ربما يشتم ويسبّ وهو القائل: «سباب المؤمن فسوق». [١]

والروايات في ذم السب و اللعن بغير مبرر كثيرة.

ولعلّ السبب من وضع هذا الحديث هو التقرب إلى آل أبي عاص و سائر بني أُمية حتى يتدارك بذلك ما ثبت عن النبي ﷺ من لعنهم وسبّهم كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً﴾ (الاسراء/ ٦٠).

والشجرة الملعونة هي الأُسرة الأموية أخبره الله تعالى بتقلبهم على الحكم وقتلهم ذريته، وعيثهم في أُمته، فما رؤي النبي ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتىٰ توفي كما رواه الحاكم في مستدركه. [٢]

فعند ذلك صار بنو أمية وبنو العاص كلّهم ملعونين إلاّ من ثبت إيمانه وقد أخرج الحاكم انّ الحكم بن أبي العاص استأذن عليه مرّة فعرف ﷺ صوته وكلامه، وقال: ائذنوا له، عليه لعنة الله وعلىٰ من يخرج من صلبه إلاّ المؤمن منهم. [٣]

وقال ﷺ: إذا بلغ بنو أُمية أربعين، اتخذوا عباد الله خولاً، و مال الله نحلاً، وكتاب الله دغلاً. [٤]

وكان لا يولد لأحد مولود إلاّ أُوتي به النبي ﷺ، فدعا له، فأُدخل عليه مروان بن الحكم فقال: هو الوزغ ابن الوزغ، الملعون ابن الملعون. [٥]

---

١. صحيح مسلم: ١/ ٥٨، باب قول النبي :سباب المسلم فسوق.

٢. المستدرك: ٤/ ٤٨٠، كتاب الفتن والملاحم.

٣. الحاكم، المستدرك: ٤/ ٤٨١، كتاب الفتن والملاحم.

٤. الحاكم، المستدرك: ٤/ ٤٧٩، كتاب الفتن والملاحم.

٥. الحاكم، المستدرك: ٤/ ٤٧٩، كتاب الفتن والملاحم.

إلى غير ذلك من الـروايات الصادرة في العهد النبـوي عنهﷺ حيث يلعن فيها النبي طائفة ، فأراد أبو هريرة بوضع هذا الحديث التقرب إليهم.

٢٠. التلاعب بحديث بدء الدعوة

أخرج البخاري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمان، انّ أبا هريرة قال:

قام رسـول الله ﷺ حين أنـزل الله عـزّ وجلّ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء/ ٢١٤) ، قـال: يا معشر قريش ــ أو كلمة نحوهـا ـ اشتروا أنفسكم لا أُغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد منـاف لا أُغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، ويـا عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويـا فاطمـة بنت محمد سليني مـا شئت من مال لا أغنـي عنك من الله شيئاً. (١)

نلفت نظر القارئ الكريم إلى أُمور:

الأوّل: انّ الآية نزلت في السّنة الثالثة من البعثة في مكة المكرمة أي قبل ١٧ عاماً من إسلام أبي هريرة.

فكيف هـو يقـول: قـام رسـول الله ﷺ حين أنـزل الله عـزّ وجـلّ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وهل هـذا إلاّ تـدليس حيث يشهـد على الرؤيـة والسماع ولم يكن واحد منهما ؟ ولذلك قالوا: إنّ أبا هريرة كان يدلس.

الثاني: الظـاهـر ممّـا رواه الطبري وغيره انّ المدعويـن كـانـوا رجـال البيت الهاشمي ولم يشارك فيها أحد من النساء، فقد بلغ عدد القوم إلى ٤٥ رجلاً، فكيف يخاطب النبي عمته صفية وبنته فاطمة عليها السلام ؟!

الثالث: انّ المشهور انّ فاطمة عليها السلام قد ولدت في العام الخامس من البعثة وقد

---

١ . صحيح البخاري: ٤/ ٦و٧ باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب من كتاب الوصايا.

كان بدء الدعوة في العام الثالث في مكة المكرمة فكيف يخاطب اِبنته التي لم تولد. ولو افترضنا أنّها ولـدت قبل ذلك العام فلم تكن في بدء الـدعوة على مبلغ النساء الكبار حتـى تخاطب بما جاء في الـرواية،وقد تـزوجت بعليّ عليه السلام في العام الثـاني للهجرة أي بعـد اثنتي عشرة سنة من قصة بـدء الدعوة، فكيف تكـون آنذاك على مبلغ النساء الكبار صالحة له لتلقي الخطاب الوارد فيه؟!

الرابع: انّ الخطاب المناسب لبـدء الدعوة هو الدعوة إلىٰ تـوحيده سبحانه ورسالتـه وإلى الاعتقاد بيـوم المعاد ليـدخلهم في حضيرة الإيمان، والقـوم بعدُ غير مؤمنين بتوحيده وجزائه، فكيف يخاطب واحـداً بعد واحد بأنّي لا أغني عنكم من الله شيئاً؟ فإنّ هذا الخطاب يناسب دعوة المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسله.

الخامس: انّ أبا هريرة تصرف بالرواية فلم يذكر ما هو الواقع المهمّ في تلك الحادثة، وقد نقل المحدّثـون والمؤرخون ما خطبه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحشد العظيم الذي كان يشكِّل معظم رجال بني هاشم، فقـال: مخاطباً إياهـم بقوله: «إنّ الرائد لا يكذب أهلـه، والله الذي لا إله إلاّ هـو انّي رسول الله إليكم خاصـة وإلى الناس عامـة، والله لتموتُنَّ كما تنامـون، و لتبعثُنَّ كما تستيقظون، ولتحـاسبُنَّ بما تعملون، وانّها الجنَّة أبداً والنار أبداً».

ثمّ قال:

«يا بني عبـد المطلب انّي والله ما أعلم شابـاً في العرب جاء قومـه بأفضل مما جئتكم به، انّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخـرة، وقد أمرني الله عزّوجلّ أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤمن بي ويؤازرني علىٰ هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟

ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم إلىٰ هذه ـ أمسك القوم وسكتـوا عن آخرهم إذ كان واحد منهم يفكِّر في مـا يؤول إليه هـذا الأمر العظيم، ومـا يكتنفه من أخطار ـــ قام علي

ﷺ فجأة وهو آنذاك في الثالثة أو الخامسة عشرة من عمره، وقال وهو يكسر بكلماته الشجاعة جدار الصمت والذهول:

أنا يا رسول الله أكون وزيرك على ما بعثك الله.

فقال له رسول الله ﷺ: اجلس، ثمّ كرّر دعوته ثانية وثالثة، وفي كلّ مرّة يحجم القوم عن تلبية مطلبه، ويقوم علي و يُعلن عن استعداده لمؤازرة النبي، ويأمره رسول الله بالجلوس، حتى إذا كان في المرة الثالثة أخذ رسول الله بيده والتفت إلى الحاضرين من عشيرته الأقربين وقال: «إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم (أو عليكم) فاسمعوا له، وأطيعوا».

فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع وجعله عليك أميراً. [١]

ترى أنّ أبا هريرة أسقط ما هو المهم في تلك الواقعة من إضافة الوصاية والوزارة لعلي في بدء الدعوة، وقد أعرب النبي ﷺ بأنّ الإمامة والنبوة توأمان لا يتخلفان بمعنى أنّ لكل نبي خليفة.

٢١. إيقاع الفعل في وقت لا يسعه

أخرج البخاري عن همام، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:

خُفِّفَ على داود القراءة، فكان يأمر بدابته لتُسرج، فكان يقرأ قبل أن يفرغ يعني القرآن. [٢]

وفي الحديث إشكالان واضحان:

---

١. تاريخ الطبري: ٢/ ٦٢ و٦٣؛ تاريخ الكامل: ٢/ ٤٠ و٤١؛ مسند أحمد: ١/ ١١١ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٣/ ٢١٠ و٢١١؛ وغيرها من المصادر المتوفرة.

٢. صحيح البخاري: ٦/ ٨٥، باب تفسير سورة الإسراء من كتاب التفسير.

الأوّل: إنّما نزل الزبـور على داود والقرآن علىٰ محمّد ﷺ قال سبحانه: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾ (الإسراء/ ٥٥) وقال سبحانه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرآن لأُنْـذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغ﴾ (الأنعام/ ١٩).

فكيف يقرأ داود ما لم ينزل عليه؟ اللّهـم إلاّ إذا أُريد من القرآن زبوره، لكنّه علىٰ خلاف الظاهر.

والثاني: كيف يمكن قـراءة القرآن أو الزبور في وقت لا يسعـه؟ فانّ إمكان إيقاع الفعل في زمان يسعه شرط عقلي لا منـاص عنه، فكما يمتنع وضع الدنيا في البيضة، فهكـذا يمتنع قراءة ما يستغـرق زمناً طويـلاً في مدة قصيرة مهما عجّل في القراءة.

٢٢. أُمّة مُسخت فأراً

أخرج مسلم في صحيحه، عن محمد بن سيريـن، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:

فُقدت أُمّة من بني إسرائيل لا يُـدرى ما فعلت ولا أراها إلاّ الفأر ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشربه، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربته.

قال أبو هريـرة فحدثت هذا الحديث كعباً، فقال: أنـت سمعته من رسول الله ﷺ ؟

قلت: نعم، قال: ذلك مراراً.

قلتُ: أ فأقرأ التوراة، قال إسحاق في روايته لا ندري ما فعلتْ. [1]

---

١. صحيح مسلم: ٨/ ٢٢٦، باب في الفار و انّه مسخ؛ وأخرجه أيضاً البخاري في ٤/ ١٢٨، في باب، خير مـال المسلم غنم يتبع بها شعـف الجبال من كتـاب بدء الخلـق والاستفهام في قـوله: أفأقـرأ التوراة، استفهام انكار أي لا علم عندي إلاّما سمعت من النبي ﷺ.

أقول: إنّ نبي العظمة لا يتكلم إلاّ عن وحي فما جاء في الرواية من الاستدلال يخالف ذلك الأصل بالكلية، وذلك لأنّ حصيلة الاستدلال هو انّ تلك الأُمّة المفقودة مُسخت فأراً بشهادة اشتراك الفأر مع الإنسان في خصيصة، وهي إذا وضع بين يدي الفأر لبن الشاة فتشربه وإذا وضع بين يديها لبن الإبل فلا تشربه.

وهذا النوع من الاستدلال لا يركن إليه إلاّ الإنسان المغفّل.

أوّلاً: انّ لازم ذلك انّه لم يكن للفأر أي وجود قبل مسخ هذه الأُمّة وإنّما خلقه سبحانه حينما مسخت تلك الأُمّة، ولو قيل بوجودها قبله لبطل الاستدلال من رأس.

وثانياً: انّه لا مانع من أن يكون بين الإنسان وبعض أصناف الحيوان وجه اشتراك في بعض الأُمور، فلا يدل ذلك على اشتقاق أحدهما من الآخر.

ولعمري انّ الجبين يندىٰ من هذه الخرافة التي تسرّبت إلى كتب الحديث .

٢٣. أبو طالب أبى النطق بالشهادتين عند الموت

أخرج مسلم عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم الأشجعي، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ لعمه:

قل لا إله إلاّ الله أشهد لك بها يوم القيامة، قال: لولا أن تُعيِّرني قريش، يقولون: إنّما حمله علىٰ ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأنزل الله: ﴿ **إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشاء** ﴾ (القصص/ ٥٦).

وأخرج أيضاً عن يزيد بن كيسان، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ لعمِّه عند الموت:

قل لا إله إلاّ الله أشهد لك بها يوم القيامة، فأبىٰ فأنزل الله: ﴿إنّك لا تهدي مَنْ أَحْبَبْت﴾ . [١]

أقول: إنّ ذلك الحديث ممّا تكذّبه القرائن الكثيرة الدالة على إسلام أبي طالب ويمكن أن نلخصها في ثلاثة طرق:

١. دراسة ما خلّف من الآثار العلمية و الأدبية.

٢. الأُسلوب العملي الذي نهجه في المجتمع.

٣. آراء أقربائه وأصحابه.

ونحن نستطيع إثبات إيمان أبي طالب من خلال هذه الطرق.

فإنّ الأشعار [٢] والخطب التي خلّفها أبو طالب تدل بجلاء لا لبس فيه على إيمانه و إخلاصه.

كما انّ سيرته العملية وسلوكه المتميز في السنين العشر الأخيرة من عمره خير شاهد علىٰ إيمانه العميق وصلته الوثيقة بالله سبحانه.

وكم له من المواقف الجليلة مع رسول الله ﷺ ؟

فانّ إيمانه بابن أخيه محمد ﷺ كان عميقاً إلى درجة انّه أخذه إلى المصلّى واستسقى به، مُقسماً به على الله تعالى أن يكشف العذاب عن قومه، ويرسل رحمته عليهم فاستجاب الله دعاءه وأنزل عليهم غيثاً وافراً ممرعاً، بقيت قصته في ذاكرة التاريخ.

وأيضاً كان إيمان أبي طالب برسول الله ﷺ راسخاً بمكان انّه جازف بحياة أبنائه للحيلولة دون تعرض رسول الله ﷺ لخطر القتل والاغتيال ولئلا يمسّه

---

١. صحيح مسلم:١/ ٤١، باب أوّل الإيمان قوله لا إله إلاّ الله من كتاب الإيمان.

٢. انظر ديوان أبي طالب : ٣٢.

أعـداءه بسوء، فكـان يضجع ولـده عليـاً في فراشـه كي لا يصيـب النبي ﷺ أيُّ مكروه.

ورغم ذلك كلّه، فقدأوصى أولاده حين وفاته قائلاً:

«أُوصيكـم بمحمـد خيراً فإنّـه الأمين في قـريش، وهـو الجامـع لكلّ مـن أُوصيكم بـه، وقد جاء بأمـر قبله الجنان وأنكـره اللسان، مخافة الشنئـان، وأيم الله لكـأني أنظـر إلى صعـاليك العــرب، وأهل البرّ في الأطـراف، والمستضعفين مـن الناس، قـد أجابـوا دعوته، وصـدّقوا كلمته، وعظّمـوا أمره، فخـاض بهم غمرات الموت، فصارت قريش وصناديدها أذنابـاً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه، أحوجُهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهـم عنده». [1]

وأخيراً فيجدر بنـا أن نسأل أقـاربه المقـربين حول إيمانـه، لأنّ أهل البيت أدرىٰ بما في البيت.

لما مات أبو طـالب جاء علي عليه السلام إلى رسـول الله ﷺ فآذنه بموته، فتوجع توجعـاً عظيماً وحزن حزناً شـديداً، ثمّ قـال له امض فتولّ غسلـه، فإذا رفعته علىٰ سريره فاعلمني، ففعل فـاعترضه رسول الله ﷺ وهو محمول على رؤوس الـرجال، قال: «وصلتْك رحـم يا عم، وجزيت خيراً! فلقـد ربّيت وكفّلت صغيراً، ونصرت وآزرت كبيراً».

ثمّ تبعه إلىٰ حفرته، فوقف عليه مخاطباً إياه، قائلاً:

«أما والله لاستغفرنَّ لك، ولأشفعنَّ فيك شفاعة يعجب لها الثقلان». [2]

وفي الختام انظر إلى صـلافة الرجل كيف يحكي القصة، فكأنّـه كان حاضراً في المجلس، فعرض النبي الشهادة علىٰ عمه فأبىٰ، مع أنّ أبا طالب التحق بالرفيق

---

١. السيرة الحلبية: ١/ ٣٥١ـ ٣٥٢.

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤/ ٧٦.

الأعلى سنة ١٠ للبعثة قبل الهجرة بثلاث سنين، في حين أسلـم أبو هريرة في العام السابع من الهجرة، وبذلك يتحقق ما ذكرناه من أنّ أبا هريرة كان يدلس.

ولا شكّ انّ ما رواه من الموضـوعات لصالح الجهـاز الأموي الحاكم للحطّ من شأن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام برمي أبيه بالكفر حين وفاته.

٢٤. أبو هريرة ينسب ما سمعه عن الفضل إلى النبي ﷺ

أخرج مسلم في صحيحه، عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمان، عن أبي بكر، قال: سمعت أبا هريرة يقصّ يقول في قصصه: من أدركه الفجر جنباً فلا يصم.

فذكـرت ذلك لعبد الـرحمان بن الحارث(لأبيه) فأنكـر ذلك، فانطلـق عبد الـرحمان وانطلقت معـه حتـى دخلنا على عـائشـة وأُمّ سلمـة ــ رضي الله عنهما ـ فسألهما عبد الرحمان عن ذلك، قـال: فكلتاهما قالت: كان النبي ﷺ يصبح جنباً من غير حلم [١]ثمّ يصوم.

قال: فـانطلقنا حتى دخلنا على مـروان فذكر ذلـك له عبد الـرحمان، فقال مروان: عزمت عليك إلاّ ما ذهبت إلى أبي هريرة فرددت عليه ما يقول. [٢]

قـال: فجئنا أبـا هريـرة وأبو بكـر حاضر ذلـك كلّه، قـال: فذكـر له عبـد الرحمان.

فقال أبو هريرة: أهما قالتاه لك، قال: نعم، قال: هما أعلم ثمَّ ردّ أبو هريرة ما كان يقـول في ذلك إلى الفضل بن العباس، فقال أبو هـريرة: سمعت ذلك من

١. أي مدركاً الفجر متيمماً وطاهراً بالطهارة الترابية.

٢. يريـد بذلك الإشفـاق على أبي هريرة حتى لا يتسـع خطأه حيث ألزمهما بـالذهاب إلى أبي هـريرة وإعلامهما ما ذكرا حتى يتدارك الرجل خطأه.

الفضل، ولم أسمعه من النبي ﷺ.

قال: فرجع أبو هريرة عمّا كان يقول في ذلك، قلت لعبد الملك: أقالتا في رمضان، قال: كذلك كان يصبح جنباً من غير حلم ثمّ يصوم. (١)

وعلى هذا لا يبقىٰ أي اعتماد بأحاديثه إذ ينسب ما سمعه من كعب إلى الرسول ﷺ وما سمعه من الفضل إليه أيضاً، فبهذه التدليسات الواضحة يخرج عن كونه ثقة في الحديث، أُسوة في الرواية.

٢٥. إبراهيم يخاصم ربّه

أخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

يلقى إبراهيم أباه فيقول: يا رب انّك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فيقول الله: إنّي حرّمت الجنة على الكافرين. (٢)

وفي الحديث تساؤلات وتأملات يجعلها في عداد الموضوعات:

الأوّل: يتضمن الحديث انّ إبراهيم كان يتصور بأنّ عذاب أبيه يوم القيامة يعود عليه بالخزي، وذلك مما لا يتخيّله مسلم واع فكيف بإبراهيم خليل الرحمن، لأنّه سبحانه أعلن منذ بدء الخليقة انّه خلق الجنة للمؤمنين والنار للكافرين.

الثاني: انّه سبحانه : يحكي انّ إبراهيم تبرّأ من أبيه بعد ما تبين انّه عدو لله قال سبحانه: **﴿ما كانَ للنّبي والّذينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكينَ وَلَو كانُوا أُولي قُربىٰ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصحابُ الجَحيم* وَ ما كان اسْتِغْفارُ إِبْراهيمَ لأَبيهِ إِلاّ عَنْ مَوعِدَةٍ وَعَدَها إِيّاهُ فَلَمّا تَبيّنَ لَهُ أَنّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبراهيمَ لأَوّاهٌ حَليم﴾** (التوبة/ ١١٣ ـ ١١٤).

---

١. صحيح مسلم:٣/ ١٣٧، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب من كتاب الصوم.

٢. صحيح البخاري:٦/ ١١١، باب تفسير سورة الشعراء من كتاب التفسير.

وسياق الآية يكشف عن أنّ التبري كان في الحيـاة الدنيا، ومع ذلك فكيف يطلب له النجاة يوم القيامة ويشتكي إلى الله تبارك وتعالى؟!

وللعسقلاني كلام نذكره بنصه: اختلفوا في الوقت الذي تبرأ فيه إبراهيم من أبيه فقيل: كان ذلك في الحياة الدنيا لما مات آزر مشركاً، وهذا أخرجه الطبري من طريق حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس و اسناده صحيح، وفي روايـة: «فلما مات لم يستغفـر لـه»، و من طـريق علي بـن أبي طلحة عـن ابن عباس نحـوه، قال: «استغفر له مـا كان حياً فلما مات أمسـك» و أورده أيضاً من طريق مجاهد وقتـادة و عمرو بن دينار نحو ذلك، وقيل إنّما تبرأ منه يـوم القيامة لما يئس منه حين مسخ على ما صرح به في رواية ابن المنذر التي أشرت إليها. (١)

وضعف الوجـه الثاني واضح، لأنّه علىٰ خـلاف سياق الآية، والآيـة بصدد تعليم أصحاب الـرسول من أنّـه ليس لهم الاستغفار للمشركين اقتداء بـإبراهيم حيث إنّه بعد ما تبيّن انّ أباه عدو لله تبرأ منه ولم يستغفر إلى آخر حياته فيجب أن يقتدوا به، فجعل ظرف التبري يوم القيامة مخالف لسياق الآية.

قال الرازي في تفسيره في وصف إبراهيم عليه السلام بالأواه والحليم ما لفظه:

اعلم انّه تعالى إنّما وصفـه بهذين الوصفين في هذا المقام، لأنّـه تعالى وصفه بشدة الرقـة والشفقة والخوف والوجل، ومن كـان كذلك فانّه تعظـم رقته علىٰ أبيه وأولاده، فبيّن تعالى انّـه مع هذه العـادة، تبرّأ من أبيه وغلظ قلبـه عليه لما ظهـر له إصراره على الكفر فـأنتم بهذا المعنى، أولىٰ ولـذلك وصفه أيضـاً بأنّـه حليم، لأنّ أحد أسباب الحلم رقة القلب وشدة العطـف لأنّ المرء إذا كان حاله هكذا، اشتد حلمه عند الغضب. (٢)

---

١. فتح الباري: ٨/ ٥٠٠ـ ٥٠١.

٢. مفاتيح الغيب: ١٦/ ٢١١، في تفسير الآية ١١٤ من سورة التوبة.

وربما يقال انّ الله إذا أدخل أباه النار فقد أخزاه لقوله سبحانه: ﴿رَبَّنا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَما لِلظّالِمينَ مِنْ أَنْصار﴾ (آل عمران/ ١٩٢).

وخزي الوالد خزي الولد فيلزم الخلف في الوعد.[١]

وما ذكره أخيراً توهم باطل، لأنّه سبحانه قطع الصلة بين الكافر و المسلم قال سبحانه: ﴿وَنادىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمينَ* قالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِح﴾ (هود/ ٤٥ـ٤٦). فلا يعود خزي الوالد إلى الولد، بعد انقطاع الصلة، كما لا يعود خزي أبي لهب إلى النبي الأعظم ﷺ.

٢٦. دخول امرأة في النار بسبب هرّة

أخرج البخاري في صحيحه، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:

دخلت امرأة النار في هرّة ربطتها فلم تُطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض.[٢]

وأخرج مسلم أيضاً في صحيحه، عن هشام، عن أبيه، عن أبي هريرة، انّ رسول الله ﷺ قال:

عُذِّبت امرأة في هرة لم تُطعمها ولم تُسقها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض.[٣]

---

١. فتح الباري: ٨/ ٥٠١، نقلاً عن الكرماني في شرحه على صحيح البخاري.

٢. صحيح البخاري: ٤/ ١٣٠، باب خمس من الدواب فواسق يقتلنّ في الحرم من كتاب بدء الخلق.

٣. صحيح مسلم: ٧/ ٤٤، باب تحريم قتل الهرة من كتاب قتل الحيات وغيرها.

أقول: إنّ قوله: في هرّة بمعنى بسبب هرة.

وقد استشهد الأُدباء بهذا الحديث على أنّ «في» تأتي بمعنى «اللام» وعلى هذا فيجب أن تكون المرأة مسلمة مؤمنة حتى يكون الحبس هو السبب الوحيد لدخولها في النار ولا يصحّ حملها على الكافرة، لأنّها تدخل النار سواء حبست أم لا، وعلى ذلك فكيف يُدخل سبحانه عبداً مؤمناً النار بسبب قتل هرّة؟

أخرج أحمد في مسنده، عن الشعبي، عن علقمة، قال: كنّا عند عائشة فدخل أبو هريرة فقالت: أنت الذي تحدث انّ امرأة عذبت في هرّة لها ربطتها فلم تطعمها ولم تسقها ؟ فقال: سمعته منه، يعني النبي ﷺ.

قال عبد الله بن أحمد: كذا قال أبي.

فقالت: هل تدري ما كانت المرأة؟ انّ المرأة مع ما فعلت كانت كافرة، و انّ المؤمن أكرم على الله عزّ وجلّ من أن يعذبه في هرّة، فإذا حدثتَ عن رسول الله ﷺ فانظر كيف تحدّث. [1]

وكلام السيدة عائشة لا يخلو عن نقاش، فانّ ظاهر الحديث انّ سبب الدخول هو الحبس لا الكفر، فلو كانت كافرة فهي تدخل النار علىٰ كل حال سواء حبست الهرة أم لم تحبسها، فالحديث رواية مصطنعة اختلقتها يد الدّس لا سيما انّ أبا هريرة كان له شغف كبير بالهرة حيث كان يلعب بها، فلما وقف انّ امرأة قامت بهذا العمل عزَّ عليه قتل الهرة فصنع ذلك الحديث.

٢٧. في جناحي الذبابة داء وشفاء

أخرج البخاري في صحيحه عن عبيد بن حنين، قال: سمعت أبا هريرة ،

---

١. مسند أحمد:٢/ ٥١٩.

يقول: قال النبي ﷺ: إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثمّ لينزعه، فانّ في إحدىٰ جناحيه داءً والأُخرىٰ شفاءً. (١)

ومعنى الحديث: فليغمسه كلّه حتى يغسل كلا الجناحين بالماء ويقابل الداء بالدواء، وقوله: ثمّ لينزعه إشارة إلى انّ الماء سيشرب و المرق يؤكل بعد طرحها.

وعلى ذلك فأحد جناحي الذباب داء وفي الجناح الآخر دواء فيزول ذلك الداء بفضل الدواء عند غمس كلا جناحيه.

هذا هو المفهوم من الرواية.

والاعتقاد بصحّة الحديث مشكل جدّاً وقد كشف العلم من أنّ الذباب يحمل في جناحيه الجراثيم المهلكة والمضرة، ولم أر أحداً من العقلاء، يتفوّه بهذه المقالة.

مضافاً إلى أنّ الذباب قذر تتنفر القلوب من رؤيته، فكيف يأمر النبي ﷺ بغمسه إذا سقط في الماء الذي فيه طعام أو شراب، ثمّ أكل أو شرب ما في ذلك الإناء؟!

هذه إلمامة عابرة بروايات أبي هريرة التي تركت مضاعفات خطيرة على الحديث النبوي.

ومن تفحص ما رواه في الجنة والنار و ما يقصه من بني إسرائيل لوقف على أنّ أبا هريرة كان قصّاصاً ذا خيال واسع يخلق أساطير في أبواب مختلفة ويسوقها في قالب الحديث، فمن أراد التفصيل فليدرس رواياته في الصحيحين.

---

١. صحيح البخاري: ٤/ ١٣٠، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، فإنّ في إحدىٰ جناحيه داء وفي الأُخرى شفاء من كتاب بدء الخلق.

٢٠

عقبة بن عامر الجُهَني

(... ـ ٥٨هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. النبي يلعن المحلِّل والمحلَّل له

٢. النبي يلبس الحرير

٣. كلّ ميت يختم علىٰ عمله إلاّ المرابط

٤. أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص

٥. حقّ الضيافة يؤخذ عنوة

عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الجهني، يكنىٰ أبا حماد، روىٰ عنه أبو عشّانة، انّه قال: قدم رسول الله ﷺ وأنا في غنم لي أرعاها فتركتها ثمّ ذهبت إليه، فقلت: تبايعني يا رسول الله، قال: فمن أنت، فأخبرته، فقال: أيّما أحبّ إليك، تبايعني بيعة أعرابية، أو بيعة هجرة؟

قلت: بيعة هجرة، فبايعني.

وكان من أصحاب معاوية بن أبي سفيان، وولي مصر وسكنها، وتوفي بها سنة ٥٨هـ وروىٰ عنه من الصحابة: ابن عباس، وأبو أيّوب، وأبو امامة وغيرهم.

ومن التابعين: أبو الخير، وعلي بن رباح، وأبو قبيل، وسعيد بن المسيب وغيرهم، وشهد صفين مع معاوية، وشهد فتوح الشام، وكان هو البريد إلىٰ عمر بفتح دمشق، وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن.

قال الذهبي: له في مسند بَقِيّ خمسة وخمسون حديثاً [١] ولكن جمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ١١٢ حديثاً [٢].

نذكر من روائع رواياته التي يدل سمو معانيها علىٰ صحّة مضمونها شيئاً ثم نعرج إلى أحاديثه السقيمة.

روائع أحاديثه:

١. أخرج أحمد في مسنده، عن أبي عُشّانة، انّه سمع عقبة بن عامر، يقول: لا أقول اليوم علىٰ رسول الله ﷺ مالم يقل. سمعت رسول الله ﷺ يقول:

من كذب قال ما لم أقل فليتبوّأ بيتاً من جهنَّم. [٣]

٢. أخرج مسلم في صحيحه، عن مرثد بن عبد الله اليزني، عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ إنّ أحقّ الشّرط أن يوفىٰ به ما استحللتم به الفروج. [٤]

٣. أخرج أحمد في مسنده، عن الحسن، عن عقبة بن عامر انّ نبي الله ﷺ قال: إذا أنكح وليان فهو للأوّل منهما، وإذا باع من رجلين فهو للأوّل منهما. [٥]

٤. أخرج أحمد في مسنده، عن قيس الجذاميّ، عن عقبة بن عامر الجهنيّ،

---

١. طبقات ابن سعد: ٤/ ٣٤٣؛ أُسد الغابة: ٣/ ٤١٧؛ سير أعلام النبلاء: ٢/ ٤٦٧ برقم ٩٠.

٢. المسند الجامع: ١٥/ ٨٣.

٣. مسند أحمد: ٤/ ١٥٩.

٤. صحيح مسلم: ٤/ ١٤٠، باب الوفاء بالشروط في النكاح.

٥. مسند أحمد: ٤/ ١٤٩.

انّ رسول الله ﷺ قال: من أعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من النّار. (١)

٥. أخرج مسلم في صحيحه، عن عبد الرحمان بن شماسة انّه سمع عقبة بن عامر على المنبر، يقول: إنّ رسول الله ﷺ قال: المؤمن أخو المؤمن، فلا يحلّ للمؤمن أن يبتاع علىٰ بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه حتّى يذر. (٢)

٦. أخرج ابن ماجة، عن عبد الرحمان بن شماسة، عن عقبة بن عامر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: المسلم أخو المسلم، ولا يحلّ لمسلم باع من أخيه بيعاً فيه عيب، إلاّ بيّنه له. (٣)

٧. أخرج ابن ماجة، عن أبي سعيد الرعينيّ أنّ عبد الله بن مالك اليحصبي أنّ عقبة بن عامر أخبره: انّ أُخته نذرت أن تمشي حافية، غير مختمرة، وأنّه ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: مُرها فلتركب ولتختمر ولتصم ثلاثة أيّام. (٤)

٨. أخرج النسائي، عن ابن مجيرة، عن عقبة بن عامر: انّ رسول الله ﷺ قال: خمس من قبض في شيء منهنّ فهو شهيد: المقتول في سبيل الله شهيد، والغرق في سبيل الله شهيد، و المبطون في سبيل الله شهيد، و المطعون في سبيل الله شهيد، والنفساء في سبيل الله شهيد. (٥)

٩. أخرج أحمد في مسنده، عن فروة بن مجاهد اللخني، عن عقبة بن عامر، قال: لقيت رسول الله ﷺ فقال: لي: يا عقبة بن عامر، صل من قطعك، واعط من حَرَمك، واعفو عمن ظلمك. (٦)

---

١. مسند أحمد: ٤/ ١٤٧.
٢. صحيح مسلم: ٤/ ١٣٩، باب تحريم الخطبة علىٰ خطبة أخيه.
٣. سنن ابن ماجة: ٢/ ٧٥٥ برقم ٢٢٤٦.
٤. سنن ابن ماجة: ١/ ٦٨٩ برقم ٢١٣٤.
٥. سنن النسائي: ٦/ ٣٧.
٦. مسند أحمد: ٤/ ١٥٨.

١٠. أخرج مسلم في صحيحه عن مرثد، عن عقبة بن عامر، قام ﷺ علىٰ قتلىٰ أُحد، ثمّ صعد المنبر كالمودّع للأحياء والأموات، فقال: إنّي فرطكم على الحوض وانّ عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة، إنّي لست أخشىٰ عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخشىٰ عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم، قال عقبة: فكانت آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر. [١]

هذا شيء من روائع رواياته، وإليك نزراً من رواياته السقيمة التي تعزىٰ إليه ولا تمتلك الضوابط التي أومأنا إليها في صدر الكتاب، وإليك بيانها.

١. النبي يلعن المحلِّل والمحلّل له

أخرج ابن ماجة في سننه عن أبي مصعب مشرح بن هاعان، قال: قال عقبة بن عامر: قال رسول الله ﷺ: ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله، قال: هو المحلِّل، لعن الله المحلِّل والمحلَّل له. [٢]

وروىٰ عكرمة، عن ابن عباس: قال: لعن رسول الله المحلل والمحلل له.

أقول: ورد النصّ في القرآن الكريم على أنّ من طلّق زوجته ثلاثاً لا تحل له حتىٰ تنكح زوجاً غيره، قال سبحانه: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتّىٰ تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ﴾ (البقرة/ ٢٣٠).

وعلى ضوء ذلك فمن تزوج مطلقة ثلاثاً لم يرتكب أمراً محرّماً ولا مكروهاً، غاية الأمر لو طلّقها يجوز للزوج المطلّق نكاحها من بعد طلاق المحلِّل وإلاّ فتبقى الزوجة في حبالته.

١. صحيح مسلم: ٧/ ٦٨.

٢. سنن ابن ماجة: ١/ ٦٢٢ برقم ١٩٣٦.

وإذاً فما هو المبرّر للعن المحلّل؟! وأوضح منه لعن المحلَّل له، فانّ اللعن رهن ارتكاب أمر محرم أو مبغوض من قبل الشارع.

نعم لو شرطت الزوجة طلاقها في العقد الثاني بعد المسّ فالنكاح باطل إذا قلنا بأنّ الشرط الفاسد مفسد، أو الشرط باطل والنكاح صحيح، فلا يحلّ للزوج الثاني إلاّ إذا ذاق الزوج الثاني عُسيلتها، وذاقت الزوجة عُسيلته فلو طلق عن رضا واختيار فتحل للزوج الأوّل فما هو وجه اللّعن؟

وتعليل اللعن بارتكاب فعل مكروه ممنوع موضوعاً وحكماً.

٢. النبي يلبس الحرير

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي الخير، عن عقبة بن عامر، انّه قال: أهدي لرسول الله ﷺ فرّوج [١] حرير فلبسه، ثمّ صلى فيه، ثمّ انصرف فنزعه نزعاً شديداً كالكاره له، ثمّ قال: لا ينبغي هذا للمتقين. [٢]

إنّ لبسه ﷺ الفرّوج، إمّا كان قبل تحريم الحرير على الرجال أو بعده، فالثاني لا يصحّ أن ينسب إلى النبيّ ﷺ لأنّه ينافي عصمته ﷺ.

وأمّا الأوّل فلبسه وصلاته كانت جائزة وعندئذ فما هو وجه التعبير عن ذلك العمل الحلال بقوله: «ثمّ انصرف فنزعه نزعاً شديداً كالكاره له، ثمّ قال: لا ينبغي هذا للمتقين»؟! فانّه لا يناسب مكانة العمل الحلال، ويحتمل أن يكون ذيل الحديث من تصورات الراوي.

ويؤيده ما رواه مسلم، عن جابر بن عبد الله، انّ النبي ﷺ لبس يوماً قباءً من ديباج أُهدي له ثمّ أوشك أنْ نزعه، فأرسل به إلى عمر بن الخطاب، فقيل له:

---

١. الفروج هو قباء له شق من خلفه.

٢. صحيح مسلم: ٦/ ١٤٣، باب إباحة لبس الحرير للرجل إذ كان به حكة أو نحوها.

قد أوشك ما نزعته يا رسول الله؟ فقال: نهاني عنه جبرئيل، فجاءه عمر يبكي، فقال: يا رسول الله كرهت أمراً واعطيتنيه فمالي؟ قال: إنيّ لم أعطكه لتلبسه انّما أعطيتكه تبيعه، فباعه بألفي درهم. (١)

والظاهر وحدة الواقعة ولكن ليس في الحديث الثاني ما في الحديث الأوّل من أنّ النبي ﷺ نزعه نزعاً شديداً كالكاره له.

٣. كلّ ميت يختم على عمله إلاّ المرابط

أخرج الدارمي عن مشرح، قال: سمعت عقبة بن عامر، يقول: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: كلّ ميت يختم على عمله إلاّ المرابط في سبيل الله فانّه يجزىٰ له عمله حتى يبعث. (٢)

الحديث ظاهر في الحصر، و لكنّه يخالف ما نقل عنه ﷺ من أنّه إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث.

أخرج ابن ماجة، عن عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: خير ما يخلّف الرجل من بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجري يبلغه أجرها، وعلم يعملُ به من بعده. (٣)

والحديث يدل على أنّ غير المرابط أيضاً لا يختم على عمله.

نعم لو حاولنا الجمع بين الروايتين فلا محيص من حمل الحصر الأوّل على الحصر الإضافي لا الحقيقي، وإن كان الحمل على خلاف الظاهر.

---

١. صحيح مسلم:٦/ ١٤١.
٢. سنن الدارمي: ٢/ ٢١١، باب فضل من مات مرابطاً؛ وأخرجه أحمد في مسنده:٤/ ١٥٠.
٣. سنن ابن ماجة: ١/ ٨٨ برقم ٢٤١ باختلاف يسير في اللفظ.

٤. أسلم الناس و آمن عمرو بن العاص

أخرج الترمذي، عن مشرح بن هاعان، عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص. (١)

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلاّ من حديث أبي لهيعة عن مشرح بن هاعان وليس اسناده بقوي.

أقول: تشير الرواية إلىٰ أنّ عمرو بن العاص آمن بلسانه وقلبه و الآخرون أسلموا بلسانهم لا بقلبهم، وهذا ممّا يخالف الواقع، إذ قد آمن قبله أُناس من المهاجرين الذين اتّفق المسلمون على إيمانهم وتصديقهم، كعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وجندب بن جنادة(أبي ذر) وجعفر الطيار، وحمزة بن عبد المطلب، ولفيف من الأنصار كأُبي بن كعب وأسعد بن زرارة وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وعندئذٍ فلو صحت الرواية فلابدّ أن يحمل الناس على طائفة خاصة من قريش وغيرهم الذين آمنوا مع عمرو بن العاص، فهؤلاء أسلموا ـ إسلام الأعراب ـ و عمرو بن العاص آمن، فلاحظ.

٥. حقّ الضيافة يؤخذ عنوة

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي الخير، عن عقبة بن عامر، انّه قال: قلنا يا رسول الله انّك تبعثنا فننزل بقوم فلا يقروننا، فما ترى؟ فقال لنا رسول الله ﷺ: إن نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حقّ الضيف الذي ينبغي لهم. (٢)

---

١. سنن الترمذي: ٥/ ٦٨٧ برقم ٣٨٤٤.

٢. صحيح مسلم: ٥/ ١٣٨، باب الضيافة ونحوها من كتاب اللقطة.

أقول: الضيافة سيرة عقلائية قامت على أساس تكريم الضيف الوارد وتبجيله واحترامه عن طيب نفس.

وأمّا إذا لم تكن مصحوبة بطيب النفس فتفقد الضيافة معناها، وتزيد في الطين بلّة إذا قام الضيف بأخذ حقّه من المضيِّف جبراً وعنفاً فهذا ينبت العداوة والبغضاء بينهما، فلا يصلح للإسلام الداعي إلى الأخاء والتسامح أن يأمر الضيف بأخذ حقّه من المضيف.

ولما كانت الرواية علىٰ خلاف الأصل الثابت في الإسلام، أعني قوله ﷺ: «لا يحلّ مال امرئ مسلم إلاّ بطيب نفسه» أو قوله: «الناس مسلّطون على أموالهم»، ذهب شرّاح الحديث إلىٰ تأويله بتأويلات مجانفة عن الحق.

من حمله على المضطرين، أو تأويله بأنّ المراد من أخذ الحقّ هو الأخذ من أعراضهم بالألسنة وذكر لؤمهم وبخلهم للناس والعيب عليهم وذمهم إلى غير ذلك من الوجوه المؤوَّلة.

والتأويل الأوّل وإن كان لا بأس به في ذاته، لكنّه يخالف ظاهر الحديث، وأمّا الثاني فبعيدعن روح الإسلام وهو أن يسوّغ للضيف ذكر أخيه باللؤم، والأخذ من عرضه بحجّة انّه لم يضيّفه، وقد ذكر الإمام النووي تأويلات أُخرى.[1]

أضف إلى ذلك انّه يخالف ما رواه مسلم في صحيحه، عن أبي شريح العدوي، قال: سمعت أُذناي وأبصرت عيناي حين تكلّم رسول الله ﷺ فقال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: يومه وليلته والضيافة ثلاثة أيام، قال: قال: فما وراء ذلك فهو صدقة عليه.

---

١. شرح صحيح مسلم، للنووي: ١٢/ ٢٧٥.

وقال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت.[١]

ومعنى الحديث انّه ليس وراء ذينك الأمرين شيء آخر وهو أخذ حقّ الضيافة من المضيِّف.

١. صحيح مسلم: ٥/ ١٣٨، باب الضيافة ونحوها من كتاب اللقطة.

٢١

جبير بن مُطعِم

(... ـ ٥٩هـ)

سيرته و أحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. لعرشه سبحانه اطيط كاطيط رحل الإبل

٢. نزول الله في كلّ ليلة إلى السماء الدنيا

ابن عَـدِّيّ بن نوفَل بـن عبد مناف بن قصيّ، شيـخ قريش في زمانـه، أبو محمد، ويقال أبو عدي القرشي النوفلي، ابن عمِّ النبي ﷺ.

من الطلقاء الـذين حَسُن إسلامُهم،وقـد قدم المدينة في فـداء الأُسارى من قومه.

وكان أبـوه هو الـذي قام في نقض صحيفـة القطيعة،وكان يحنـو على أهل الشِّعب ويصلْهم في السرّ، ولذلك يقول النبي ﷺيوم بدر:

«لو كـان مُطعِم بن عـديّ حيّاً وكلّمني في هـؤلاء النّتنىٰ لتركتهم لـه» وهو الذي أجار النبي ﷺحين رجع من الطائف حتى طاف بعمرة.

روى عنه: ولداه محمـد ونافع، وسليمان بن صرد، وسعيد بـن المسيب، وأبو

سلمة بن عبد الرحمان،وعبد الرحمان بن أزهر، وعبد الله بن باباه، ويحيى بن عبد الرحمان بن حاطب، و إبراهيم بن عبد الرحمان بن عوف.

توفي جبير بن مطعم سنة تسع و خمسين. [١]

وقدجمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ثلاثين حديثاً. [٢]وعزيت إليه روايات رائعة وأُخرى سقيمة.

فمن روائع رواياته

أخرج أبو داود في سننه، عن عبد الله بن أبي سليمان، عن جبير بن مطعم، أنّ رسول الله ﷺ قال:

«ليس منّا من دعا إلى عصبية، وليس منّا من قاتل على عصبية، وليس منّا من مات على عصبية». [٣]

وقد رويت عنه ما لا تستقيم مع الضوابط التي تلوناها في صدر الكتاب.

١. للعرش اطيط كاطيط الرحل

أخرج أبو داود، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جدّه، قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابي، فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس،وضاعت العيال، ونهكتِ الأموال، وهلكت الأنعام فاستسق الله لنا، فإنّا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك.

---

١. سير أعلام النبلاء: ٣/ ٩٥ برقم ١٨.

٢. المسند الجامع: ٤/ ٤٦١ برقم ٨٥.

٣. سنن أبي داود: ٤/ ٢٣٢ برقم ٥١٢١.

قال رسول الله ﷺ: ويحك، أتدري ما تقول؟ وسبَّح رسول الله ﷺ، فما زال يسبِّح حتى عُرِفَ ذلك في وجوه أصحابه، ثمّ قال: ويحك، انّه لا يستشفع بالله، على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله؟ إنّ عرشه على سماواته لهكذا ـ و قال باصابعه: مثلَ القبَّة عليه، و إنّه ليئط به أطيط الرحل بالراكب.[1]

قال الطيبي في عون المعبود:

١. «لهكذا» بفتح اللام الابتدائية دخلت على خبر «إنّ» تأكيداً للحكم.

٢. «قال بأصابعه» أي أشار بها.

٣..«مثل القبّة عليه» قال القارئ: حال من العرش أي مماثلاً لها على ما في جوفها.

قال الطيّبي: هو حال من المشار به، و«في قال» معنى الإشارة، أي أشار بأصابعه إلى مشابهة هذه الهيئة وهي الهيئة الحاصلة للأصابع الموضوعة على الكف، مثل حالة الإشارة.

٤. و«انّه» أي العرش.

٥. «ليئطُّ» بكسر الهمزة وتشديد المهملة أي يُصوِّت.

٦. «به»أي بالله تعالى.

٧. «أطيط الرحل» أي كصوته، والرحل كور الناقة.

٨. «بالراكب» أي الثقيل.

وفي النهاية: أي انّ العرش ليعجز عن حمله وعظمته، إذ كان معلوماً ان

---

١. سنن أبي داود: ٤/ ٢٣٢ برقم ٤٧٢٦.

أطيط الرحل بالراكب إنّما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله.[١] ووصفه سبحانه بهذا النحو لأجل افهام الأعرابي بأنّه من له هذه العظمة لا يكون شفيعاً، لدى الغير.

هذا هو مفاد الحديث وهو كما ترىٰ نص في التجسيم وذلك:

أوّلاً: أثبت لله مكاناً، وهو العرش وأخلى العالم كلّه من وجوده المحيط القيوم.

ثانياً: أثبت انّ الله مماس للعرش مماسّة الراكب بالرحل.

ثالثاً: أثبت له الثقل الذي هو من خصائص المادة، وانّ العرش يئنّ من حمله، كما يئنّ الرحل من ثقل الراكب.

هذا هو التجسيم الواضح الذي عليه اليهود و الوثنيون . تعالى عن ذلك علواًكبيراً.

وقد انقسم المحدثون وغيرهم في تفسير هذه الرواية ونظائرها التي يعبّر عنها في علم الكلام بالصفات الخبريّة إلى طوائف.

الأُولىٰ: المشبهة:وهم الذين يجرون هذه الصفات على الله سبحانه بنفس المعاني المرتكزة في أذهان الناس دون أيّ تصرف، ولذلك قالوا: إنّ لله يدين ورجلين وعينين مثل الإنسان.

ويعرفهم الشهرستاني في ملله و نحله بقوله:

أمّا ما ورد في التنزيل من الاستواء، والوجه واليدين والجنب، والمجيء والإتيان والفوقية وغير ذلك فأجروها على ظاهرها، أعني ما يفهم عند إطلاق هذه الألفاظ على الأجسام، وكذلك ما ورد في الأخبار من الصورة وغيرها في قوله عليه

---

١. عون المعبود في شرح سنن أبي داود: ١٣/ ١٤.

الصلاة والسلام: «خلق آدم على صورة الرّحمن» و قـوله: «حتى يضع الجبار قدمه في النار» و قولـه: «قلبُ المؤمن بين أصبعين من أصابع الرّحمن» وقـوله: «خَمَّر طينةَ آدم بيـده أربعين صباحـاً» وقولـه: «وضع يـده أو كفّه على كتفـي» وقولـه:«حتى وجدتُ بـردَ أنامله على كتفي» إلى غير ذلك، أجـروها على ما يتعـارف في صفات الأجسـام، وزادوا في الأخبار أكـاذيب وضعـوها ونسبـوهـا إلى النبي ﷺ وأكثرها مقتبسـة من اليهود، فـانّ التشبيـه فيهم طبـاع، حتى قالـوا: اشتكت عينـاه (الله) فعادته الملائكة، وبكىٰ علىٰ طوفان نـوح حتى رمدت عيناه، و انّ العرش ليئط من تحته كـاطيط الرحل الجديـد، و انّه ليفضل مـن كلّ جانب، أربع أصـابع، وروى المشبهة عن النبي ﷺ «لقيني ربّي فصافحني وكافحني ووضع يده بين كتفي حتى وجدت برد أنامله». [١]

ولا أظن لمسلم أن يعتنق التشبيه والتجسيم فانّـه كفر وضّاح مخالف للذكر الحكيم، لأنّه سبحانه ليس كمثله شيء.

الثانية: المفوضة: وهم طـائفـة من الأشاعـرة اختـاروا مسلك التفـويض، وحاصلـه: الإيمان بكلّ ما جـاء من القـرآن والسنة من الصفـات التي وصف الله سبحانه نفسه بها إجمالاً، وتفويض ما يـراد منها إليه، وربّما يظهر ذلك من الرازي، حيث يقول: إنّ هـذه المتشابهات يجب القطع بأنّ مراد الله منهـا غير ظاهري، كما يجب تفويض معناها إلى الله ولا يجوز الخوض في تفسيرها. [٢]

يلاحظ عليه: انّ معنى التفـويض تعطيل العقول عـن التفكير في المعارف والأُصول، فكأنّ القرآن الغاز نزلت على قلب النبي ﷺ وليس كتاب هداية وتعليم وإرشاد، قال تعالى: **﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾** (النحل / ٨٩) فإذا

---

١. الملل والنحل:١/ ١٠٥ـ١٠٦.

٢. أساس التقديم، ص ٢٢٣ كما في علاقة الاثبات، ص ١٠٢.

كان تبياناً لكلّ شيء، فلماذا لا يكون تبياناً لنفسه أيضاً ؟

وكيف يكون الواجب، الاعتقاد من دون فهم معناه؟ وما فائدة ذلك الاعتقاد إذا لم يعلم واقع المعتَقَد ومفهومه؟

ومذهب التفويض يلازم ترك البحث في قسم من الآيات الواردة في القرآن الكريم فكأنّها وردت للقراءة والتلاوة لا للفهم والدراية ولا للتدبّر والتفكر.

قال سبحانه: ﴿أَفَلا يَتَدبَّرُونَ القرآنَ أَمْ عَلىٰ قُلوبٍ أَقْفالُها﴾ (محمد/ ٢٤).

الثالثة: المثبتة للصفات بلا تكيف: انّ هذه الطائفة تجري الصفات الخبرية على الله سبحانه بالمعنى المتبادر منها، لكن مع التنزيه عن التشبيه والتجنب عن التكييف.

قال الإمام الأشعري في الإبانة: «وانّ الله استوىٰ على عرشه»، كما قال: ﴿الرّحمنُ على العرشِ اْستوى﴾ [١] وانّ له وجهاً بلا كيف، كما قال: ﴿وَيَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ والإِكْرام﴾ [٢] وانّ له يدين بلا كيف، كما قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيّ﴾ [٣]، وكما قال: ﴿بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتان﴾ [٤] وانّ له عيناً بلا كيف، كما قال: ﴿تَجرِي بِأَعْيُنِنا﴾ [٥]. [٦]

يلاحظ عليه: أنّ هذا المذهب جَمع بين الضدين أو النقيضين، فمن جانب يحاول أن يجري الصفات بالمعنى المتبادر منها في العرف، ومن جانب آخر ينفي الكيفية، ومن المعلوم انّ الجمع بينهما جمع بين الوجود والعدم، و ذلك لأنّ واقع اليد بالمعنى العرفي و هكذا العين بالمعنى اللغوي، يتقوّم بالكيفية فنفيها في مورده سبحانه نفي لهذه الصفات بمعانيها العرفية، فكيف يُثبتها بما لها من المعاني العرفية مع نفي الكيفية، لأنّ اليد مثلاً حقيقة في اليد بما لها من الكيفية فنفي الكيفية في

١. طه: ٥.
٢. الرحمن: ٢٧.
٣. ص: ٧٥.
٤. المائدة: ٦٤.
٥. القمر: ١٤.
٦. الابانة: ١٨.

الحقيقة نفي للأمر المقوّم بما لها من المفهوم العرفي.

وبعبارة أُخرى انّ إجراء هذه الصفات على الله سبحانه بنفس معانيها العرفية لا ينفك عن إثبات الكيفية والسمات البشرية لها، لأنّ المفروض انّها وضعت لمعان بكيفيات خاصة، فإثبات العين بالمعنى العرفي، و نفي الكيفية إثبات للشيء حين نفيه، و بذلك يظهر انّ عقيدة الأشعري أعني الإثبات بلا كيف يلازم التعقيد و الإبهام في العقيدة.

ولو صحّ إثبات هذه المعاني على الله بقيد نفي الكيف، فليصح أن يقال: إنّ الله جسم لا كالأجسام، عرض لا كسائر الأعراض.

وبطلانه من الوضوح بمكان.

الرابعة: المؤوّلة

المراد من المؤولة من يحملون هذه الصفات على المعاني الكنائية، مثلاً يفسرون اليد بالنعمة، والقدرة، والاستواء على العرش بالاستيلاء، وإظهار القدرة، وهؤلاء هم المعتزلة، وربّما يوجد بين المحدثين من يعتقد بذلك.

قال الخطابي في تفسير الحديث الذي نحن بصدده:

هذا الكلام إذا أجري على ظاهره كان فيه نوع من الكيفية، والكيفية عن الله تعالى وعن صفاته منفية، فعُقِل ليس المراد منه تحقيق هذه الصفة ولا تحديده على هذه الهيئة، وإنّما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله وجلاله جلّ جلاله، وإنّما قصد به افهام السائل بقدر فهمه إذ كان أعرابياً جلفاً لا علم له بمعاني ما دق من الكلام و ما لطف منه عن إدراك الافهام. [1]

١. عون المعبود: ١٣/ ١٥.

أقول: إذا أريـد من التأويـل: هو صرف ظـاهـر القرآن والسنـة عن معنـاه الجُمْلي والمضمـون التصديقي لأجـل كونـه مخالفاً للعقـل، فهو أمـر غير صحيح وذلك لأنّ الكتاب العزيز والسنّة الصحيحة منزّهان عمّا يخالف صريح العقل ولا أظن انّ مسلماً واعياً يتفوه بذلك. فـالتأويل بغية رفع التعارض بين العقل و النقل، أمر مـرفوض لامتنـاع وجود التعـارض بين النقل القطعي والعقـل الصريح حتى نعالجه بالتأويل، فأحد الأمرين باطل، امّا النقل، وامّا العقل.

وأمّا إذا أريد من التأويل: هو صرف الكلام عن معناه التصوري والمضمون الابتدائي والتأكّد مـن معناه التصديقي والجُمْلي، فهذا أمر معقـول جدّاً عملاً بما دعا إليه القرآن الكريم بالتدبّر في آياته وليس هذا تأويلاً في الحقيقة.

وعليه فتفسير آيـة الاستواء واليد والعين بما ذكـر في الكلام السابـق إنّما هو تأويل بـالنسبة إلى الظهور الابتـدائي الإفرادي لكلّ من العين و اليـد و الاستواء، بأفرادها.

وأمّا بـالنسبة إلى الظهور التصـديقي والمضمون الجملي لهذه الآيـات فليس تأويلاً، وإنّما هو حمل على المعنى العرفي لا على خلافه.

مثلاً قـولنا: زيـد كثير الرمـاد، له ظهـور تصوري وهـو انّ لزيـد رماداً كثيراً وظهور تصـديقي وهو انّـه جواد، فلـو صحّ التأويل فـإنّما هو بالنسبـة إلى المعنى الإفـرادي لكلّ من لفظي الـرمـاد و الكثير وأمّا بـالنسبة إلى المعنـى الجملي فليس تأويلاً بل من قبيل حمل اللفظ على ظاهره.

وهذا هو الحقّ القراح في تفسير الصفات الخبرية الواردة في القرآن الكريم، وانّـه يجب على المفسر التفتيش عـن الظهور الابتـدائي أو الإفـرادي، ثمّ الظهـور النهـائي و الجُمْلي، بالامعـان في القرائن الموجـودة في نفس الآيـات امّا قبلهـا أو بعدهـا، فتفسيرها اعتماداً عليهـا، ليس تأويلاً، ولـو أطلق عليـه فإنّما هو بـاعتبار

ظـهوره البدائي لا النهائي. نعم ما ذكرنا إنّما يتمشّى في آيات الذكر الحكيم لا في مثل الروايـة فانّه نصّ في التجسيم غير قـابل للتأويل المقبول عنـد العقلاء، وإنّما يصلح الكلام له إذا كان المعنى الثاني ملازماً للمعنى الأوّل في نظر العرف كالجود في كثير الـرمـاد، والمراقبة في العين، والتـدبير في الاستـواء على العـرش، لا في مثل الرواية فهي ساقطة من رأس.

والعجب انّ القوم طـرقوا في تفسير الرواية كـلّ باب ولم يطرقوا بـاب القرآن والعقل.

وهذا هو مصنّف عون المعبود قد بسط الكلام في نقل الحديث واسناده وما ذكره المحدثون حول سنده فـانتهىٰ إلى تسويد عشرين صفحة في هذا المورد وغفل عن أنّ مفتـاح حلّ تلـك المعضلـة بيد القـرآن والعقل، لا في الـرجـوع إلىٰ كلمات المحدثين ولا المناقشة في الاسناد.

ثمّ إنّ البيهقي ـ من الأشاعرة التي تميل إلى التنزيه ـ ناقش في سند الحديث، وقال: هـذا حديث ينفـرد به محمـد بن إسحاق بن يسـار ،عن يعقوب بـن عتبة. وصـاحبا الصحيـح لم يحتجا بـه، وإنّما استشهـد مسلم بن الحجـاج بمحمـد بن إسحاق في أحاديث معدودة اظنهنّ خمسة قد رواهنّ غيره إلى آخر ما ذكر. [1]

٢. نزول الله في كلّ ليلة إلى السماء الدنيا

أخرج أحمد في مسنده، عن نافع بن جبير، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: ينزل الله عزّ وجلّ في كلّ ليلة إلى السماء الدنيا، فيقـول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فاغفر له؟ حتى يطلع الفجر. [2]

١. عون المعبود: ١٣ / ٩، ولاحظ الأسماء و الصفات للبيهقي.

٢. مسند أحمد: ٤/ ٨١.

ويكفي في كـون الحديث مندسّـاً في الأحاديث الإسـلامية انّه يثبـت النقلة والحركة لله تبارك و تعالى **أوّلاً**، كما يثبت له مكاناً ثابتاً مستقراً فيه **ثانياً**، ونداءً **ثالثاً**.

و من الـواضح انّ كـلّ ذلك مـن صفات الممكـن لا الواجـب، فليس لـه سبحانه مكـان خاص حتى ينتقل منه إلى السماء الدنيا وليس لـه صوت و نداء، ومع غـض النظر عـن ذلك، فما هي فـائدة هـذا النـزول إلى السماء الدنيـا ؟ إذ في وسعه أن يغفر لكلّ المستغفـرين من دون أن يتحمل أعباء الحركة. ومـا فائدة هذا النداء الذي لا يسمعه أحد من العباد؟

كلّ ذلك يجعل الحديـث في عداد الموضوعات التي تسرّبـت إلى الأحاديث الإسلامية.

نعم ربّما يؤول الحديث بأنّه كنايـة عن نزول رحمته في الليل إلى طلوع الفجر، ولكنه تأويل باطل لا يصار إليه بلا قـرينة، فإنّ الكناية بلفظ عن معنى إنّما يصحّ إذا كانـت بين المعنيين ملازمـة عرفيـة، بحيث ينتقل العـرف من المعنى الأوّل إلى المعنى الثاني كقـولنا: زيد طويل النجـاد، الملازم لكونه شجاعـاً، لا ما إذا لم يكن كذلك، فـلا يكنّى بالنزول إلى السماء الـدنيا، عن نزول رحمته ولم يلتـزم القائل بهذا المعنى إلاّ لرفع التعارض بين النقل و العقل.

وللإمام الطاهر موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام كلام حول هذه الرواية: روى يعقوب بن جعفر الجعفري عنه عليه السلام قال: ذكر عنده قـوم يزعمون انّ الله تبارك و تعالى ينزل إلى السماء الـدّنيا، فقال: إنّ الله تبارك وتعـالى لا ينزل، ولا يحتاج إلى أن ينزل، إنّما منظره في القرب والبعد سواء، لم يبعـد منه قريب، ولم يقرب منه بعيد،ولم يحتج بـل يحتاج إليـه، وهـو ذو الطول، لا إلـه إلاّ هـو العـزيز الحكيـم، أمّا قـول الواصفين: إنّـه تبارك وتعالى ينزل فـإنّما يقول ذلك من ينسبـه إلى نقص أو زيادة، وكلُّ متحرك محتاج إلى من يحركه أو يتحرك بـه، فظن بالله الظنون فهلك، فاحذروا

في صفـاتـه من أن تقفـوا لـه على حـدٍّ تحدّوه بنقص أو زيـادة أو تحرّك أو زوال أو نهوض أو قعـود، فـانّ الله جـلّ عن صفـة الـــواصفين و نعت النـاعتين وتـوهـم المتـوهمين، وتـــوكّل على العـزيــز الـرحيـم الـذي يـراك حين تقـوم وتقلبـك في الساجدين. [1]

١. الصدوق، التوحيد،١٨٣، باب نفي المكان برقم ١٨.

٢٢

سمرة بن جندب

(... ـ ٥٩هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. الميت يعذب بالنياحة عليه.
٢. لا عبرة بأذان بلال.
٣. خلق المرأة من ضلع.
٤. جواز حلب الماشية بغير إذن أصحابها.
٥. الإذن في شرب النبيذ بعد ما نهي عنه.
٦. الدجال يبرئ الأكمه و الأبرص.
٧. وحي الشيطان إلى حواء.

هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري.

يعرّفه الذهبي في تاريخه و يقول: لـه صحبة و رواية وشرف، ولي إمرة الكوفة و البصرة خلافة لزياد، و كان شديداً على الخوارج وقَتَلَ منهم جماعة، فكان الحسن وابن سيرين يثنيان عليه. [1]

وقال أيضاً في سير اعلام النبلاء: انّـه من علماء الصحابة، نـزل البصرة، له أحاديث صالحة، روى عنه: ابنه سليمان، والحسن البصري، وابن سيرين، وجماعة.

---

١. الذهبي: تاريخ الإسلام، في الجزء المختص بحوادث عهد معاوية، ص ٢٣١.

هذا ما يذكره الذهبي في بدء ترجمته و يصرّح بأنّه من علماء الصحابة، والصحابة عنده كلّهم عدول، و لكنّه يذكر في حقّه ما يدلّ على فسقه حيث يقول: عن أنس بن حكيم، قال: كنت أمرّ بالمدينة فألقى أبا هريرة فلا يبدأ بشيء حتى يسألني عن سمرة، فإذا أخبرته بحياته فرح، فقال: إنّا كنّا عشرة في بيت فنظر رسول الله ﷺ في وجوهنا ثمّ قال: «آخركم موتاً في النار» فقد مات منّا ثمانية فليس شيء أحبّ إليّ من الموت».

وروىٰ أيضاً عن أوس بن خالد قال: كنت إذا قدمت علىٰ أبي محذورة سألني عن سمرة، و إذا قدمت على سمرة سألني عن أبي محذورة، فقلت لأبي محذورة في ذلك، فقال: إنّي كنت أنا و هو وأبو هريرة في بيت فجاء النبي ﷺ فقال: آخركم موتاً في النار، فمات أبو هريرة ثمّ مات أبو محذورة.

وروي عن ابن طاووس وغيره قال النبي لأبي هريرة وسمرة بن جندب وآخر: «آخركم موتاً في النار» فمات الرجل قبلهما، فكان إذا أراد الرجل أن يُغيض أبا هريرة، يقول: مات سمرة، فيُغشىٰ عليه ويصعق، فمات قبل سمرة.

ثمّ قال: وقتل سمرة بشراً كثيراً. ونقل عن عامر بن أبي عامر، قال: كنّا في مجلس يونس بن عبيد فقالوا: ما في الأرض بقعة نشفت من الدم مثل ما نشفت هذه ـ يعنون دار الأمارة ـ قُتِلَ بها سبعون ألفاً فسألت يونس، فقال: نعم من بين قتيل و قطيع، قيل من فعل ذلك؟ فقال: «زياد و ابنه وسمرة».

ثمّ نقل عن أبي بكر البيهقي انّه قال: نرجو له بصحبته. [١]

وذكر ابن الأثير ما نقلناه عن الذهبي و قال: سكن البصرة و كان زياد يستخلفه عليها إذا صار إلى الكوفة، ويستخلفه على الكوفة إذا صار إلى البصرة فكان يكون في كلّ واحدة منهما ستة أشهر إلى آخر ما ذكر. [٢]

---

١. سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٨٣ـ١٨٥.

٢. الجزري، أُسد الغابة: ٢/ ٣٥٤.

روى الطبري في حوادث سنة ٥٠، قال: عن محمد بن سليم قال: سألت أنس بن سيرين، هل كان سمرة قتل أحداً؟ قال: وهل يحصى من قتله سمرة بن جندب، استخلفه زياد على البصرة، وأتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس فقال له: هل تخاف أن تكون قد قتلت أحداً بريئاً ؟ قال: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت.

وروى أيضاً عن أبي سوار العدوي قال: قتل سمرة من قومي في غداة سبعة وأربعين رجلاً قد جمع القرآن. [1]

ونقل ابن أبي الحديد عن أُستاذه أبي جعفر انّه قال: و قد روي أنّ معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي انّ هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام: ﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَياةِ الدُّنْيا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلىٰ ما في قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الخِصامِ * وَإِذا تَوَلّىٰ سَعىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الفَسادَ﴾ (البقرة/ ٢٠٤ـ٢٠٥).

وانّ الآية الثانية نزلت في ابن ملجم. وهي قوله تعالى :﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ﴾ (البقرة/ ٢٠٧) فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقبل وروىٰ ذلك. [2]

هذه الروايات التي يعضد بعضها بعضاً، تعرب عن عدم صلاحه وفلاحه على خلاف ما ذكره الذهبي، و ذلك لأُمور :

أوّلاً: انّ الرجل كان خليفة زياد بن أبيه السفّاح الذي ارتكب جرائم كثيرة

---

١. تاريخ الطبري: ٣/ ١٧٦.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٤/ ٧٣.

في حقّ المسلمين وقتل الأبرياء منهم بلا ذنب اقترفوه، أمثال حجر بن عدي وأصحابه فكيف يكون خليفته رجلاً صالحاً ؟!

ولا نريد هاهنا تعريفك بزياد بن عبيد، و يكفي في حقّه انّه ولد على فراش عُبيد، وكان أبو سفيان قد أتى الطائف قبل ذلك فسكر وطلب بغيّاً فواقع سمّية وكانت مزوجة بعُبيد فولدت زياداً من جماعة، فلما رآه معاوية استلحقه بأنّه أخوه، وكانت سمّية مولاة للحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب.

فهو ابن زانية ولد علىٰ فراش عُبيد، وانّ معاوية ألحقه بأبي سفيان، مع أنّ الرسول ﷺ قال: الولد للفراش و للعاهر الحجر. [١]

وكفى في كونه سفّاكاً قول جابر بن زيد: كان زياد أقتل لأهل دينه ممن يخالف هواه من الحجاج، و كان الحجاج أعلم بالقتل.

وقال ابن شوذب: بلغ ابن عمر انّ زياداً كتب إلىٰ معاوية انّي قد ضبطت العراق بيميني، و شمالي فارغة، وسأله أن يولّيه الحجاز، فقال ابن عمر: اللّهمّ انّك إنْ تجعل في القتل كفارة فموتاً لابن سميّة لا قتلاً.

فخرج في إصبعه طاعون، فمات.

وقال الحسن البصري: بلغ الحسن بن علي انّ زياداً يتتبع شيعة علي بالبصرة فيقتلهم، فدعا عليه.

وروى ابن الكلبي: أنّ زياداً جمع أهل الكوفة ليعرضهم على البراءة من علي، فخرج خارج من القصر فقال: أمّا الأمير فمشغول، فانصرفوا، فإذا الطاعون قد ضربه سنة ثلاث و خمسين ومات علىٰ أثرها. [٢]

---

١. سير أعلام النبلاء:٣/ ٤٩٤ برقم ١١٢.

٢. تاريخ الإسلام للذهبي، في الجزء المختص بعهد معاوية، ص ٢٠٩.

ثانياً: انّ سمرة كان سفّاكاً، وقد بلغ سفكه الدماء بمكان انّه بعد ما قتل ثمانية آلاف من أهل البصرة لما خشي أن يقتل مثلهم أيضاً كما مرّ في حديث أنس ابن سيرين.

وثالثاً: انّ سمرة ردّ طَلب النبي ﷺ وأمره و خالفه حتى أسماه النبي بأنّه رجل مضار، وإليك الحديث:

أخرج أبو داود عن واصل مولىٰ أبي عيينة قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام يحدِّث عن سمرة، انّه كانت لسمرة عضد من نخل في حائط رجل من الأنصار، قال: ومع الرجل أهله، قال: فكان سمرة يدخل إلى نخله فيتأذىٰ به ويشق عليه، فطلب إليه أن يبيعه، فأبى، فطلب إليه أن يناقله، فأبى، قال: فهبه له ولك كذا و كذا أمراً رغبة فيه، فأبى، فقال: أنت مضار، فقال رسول الله ﷺ للأنصاري: اذهب فاقلع نخله. [1]

وعلى ضوء ذلك فالرجل فاسق و لم تصدُّه صحبته عن اقتراف الجرائم والآثام . ولو كان مجرد الصحبة منقذاً، لما كان مصير امرأتي نوح و لوط هو النار كما قال سبحانه: ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا مِنَ اللهِ شَيْئاً﴾.

والعجب انّه روى عنه أصحاب الصحاح والمسانيد، و مع غض النظر عن مناقشة السند نذكر بعض أحاديثه الرائعة التي لها عبق من أنوار النبوة ثمّ نأتي ببعض رواياته السقيمة التي لا تصحّ نسبتها إلى النبي ﷺ لمخالفتها للأصول المسلمة التي أشرنا إليها في مقدمة الكتاب.

---

١. سنن أبي داود:٣/ ٣١٥ برقم ٣٦٣٦، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

روائع أحاديثه

١. أخرج أبو داود، عن الهياج بن عمران، انّ عمران أبق له غلام فجعل لله عليه لئن قدر عليه ليقطعنّ يده، فأرسلني لأسأل له: فأتيت سمرة بن جندب فسألته، فقال: كان نبي الله ﷺ يحثّنا على الصدقة و ينهانا عن المثلة. (١)

٢. أخرج الترمذي عن الحسن، عن سمرة بن جندب: انّ رسول الله ﷺ قال: أيّ امرأة زوّجها وليّان، فهي للأوّل منهما، و من باع بيعاً من رجلين فهو للأوّل منهما. (٢)

٣. أخرج الإمام أحمد، عن الحسن، عن سمرة بن جندب انّ رسول الله ﷺ قال: البيّعان بالخيار مالم يفترقا. (٣)

٤. أخرج الإمام أحمد، عن الحسن، عن سمرة انّ رسول الله ﷺ نهى أنْ يخطب الرجل على خطبة أخيه أو يبتاع على بيعه. (٤)

٥. أخرج الإمام أحمد، عن الحسن، عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: الرجل أحقّ بعين ماله إذا وجده و يتبع البائع من باعه. (٥)

٦. أخرج الإمام أحمد، عن الحسن، عن سمرة، عن النبي ﷺ قال: من أحاط حائطاً على أرض فهي له. (٦)

---

١. سنن أبي داود: ٣/ ٥٤ برقم ٢٦٦٧؛ مسند أحمد: ٤/ ٤٢٨.

٢. سنن الترمذي: ٣/ ٤١٨ برقم ١١١٠، وأخرجه أبو داود في سننه برقم ٢٠٨٨.

٣. مسند أحمد: ٥/ ٢٢.

٤. مسند أحمد: ٥/ ١١.

٥. مسند أحمد: ٥/ ١٣.

٦. مسند أحمد: ٥/ ١٢؛ سنن أبي داود: ٣/ ١٧٩ برقم ٣٠٧٧.

٧. أخرج أبـو داود، عن الحسن، عـن سمرة، عن النبـي قال: على اليـد ما أخذت حتّى تؤدي.[١]

٨. أخرج مسلـم في صحيحه عن عبـد الرحمان بن أبي ليلىٰ، عن سمـرة بن جنـدب انّ رسول الله قـال: من حـدّث عني حـديثـاً يرى أنّـه كـذب فهو أحـد الكاذبين.[٢]

٩. أخرج ابن ماجة، عن ابن سمرة بـن جندب، عن أبيه،قال: قال رسول الله ﷺ: من قتل فله السّلب.[٣]

١٠. أخرج ابن ماجة، عن الحسن، عن سمرة بن جندب، قال: قال رسول الله ﷺ: الحسب المال، والكرم التقوى.[٤]

هـذه جملة من أحـاديثـه التي يؤيـد مضـامينها الكتـاب والسنة و اتّفـاق المسلمين والعقل الحصيـف، استعرضنـاها في مقـابل مـا نستعرضـه من رواياتـه السقيمة وما أكثرها ونقتصر علىٰ قسم منها.

١. الميت يعذب بالنياحة عليه

أخرج أحمد، عن قتادة ،عن الحسـن، عن سمرة ،عن النبي ﷺ قال: الميت يعذّب بما نيح عليه.[٥]

هذه الـرواية رواها غيره أيضـاً ، و قد سبق منّـا انّها تخالف الكتاب العـزيز

---

١. سنن أبي داود: ٣/ ٢٩٦ برقم ٣٥٦١؛ مسند أحمد:٥/ ٨.

٢. صحيح مسلم:١/ ٧، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكاذبين.

٣. سنن ابن ماجة: ٢/ ٩٤٧ برقم ٢٨٣٨.

٤. سنن ابن ماجة: ٢/ ١٤١٠ برقم ٤٢١٩؛ مسند أحمد: ٥/ ١٠.

٥. مسند أحمد:٥/ ١٠.

والعقل الحصيف، وذكرنا انّ الرواية لم تنقل علىٰ وجه صحيح، وذكرنا كلام السيدة عائشة في هذا المضمار وما فيه من الإشكال.

٢. لا عبرة بأذان بلال

أخرج الترمذي، عن سوادة بن حنظلة، عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال و لا الفجر المستطيل و لكن الفجر المستطير [١] في الأُفق. [٢]

وأخرج أحمد في مسنده، عن سمرة قال: لا يغرّنكم أذان بلال و لا هذا البياض لعمود الصبح حتى يستطير. [٣]

أقول: لولا انّ الرواية تضمنت حكماً صحيحاً، و هو عدم الاعتداد بعمود الصبح، وإنّما العبرة باعتراض البياض كان في وسع الباحث أن يتردد في صحّة الرواية، ويقول إذا كان النبي ﷺ هو الذي نصب بلالاً للأذان وكان بلال يؤذّن قبل الوقت، فلماذا نصب إنساناً لانجاز عمل غير عارف به؟

أضف إلى ذلك انّه إذا كان بلال يؤذّن قبل الوقت في أغلب الأحيان على وجه يفسد عبادات الناس و صلواتهم كان على النبي ﷺ إرشاده.

٣. خلق المرأة من ضلع

أخرج أحمد في مسنده، عن عون قال: و حدّثني رجل، قال: سمعت سمرة يخطب علىٰ منبر البصرة و هو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ المرأة خلقت

---

١. يريد من المستطير الذي ينتشر ضوؤه ويعترض في الأُفق ويقابله المستطيل.

٢. سنن الترمذي: ٣/ ٨٦ برقم ٧٠٦؛ وأخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٥/ ٩.

٣. مسند أحمد: ٥/ ١٣.

من ضلع وانّك إنْ ترد إقامة الضلع تكسرها فدارها تعش بها. [١]

إنّ الحديث ـ مع إرساله ـ من الإسرائيليات المندسّة في أحاديث المسلمين وهو موجود في التوراة المحرّف في سفر التكوين. قال: و بنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم، امرأة واحضرها إلى آدم. فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي.... [٢]

إنّ مضمون الحديث يخالف القرآن الكريم حيث يرى للمرأة خلقاً مستقلاً مماثلاً مع خلق الرجل، قال سبحانه: ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهما رِجالاً كثِيراً ونِساءً﴾ (النساء/ ١).

والمراد من قوله : ﴿وخَلَقَ مِنْها زَوجَها﴾ أي خلق من جنسها زوجها فالذكر و الأنثى من جنس واحد و إن كانا يختلفان صنفاً.

ولفظة «من» في «منها» لبيان الجنسية كقولك: خاتم من فضة.

٤. جواز حلب الماشية بغير إذن صاحبها

أخرج أبو داود، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة بن جندب انّ النبي ﷺ قال: إذا أتى أحدكم على ماشية فإن كان فيها صاحبها فليستأذنه، فإن أذن له فليحلب وليشرب، فإن لم يكن فيها فليصوِّت ثلاثاً، فإن أجابه فليستأذنه، وإلاّ فليحتلب و ليشرب ولا يحمل. [٣]

ورواه الترمذي في باب ما جاء في احتلاب المواشي بغير إذن مالكها، ثمّ قال: حديث سمرة حديث حسن غريب، والعمل على هذا عند بعض أهل

---

١. مسند أحمد: ٥/ ٨٥.

٢. التوراة، سفر التكوين، الاصحاح الثاني برقم ٢٣ـ٢٤.

٣. سنن أبي داود: ٣/ ٣٩ برقم ٢٦١٩.

العلم، و به يقول أحمد و إسحاق. [١]

ولنا معه وقفة قصيرة وذلك انّه مخالف لما اتّفق عليه المسلمون من أنّه لا يجوز التصرف في مال الغير دون إذنه، ورووا عن رسول الله ﷺ انّه قال: لا يحلّ مال امرئ مسلم إلاّ بطيب نفس منه. [٢]

وقال الرسول ﷺ في خطبته المعروفة في حجّة الوداع: «إنّ الله قد حرّم عليكم دماءكم و أموالكم إلى أن تلقوا ربّكم كحرمة بلدكم هذا». [٣] و الحديث وإن كان يحتمل أن يكون مخصصاً للعموم لكن لسان العموم آبٍ عن التخصيص ولذلك يكون المضمون منكراً غير مطابق للأُصول.

٥. الإذن في شرب النبيذ بعدما نُهي عنه

أخرج الإمام أحمد، عن منذر أبي حسان، عن سمرة بن جندب انّ النبي ﷺ: أذن في النبيذ بعدما نهىٰ عنه. [٤]

أقول: اجتمعت الأُمّة الإسلامية على تحريم الخمر، وهي عصير العنب الذي اشتد وأسكر، وأمّا غيرها المتخذ من الزبيب أو التمر أو الشعير أو الذّرة ففيها اختلاف وتفصيله لا يسع المقام.

والذي يمكن أن يقال: إنّ كلّ شراب كان بجنسه مسكراً فهو حرام، سواء صار سبباً للإسكار أو لا، و يدلّ على ذلك ما أخرجه البخاري عن عائشة، قالت:

---

١. سنن الترمذي: ٣/ ٥٩٠ برقم ١٢٩٦.

٢. مسند أحمد: ٥/ ٧٢.

٣. السيرة النبوية لابن هشام: ٤/ ٢٥٢.

٤. مسند أحمد: ٥/ ١٢.

سئل رسول الله ﷺ عن البتع، فقال: كل شراب أسكر فهو حرام. [١]

وفي رواية أُخرى عنهـا: سئل رسول الله عن البتع و هو نبيـذ العسل و كان أهل اليمن يشربونه، فقال رسول الله ﷺ: كل شراب أسكر فهو حرام. [٢]

والمراد من قوله: أسكر، أي ما كان بجنسه مسكراً لا ما يكون مسكراً لنفس الشارب، و إلّا يلزم أن يكون حراماً لشخص إذا أسكره و غير حرام لشخص آخر إذا لم يسكره لوجود الاختلاف في الأمزجة و غيرها.

وعلىٰ ضوء ذلك فما رواه سمرة من نهي النبيﷺ عن النبيذ ثمّ تجويزه يجب أن يتوارد المنـع والجواز على موضـوع واحد، فـلا يخلو إمّـا أن يكون الموضـوع هو النبيذ المسكر أو غيره، أمّا الثاني فيبعد ورود النهـي عليه ثمّ رفعه، و قد كان أهل المدينة ينبذون تمراً في المياه المعدّة للشرب في أوّل الليل لإذهاب مرّها ثمّ يشربونها صباحاً، فلا وجه لورود المنع والإبـاحة على مثله، فينحصر الموضوع بالمسكر منه، وهذا يعنـي انّه ﷺ نهىٰ عنـه ثمّ رخص فيـه مع أنّـه مناف لما رواه البخـاري عن السيدة عائشة انّه حرم كلّ مسكر.

مضافاً إلى أنّه كيف يمكن للنبي ﷺ أن يرخص ما يزيل العقل ويسكره؟!

وللكلام صلة، فمن أراد فليرجع إلى الخلاف للشيخ الطوسي. [٣]

٦. الدجال يبرئ الأكمه والأبرص

أخرج الإمـام أحمد، عن الحسن، عن سمرة بـن جندب انّ نبي الله ﷺ كان يقول: إنّ الدجال خارج و هو أعور عين الشمال، عليها ضفرة غليظة، و انّه يبرئ

---

١ و ٢. البخاري، الصحيح: ٧/ ١٠٥، كتاب الأشربة.

٣. الخلاف: ٥/ ٤٧٣ـ٤٨٨.

الأكمه و الأبـرص ويحيي الموتى، ويقول للنـاس: أنا ربّكم، فمن قـال: أنت ربّي فقد فتن، و من قـال: ربيّ الله حتى يموت فقد عصم من فتنته ولا فتنـة بعده عليه ولا عذاب، فيلبث في الأرض ما شاء الله، ثـمّ يجيئ عيسى ابن مريم عليهما السلام من قبل المغرب مصدقاً بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى ملته فيقتل الدجال، ثمّ إنّما هو قيام الساعة. (١)

أقول: إنّ مضمون الحديث يخالف العقل و النقل.

أمّا العقل فـلأنّه يستقـل بقبح منح القـدرة الخارجة عـن العادة للكـذابين الموجب لافتتان الناس، والظاهر من الرواية أعني قوله: «فيلبث في الأرض ما شاء الله» انّه يعيش في الأُمّة الإسلامية سنين متمادية، و يقوم بما يقوم به المسيح من إبراء الأكمه والأبرص و إحياء الموتى، فيضلُّ الناس بمعاجزه وكراماته التي أعطاها الله سبحانه له . هذا من جانب و من جـانب آخر انّ الناس بطبيعتهم مفتونون بمن يصدر عنه المعاجز حيث يجعلون قدرتـه على أُمور خارقة للعادة دليلاً على صدق مدّعـاه أعني قولـه: «أنا ربّكـم» فيَضلّون واحـد بعد آخر، وعنـدئذٍ فما ذنبهم إذا آمنوا به مع وجود أرضية خصبة للإيمان به؟!

وأمّا النقل، فإنّه سبحانه يقول: ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الأَقـاوِيل * لأَخَذْنا مِنْـهُ بِاليَمِينِ * ثُـمَّ لَقَطَعْنا مِنْـهُ الوَتِينَ * فَمـا مِنْكُمْ مِـنْ أَحدٍ عَنْـهُ حاجِـزِين** ﴾ (الحاقة/ ٤٤ ـ ٤٧).

يستدل سبحانه على صدق كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه لو تقوَّل علينا هذا الرسول (الذي زوّدناه بمعاجـز من أهمها القرآن الكريم) و نسب إلينـا ما لم نقله لانتقمنا منه بشـدة وقتلناه، فما منكـم من أحد عنـه حاجـزين، و مـا ذلك إلاّ لأنّ تسليط الإنسان الكاذب المفتري، على قـوّة خارقة يوجب افتتان النـاس به، و يصير سبباً لإضلالهم، فمقتضى حكمته أن لا يمهله بل يأخذه باليمين.

---

١. مسند أحمد: ٥/ ١٣.

وعلى ضوء ذلك فالدجال إذا قام بما يقوم به المسيح عليه السلام من الإبراء والإحياء مع تقوّله بأنّه «ربّكم» يكون ذلك سبباً لإضلال الناس، فمقتضى الحكمة عدم تزويده بهذه القدرة منذ أوّل الأمر إذا كان متقوّلاً به، أو عدم إمهاله إذا صار سبباً لإضلالهم.

٧. وحي الشيطان إلى حواء

أخرج الترمذي، عن الحسن، عن سمرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لما حملت حواء طاف بها إبليس و كان لا يعيش لها ولد، فقال: سمّيه عبد الحارث، فسمّته بعبد الحارث، فعاش ذلك، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره. [1]

وثمة تساؤلات:

أوّلاً: انّه سبحانه يصف إبليس بأنّه عدو لآدم و زوجه، يقول سبحانه: ﴿فَقُلْنا يا آدَمُ إِنّ هذا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقى﴾ (طه/ ١١٧) . ومع ذلك كيف أسدى لها النصح، وقال: لها سمّيه عبد الحارث فسمّته به، فصار سبباً لحياته، وهذا أشبه بكلام الناصح لا العدو؟!

ثانياً: انّ معنى الحديث انّ تسمية حواء ابنها بعبد الحارث ـ الذي فيه شائبة الشرك والوثنية ـ كانت مؤثرة في بقاء طفلها، وهل يصح ذلك؟ إذ معناه أنّ التسمية لو تغيرت إلى عبد الله لما أثّر في بقاء الطفل.

ثالثاً: لم يذكر في التاريخ أبداً انّه كان لحواء ابن اسمه عبد الحارث، سوى ولدين ذكرين: قابيل و هابيل، فمن أين هذا الولد مع اسمه؟!

---

١. سنن الترمذي: ٥/ ٢٦٧ برقم ٣٠٧٧؛ ورواه الإمام أحمد في مسنده: ٥/ ١١.

٢٣

عبد الله بن مُغفَّل المزني

(... ـ ٦٠هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١ . المرأة والكلب والحمار تقطع الصلاة

٢ . ترك البسملة في الصلاة

ابن عبد نهم بن عفيف المزني، يكنّىٰ أبا سعيد وقيل أبا عبد الرحمان. سكن المدينة ثمّ البصرة، وله عدّة أحاديث.

حدّث عنه: الحسن البصري، ومطرّف بن الشّخّير، وابن بريدة، وسعيد بن جبير، ومعاوية بن قرّة، وحميد بن هلال، وثابت البناني، وغيرهم.

وكان أبوه من الصحابة، فتوفي عام الفتح في الطريق.

وكان أحد العشرة الذين بعثهم عمر إلىٰ البصرة يفقهون الناس، وهو أوّل من دخل من باب مدينة «تستر» لما فتحها المسلمون.

توفي عبد الله بن مغفل بالبصرة سنة ستين للهجرة أيام أمارة ابن زياد بالبصرة، وصلّى عليه أبو برزة الأسلمي بوصية منه. [1]

---

١ . أُسد الغابة: ٣/ ٢٦٤؛ سير أعلام النبلاء: ٢/ ٤٨٣ برقم ٩٩.

وهـو مـن المقلّين في الـروايـة، وقـد أُحصيـت روايـاتـه في المسنـد الجامـع فبلغت ٢٦. [١]

من روائع رواياته:

١. أخرج مسلم في صحيحه، عن مطرف، عن عبد الله بن مغفل، قال:

أمر رسـول الله ﷺ بقتل الكـلاب، قـال: ما بـالهم وبـال الكلاب، قـال: ورخص في كلب الصيـد وكلب الغنم، وقال: إذا ولـغ الكلب في الإناء فـاغسلوه سبعة مرات وعفِّروا الثامنة بالتراب. [٢]

٢. أخرج أبو داود، عن الحسن، عن عبد الله بن مغفل، عن النبي ﷺ قال:

إنّ الله رفيق يحب الـرفـق و يـرضـاه، ويعطي على الـرفـق مـالا يعطي على العنف. [٣]

وقد عزّي إليه بعض مالا يصلح، نذكر منها ما يلي:

١. المرأة والكلب والحمار تقطع الصلاة:

أخرج ابن ماجة، عن الحسن، عن عبد الله بن مغفل، عن النبي ﷺ قال:

«يقطع الصلاة المرأة والكلب والحمار». [٤]

إنّ التتبع في الأحاديث المنسوبة إلى النبي ﷺ يرشدنا إلى ظاهرة «الحط من شأن المرأة» فتارة تعـرَّف المرأة بأنّها مما يتطير بها، فقد روي عن سعـد بن مالك انّ

١. المسند الجامع: ١٢/ ٢٥٠ برقم ٣٩٨.
٢. صحيح مسلم: ١/ ١٦٢، باب حكم ولوغ الكلب.
٣. سنن أبي داود: ٤/ ٢٥٤ برقم ٤٨٠٧.
٤. سنن ابن ماجة: ١/ ٣٠٦ برقم ٩٥١.

رسول الله ﷺ قال: و إن تكن الطيرة في شيء ففي الفرس و المرأة والدار. [١]

وأُخرى بمنعها من التصرف في مالها، فروىٰ أبو داود في سننه، عن عمرو ابن شعيب، عن جده انّ رسول الله ﷺ قال: لا يجوز لامرأة أمر في مالها، إذا ملك زوجُها عصمتها. [٢]

وثالثة بكونها ممنوعة التصرف في ما لها بالعطية، كما جاء في رواية أُخرى انّ رسول الله ﷺ قال: لا يجوز لامرأة عطية إلاّ بإذن زوجها. [٣]

ورابعة بأنّها أكثر أهل النار، أخرج الإمام أحمد، عن عبد الله بن مسعود، انّ رسول الله ﷺ قال: تصدقنَّ يا معشر النساء ولو من حليكنَّ فانّكنّ أكثر أهل النار. [٤]

وخامسة بأنّها تشارك الكلب والحمار في قطع الصلاة أثناء المرور بين يدي المصلي كما في هذه الرواية.

وأين هذا من قول النبي ﷺ: «حبّب إليَّ من الدنيا: النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة»؟ [٥]

وتتكرس ظاهرة الحط من شأن المرأة أكثر إذا علمنا انّ بعض الروايات تجوّز قتال المارّ بين يدي المصلي.

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري، انّ رسول الله ﷺ قال: إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحداً يمر بين يديه، وليدرأه ما استطاع، فإن أبى

---

١. سنن أبي داود: ٣/ ١٩ برقم ٣٩٢١.

٢. سنن أبي داود: ٣/ ٢٩٢ برقم ٣٥٤٦.

٣. نفس المصدر: برقم ٣٥٤٧.

٤. مسند أحمد:١/ ٣٧٦.

٥. مسند أحمد:٣/ ١٢٨.

فليقاتله فإنّما هو شيطان. [١]

وعلى ذلك فيجوز قتل المرأة بلا محاباة كقتل الكلب و الحمار.

كلّ ذلك يجعل الرواية من الموضوعات المندسة في الروايات الإسلامية، وقد أوضحنا مفاد المنع من عبور المار بين يدي المصلّي عند دراسة روايات أبي سعيد الخدري، فلاحظ.

٢. ترك البسملة في الصلاة

أخرج أحمد في مسنده، عن ابن عبد الله بن مغفل يزيد بن عبد الله، قال:

سمعني أبي وأنا أقول:بسم الله الرّحمن الرّحيم، فقال: أي بنيَّ إيّاك، قال: ولم أر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ كان أبغض إليه حدثاً في الإسلام منه، فانّي قد صليت مع رسول الله ﷺ ومع أبي بكر و عمر و مع عثمان، فلم أسمع أحداً منهم يقولها، فلا تقلها، إذا أنت قرأت فقل: «الحمد لله ربّ العالمين». [٢]

والرواية لا تخلو من إشكالات:

الأوّل: انّها تخالف الذكر الحكيم ، يقول سبحانه: **﴿وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ المَثانِي وَالقُرآنَ العَظِيم﴾** (الحجر/ ٨٧).

والمراد من السبع المثاني هو فاتحة الكتاب، وآياته سبع إذا عُدَّت البسملة آية مستقلة وإلاّ تعود ست، قال سبحانه: **﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم * اَلْحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ * الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم * مالِكِ يَومِ الدِّين * إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعينُ * اْهدِنَا الصِّراطَ المُسْتَقيمَ * صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضّالين﴾**.

---

١. صحيح مسلم: ٢/ ٥٧، باب منع المار بين يدي المصلي، من كتاب الصلاة.

٢. مسند أحمد: ٤/ ٨٥.

الثاني: انّه يخالف ما روي عن أنس بن مالك، قال: صلّى معاوية بالمدينة صلاة، فجهر فيها بالقراءة، فقرأ فيها بسم الله الرّحمن الرّحيم لأُمّ القرآن، ولم يقرأ بسم الله الرّحمن الرّحيم للسورة التي بعدها حتى قضىٰ تلك القراءة، فلما سلّم، ناداه من سمع ذلك من المهاجرين والأنصار من كل مكان يا معاوية أسرقت الصلاة أم نسيت؟ فلما صلّى بعد ذلك قرأ بسم الله الرّحمن الرّحيم للسورة التي بعد أُمّ القرآن. (١)

وأخرجه غير واحد من أصحاب المسانيد كالإمام الشافعي في مسنده. (٢)

ورُوي أيضاً عن أنس من طريق آخر قال: سمعت رسول الله يجهر بالصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم. (٣)

وهناك روايات تدل علىٰ أنّ البسملة جزء من الفاتحة .

١ . ما أخرجه الحاكم، عن ابن جريج ،عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي﴾ قال: فاتحة الكتاب، ثمّ قال: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ*الحَمْدُ للهِ رَبِّ العٰالَمِين﴾ وقرأ السورة، قال ابن جريج: فقلت لأبي: لقد أخبرك سعيد عن ابن عباس انّه قال: بسم الله الرّحمن الرّحيم آية؟ قال: نعم.

وقد أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه، كما أورده الذهبي في تلخيصه وصححه. (٤)

٢ . ما صحّ عن ابن عباس أيضاً، قال: إنّ النبي ﷺ كان إذا جاء جبرائيل فقرأ بسم الله الرّحمن الرّحيم علم أنّها سورة.

---

١. الحاكم، المستدرك: ١/ ٢٣٣.

٢. لاحظ مسند الشافعي: ٤٧.

٣. الحاكم، المستدرك: ١/ ٢٣٣، وقال: رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات.

٤. المستدرك: ٢/ ٢٥٧، تفسير سورة الفاتحة.

وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه. [١]

٣. ما صحّ عن ابن عباس أيضاً، قال: كان النبي ﷺ لا يعلم ختم السورة حتى نـزل بسـم الله الـرّحمن الـرّحيم، وقـد صرح الحاكـم والـذهبي في تلخيـص المستدرك بصحته. [٢]

٤. ما صحّ عنه أيضاً قال: كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السورة، حتى تنزل: بسم الله الرّحمن الرّحيم، فإذا نزلت بسم الله الرّحمن الرّحيم علموا أنّ السورة قد انقضت. [٣]

قال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين،وقد أقرّه الذهبي في تلخيصه.

٥. ما صـحّ عن أُم سلمة، قـالت: كـان النبي ﷺ يقرأ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم*الحَمْدُ للهِ رَبِّ العٰالَمين﴾ يقطعها حرفاً حرفاً [٤] وقد صرّح بصحّتـه على شرط الشيخين.

٦. وعن أُم سلمـة أيضـاً من طـريق آخـر قـالت: إنّ رسـول الله ﷺ قرأ في الصلاة: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الـرَّحِيم﴾ فعدّهـا آية، ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العٰـالَمين﴾ آيتين، ﴿الرّحمن الرّحيم﴾ ثلاث آيات، ﴿مالكِ يَومِ الدّين﴾ أربع آيات، ﴿إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعين﴾ وجمع خمس أصابعه. [٥]

٧. مـا صحّ عن نعيم المجمـر، قـال: كنت وراء أبي هـريرة فقـرأ بسم الله الـرّحمن الرّحيم ثـمّ قرأ بـأُمّ القرآن حتـى بلغ ﴿ولا الضّالين﴾ قـال: آمين، وقـال الناس: آمين، ... ويقول إذا سلم: والذي نفسي بيـده انّي لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ. [٦]

٨. وعن أبي هـريرة أيضـاً، قال: كان رسـول الله يجهر في الصـلاة ببسم الله الرّحمن الرّحيم. [٧]

---

١ و ٢. المستدرك: ١/ ٢٣١.

٣ و ٤ و ٥ و ٦. المستدرك: ١/ ٢٣٢.

٧. المستدرك: ١/ ٢٣٢ـ٢٣٣.

٩. ما صحّ عن أنس من طريق آخر، قال: سمعت رسول الله يجهر في الصلاة ببسم الله الرّحمن الرّحيم. [١]

١٠. ما صحّ عن محمد بن السري العسقلاني، قال: صليت خلف المعتمر ابن سليمان ما لا أُحصي، صلاة الصبح و المغرب فكان يجهر ببسم الله الرّحمن الرّحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها و سمعت المعتمر، يقول: ما آلو أن اقتدي بصلاة أبي، وقال أبي: ما آلو أن اقتدي بصلاة أنس بن مالك، و قال أنس: ما آلو أن اقتدي بصلاة رسول الله . [٢]

هذه عشرة كاملة من الروايات الدالة علىٰ أنّ البسملة جزء من أُمّ الكتاب، بل من سائر السور أيضاً، وقد نقلها الحاكم أبو عبد الله في المستدرك .

وقد نقل الرازي في تفسيره الكبير انّ البيهقي روى الجهر ببسم الله الرّحمن الرّحيم في سننه عن عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن عمر، و ابن الزبير، ثمّ قال الرازي ما هذا لفظه:

وأمّا انّ علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) كان يجهر بالبسملة فقد ثبت بالتواتر، و من اقتدىٰ في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدىٰ، قال والدليل عليه: قول رسول الله ﷺ «اللّهمّ أدر الحق معه حيث دار». [٣]

ثمّ إنّه أورد حجج المخالفين و قال: والجواب عنها من وجوه:

الأوّل: قال الشيخ أبو حامد الاسفرايني: روى عن أنس في هذا الباب ست روايات:

امّا الحنفية، فقد رووا عنه ثلاث روايات:

إحداها: قوله: صليت خلف رسول الله ﷺ وخلف أبي بكر وعمر وعثمان، فكانوا يستفتحون الصلاة بالحمد لله ربّ العالمين.

---

١. المستدرك: ١/ ٢٣٣، باب الجهد بالبسملة.

٢. المستدرك: ١/ ٢٣٤.

٣. الرازي، مفاتيح الغيب: ١/ ٢٠٥.

وثانيتها قوله: إنّهم ما كانوا يذكرون بسم الله الرّحمن الرّحيم.

وثالثتها قوله: لم أسمع أحداً منهم قال: بسم الله الرّحمن الرّحيم.

فهذه الروايات الثلاث تقوي قول الحنفية ـ قال ـ :وثلاث أُخرى تناقض قولهم.

إحداها: ذكر انّ أنساً روى أنّ معاوية لما ترك بسم الله الرّحمن الرّحيم في الصلاة أنكر عليه المهاجرون والأنصار، و قد بيّنا انّ هذا يدل على أنّ الجهر بالبسملة كان كالأمر المتواتر عندهم المسلم فيما بينهم.

وثانيتها: روىٰ أبو قلابة عن أنس انّ رسول الله ﷺ وأبا بكر و عمر كانوا يجهرون ببسم الله الرّحمن الرّحيم.

وثالثتها: انّه سئل عن الجهر ببسم الله الرّحمن الرّحيم والاسرار به فقال: لا أدري هذه المسألة ـ قال ـ: فثبت انّ الرواية عن أنس في هذه المسألة قد عظم فيها الخبط والاضطراب فبقيت متعارضة فوجب الرجوع إلى سائر الدلائل .[1]

وأيضاً ففيها تهمة أُخرى، وهي انّ علياً عليه السلام كان يبالغ في الجهر بالتسمية، فلما تسلم بنو أُمية زمام الحكم بالغوا في المنع من الجهر بها سعياً في إبطال آثار عليّ عليه السلام ـ قال ـ : فلعل أنس خاف منهم، فلهذا السبب اضطربت أقواله ـ ونحن مهما شككنا في شيء فلا نشك في أنّه إذا وقع التعارض بين قول أمثال أنس و ابن المغفل و بين قول علي بن أبي طالب عليه السلام الذي بقي عليه طول عمره فإنّ الأخذ بقول عليّ أولى (قال) فهذا جواب قاطع في المسألة إلىٰ أن قال: و من اتخذ عليّاً إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه و نفسه إلى آخر كلامه.[2]

وبذلك تعلم قيمة خبر عبد الله بن مغفل، وقد أورده ابن رشد عند التكلم في البسملة ونقل عن ابن عبد البرّ انّ ابن مغفل رجل مجهول.[3]

---

١. إلى هنا انتهى ما نقله عن أبي حامد الاسفرائيني.
٢. مفاتيح الغيب:١/ ٢٠٦ـ ٢٠٧، وقد اقتصرنا في نقل أجوبته على وجه واحد.
٣. بداية المجتهد:١/ ١٢٤.

٢٤

بريدة بن الحصيب الأسلمي

(...ـ٦٢ أو ٦٣هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. خمس لا يعلمهن إلاّ الله
٢. القضاة ثلاثة
٣. الملك لا يدخل بيتاً فيه كلب
٤. غزا رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة
٥. تحرك الجبل والأمر بثباته
٦. ضرب الدف عند رأس الرسول ﷺ
٧. خير القرون قرني
٨. سبق بلال النبي إلى الجنة

بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن عامر الأسلمي، يُكنّىٰ أبا حصيب، و«أسلم» فيمن انخزع من بطون خزاعة، قيل: لما هاجر رسول الله ﷺ من مكّة إلى المدينة فانتهىٰ إلى الغميم أتاه بريدة بن الحصيب فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم هو ومن معه، و كانوا زهاء ثمانين بيتاً، فصلّى رسول الله ﷺ العشاء الآخرة فصلّوا خلفه. وأقام بأرض قومه ثمّ قدم على رسول الله ﷺ بعد أُحد فشهد معه مشاهده، وشهد الحديبية، وبيعة الرضوان تحت الشجرة، وكان من ساكني المدينة ثمّ تحوّل إلى البصرة وابتنىٰ بها داراً، ثمّ خرج منها غازياً إلى خراسان فأقام بمرو حتى مات و دفن بها وبقي ولده بها. [1]

١. طبقات ابن سعد: ٤/ ٢٤١ـ ٢٤٢؛ أُسد الغابة: ١/ ١٧٥.

روى عبد الله بن بـريدة، عن أبيه، قـال: بعث رسول الله عليّاً إلى خـالد بن الوليد ليقسّـم الخمس، وقال روح مرّة ليقبض الخمس، قـال: وأصبح علي ورأسه يقطر، قال: فقـال خالد لبريدة: ألا ترى إلىٰ ما يصنـع هذا ؟قال: فلما رجعتُ إلى النبي ﷺ أخبرته بما صنع عليّ عليه السلام ، قال: و كنـت أبغض عليّاً، فقـال يا بـريدة: أتبغض علياً ؟ قال: قلت: نعم، قال: فلا تبغضه، وقال «روح » مرّة: فأحبه فانّ له في الخمس أكثر من ذلك. أخرجه الثلاثة. [1]

أقول: لو صحّ الحديث فقد استأثر عليّ عليه السلام بما استأثره من باب انّ خمس الغنائم لله سبحـانه وللرسول ولـذي القربىٰ وعلي عليه السلام منهم، فلم يكـن استئثاراً بمال المسلمين، فأعظم ذنب اقترفه«بريدة»، هو بغضه لصدّيق الأُمة وأوّل من آمن بـالله ورسولـه في الأُمّة وجـاهد بنفسـه ونفيسه إلىٰ أن لقي الله سبحـانه وتعـالىٰ في محراب عبادته.

هذا هو الذنب العظيم الذي اقترفه بـريدة، لا ما ينقله الذهبي عنه، حيث قـال: شهدت خيبر و كنـت فيمن صعد الثلمـة فقـاتلت حتى رُئي مكـاني وعليَّ ثوب أحمر، فما أعلم انّي ركبت في الإسلام ذنباً أعظم عليَّ منه ـ أي الشهرة ـ. [2]

إنّ ما يحكيه الرجـل عن مكانه في خيبر لا يعدُّ ذنباً إذا كانـت النيّة صادقة، وأمّا إذا كـانت النيّـة غير صادقـة فلا يترتب عليهـا ثواب لا انّـه يعدّ ذنبـاً، وهذا يكشف عن قلّة فهمه للدين آنذاك.

وعلىٰ أية حال فقد توفي بريدة سنة ٦٢ أو ٦٣ هـ ، و روي لبريدة نحواً من ١٥٠ حديثاً. [3]

---

١. أُسد الغابة: ١/ ١٧٦ .و«روح» من رواة الحديث واقع في اسناده.

٢. سير أعلام النبلاء: ٢/ ٤٧٠.

٣. المصدر السابق.

وقد جمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت مائة حديث [١]. وله روايات يحكي سمّوها عن صحّة نسبتها إلى الرسول ﷺ، وله روايات شاذة عن القواعد الصحيحة، وإليك نزراً من روائع أحاديثه.

روائع أحاديثه:

١. أخرج ابن ماجة في سننه، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: العهد الّذي بيننا و بينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر. [٢]

الظاهر انّ الضمير في «بينهم» يرجع إلى العباد بقرينة رواية جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: بين العبد و بين الكفر ترك الصلاة، وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ، قال: ليس بين العبد والشرك إلاّ ترك الصلاة، فإذا تركها فقد أشرك. [٣]

ثمّ لو كان ترك الصلاة دليلاً على إنكار وجوبها، فالتارك كافر كفرَ جحود، وأمّا لو كان التركُ، تركَ تساهل وتسامح، فالكفر كفر النعمة، مثل قوله سبحانه: ﴿وَللهِ عَلى النّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العالَمين﴾ (آل عمران/ ٩٧). فقد فُسِّر الكفر فيها بكفر النعمة بترك الحج تساهلاً، لا عناداً وإنكاراً.

٢. أخرج أبو داود في سننه، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما، عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزل فأخذهما، فصعد بهما المنبر، ثمّ قال: صدق الله ﴿إنّما

---

١. المسند الجامع: ٣/ ١٨٦ـ٢٤٦.

٢. سنن ابن ماجة: ١/ ٣٤٢ برقم ١٠٧٩.

٣. المصدر السابق: برقم ١٠٧٨ و١٠٨٠.

إموالُكُمْ وَأَولادُكُمْ فِتْنَة﴾ رأيت هذين فلم أصبر. ثمّ أخذ في الخطبة. [١]

٣. أخرج النسائي في سننه، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: خطب أبو بكر وعمر، فاطمةَ، فقال رسول الله ﷺ: إنّها صغيرة فخطبها عليٌّ فزوّجها منه. [٢]

نعم كانت فاطمة عليها السلام صغيرة ومع ذلك كان تزويجها بعليٍّ ثمة مرجحات ومؤهّلات تؤهلها للزواج منه عليه السلام.

٤. أخرج الترمذي في سننه عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: يا عليّ لا تتبع النَّظرة، النَّظرة، فإنّ لك الأُولى وليست لك الآخرة. [٣]

والخطاب في قوله: لا تتبع من قبيل قوله: إيّاك أعني و اسمعي يا جارة، قال سبحانه مخاطباً للنبي ﷺ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرين﴾ (الزمر/ ٦٥).

٥. أخرج أحمد في مسنده، عن ابن عباس، عن بريدة، قال: غزوت مع عليّ اليمن فرأيت منه جفوة، فلمّا قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت عليّاً فتنقصته، فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير، فقال: يا بريدة ألست أولى با لمؤمنين من أنفسهم، قلت: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه. [٤]

هذا هو و اقع الحديث، وقد لعب البخاري به وذكره بنحو آخر يخلو من الفقرة الأخيرة،أعني قوله: «ألست أولى...» حيث قال: عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: بعث النبي ﷺ علياً إلى خالد ليقبض الخمس، وكنت أبغض علياً وقد

١. سنن أبي داود: ١/ ٢٩٠ برقم ١١٠٩؛ وأخرجه ابن ماجة في سننه: ٢/ ١١٩٠ برقم ٣٦٠٠.
٢. سنن النسائي: ٦/ ٦٢ باب تزوج المرأة مثلها في السن.
٣. سنن الترمذي: ٥/ ١٠١ برقم ٢٧٧٧.
٤. مسند أحمد بن حنبل: ٥/ ٣٤٧.

اغتسل، فقلت لخالد: ألا ترىٰ إلى هـذا، فلمّا قدمنا على النبيّ ﷺ ذكرت ذلك له، فقال: يا بريدة أتبغض عليّاً، فقلت: نعم، فقال: لا تبغضه فانّ له في الخمس أكثر من ذلك. (١)

٦. أخرج الترمذي عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله أمرني بحبّ أربعة، وأخبرني انّه يحبّهم، قيل: يا رسول الله سمِّهم لنا، قال: عليٌّ منهم، يقول ذلك ثلاثاً، وأبو ذرّ، والمقداد وسلمان، أمرني بحبّهم، وأخبرني انّه يحبُّهم. (٢)

٧. أخرج أحمد في مسنده، عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له، ثمّ أخذه من الغد فخرج فرجع ولم يفتح له وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد.

فقال رسول الله ﷺ: إنّي دافع اللواء غداً إلىٰ رجل يحبّه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، لا يرجع حتى يفتح له، فبتنا طيبة أنفسنا انّ الفتح غداً، فلما ان أصبح رسول الله ﷺ صلّى الغداة، ثمّ قام قائماً فدعا باللواء و الناس على مصافّهم، فدعا عليّاً وهو أرمد فتفل في عينيه، ودفع إليه اللواء وفتح له.

قال بريدة: وأنا فيمن تطاول لها. (٣)

ولعلّ الفاعل في قوله: «ثم أخذه من الغد» هو عمر دون أبي بكر أي أخذ عمر الراية من الغد بشهادة انّ الإمام أحمد نقله أيضاً عن بريدة في موضع آخر بهذا النحو.

أخرج أحمد في مسنده عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: لما نزل رسول

---

١. صحيح البخاري: ٥/ ١٦٣، باب بعث علي بن أبي طالب و خالد بن الوليد إلى اليمن.

٢. سنن الترمذي: ٥/ ٦٣٦ برقم ٣٧١٨؛ وأخرجه ابن ماجة في سننه: ١/ ٥٣ برقم ١٤٩.

٣. مسند أحمد بن حنبل: ٥/ ٣٥٤.

الله ﷺ بحصن أهل خيبر أعطىٰ رسول الله ﷺ اللواء عمر بن الخطاب ونهض معه من نهض من المسلمين فلقوا أهل خيبر، فقال رسول الله ﷺ: لأعطينّ اللواء غداً...». [١]

هذه نخبة من روائع أحاديثه تلوناها لتكون نموذجاً لما لم نذكر.

نعم عزيت إليه روايات لا تستقيم مع الضوابط و الموازين التي حررناها في صدر الكتاب.

١. خمس لا يعلمهنّ إلاّ الله

أخرج الإمام أحمد في مسنده، عن عبيد الله بن بريدة، عن أبيه، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خمس لا يعلمهنّ إلاّالله، إنّ الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأيّ أرض تموت انّ الله عليم خبير». [٢]

لا شكّ انّ النبي ﷺ إذا أخبر بأنّ ثمة أُموراً خمسة لا يعلمها إلاّ الله يحتم علينا القبول لأنّه خبر صادق مصدق.

إنّما الكلام إذا حاولنا استخراج هذا الخبر الغيبي من الآية الواردة في آخر سورة لقمان، فالظاهر انّ الآية لا تدل على الانحصار إلاّ في موارد ثلاثة.

أ. علم الساعة: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ الساعةِ﴾ .

ب. العلم بما يكسبه الإنسان في غده: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذا تَكْسِبُ غَداً﴾.

---

١. مسند أحمد بن حنبل: ٥/ ٣٥٨.

٢. مسند أحمد بن حنبل: ٥/ ٣٥٣.

ج. العلم بالأرض التي تموت فيها: ﴿وَما تَدْري نفس بِأَيّ أَرْضٍ تَمُوت﴾ هذه الأمور الثلاثة مما استأثر الله سبحانه علمها لنفسه، وأمّا الأمران الباقيان فلا دلالة في الآية على الاستئثار.

أمّا الأوّل أعني قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ﴾ فهو اخبار عن كونه سبحانه منزلَ الغيث، ولا دلالة في قوله على استئثار علم النزول بنفسه، ويشهد لذلك تغيير الصيغة بين المعطوف عليه و المعطوف.

فالمعطوف عليه جملة اسمية أعني قوله: ﴿عنده علم الساعة﴾.

والمعطوف جملة فعلية أعني قوله: ﴿وينزّل الغيث﴾ فلو كانت الجملة الثانية هادفة لبيان الانحصار كان الأنسب أن يقول: «ونزول الغيث»، فتكون الآية بالشكل التالي: انّ الله عنده علم الساعة ونزول الغيث.

وأمّا الثاني: أعني قوله «ويعلم ما في الأرحام» فهو بصدد إثبات العلم لله سبحانه لا بصدد النفي عن غيره، واستفادة النفي منه يحتاج إلى دليل قاطع.

٢. القضاة ثلاثة

أخرج الترمذي، عن ابن بريدة، عن أبيه، انّ النبي ﷺ قال: القضاة ثلاثة: قاضيان في النار وقاض في الجنة، رجل قضىٰ بغير الحقّ فعلم ذاك، فذاك في النار، وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو في النار، وقاض قضى بالحقّ فذلك في الجنة. [1]

والوارد عن أئمّة أهل البيت انّ القضاة أربعة:

أخرج الكليني عن أحمد، عن أبيه [2] رفعه عن أبي عبد الله، قال: القضاة

---

١. سنن الترمذي: ٣/ ٦١٣ برقم ١٣٢٢.

٢. المراد، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، ووالده هو محمد بن خالد.

أربعة ثلاثة في النار وواحد في الجنة، رجل قضىٰ بجور وهو يعلم فهو في النار، ورجل قضى بجور وهو لا يعلم فهو في النار، ورجل قضى بالحقّ وهو لا يعلم [١] فهو في النار، ورجل قضىٰ بالحقّ وهو يعلم فهو في الجنّة. [٢]

٣. الملك لا يدخل بيتاً فيه كلب

أخرج أحمد في مسنده،عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه، قال:

احتبس جبريل عليه السلام علىٰ رسول الله ﷺ فقال له: ما حبسك؟ قال: انّا لا ندخل بيتاً فيه كلب. [٣]

والحديث من دلائل القول باحتباس الوحي على رسول الله ﷺ وقد ذكر المفسرون تبعاً لأصحاب الحديث، احتباس الوحي على النبي ﷺ في تفسير قوله سبحانه: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَىٰ﴾ (الضحى/ ٣) وقد اختلفوا في مدّة الاحتباس وسببه اختلافاً كثيراً، يعرب عن كون الحديث منقولاً علىٰ غير الوجه الصحيح، أو موضوعاً علىٰ لسان النبي ونقل القرطبي [٤]، والطبرسي [٥] ما نشير إليه من الاختلافات.

أمّا مدّة الاحتباس فقيل: كان اثني عشر يوماً.

قال ابن عباس: خمسة عشر يوماً.

وقيل: خمساً وعشرين يوماً.

---

١. وهذا القسم سقط من الحديث النبوي.

٢. الوسائل: ١٨، الباب الرابع، من أبواب صفات القاضي، الحديث ٦.

٣. مسند أحمد: ٥/ ٣٥٣.

٤. تفسير القرطبي: ٢٠/ ٩٢ـ٩٤.

٥. مجمع البيان: ١٠/ ٧٦٤.

وقال مقاتل: أربعين يوماً.

فقال المشركون: إنّ محمّداً ودّعه ربُّه وقلاه، ولو كان أمره من الله لتاب عليه كما كان يفعل بمن كان قبله من الأنبياء.

وفي البخاري عن جندب بن سفيان، قال: اشتكىٰ رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاث فجاءت امرأة (زوج أبي لهب) فقالت: يا محمد إنّي لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَالضُّحىٰ * واللَّيلِ إذا سَجَىٰ * مٰا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ ما قَلىٰ﴾ .

وأمّا سبب الاحتباس ففيه الأقوال التالية:

١. انّ جرواً دخل البيت، فدخل تحت السرير فمات، فمكث نبي الله ﷺ أياماً لا ينزل عليه الوحي، فقال: يا خولة ما حدث في بيتي؟ ما لجبرئيل لا يأتيني؟ قالت خولة: فقلت: لو هيأت البيت وكنسته، فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا جرو ميت، فأخذته فألقيته خلف الجدار، فجاء نبي الله ترعد لَحِيْاه وكان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة، فقال: يا خولة: دثريني، فأنزل الله هذه السورة، ولما نزل جبرئيل سأله النبي ﷺ عن التأخر، فقال: أما علمت أنّا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة.

٢. سألته اليهود عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف، قال ﷺ: سأخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله فاحتبس عنه الوحي إلىٰ أن نزل جبرئيل عليه بقوله: ﴿وَلاٰ تَقُولَنَّ لِشيءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذٰلِكَ غداً * إلاّأَن يَشاءَ اللهُ﴾ (الكهف٢٣ ـ ٢٤). فأخبره بما سأل عنه وفي هذه القصة نزلت ﴿ما ودّعك ربّك وما قلى﴾.

٣. انّ المسلمين قالوا: يا رسول الله ما لك لا ينزل عليك الوحي؟

فقال: وكيف ينزل عليّ وأنتم لا تنقون رواجبكم.

ولا تقصون أظفاركم ولا تأخذون من شواربكم، فنزل جبرئيل بهذه السورة، فقال النبي ﷺ : ما جئت حتى اشتقت إليك، فقال جبرئيل: وأنا كنت أشدّ إليك شوقاً ولكنّي عبد مأمور.

٤ . عن جندب البجلي قال: كنت مع النبي ﷺ في غار فدميت اصبعه، فقال النبي ﷺ: «هل أنت إلا اصبع دميت، وفي سبيل الله ما لقيت» وابطأ عليه جبرئيل، فقال المشركون قد ودع محمد، فأنزل الله تبارك و تعالى : ﴿ما ودَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى﴾ .

هذا ما رواه المحدثون وتبعهم المفسرون في تفسير الآية، وفي الجميع تأملات:

الأوّل: انّ الاختلاف في المدة والسبب خير دليل علىٰ أنّ الحديث موضوع علىٰ لسان الرسول ﷺ ، فلو كان السبب موت الجرو تحت السرير فيرجع زمان الاحتباس إلى أوائل البعثة. ولو كان السبب هو عدم الاستثناء، فيرجع زمنه إلى السنة السابعة أو الثامنة من البعثة.

الثاني:كيف يمكن أن نتصور انّ الجرو مات ومكثت جيفته تحت السرير دون أن يشعر بها النبي ﷺ ، ولا أهل بيته، مع انّ طبيعة الحال تقتضي أن تكون منتنة في هذه المدّة، فيشعر بها كلّ من مرّ على البيت فضلاً عمن يقطن فيه لا سيما في أجواء حارة كأجواء الجزيرة العربية التي سرعان ما يفسد فيها كلّ شيء؟!

الثالث: كيف يكون عدم قصّ الأظفار وأخذ الشوارب سبباً لاحتباس الوحي، وهل هذا إلاّ أخذ البريء بذنب المجرم؟! قال سبحانه: ﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ﴾ (الأنعام/ ١٦٤).

فعلى ضوء ذلك يجب أن لا ينزل الوحي علىٰ أيِّ نبيّ طيلة عمره، لأنّ

الأنبياء والمرسلين كانوا على مقربة من المشركين والعصاة الذين لم يكونوا يقصُّون أظفارهم ولا يأخذون شواربهم بل يقترفون أشدّ المعاصي.

والحقّ انّه لم يكن هناك أيّ احتباس، بل تعلقت مشيئته تبارك و تعالى بإنزال الوحي بالتدرج حسب طروء الأسباب والحوادث التي تقتضي نزوله.

قال سبحانه: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرآن جُمْلَةً واحِدةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلاً ﴾ (الفرقان/ ٣٢).

وقد أشارت الآية إلىٰ سبب من أسباب نزول الوحي تدريجاً وهو تثبيت فؤاد النبي ﷺ، لأنّه ﷺ مهما كان إنساناً مثالياً، فهو بحاجة ماسّة إلى إمدادات غيبية من قبل الله سبحانه و تعالى في خضمّ الحياة المليئة بالطوارئ، والحوادث العصيبة، فاتصاله بعالم الغيب تدريجاً يخلق في روحه نشاطاً دؤوباً للعمل، يزيح عنها غبار التعب والهموم وبذلك يثبت قلب النبي ﷺ بصلته بعالم الوحي.

وهذا الأثر الإيجابي رهن نزول الوحي تدريجاً، وأمّا نزوله دفعة واحدة وإقفال بابه إلى آخر عمره فهو يخلو عن ذلك الأثر. [١]

هذا، ولنزول الوحي تدريجاً آثار ايجابية أُخرىٰ، أشار إليها الذكر الحكيم في بعض آياته، ولنقتصر علىٰ هذا المقدار.

وعلى ضوء ما ذكرنا فلم يكن أيّ احتباس وانقطاع للوحي، وإن زعم المشركون خلافه. وبالتالي لم يكن هناك سبب غير ما ذكرنا وبذلك يظهر وهن الرواية وعدم صحتها.

---

١. ما ذكرناه في تفسير الآية ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كفروا...﴾ هو الأولى بالأخذ، وقد ذكر السيد الطباطبائي وجهاً آخر ومثله السيد قطب، فراجع الميزان: ١٥/ ٢١٠ـ ٢١١؛ وفي ظلال القرآن: ١٩/ ٣٤ـ ٣٥ في تفسير سورة الفرقان.

٤ . غزا رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة

أخرج مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: غزا رسول الله تسع عشرة غزوة، قاتل في ثمانٍ منهنّ. (١)

أقول:إنّ غزوات الرسول أكثر ممّا ذكره، فقد بسط الواقدي الكلام في مغازي النبي وسراياه في الجزء الأوّل ثمّ استنتج ممّا ذكره ما يلي:

فكانت مغازي النبي ﷺ التي غزا بنفسه تسعاً وعشرين غزوة، وكان ما قاتل فيها تسعاً: بدر القتال، وأحد، والمريسيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف.

وكانت السرايا سبعاً وأربعين سريّة، واعتمر ثلاث عُمَر، ويقال: قد قاتل في بني النضير ولكن الله جعلها له نفلاً خاصّة، وقاتل في غزوة وادي القرىٰ في منصرفه عن خيبر وقتل بعض أصحابه، وقاتل في الغابة حتى قتل محرز بن نظلة، وقتل من العدو ستة. (٢)

وقد سرد الواقدي أسماء غزواته ﷺ في كتاب المغازي:

١ . غزوة الأبواء
٢ . غزوة بواط
٣ . غزوة بدر الكبرىٰ
٤ . غزوة ذات العُشير
٥ . غزوة القينقاع
٦ . غزوة السويق
٧ . غزوة قرارة الكُدر
٨ . غزوة غطفان
٩ . غزوة بني سليم
١٠ . غزوة أُحد
١١ . غزوة حمراء الأسد
١٢ . غزوة بئر معونة
١٣ . غزوة الرجيع
١٤ . غزوة بني النضير
١٥ . غزوة بني الموعد
١٦ . غزوة ذات الرقاع
١٧ . غزوة دومة الجندل
١٨ . غزوة المريسيع

١ . صحيح مسلم: ٥/ ٢٠٠ . باب عدد غزوات النبي ﷺ من كتاب الجهاد والسير .
٢ . الواقدي، المغازي: ١/ ٧.

١٩. غزوة الخندق ٢٠. غزوة بني قريظة ٢١. غزوة القرطاء

٢٢. غزوة بني لحيان ٢٣. غزوة الغابة ٢٤. غزوة الحديبية

٢٥. غزوة خيبر ٢٦. غزوة القضية ٢٧. غزوة مؤتة

٢٨. غزوتة ذات السلاسل ٢٩. غزوة الفتح.

وقد ذكر ابن هشام قصيدة حسّان الذي عد فيها المغازي، ومطلعها:

ألست خير معد كلّها نفراً ومعشراً ان هم عموا وإن حصلوا

قوم هم شهدوا بدراً بأجمعهم مع الرسول فما آلوا وما خذلوا[1]

كلّ ذلك يعرب عن أنّ غزوات النبي ﷺ أكثر من تسع عشرة غزوة ويُحتمل أن يكون المراد الغزوات التي شارك فيها بريدة مع النبي ﷺ فهي عبارة عن تسع عشرة غزوة.

ولكنّه احتمال ضعيف، لأنّه روي عن بريدة في موضع آخر من صحيح مسلم، أنّه قال:

غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة [٣].

وعلى كلّ تقدير فالرواية مضطربة.

٥. تحرك الجبل والأمر بثباته

أخرج أحمد في مسنده، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، انّ رسول الله ﷺ كان جالساً على حراء ومعه أبو بكر وعمر و عثمان، فتحرك الجبل، فقال رسول الله ﷺ: أثبت حراء، فانّه ليس عليك إلاّ نبي وصديق وشهيد. [٢]

---

١. سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٠٠. ٢. مسند أحمد: ٥/ ٣٤٦.

٣. صحيح مسلم: ٥/ ٢٠٠ باب عدد غزوات النبي ﷺ من كتاب الجهاد والسير.

لا شكّ انّ الأنبياء والأولياء يمتلكون قدرة خارقة للعادة يتصرّفون في الكون بإذنه ومشيئته سبحانه ولا غرو في ذلك، فقد قال سبحانه مخاطباً عيسى ابن مريم: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْر بَإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طِيراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ المَوتىٰ بِإِذْنِـي﴾ (المائدة/ ١١٠).

ولكنّهم لا يقومون بخوارق العادات إلاّ لغايات خاصة استدعت الضرورة ذلك، وهي إثبات نبوّتهم واتصالهم بالغيب، وعند ذلك تطرح الاستفسارات التالية، فأي غاية كانت في تثبيت جبل حراء؟

فهل كان ثمة شاك في نبوة النبي وأراد ﷺ بهذا العمل أن يزيل الشك عن قلبه؟!

أو كان وراء حركة الجبل خسف وزلزال مهلك لمن كان عليه؟!

ثمّ هل كانت الحركة مختصة بالجبل دون سائر الجبال والأراضي المتاخمة؟

وبما انّ «حراء» كان جبلاً من جبال مكة وكان النبي ﷺ يأوي إليه في أشهر معدودات قبل البعثة فهل كان هؤلاء الثلاثة موحدين يومذاك حتى يكونوا مع النبي ﷺ على الجبل؟

ولو افترضنا انّ النبي يأوي إليها بعد البعثة، فقد أسلم عمر بن الخطاب في السنة السادسة من البعثة، فهل كان هناك اجتماع في هذه السنة أو بعدها؟

وأسلم بريدة عند مسير النبي ﷺ إلى المدينة، فكيف ينقل تلك الحادثة وهي ترتبط بما قبل إسلامه؟!

كلّ هذه الاستفسارات تزيد الشك في صحّة الرواية وتجعلها من الموضوعات، وقد لعبت العاطفة الدينية دورها في جعل هذه الرواية.

كما وأخرجها مسلم عن أبي هريرة بنحو آخر، قال: إنّ رسول الله ﷺ كان

علىٰ حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة.

فقال رسول الله ﷺ: اهدأ، فما عليك إلاّ نبي أو صديق أو شهيد. (١)

وتنتهي الرواية إلىٰ أبي هريرة مع أنّه أسلم بعد الهجرة عام سبع، وقد اضيف فيها علي وطلحة والـزبير، وابدل الجبل بالصخرة، كما رواه أيضـاً الترمذي عن أبي هريرة في باب مناقب عثمان. (٢)

٦ . ضرب الدفّ عند رأس النبي ﷺ

أخرج الترمذي في سننه، عن عبد الله بن بريدة، قال: سمعت بريدة، يقول: خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جـارية سوداء، فقالت: يـا رسول الله، إنّي كنـت نذرت إن ردّك الله صـالحاً ان أضرب بين يديـك بالـدّفّ وأتغنّىٰ.

فقال لها رسول الله ﷺ: إن كنت نذرت فاضربي، وإلاّ فلا، فجعلت تضرب، فـدخل أبو بكـر وهي تضرب، ثـمّ دخل عليّ وهي تضرب، ثمّ دخـل عثمان وهي تضرب، ثمّ دخل عمر فألقت الدفَّ تحت إستها، ثمّ قعدت عليه، فقال رسول الله ﷺ: إنّ الشَّيطان ليخاف منك يا عمر، إنّي كنت جـالساً وهي تضرب، فدخل أبو بكر وهـي تضرب، ثمّ دخل عليّ وهي تضرب، ثـمّ دخل عثمان وهي تضرب، فلمّا دخلتَ أنت يا عمر ألقتْ الدف. (٣)

وقد نقله أحمد على اختلاف.

---

١. صحيح مسلم:٧/ ١٢٨، باب فضائل طلحة والزبير.

٢. سنن الترمذي:٥/ ٦٢٤ برقم ٣٦٩٦.

٣. سنن الترمذي: ٥/ ٦٢٠ـ ٦٢١ برقم ٣٦٩٠.

فتـارة نقل دفَّ الجاريـة على رأس النبي ﷺ فقط دون أن يـذكر شيئاً من دخول أبي بكر وعمـر و عثمان عليه. [١] وأُخرى نقـل دف الجارية مع دخـول أبي بكر ثمّ عمر دون أن يذكر دخول علي عليه السلام وعثمان. [٢]

وعلى أيّة حال فقد اتّفق الفقهاء على لـزوم كون المنذور أمراً راجحاً لا محرماً ولا مكروهاً، فلا ينعقد النذر إذا كان المنذور مكروهاً فضلاً عن كونه حراماً.

والضرب بالـدف امّا مكـروه أو حرام، فكيـف أجازهـا النبي ﷺ الضرب بالـدفِّ عند رأسـه؟! وقد أخـرج أحمد عن أبي أمامـة، عن النبي ﷺ: قال تبيت طائفة مـن أُمّتي على أكل وشرب ولهو ولعب ثمّ يصبحون قردة وخنـازير، فيُبعث علىٰ أحيـاء من احيائهـم ريح فتنسفهم كما نسفـت من كـان قبلهم باستحـلالهم الخمور وضربهم بالدفوف واتخاذهم القينات. [٣]

على أنّ الظاهـر من الحديث انّ الضرب بالـدفّ كان أمراً قبيحـاً ولذلك لما دخل عمـر ألقت الجارية الـدفَّ تحت إستها ثـمّ قعدت عليـه لتخفيه عن عمـر، فالنبي ﷺأولىٰ بأن ينهاها عن ذلك الأمر القبيح ولا يسمح لها بالدفِّ على رأسه.

ثمّ إنّ ظـاهـر الـرواية انّ عثمان دخـل وهي تضرب وجلـس دون أن تمسك الجارية، وهـي تخالف ما رواه ابن أبي أوفى، قـال: استأذن أبو بكـر على النبي ﷺ وجـاريـة تضرب الـدف فـدخل، ثـمّ استأذن عمـر فـدخـل، ثمّ استـأذن عثمان فامسكت، قال: فقال رسول الله ﷺ: إنّ عثمان رجل حييّ. [٤]

ومن البعيد أن تكون الواقعة متعددة.

---

١. مسند أحمد: ٥/ ٣٥٦.

٢. مسند أحمد: ٥/ ٣٥٨.

٣. مسند أحمد: ٥/ ٢٥٩. وأخرجه مسلم عن أبي هريرة ج٧/ ١٨٥، باب فضل الصحابة.

٤. مسند أحمد: ٤/ ٣٥٣.

ولعمر القارئ انّ هذه الروايات تشوّه سمعة الإسلام والنبي ﷺ، ومعناها جلوس النبي ﷺ بغية استماع ضرب الجارية للدف وغنائها.

٧. خير القرون قرني

أخرج أحمد، عن عبد الله بن مولة، قال: كنت أسير مع بريدة الأسلمي، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خير هذه الأُمّة القرن الذي بعثت أنا فيهم، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ يكون قوم تسبق شهادتُهم ايمانَهم، وايمانهم شهادَتهم.»[1]

القرن في اللغة عبارة عن الفترة من الزمان وإطلاقه على مائة سنة، إطلاق حادث لا تحمل عليه الرواية، وعلى ضوء ذلك فالقرن الذي بعث فيه النبي ﷺ خير القرون من الأزمنة باعتبار نفس النبي ﷺ فقط، فكان ﷺ نوراً انبعث في الظلمة حيث تقوضت به دعائم الشرك والوثنية، وأُشيد دعائم التوحيد والحنفية.

هذا يرجع إلى نفس النبي ﷺ، وأمّا غيره فالظاهر من الرواية انّها تصنِّف الناس حسب التفضيل بالنحو التالي:

الصحابة (القرن الذي بعثت فيه).

التابعون(ثمّ الذين يلونهم).

تابعو التابعين (ثمّ الذين يلونهم) و هكذا.

فكلّ من قرب زمنه من النبي ﷺ فهو أفضل ممن بعد عنه.

هذا ما تفيده الرواية، وللأسف الشديد انّ الواقع الملموس يثبت خلاف

---

١. مسند أحمد: ٥/ ٣٥٧، ولاحظ ص ٣٥٠.

ذلك، لا سيما من تصفح في التاريخ والحديث.

فهذا هو الإمام البخاري يروي في حقّ الصحابة.

أخرج البخاري عن ابن أبي مليكة، قال: قالت أسماء عن النبي ﷺ قال: أنا علىٰ حوضي أنتظر من يرد عليّ، فيؤخذ بناس من دوني فأقول أُمّتي، فيقول: لا تدري مشوا على القهقرىٰ. قال ابن أبي مليكة: اللّهمّ إنّا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن.

وأخرج أيضاً عن أبي وائل، قال: قال عبد الله، قال النبي ﷺ: أنا فرطكم على الحوض، ليرفعنَّ إليّ رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي ربّ أصحابي، يقول: لا تدري ماأحدثوا بعدك. [١]

والرواية الثانية دليل على أنّ المراد من قوله : «بناس» في الرواية الأُولى هم الصحابة.

أضف إلى ذلك انّ قوله: هم الذين يلونهم: يهدف إلى التابعين، وفيهم الأمويون، فهل يمكن أن نعد عصر الأمويين خير القرون وقد خضّبوا وجه الأرض بدماء الأبرياء وقتلوا سبط النبي ﷺ في كربلاء عطشاناً وذبحوا أولاده وأصحابه وهتكوا حرمة الكعبة؟!

وهذا هو الحجاج صنيعة أيديهم اقترف من الجرائم البشعة ما يقشعر لها جبين الإنسانية، ولا أطيل الكلام في ذلك والتاريخ خير شاهد على كذب هذه الرواية ووضعها من قبل سماسرة الحديث لتطهير الجهاز الأموي الحاكم ممّا ارتكبه. وقد مضى الكلام حول الحديث عند دراسة أحاديث عمران بن الحصين [٢].

١. صحيح البخاري: ٩/ ٤٦، كتاب الفتن.

٢. لاحظ ص ٢٤٩.

٨. سبق بلال النبيّ ﷺ إلى الجنة

أخرج الترمذي، عن عبد الله بن بريدة، قال حدثني أبي بريدة، قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً، فقال: يا بلال بم سبقتني إلى الجنة؟ ما دخلت الجنة قط إلاّ سمعت خشخشتك أمامي، دخلت البارحة الجنّة فسمعت خشخشتك أمامي، فأتيت على قصر مربّع مشرّف من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لرجل من العرب، فقلت: أنا عربي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش، قلت: أنا قرشيّ، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أُمّة محمّد، قلت: أنا محمد، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب. فقال بلال: يا رسول الله ما اذّنت قطّ إلاّ صلّيت ركعتين، وما أصابني حدث قطّ إلاّ توضأت عندها ورأيت انّ لله عليّ ركعتين، فقال رسول الله ﷺ: بهما. [1]

إنّ أبا أمامة الباهلي نقل نظير هذه الرواية عن النبي ﷺ وأضاف بعد عمر، عبد الرحمن بن عوف الثريّ المعروف [2] وبين الروايتين من حيث المضمون اختلاف فاحش، فحلّ فيها محل القصر وضع الميزان وترجيح كفة كلّ من النبي ﷺ وعمر وأبي بكر على جميع الأُمّة، ونذكر الرواية عند دراسة رواياته.

والمقارنة بين الروايتين تعرب انّ يد الدس تصرفت في الرواية سواء أصحت أم لم تصح.

وبعد ذلك فكيف سمع النبي ﷺ خشخشة بلال وهو حيّ يُرزَق في المدينة؟!

ثمّ إنّ جواب المجيب لسؤال النبي ﷺ بأنّ القصر لرجل من العرب ثمّ

١. سنن الترمذي: ٥/ ٦٢٠ برقم ٣٦٨٩.

٢. مسند أحمد:٥/ ٢٥٩.

الإجابة ثانياً ـ بعد سؤال النبي ـ بأنّه لعربي قرشي يعرب عن غلبة روح الطائفية و العنصرية علىٰ صانع الحديث، فانّ معيار الفضل عنده سبحانه هو التقوى والعمل الصالح، وسيوافيك بعض ما في الرواية من الإشكالات عند دراسة أحاديث أبي أمامة الباهلي.

ودراسة هذه الروايات دراسة مقارنة تعرب عن أنّ يد الوضع والتحريف قد نالت من هذه الروايات بغية رفع منزلة الخلفاء لدى المسلمين عبر القرون.

هذه دراسة ما عزي إلى أبي بريدة الأسلمي من الروايات ولا تُحْمل مسؤولية هذه الروايات على بريدة وإنّما عهدة ذلك على الرواة الذين نقلوا عنه أمثال هذه الروايات، ومع ذلك لا نبرّئ ساحة بريدة عنها، والمهم في المقام هي دراسة ما روي عن النبي ﷺ دراسة منزهة عن كلّ رأي مسبق.

٢٥

عبد الله بن عمرو بن العاص

(٨ق. هـ ـ ٦٥هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. الفراغ من الأمر: الجبر
٢. منع المرأة من التصرّف في مالها
٣. عدم توارث ملتين
٤. وجوب الوفاء بنذر المعصية
٥. لا يركب البحر إلاّ ثلاث
٦. الفرقة الناجية أنا وأصحابي
٧. قلوب بني آدم بين اصبعين
٨. عدم اضرار الخطيئة مع الايمان

هو ابن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن عمرو، يكنّى أبا محمد، وقيل أبا عبد الرحمان.

أُمّه هي رائطة بنت الحجاج بن منبِّه السَّهمية.

وقد أسلم قبل أبيه، ويقال كان اسمه العاص، وسمي في الإسلام بعبد الله.[1]

وهو ممن كتب حديث النبي ﷺ ولم يُعر أهمية للحظر الذي فرضه الخليفة

---

١. سير أعلام النبلاء: ٣/ ٧٩ برقم ١٧.

الثاني على تدوين الحديث، روى ابن سعد في طبقاته عن عبد الله بن عمرو: قال: استأذنت النبي ﷺ في كتاب ما سمعت منه، قال: فأذن لي فكتبته، فكان عبد الله يسمى صحيفته تلك «الصادقة».

وروى أيضاً عن مجاهد، قال: رأيت عند عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفة وسألت عنها، فقال: هذه الصادقة، فيها ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بيني و بينه فيها أحد. [١]

ويظهر ممّا نقله ابن سعد في طبقاته انّه كان في حياة الرسول كثير الصوم فينقل هو ويقول: قال لي رسول الله: ألم أُنبأ انّك تقوم الليل وتصوم النهار ؟ قال: قلت إنّي أقوىٰ، قال: فانّك إذا فعلت ذلك هجمت العينُ وتنفه النفسُ، صم من كلّ شهر، ثلاثة أيام فذلك صوم الدهر. [٢]

وهذا يعرب عن أنّه لم يكن متزناً في سلوكه، يروي طاووس قال: رأى النبي ﷺ علىٰ عبد الله بن عمرو ثوبين معصفرين، فقال: أُمّك أمرتك بهذا؟ فقال: أغسلهما يا رسول الله؟ فقال رسول الله: حرّقهما.

وروى ابن سعد أيضاً عن رشدين بن كريب، قال: رأيت عبد الله بن عمرو يعتم بعمامة حرقانيّة ويُرخيها شبراً.

وروى أيضاً عن العريان بن الهيثم، قال: وفدت مع أبي إلى يزيد بن معاوية، فجاء رجل طوال أحمر عظيم البطن فسلّم ثمّ جلس، فقال أبي: من هذا؟ فقيل: عبد الله بن عمرو. [٣]

والرجل وإن كان راوية الحديث، ولكن لم يكن واعية له وذا بصيرة في

---

١. طبقات ابن سعد: ٢/ ٣٧٣.

٢. طبقات ابن سعد: ٤/ ٢٦٢.

٣. المصدر السابق: ٤/ ٢٦٥ـ٢٦٦.

الدين، فقد زلّت قدمه في حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث شارك في قتاله وحمل الراية ضده.

قال الجزري: وشهد مع أبيه فتح الشام، وكانت معه راية أبيه يوم اليرموك، وشهد معه أيضاً صفين وكان على الميمنة، قال له أبوه: يا عبد الله : أخرج فقاتل، فقال: يا أبتاه أتأمرني أن أخرج فأُقاتل وقد سمعتَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعهد إليَّ ما عهد؟! قال: أنشدك الله يا عبد الله، ألم يكن آخر ما عهد إليك رسول الله أن أخذ بيدك فوضعها في يدي، وقال: أطع أباك؟ قال: اللهم بلىٰ. قال: فاني أعزم عليك أن تخرج فتقاتل، فخرج فقاتل وتقلّد بسيفين، وندم بعد ذلك فكان يقول: مالي ولصفين، مالي و لقتال المسلمين لوددت انّي متّ قبله بعشرين سنة.

وقيل انّه شهدها بأمر أبيه له ولم يقاتل، قال ابن أبي مليكة: قال عبد الله بن عمرو: «أما والله ما طعنتُ برمح ولا ضربتُ بسيف ولا رميت بسهم، وما كان رجل أجهد منّي من رجل لم يفعل شيئاً من ذلك». (١)

أقول: لو افترضنا صحة عهد الرسول بلزوم إطاعة أبيه، فلا يرمي الحديث إلاّ إلى إطاعته في الأُمور المباحة، كيف! وقد روى هو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال: لا نذر ولا يمين فيما لا يملك ابن آدم ولا في معصية الله عزّ وجلّ. (٢)

فالاحتجاج بقول رسول الله «أطع أباك» كأنّه واجهة لما ارتكب من الموبقات حيث شارك في حرب إمام تعد حربه حرباً لرسول الله وسلمه سلماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: أنا حرب لمن حاربتم و سلم لمن سالمتم. (٣)

---

١. أُسد الغابة: ٣/ ٢٣٤.

٢. مسند أحمد: ٢/ ٢١٢.

٣. كفاية الطالب، ص ٢٩٥؛ سنن الترمذي: ٢/ ٣١٩؛ مستدرك الصحيحين: ٣/ ١٤٩؛ أُسد الغابة: ٥/ ٥٢٣؛ كنز العمال: ٦/ ٢١٦.

ولكنّه أظهر الندم فيما لا ينفع الندم فيه .

كيف استجاب عبد الله بن عمرو لدعوة أبيه، وهو يعلم أنّ الخليفة الذي أصفق المهاجرون والأنصار على خلافته وإمامته قد صار واجب الطاعة، والخروج عليه معصية وإثم مبين؟ قال سبحانه: ﴿وإن جاهَدَاكَ على أن تُشْرِكَ بِي ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهما﴾ (لقمان / ١٥) ولا خصوصية للشرك في هذه الآية بل الملاك معصية الله سبحانه.

وعلى كلّ تقدير فقد توفي عبد الله بن عمرو في الشام سنة ٦٥، وهو يومئذ ابن ٧٢ سنة. [١]

وقال ابن حجر نقلاً عن أبي عمر الكندي في تاريخه انّه توفي في نصف جمادى الآخرة سنة ٦٥ بمصر، فلم يستطع أن يخرج بجنازته لشغب الجند على مروان فدفن في داره. [٢]

وهذا يعرب عن تعاطفه مع الأُمويين إلى نهاية عمره.

وعلى أية حال فقد بلغ ما اسند إليه سبعمائة حديث اتفقا له على سبعة أحاديث، وانفرد البخاري بثمانية ومسلم بعشرين [٣]، وقد بلغت رواياته في المسند الجامع أربعمائة وتسع وخمسين حديثاً [٤].

فلنذكر من روائع أحاديثه نماذج.

---

١. الطبقات الكبرى: ٤/ ٢٦٨.
٢. تهذيب التهذيب: ٥/ ٣٣٧ برقم ٥٧٥.
٣. سير أعلام النبلاء: ٣/ ٧٩ برقم ١٧.
٤. المسند الجامع: ١١/ ٥ برقم ٣٨٧.

روائع أحاديثه

١ . أخرج البخـاري في صحيحه، عن الشعبي، عن عبد الله بـن عمرو، عن النبي ﷺ قال:

«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه». (١)

٢ . أخرج الإمام أحمد في مسنـده، عن عمرو بن شعيب، عن جـدّه عبد الله بن عمـرو، قـال: قال رسـول الله ﷺ: مُـروا صبيانكـم بالصـلاة إذا بلغوا سبعـاً، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً وفرّقوا بينهم في المضاجع. (٢)

٣ . أخرج الإمام أحمد في مسنـده، عن شعيب، عن جدّه عبـد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: من بنى لله مسجداً، بُني له بيت أوسع منه في الجنة. (٣)

٤ . أخرج الترمـذي عن ريحان بن يزيـد، عن عبد الله بن عمـرو، عن النبي ﷺ، قال: «لا تحل الصدقة لغنيٍّ ولا ذي مرّة سويٍّ». (٤)

٥ . أخرج أحمد عن مسروق، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: أربع من كن فيـه كان منافقاً، أو كـانت فيه خصلـة من الأربع، كانت فيـه خصلة من النفاق حتى يدعهـا: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عـاهد غدر، وإذا خاصم فجر. (٥)

٦ . أخرج مسلم في صحيحـه، عن أبي عبد الرحمان الحُبليّ، عـن عبد الله بن عمرو انّ رسول الله ﷺ قال: الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة. (٦)

---

١ . البخاري، الصحيح: ١/ ٧، كتاب الإيمان؛ مسند أحمد: ٢/ ٢٠٥.
٢ . مسند أحمد: ٢/ ١٨٠.
٣ . مسند أحمد: ٢/ ٢٢١.
٤ . سنن الترمذي: ٣/ ٤٢ برقم ٦٥٢.
٥ . مسند أحمد: ٢/ ١٨٩.
٦ . صحيح مسلم: ٤/ ١٧٨، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة.

٧. أخرج ابن ماجة، عن مسروق، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: خياركم، خياركم لنسائهم. [١]

٨. أخرج أبو داود في سننه، عن عمرو بن شعيب، عن جدّه عبد الله بن عمرو انّ النبي ﷺ قال: «لا طلاق إلاّ فيما تملك، ولا عتق إلاّ فيما تملك، ولا بيع إلاّ فيما تملك«زاد ابن الصباح» ولا نذر إلاّ فيما تملك». [٢]

٩. أخرج ابن ماجة عن عمرو بن شعيب، عن جدّه عبد الله بن عمرو انّ رسول الله ﷺ قال: ما أسكر كثيره فقليله حرام. [٣]

١٠. أخرج أبو داود في سننه، عن الوليد بن عبدة، عن عبد الله بن عمرو، إنّ نبي الله ﷺ نهىٰ عن الخمر والميسر والكوبة [٤] والغُبيراء [٥]، وقال: كلُّ مسكرٍ حرام. [٦]

١١. أخرج الإمام أحمد في مسنده، عن عمرو بن شعيب، عن جدّه عبد الله ابن عمرو انّه سمع النبي ﷺ يقول: ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة؟ فسكت القوم، فأعادها مرتين أو ثلاثاً، قال: القوم: نعم يا رسول الله، قال: أحسنكم خلقاً. [٧]

١٢. أخرج البخاري في الأدب المفرد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص يبلغ به النبي ﷺ قال: من لم يرحم صغيرنا ويعرف حقّ كبيرنا فليس منّا. [٨]

١٣. أخرج الإمام أحمد في مسنده، عن أبي قلابة، عن عبد الله بن عمرو،

---

١. سنن ابن ماجة: ١/ ٦٣٦ برقم ١٩٧٨.
٢. سنن أبي داود: ٢/ ١٥٨ برقم ٢١٩٠.
٣. سنن ابن ماجة: ٢/ ١١٢٤ برقم ٣٣٩٤.
٤. الكوبة بضم الكاف، قيل: النرد، وقيل: الطبل الصغير، وقيل: البربط.
٥. الغُبيراء: ضرب من الشراب يتخذه الأحباش من الذرة.
٦. سنن أبي داود: ٣/ ٣٢٨ برقم ٣٦٨٥.
٧. مسند أحمد: ٢/ ١٨٥.
٨. البخاري: الأدب المفرد، ص ١٣٠ برقم ٣٥٦.

عن النبي ﷺ قال: من قتل دون ماله مظلوماً فهو شهيد. [١]

هذه نماذج من روائع أحاديثه، وكم لها من نظير، وإليك ما أسند إليه من الأحاديث السقيمة، وقبل عرض نماذج منها، نسلط الاضواء على أحاديثه.

يظهر من غير واحد من الروايات انّ الرجل كان معجباً بالعهدين وغيرهما فيروى عنهما كثيراً، ويشهد على ذلك الأُمور التالية:

١. روى الإمام أحمد عن أبيَ سعد، قال: جاء رجل إلى عبد الله بن عمرو، فقال: إنّما أسألك عمّا سمعت من رسول الله ﷺ ولا أسألك عن التوراة، فقال: سمعت من رسول الله ﷺ يقول: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده... [٢]

ولولا انّه كان يروي عن العهدين بكثرة، وبنحو يشتبه مصدر الرواية على السامع لما قال له: «أسألك عمّا سمعت من رسول الله ولا أسألك عن التوراة».

٢. روى واهب بن عبد الله، عن عبد الله بن عمرو، انّه قال: رأيت فيما يرى النائم لكأنّ في إحدى اصبعيّ سمناً وفي الأُخرى عسلاً فأنا ألعقهما، فلما أصبحت ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: تقرأ الكتابين التوراة والفرقان فكان يقرؤهما. [٣]

ولذلك لا تعجب إذا وقفت على أنّه كان يروي عن النبي ﷺ قوله: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج.... [٤]

وقد فسر أبو جعفر الطحاوي التحديث عن بني اسرائيل بنقل ما جرى عليهم من العقوبات لينتفع به المسلمون، وأضاف أنّ التحديث عنهم إختياري وليس بإيجابي [٥].

أقول: لو كان المراد ما ذكره فقد سبق الكتاب العزيز إلى نقله فلم يكن

---

١ و ٢ و ٣. مسند أحمد: ٢/ ٢٢١ و ٢٠٢ و ٢٢٢.

٤. صحيح البخاري: ٤/ ١٧٠، باب ما ذكر عن بني اسرائيل من كتاب الأنبياء.

٥. مشكل الآثار: ١/ ٣٠.

مجهول الحكم حتى يبين الرسول حكمه، على أنّ كون النقل غير إيجابي لا يدفع الإشكال، فإنّه يكمن في فسح المجال لهذه النقول سواء أكان إختيارياً أم إيجابياً.

وقد جاءت الأخبار بأنّ عبد الله بن عمرو أصاب يوم اليرموك زاملتين من علوم أهل الكتاب فكان يحدث منهما بأشياء كثيرة من الإسرائيليات، وقد قال فيهما الحافظ ابن كثير: إنّ منها المعروف و المشهور والمنكور والمردود. [1]

وعلى ضوء ذلك فلا عجب أن يروىٰ عنه مالا يفارق عقيدة اليهود من الجبر والتشبيه، وإليك نماذج من رواياته السقيمة.

١. الفراغ من الأمر: الجبر

أ. روى الإمام أحمد عن شفيّ الاصبحي، عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان ، فقال: أتدرون ما هذان الكتابان؟ قال: قلنا لا، إلاّ أن تخبرنا يا رسول الله. قال ـ للذي في يده اليمنىٰ ـ: هذا كتاب من ربّ العالمين تبارك و تعالى بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثمّ أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً، ثمّ قال ـ للذي في يسار ـ: هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثمّ أجمل علىٰ آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً.

فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فلأي شيء إذاً نعمل إن كان هذا أمر قد فرغ منه؟ قال رسول الله ﷺ: سددوا وقاربوا، فانّ صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة وان عمل أيَّ عمل، وانّ صاحب النار ليختم له بعمل أهل النار وان عمل أيّ عمل، ثمّ قال بيده فقبضها، ثم قال: فرغ ربكم عزّ وجلّ من العباد، ثمّ قال باليمنىٰ: فنبذ بها، فقال: فريق في الجنة ونبذ باليسرىٰ، فقال: فريق في السعير. [2]

---

١. أضواء على السنة المحمدية، ص ١٥٥.
٢. مسند أحمد: ٢/ ١٦٧.

ب. أخرج الترمذي، عن عبد الله بن الديلمي، قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الله خلق خلقه في ظلمة فألقىٰ عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأ ضلّ، فلذلك أقول: جفّ القلم على علم الله. (١)

ج. أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي عبد الرحمان الحبليّ، عن عبد الله ابن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء. (٢)

هذه الأحاديث التي رواها عبد الله بن عمرو بن العاص لا تفارق الجبر قيدَ شعرة، وتعرب عن أنّه تمّ القضاء على الناس منذ الأزل وجعلهم صنفين فكل ميسرَّ لما خلق له، لا لما لم يخلق له، فأهل السعادة ميسّرون للأعمال الصالحة فحسب، وأهل الشقاء ميسّرون للأعمال الطالحة فحسب.

هذه المرويات الّتي تكتظ بها الصحاح والمسانيد، تناقض الأُصول العقلية والنقلية المسلّمة، وحاشا رسول الله وخيرة أصحابه أن ينبسوا بها ببنت شفة، وإنّما حيكت علىٰ منوال عقيدة الجهاز الأمويّ الحاكم، ولذلك لا تعجب عمّا يقوله إمام الحنابلة في رسائله:

والقدر خيره وشره، وقليله وكثيره، وظاهره وباطنه، وحلوه ومرّه، ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيئه، وأوّله وآخره من الله. قضاء قضاه، وقدر قدره عليهم، لا يعدو واحد منهم مشيئة الله ولا يجاوز قضاءَه، بل هم كلّهم صائرون إلى ما خلقهم له واقفون فيما قدر عليهم لأفعاله وهو عدل منه عزّ ربّنا وجلّ. والزنا والسرقة

١. الترمذي: السنن: ٥/ ٢٦ رقم الحديث ٢٦٤٢.
٢. صحيح مسلم: ٨/ ٥١، باب حجاج آدم و موسى عليهما السلام.

وشرب الخمر وقتل النفس وأكل المال الحرام والشرك بالله والمعاصي كلّها بقضاء وقدر.[١]

أقول: لا يكتب هذا القدر الجاف الجافي على الانسان المسكين إلاّ متعنّت حنق، قاس، حقود بلا سبب ولا مبرّر، وبذلك ابتلي الكفار والعصاة بشقاء أبدي، ولا مجال ـ بعد ذلك ـ لرأفته ورحمته و إحسانه بل قدّر كلّ ذلك لآخرين بلا جهة ولا سبب، كما يقول الله تعالى ـ في زعمهم ـ في بعض رواياتهم: خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالي وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالي.[٢]

أخرج مسلم في صحيحه، عن جابر قال: سراقة بن مالك بن جُعشم قال: يا رسول الله بيّن لنا ديننا كأنّا خلقنا الآن فيما العمل اليوم؟ أفيما جفّت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: لا، بل فيما جفّت به الأقلام وجرت به المقادير. قال: ففيم العمل؟ فقال ﷺ: اعملوا فكلّ ميسّر.[٣]

إنّ قول الرسول في الرواية الأُولى، أعني: «هذا كتاب من ربّ العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً» أثار سؤالاً لبعض الصحابة، حيث قال: وفيم العملُ يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه؟ فأجاب رسول الله ﷺ بقوله: سدِّدوا وقاربوا.

ولكنّ الجواب لا صلة له بالسؤال، فانّ السائل يقول: إذا قُضي على أحد بالجنة فمصيره لا محالة إلى الجنة بصورة قضية ضرورية، فعند ذلك يصير تكليفه لغواً والعمل باطلاً بلا حاجة إلى التسديد والتقارب اللذين ركز عليهما النبي ﷺ بقوله: «سددوا وقاربوا» خصوصاً بالنظر إلى ما بعده، حيث قال: «فانّ صاحب

١. طبقات الحنابلة: ١/ ٢٥.

٢. بحوث مع أهل السنة والسلفية، ص ٤٧.

٣. صحيح مسلم: ٨/ ٤٨. باب كيفية خلق الآدمي في بطن أُمّه من كتاب القدر.

الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أيَّ عمل، وانّ صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أيّ عمل».

فعلىٰ هذا تكون الهداية في آخر لحظات العمر مدعاة للفوز بالجنة مع أنّه سبحانه يخطِّئ تلك الفكرة، ويردّ على تلك المزعمة بأنّ فرعون حينما أظهر الإيمان في آخر لحظات حياته وقال: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ الَّذي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمينَ﴾ ، فردَّ عليه سبحانه بقوله: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾(يونس/ ٩٠ـ٩١).

إنّ الحديث الثاني الذي رواه الترمذي عن عبد الله بن عمرو من أنّه سبحانه «خلق خلقه في ظلمة فألقىٰ عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأ ضلّ»، يثير سؤالاً و هو ما هو المراد من خلق الناس في ظلمة مع انّه سبحانه، يقول: خلق الناس على فطرة التوحيد قال سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطرَتَ اللهِ الّتِي فَطَرَالنّاسَ عَلَيْها﴾ (الروم/ ٣٠) فهل يصحّ أن نعبر عن فطرة التوحيد بالظلمة؟

ثمّ ما هو ذنب من لم يسطع النور على قلبه فمكث في ظلمته وصار شقياً؟!

فعلى ضوء تلك الأحاديث لا يقدر الإنسان على اضلال نفسه وهدايتها كما لا يقدر على إدخال نفسه في الجنّة أو النار، فكلما أراد من شيء يكون الكتاب السابق حائلاً بينه و بين إرادته.

ثمّ إنّ الكتاب الذي سبق، حاكم على الإنسان فلا يزيد ولا ينقص، وهو يخالف النصوص الثابتة من القرآن والسنّة من تغيير المصير بالأعمال الصالحة أو الطالحة كما انّ القول بأنّه جفّ القلم على ما كان لا يتغير ولا يتبدل فكرة يهودية كشف عنها القرآن حيث نقل عنهم قولهم ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاء﴾ (المائدة/ ٦٤).

بقيت هنا كلمتان:

الأُولى: وهي انّ المسلمين تبعاً للقرآن الكريم متفقون على التقدير في أفعال العباد إلاّ انّه لابدّ أن يفسر بنحو لا يعارض اختيار الإنسان فيجعله مكتوف اليدين وتكون بعثة الأنبياء أمراً لغواً شبيهاً بقول القائل:

ألقاه في اليمّ مكتوفاً وقال له إيّاك إيّاك أن تبتلّ بالماء

الثانية : دلت الآيات والأحاديث الصحيحة علىٰ أنّ الإنسان قادر علىٰ تغيير مصيره بحسن أفعاله وصلاح أعماله وتهذيب أخلاقه بمثل الصدقة والإحسان وصلة الأرحام وبرِّ الوالدين، والاستغفار والتوبة، وشكر النعمة إلىٰ غير ذلك من الأُمور المغيّرة للمصير، الموجبة لتبدّل القضاء السيء إلى القضاء الحسن، كما انّه قادر على تغيير مصيره الحسن، إلى المصير السيّء بالأعمال التي تقابلها، فليس الإنسان محكوماً بمصير واحد ومقدّر غير قابل للتغيير، ولا انّه يصيبه ما قدر له، شاء أم لم يشأ، بل المصير والمقدر يتغير ويتبدل بالأعمال الصالحة أو الطالحة بشكر النعم أو كفرانها، وبالتقوىٰ أو المعصية إلىٰ غير ذلك من الأُمور.

تغيير المصير بالأعمال الصالحة أو الطالحة

١. قال الله سبحانه حاكياً عن شيخ الأنبياء نوح، قوله: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفّاراً* يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً﴾ (نوح/ ١٠ـ١٢).

فانّك ترى أنّه ﷺ يجعل الاستغفار سبباً مؤثراً في نزول المطر، وكثرة الأموال، وجريان الأنهار إلى غير ذلك من الآثار.

وأمّا كيفيّة تأثير العمل الإنساني كالاستغفار في الكائنات فبيانه خارج عن

إطار بحثنا هذا، وإنكار التأثير يُشبه بكلمات الملاحدة وموقفهم، فهذا الوحي الإلهي يدل على تأثير الدعاء والاستغفار في الكائنات، والعلل الطبيعية، وقد تواتر عن النبي ﷺ وأئمّة أهل البيت عليهم السلام انّ الدعاء وما شابهه من الأعمال ممّا يرد به القضاء.

٢. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّىٰ يُغَيِّروا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد/ ١١).

٣. وقال عزّ وجلّ: ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَها عَلىٰ قَومٍ حَتّىٰ يُغَيِّروا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الأنفال/ ٥٣).

٤. وقال سبحانه: ﴿وَلَو أَنَّ أَهْلَ القُرىٰ آمَنُوا وَاتقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ وَلٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف/ ٩٦).

٥. وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِب﴾ (الطلاق/ ٢ـ٣).

٦. وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرتُمْ إِنَّ عَذابي لَشَديد﴾ (إبراهيم/ ٧).

٧. وقال سبحانه: ﴿وَنُوحاً إِذْ نادىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَنَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيم﴾ (الأنبياء/ ٧٦).

٨. وقال سبحانه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نادىٰ رَبَّهُ إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَكَشَفْنا ما بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ (الأنبياء/ ٨٣ـ ٨٤).

٩. وقال سبحانه: ﴿وما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَ ماكانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال/ ٣٣).

١٠. وقال سبحانه: ﴿فَلَولا انَّهُ كانَ مِنَ المُسَبِّحِين * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلىٰ يوم

يُبْعَثُون * فَنَبَذْنَاهُ بِالعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيم* وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرةً مِنْ يَقْطِين﴾ (الصافات/ ١٤٣ـ١٤٦).

١١. وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَنَجَّيْناهُ مِنَ الغَمّ وَكَذلِكَ نُنْجِي المُؤْمِنينَ﴾ (الأنبياء/ ٨٨).

١٢. وقال تعالى: ﴿فَلَولاٰ كٰانَتْ قَريةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إيمانُها إلاّ قَوم يُونُس لَمّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الخِزْيِ فِي الحَياةِ الدُّنْيا وَمَتَّعْناهُمْ إِلىٰ حِين﴾ (يونس/ ٩٨).

هذه طائفة من الآيات القرآنية التي تحكي عن ترتّب آثار معيّنة على الدعاء والاستغفار والإيمان والعمل الصالح مما يكشف عن تأثير هذه الأعمال في الكائنات والحوادث الطبيعية.

ومع هذه الآيات و البراهين الواضحة، لا يقام وزن ولا قيمة لما نسب إلى عبد الله بن عمرو، من الروايتين الدالّتين علىٰ خلافها.

٢. منع المرأة من التصرّف في مالها

أخرج أبو داود في سننه، عن عمرو بن شعيب، عن جدّه، انّ رسول الله ﷺ قال: لا يجوز لامرأة أمر في مالها إذا ملك زوجها عصمتها. [١]

وفي رواية أُخرى انّ رسول الله ﷺ قال: «لا يجوز لامرأة عطية إلاّ بإذن زوجها». [٢]

لقد سبق منّا القول في المقدمة انّ من شرائط حجّية الخبر الواحد أن لا

١ و ٢. سنن أبي داود: ٣/ ٢٩٢ برقم ٣٥٤٦ـ ٣٥٤٧؛ وأخرجه أيضاً ابن ماجة في سننه ٢/ ٧٩٨ برقم ٢٣٨٨ ؛وأحمد في مسنده:٢/ ٢٢١.

يكون مبايناً للقرآن الكريم، وأمّا المخالفة بصورة العام والخاص وإن كانت جائزة لشيوع تلك المخالفة في التقنين حيث يذكر العام بلا خاص ثمّ يعقبه الخاص بعد فاصل زمني، إلاّ أنّه لا يمكن تخصيص الذكر الحكيم بخبر الواحد إلاّ إذا ورّث الاطمئنان بصحته بنحو يقدّم على الذكر الحكيم.

وبعبارة أُخرى المخالفة الكليّة ممنوعة مطلقاً يرفض الخبر ويأخذ بالكتاب، وأمّا المخالفة بنحو العموم والخصوص أو المطلق و المقيد وإن كانت جائزة بأن يكون مخصِّصاً أو مقيِّداً، لكن ليس كلّ خبر صالحاً لذلك حتى و إن كان المخبر ثقة، بل إذا احتفّ بالقرائن المفيدة للعلم أو أفاد اطمئناناً تسكن إليه النفس.

وعلى ضوء ذلك فلنتناول الآيات الواردة في استقلال المرأة في أموالها بالبحث ثمّ نعرج إلى الروايتين المذكورتين ونبيّن نسبتهما إليه.

إنّ القرآن الكريم منح للمرأة استقلالاً مالياً في أموالها إذا بلغت وأُونس منها الرشد على الرغم من انّه جعل الرجال قوامين على النساء، وإليك بعض الآيات:

قال سبحانه: ﴿**وَابْتَلُوا اليَتامىٰ حتّى إذا بَلَغُوا النِّكاحَ فإنْ ءانَسْتُم مِنْهُمْ رُشْداً فادفَعُوا إليهم أَموالَهُم**﴾ (النساء/ ٦).

فالجارية اليتيمة إذا بلغت وأُونس منها الرشد تدخل تحت تلك الآية وتكون من مصاديقها ويجب على الولي دفع مالها إليها، وهو يلازم استقلالها في التصرف في الأموال، وإلاّ لكان الدفع بلا نتيجة أو أثر.

وقال سبحانه: ﴿**لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ**﴾ (النساء/ ٣٢).

والمراد من الاكتساب في الآية ما يُكتسب عن طريق الحِرَف والمِهَن وغيرها

من أسباب الاكتساب، وهو يدل على نفوذ تصرّف المرأة بعد البلوغ وإيناس الرشد، وانّه لا يصحّ منعها بعد هذا الاستقلال.

فعلى ضوء هاتين الآيتين فالمرأة البالغة الرشيدة رفع عنها الحجر، فتنفذ تصرّفاتها في أموالها دون فرق بين الاكتساب وغيره قبل الزواج و بعده، فالحكم بالحجر عليها بعد تلك المرحلة بحاجة إلى دليل معتبر يخصص عموم الكتاب أو يقيّد إطلاقه. والحكم بالحجر عليها لا يخلو من صورتين:

الأولى: الحكم بالحجر عليها قبل زواجها فهو يخالف الذكر الحكيم، وإن حكي الحجر عن الإمام أحمد حيث روي عنه «لا يدفع إلى الجارية ما لها بعد بلوغها حتى تتزوج وتلد أو يمضي عليها سنة في بيت الزوج».

كما حكي أيضاً عن الإمام مالك « بأنّه لا يدفع إليها مالها حتى تتزوج ويدخل عليها زوجها، لأنّ كلّ حالة جاز للأب تزويجها من غير إذنها لم ينفك عنها الحجر كالصغيرة». [١]

يلاحظ عليه: **أوّلاً** : المنع من جواز تزويجها بلا إذنها، كيف و قد تضافر الحديث عن النبي ﷺ انّه قال: البكر تستأمر. [٢]

وثانياً: لو افترضنا بقاء ولاية الأب على الجارية في مورد التزويج، فلا يكون دليلاً على حجرها في كلّ شيء مع أنّ القرآن يصرح باستقلالها وخروجها عن الحجر ويأمر الأولياء بدفع المال إليها.

وما روي عن شريح انّه قال: عهد إليّ عمر بن الخطاب أن لا أجيز لجارية عطية حتى تحول في بيت زوجها حولاً أو تلد ولداً. [٣] على فرض الصحة حكم

١. المغني: ٤/ ٥١٧.

٢. بلوغ المرام: برقم ١٠١٢.

٣. المغني: ٤/ ٥١٧.

ولائي يختص بمورده و زمنه، ولا يكون دليلاً علىٰ حجر المرأة على وجه الإطلاق قبل التزويج، فالقول بالحجر في هذه الصورة لا يخلو عن تعسف.

الثانية: الحكم بالحجر عليها بعد زواجها مطلقاً كما هو مفاد الرواية الأُولى المنقولة عن عمرو بن شعيب، أو في خصوص عطيتها كما هو مقتضى الرواية الثانية.

فالمروي عن أبي حنيفة والشافعي وابن المنذر جواز تصرفها في مالها بالتبرع والمعاوضة، والمنقول عن أحمد في إحدى الروايتين. انّه ليس لها أن تتصرف في مالها لزيادة على الثلث بغير عوض إلاّ بإذن زوجها، واستدل على هذا القول بما روي انّ امرأة كعب بن مالك أتت النبي ﷺ بحليٍّ لها، فقال لها النبي ﷺ: لا يجوز للمرأة عطية حتى يأذن زوجها، فهل استأذنت كعباً؟ فقالت: نعم، فبعث رسول الله ﷺ إلى كعب، فقال: هل أذنت لها أن تتصدق بحليّها؟، قال: نعم، فقبله رسول الله ﷺ. (١)

يلاحظ عليه: أنّه من المحتمل أن تكون الحُليّ ملكاً لزوجها وقد دفع إليها لتتزين بها، فلا يعد دليلاً على عدم الجواز فيما كان ملكاً لها، والرواية إنّما وردت في واقعة شخصية لا يمكن استفادة العموم منها.

فلم يبق دليل سوى رواية عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ، ومن المحتمل أن يكون المراد انّه لا يجوز عطيتها من ماله من غير إذنه.

فإن قلت: نعم، ما ذكرنا من التأويل والحمل إنّما يجري في روايته الثانية أعني قوله: «لا يجوز لامرأة عطية إلاّ بإذن زوجها» فيحتمل أن يكون المال المعطىٰ من مال زوجها.

---

١. سنن ابن ماجة: ٢/ ٧٩٨ برقم ٢٣٨٩.

وأمّا الحديث الأوّل فـلا يصحّ فيه ذلك التأويل لقولـه: «لا يجوز لامرأة أمر في مالها» الظاهر في كون المال مالها.

قلت: إنّ الحديثين ـ في الواقع ـ حديث واحد فلا نعلم ما هو الصادر عن النبي ﷺ خصوصاً انّ الأحاديث منقولة با لمعنى فلذلك يصعب الاعتماد على قوله «في مالها» و قد صرح العلماء انّ الصحـابة كانوا يسمعون الأحـاديث ولا يكتبونها ولا يكـررون عليهـا، ثمّ يـروونها بعـد السنين الكثيرة. فلذلـك اختلفت عبـارات الحديث الواحد.

ثمّ إنّ الأمر دائر بين الجواز وعدمه، فالتحديد بالثلث تحكّم جداً، وقياسها على المريض الذي لا يجوز له التصرف في أزيد من ثلث ماله قياس مع الفارق.

وعلىٰ أيّ حال فالمرجع هو الآيـة، ولا يمكن الاستناد بهاتين الروايتين حتى يخصص الذكر الحكيم أو يقيّد بهما.

فخـرجنـا بـالنتيجـة التاليـة: انّ المرأة في الإسـلام ذات شخصيـة تسـاوي شخصيـة الرجـل في حريـة الانتخـاب والتصرف في الأموال دون أيّ فـرق إلاّ فيما يقتضيه كيانها الروحي والنفسي الجيّاش بالعاطفة والإحساس.

٣. عدم توارث ملتين

أخرج ابن ماجة، عن عمـرو بن شعيب، عن جدّه انّ رسول الله ﷺ قال: لا يتوارث أهل ملتين. [١]

والرواية بحاجة إلى تفسير وتوضيح، إذ انّ أكثر أهل السنّة حملوها على عدم وراثـة كلّ ملـة عن ملـة أُخـرى مع أنّ المقصـود نفي التـوارث بينهما، و يكفي في

١. سنن ابن ماجة: ٢/ ٩١٢ برقم ٢٧٣١.

صدقه عدم الوراثة من جانب دون جانب آخر. فهناك مسألتان:

الأولى: في أنّه لا يرث الكافر المسلم. هذه المسألة ممّا اتفقت عليه كلمة المسلمين.

قال ابن قدامة: أجمع أهل العلم علىٰ أنّ الكافر لا يرث المسلم. [1]

الثانية: في وراثة المسلم الكافر. وهذه المسألة ممّا وقع فيها الاختلاف.

فقد قال علي عليه السلام، و معاذ بن جبل، ومعاوية بن أبي سفيان من الصحابة، ومسروق، وسعيد وعبد الله بن معقل و محمد بن الحنفية و محمد بن علي الباقر وإسحاق بن راهويه من التابعين، بأنّه يرث المسلم الكافر، لأنّ الإسلام لم يزده إلاّ عزّاً وكرامةً، فلو افترضنا انّ الأب والولد كانا كافرين فلو مات الوالد والحال هذه يرثه الولد، فكيف لا يرثه إذا أسلم قبل وفاة والده؟ وإلاّ يلزم أن يكون الإسلام سبباً لنقصان حظه و زوال عزّه.

ومع ذلك فقد قال جمهور الصحابة و التابعين: لا يرث المسلم الكافر، يروى هذا عن: أبي بكر و عمر و عثمان، وعلي، و أُسامة بن زيد، وجابر بن عبد الله، و به قال: عمرو بن عثمان، و عروة، والزهري، وعطار، وطاووس، والحسن، وعمر بن عبد العزيز، وعمرو بن دينا ر، والثوري، و أبو حنيفة وأصحابه، ومالك، والشافعي، وعامة الفقهاء.

والحق الحرمان في الصورة الأُولىٰ، وعدمه في الصورة الثانية، تبعاً لإطلاقات القرآن، أعني قوله سبحانه: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَولادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْواجُكُمْ﴾ (النساء/ ١١ـ١٢) وقوله تعالى: ﴿لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمّا تَرَكَ الوالِدانِ وَالأَقْرَبُون﴾ (النساء/ ٧).

---

١. ابن قدامة، المغني: ٦/ ٣٤٠.

فانّ إطلاقها يعم ما إذا كان المورّث كافراً والوارث مسلماً خرج منها عكس المسألة بالاتفاق.

وفي روايات أئمّة أهل البيت إلماعات إلى ردّ من زعم انّ المسلم لا يرث الكافر، مثل قولهم عليهم السلام: «نحن نرثهم ولا يرثونا، انّ الله عزّ وجلّ لم يزدنا بالإسلام إلاّ عزّاً». (١)

وفي رواية أُخرى: «نرثهم ولا يرثونا انّ الإسلام لم يزده في ميراثه إلاّ شدّة». (٢)

ومعنىٰ نفي التوارث هو أن يرث كلّ من الآخر، فهذا هو الذي تنفيه لسان الرواية، وهو صادق على ما إذا كانت الوراثة من جانب دون آخر فلا يرث الكافرُ المسلم ويرث المسلمُ الكافر ، فيصدق انّه لا توارث بينهما.

وبهذا المعنى فسّر الإمام أبو جعفر عليه السلام الرواية، روىٰ عبد الرحمان بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لا يتوارث أهل ملتين نحن نرثهم ولا يرثونا، انّ الله عزّ وجلّ لم يزدنا بالإسلام إلاّ عزّاً». (٣)

وفي صحيحة جميل وهشام، عن أبي عبد الله عليه السلام انّه قال: فيما روى الناس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال: «لا يتوارث أهل ملتين» قال: «نرثهم ولا يرثونا انّ الإسلام لم يزده في حقّه إلاّ شدّة». (٤)

وروى أبو العباس قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا يتوارث أهل ملتين، يرث هذا هذا ويرث هذا هذا، إلاّ أنّ المسلم يرث الكافر، والكافر لا يرث المسلم». (٥)

---

١ و ٢. الوسائل: ١٧، الباب ١ من أبواب موانع الإرث، الحديث ٦ و١٧.

٣ و ٤ و ٥. الوسائل: ١٧، الباب ١ من أبواب موانع الإرث، الحديث ٦ و ١٤ و ١٥.

٤ . وجوب الوفاء بنذر المعصية

أخرج أبو داود في سننه، عن عمرو بن شعيب، عن جدّه انّ امرأة أتت النبيﷺ فقالت: يا رسول الله، انّي نذرت أن أضرب علىٰ رأسك بالدف، قال: أوفي بنذرك قالت: إنّي نذرت أن أذبح بمكان كذا وكذا، مكان كان يذبح فيه أهل الجاهلية قال: «لصنم؟» قالت: كلا، قال:« لوثن؟» قالت: كلا، قال: «أوفي بنذرك». [1]

يلاحظ على الحديث:

إنّ الضرب بالدف إمّا حرام أو أمر مرجوح أو مباح، قال الشيخ الطوسي: إنّ الضرب بالدف في الأعراس والختان مكروه، وقال الشافعي: ضرب الدفِّ في الختان و الأعراس مباح. [2] وعلى جميع التقادير لا يصح ابتغاء وجه الله به، وقد روى عبد الله بن عمرو، انّ رسول الله أدرك رجلين وهما مقترنان يمشيان إلى البيت، فقال رسول الله: ما بال القِران، قالا: يا رسول الله نذرنا أن نمشي إلى البيت مقترنين، فقال رسول اللهﷺ: ليس هذا نذراً فقطع قرانهما، وقال: إنّما النذر ما ابتغى به وجه الله عزّ وجلّ [3].

وفي رواية أُخرى عنه، عن النبي ﷺ انّه نظر إلى أعرابي قائماً في الشمس وهو يخطب فقال: ما شأنك؟ قال: نذرت يا رسول الله أن لا أزال في الشمس حتى تفرغ، فقال رسول الله ﷺ: ليس هذا نذراً، إنّما النذر ما ابتغي وجه الله عزّ وجلّ [4].

وعلى ضوء ذلك فالرواية مندسّة في الروايات النبويّة ونجلّ رسول الله ﷺ أن يسوّغ لمرأة أجنبية أن تضرب على رأسه بالدفّ . وقد مضى الكلام فه أيضاً [5].

---

١ . سنن أبي داود: ٣/ ٢٣٧ـ٢٣٨ برقم ٣٣١٢. ٢ . الخلاف:٦، كتاب الشهادات، المسألة ٥٥.

٣ . مسند أحمد: ٢/ ١٨٣ .

٤ . سنن أبي دواد: ٣/ ٢٣٤ ،باب ما جاء في النذر في المعصية برقم ٣٣٠٠ باختلاف يسير في اللفظ.

٥ . لاحظ ترجمة بريدة بن الحصيب: ٤٢٤ .

٥. لا يركب البحر إلاّ ثلاث

أخرج أبو داود، عن بشير بن مسلم، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: لا يركب البحر إلاّ حاج أو معتمر أو غاز في سبيل الله، فانّ تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً. [١]

يلاحظ عليه: أنّ الرواية إمّا بصدد الإخبار عن الواقع، أو بصدد انشاء النهي، فعلى الأوّل يلزم الكذب فانّه يركب البحر التاجر والسائس والسائح إلى غير ذلك من الطوائف، وعلى الثاني يلزم حرمة أو كراهة السفر البحري لغير هؤلاء الثلاثة، وهل يصحّ الحكم بحرمته أو كراهته؟

قال ناصر الدين الألباني: «ولا يخفى ما في هذا الحديث من المنع من ركوب البحر في سبيل طلب العلم و التجارة ونحو ذلك من المصالح التي لا يعقل أن يصدّ الشارع الحكيم، الناس عن تحصيلها بسبب مظنون إلاّ وهو الغرق في البحر، كيف والله يمنّ على عباده بأنّه خلق لهم السفن وسهل لهم ركوب البحر بها ؟ فقال:

﴿وَآيَةٌ لَهُم أَنّا حَمَلنا ذُرِّيَّتَهُم فِي الفُلْكِ الْمَشْحُون* وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُون﴾ (يس / ٤١ـ ٤٢).

ففي هذا دليل على ضعف هذا الحديث وكونه منكراً والله أعلم. [٢]

أقول: ما ذكره في صدر كلامه متين، وأمّا الاستدلال بالآية على نكارة الحديث فليس بتام، لأنّها بصدد بيان نعم الله سبحانه على عباده، لا في مقام بيان كيفية الاستفادة وشروطها حتى يتمسك بالإطلاق على جواز الاستفادة في جميع

١. سنن أبي داود: ٣/ ٦ برقم ٢٤٨٩.

٢. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ١/ ٤٩.

الظروف والحالات.

والاستدلال بـالآية علىٰ حليـة ركوب السفينة لغـايات شتى، كـالاستدلال بقوله سبحانه: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ (الرحمن/ ١٠) علىٰ جواز التصرف في أرض الغير التي أحياها، أو التمسك بمثل قـوله: «الغنم حلال» علىٰ حلية الغنم المغصوب وهذا أصـل بيّنه الأُصوليون في باب المطلق و المقيـد. والكاتب محدِّث وليس بفقيه.

أضف إلى ذلك انّه ما المراد من النار تحت البحر، والبحر تحت النار؟ ولماذا لم يكتشف أحـد ممّن سبر أغـوار البحار ذلـك؟ إلاّ أن يكون الحديـث كنايـة عن الأخطار المحدقة بركّاب البحر.

٦. الفرقة الناجية أنا و أصحابي

أخرج الترمـذي، عن عبد الله بن يـزيد، عن عبـد الله بن عمرو، قـال: قال رسول الله ﷺ: ليأتين على أُمّتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إنْ كان منهم من أتى أُمّه علانية، لكان في أُمّتي من يصنع ذلك، وانّ بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين ملةكلّهم في النار، إلاّ ملّة واحدة، قالوا: و من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه و أصحابي. [١]

البحث حول هـذا الحديث الذي رواه الفريقان في كتبهـم ذو شجون، وقد أشبعنا الحديث عنـه في كتابنا « بحـوث في الملل والنحل». [٢] غير انّنـا نعلّق على الحديث وهو: انّه ﷺ عرف الفرقة الناجية بقولـه: «ما أنا عليه وأصحابي» وهذا لا يخلو من غموض.

١. سنن الترمذي: ٥/ ٢٦ برقم ٢٦٤١.

٢. بحوث في الملل والنحل: ١/ ٢٣ـ٣٢.

أوّلاً: انّ هذه الـزيادة غير موجـودة في بعض نصوص الروايـة، ولا يصحّ أن يقال انّ الراوي ترك نقلها لعدم الأهمية.

وثانياً: انّ المعيـار الـوحيـد للهـلاك والنجـاة هـو شخص النبـي ﷺ وأمّا أصحابه فلا يمكن أن يكونوا معياراً للهداية والنجاة إلاّ بقدر اقتدائهم برسول الله ﷺ، وإلاّ فلو تخلفوا عنه قليلاً أو كثيراً لا يكـون الاقتداء بهم موجباً للنجاة، وعلىٰ ذلك فعطف أصحابي على النبي عطف زائد لا حاجة إليه.

وثالثاً: انّ المراد امّا صحابتـه كلّهم، أو الأكثرية الساحقـة، فالأوّل مفروض العدم لاختلاف الصحابة في مسائلهم ومشاربهم السياسية والدينية بعد رسول الله ﷺ، وأدل دليل على ذلك ما وقـع من الخلاف في السقيفة وبعدها. والثـاني ممّا لا يلتزم به أهل السنّـة فانّ الأكثرية الساحقـة من الصحابة خالفـوا الخليفة الثالث، وقد قتله المصريون والكوفيون في مرأى ومسمع من بقية الصحابة، الذين كانوا بين مؤلّب أو مهاجم أو ساكت.

على أنّ حمل أصحابي على الأكثرية خلاف الظـاهر، ويظن انّ هذه الزيادة من رواة الحديث لـدعم موقف الصحـابة، وجعلهم المحـور الوحيد الـذي يدور عليه فلك الهداية بعد النبي الأعظم، والمتوقع من رسول الهداية هو أن يحدد الفرقة الناجية بسمات واضحة تستفيد منها الأجيال اللاحقة، فانّ كلّ الفرق يدّعون انّهم علىٰ ما عليه النبي ﷺ.

وكلّ يدّعي وصلاً بليلىٰ   وليلى لا تقر لهـم بذاكـا

كيف تكون صحابته ملاكـاً للحق والباطل مع أنّه ﷺ يتنبأ في حياتـه عن ارتداد صحابته بعده؟

١. أخرج البخـاري، عن أبي وائل قال: قـال عبد الله: قـال النبي ﷺ: أنا

فَرَطَكُم على الحوض، ليرفعنَّ إليّ رجال منكم حتى إذا أهويت لأُناولهم اختلجوا دوني، فأقول أي ربِّ أصحابي، يقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك.

٢. أخرج البخاري، عن يعقوب بن عبد الرحمان، عن أبي حازم، قال: سمعت سهل بن سعد يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه، و من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ليرد عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثمّ يُحالُ بيني و بينهم.

قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا، فقال: هكذا سمعت سهلاً ؟ فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه، قال: إنّهم مني، فيُقال: إنّك لا تدري ما بدّلوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي. [1]

أفهل يمكن أن يكون أهل البدع كما يحكي عنه قوله: «ما أحدثوا بعدك» والمبدلّون دين الله كما يحكي عنه قوله «وما بدلوا بعدك» أو من دعا عليه النبي ﷺ بقوله: «سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي» ملاكاً للحق والباطل ومعياراً لمعرفة الفئة الناجية عن غيرها ؟!

لا شكّ انّه كان بين الصحابة أشخاص يستدرّ بهم الغمام، ويضرب بهم الأمثال في التقوى ومكارم الأخلاق، ولكن أين هذا من أن يكون كلّ صحابي محوراً للحقّ والباطل ؟

وبذلك تعرف انّ أوّل من كفّر بعض الصحابة هم الذين يروون هذه الروايات في صحاحهم لا سيما صحيح البخاري الذي هو أصحّ الكتب عندهم بعد القرآن الكريم، ومع ذلك يرمون غيرهم بتلك الفرية مع أنّهم منه بُراء براءة يوسف من الذنب الذي أُلصق به.

---

١. صحيح البخاري: ٩/ ٤٦، كتاب الفتن.

وثمة نكتة جديرة بالبحث وهي انّه إذا راجعنا الصحاح والمسانيد نجد أنّ أصحابهم أفردوا باباً بشأن فضائل الصحابة، إلاّ أنّهم لم يفردوا باباً في مثالبهم، بل أقحموا ما يرجع إلى تلك الناحية في أبواب أُخر، ستراً لمثالبهم وقد ذكرها البخاري في الجزء التاسع من صحاحه في باب الفتن، وأدرجها ابن الأثير في جامعه في أبواب القيامة عند سرد روايات الحوض، والترتيب المنهجي لجمع الأحاديث وترتيبها، كان يقتضي عقد باب مستقل للمثالب إلى جنب المناقب حتى يطلع القارئ علىٰ قضاء السنة حول صحابة النبي ﷺ.

والعجب انّ ابن حجر في شرحه على البخاري مرّ علىٰ هذه الروايات مرور الكرام مع أنّها تخالف ما عليه السنّة من عدالة الصحابة برمّتهم، بل جاء بكلمة أذعن فيها بأنّ الأمر دائر بين ارتداد بعض الصحابة أو معصيتهم حيث قال: وحاصل ما حمل عليه حال المذكورين انّهم إن كانوا ممن ارتد عن الإسلام فلا إشكال في تبري النبي ﷺ منهم وإبعادهم، وإن كانوا ممن لم يرتد لكن أحدث معصية كبيرة من أعمال البدن أو بدعة من اعتقاد القلب، فقد أجاب بعضهم بأنّه يحتمل أن يكون أعرض عنهم ولم يشفع لهم اتباعاً لأمر الله فيهم يعاقبهم على جنايتهم، ولا مانع من دخولهم في عموم شفاعته لأهل الكبائر من أُمّته فيخرجون عند اخراج الموحدين من النار. [1]

٧. قلوب بني آدم بين اصبعين

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي عبد الرحمان الحبليّ، انّه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص، يقول: إنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: إنّ قلوب بني آدم كلّها بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرّفه حيث يشاء، ثمّ قال رسول الله

---

١. فتح الباري: ١٣/ ٥، كتاب الفتن.

ﷺ: اللّهمّ مصرّف القلوب صرّف قلوبنا علىٰ طاعتك.(١)

هذه الرواية من الروايات التي يفوح منها التجسيم حيث أثبت لله سبحانه أصابع أوّلاً، ثمّ أثبت انّ قلوب بني آدم بين اصبعين من أصابعه، فلو أخذنا بظاهره فهو تجسيم وكفر وإلحاد، ولو أوّلناه لصرنا جهميين مطرودين عند السلف.

يقول النووي: هذا من أحاديث الصفات وفيها القولان السابقان قريباً أحدهما: الإيمان بها من غير تعرض لتأويل ولا لمعرفة المعنىٰ بل يؤمن بأنّها حقّ وانّ ظاهرها غير مراد، قال الله تعالى:﴿ليس كمثله شيء﴾ .

والثاني: يُتأول بحسب ما يليق بها فعلى هذا المراد، المجاز كما يقال فلان في قبضتي وفي كفي لا يراد به أنّه حالّ في كفه بل المراد تحت قدرتي، و يقال: فلان بين اصبعيّ أقلّبه كيف شئت، أي انّه منّي علىٰ قهره و التصرف فيه كيف شئت فمعنى الحديث: انّه سبحانه و تعالى متصرّف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع عليه منها شيء ولا يفوته ما أراده، كما لا يمتنع على الإنسان ما كان بين اصبعيه، فخاطب العرب بما يفهمونه و مثّله بالمعاني الحسية تأكيداً له في نفوسهم.(٢)

يلاحظ عليه: أنّ التعبير الرائج في اللغة العربية عن القدرة القاهرة هي القبضة واليمين، قال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَومَ القِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحانَهُ وَتَعالىٰ عَمّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر/ ٦٧) فالأرض بسعتها في قبضته سبحانه أي قدرته القاهرة عليها كما انّ السماوات بسعتها تنطوي بقدرته.

---

١. صحيح مسلم: ٨/ ٥١، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء.

٢. شرح النووي علىٰ صحيح مسلم:١٦/ ٤٤٣ برقم ٢٦٥٤ باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء.

وأمّا التعبير عن القدرة القاهرة بأنّها بين الاصبعين فليس برائج، نعم ربما يقال أرفعه باصبعي.

وعلى أية حال فهذه الروايات هي التي روّجت نزعة التجسيم بين أوساط المسلمين.

٨. عدم إضرار الخطيئة مع الإيمان

أخرج أحمد عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، عن أبيه هذا في حديث أبي أحمد الزبيري، قال: نزل رجل على مسروق، فقال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص، يقول: سمعت رسول الله، يقول:

من لقى الله وهو لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ولن تضرَّه معه خطيئة، كما لو لقيه وهو مشرك به دخل النار، ولم ينفعه معه حسنة. [1]

أقول: احتدم النقاش في معنى الإيمان منذ منتصف القرن الأوّل، فذهبت طائفة بأنّه عبارة عن مجرد الاعتقاد بالجنان والاقرار باللسان وإن لم يكن مصاحباً مع العمل، فأخذوا من الإيمان جانب القول والاعتقاد، وطردوا جانب العمل والقيام بالأركان، فقيل لهم«المُرْجئة» أي «المؤخّرة» لأنّهم قدّموا الأولين وأخرّوا العمل، وا شتهروا بقولهم: «لا تضر مع الإيمان المعصية، كما لا تنفع مع الكفر الطاعة»، وهو قريب ممّا روي عن عبد الله بن عمرو.

وفي مقابلهم من يجعل العمل جزءاً من الإيمان، فمنهم من كفّر مرتكب الكبيرة كالخوارج أو جعله في منزلة بين المنزلتين فهو عندهم لا مؤمن ولا كافر كا لمعتزلة.

وأمّا جمهور المسلمين فإنّما يعتبرونه مؤمناً فاسقاً، أمّا كونه مؤمناً فلكونه

---

١. مسند أحمد:٢/ ١٧٠.

معتقداً بما يجري علىٰ لسانه من الشهادتين وليس الإيمان إلاّ الإذعان بهما وامّا كونه فاسقاً فلخروجه عن طاعة الله، فبما انّ الإيمان ذو مراتب فقد تحقق فيه الإيمان بأدنى درجاته، وحَرُم لأجله دمه وعرضه وماله، وبما انّه خرج عن طاعة الله، فقد افتقد الدرجة العليا التي انيطت بها النجاة في الآخرة فهو مع كونه مؤمناً يُعذَّب حسب ما قدر له من العذاب.

هذه هي أقوال المفكرين من متكلمي الإسلام، إنّما المهم هو الوقوف على ما هو العامل المؤثر لظهور فكرة الارجاء في الساحة الإسلامية؟ والسبب المؤثّر لرفض العمل وفق الإيمان و الاقتصار على القول فقط أو مع ضميمة الاعتقاد؟ يبدو أنّ أحد أسبابه هو تبرئة عثمان من الأحداث المنسوبة إليه من نفي صلحاء الصحابة من ديارهم وضربهم و شتمهم، وتأسيس حكومة أموية، وصرف بيت المال علىٰ أقاربه والمنتمين إليه، إلى غير ذلك من الأُمور الموبقة، فقالوا: إنّ المهم هو القول والإذعان، ولا تضر الخطيئة معه.

ومن الأسباب الباعثة إلىٰ تفشي فكرة الارجاء هو تنزيه الناكثين وأُمّهات المؤمنين عن نقض البيعة والخروج على الإمام المفترض الطاعة.

وكان للجهاز الحاكم دور في تنمية الفكرة و إرسائها، وبذلك حال بين الأُمّة والخوض في البحوث الخطيرة، والمعارك المدلهمّة مما نقم به علىٰ عثمان، و أصحاب الفتن من الجمل وصفين، وبذلك عُذِّر كلّ من خالف الشريعة.

إنّ تجريد الإيمان عن العمل في عامّة مراتبه تقود المجتمع ـ لا سيما الشباب ـ إلى الخلاعة والانحلال الخلقي وترك القيم، بذريعة انّ المهم هو الإقرار باللسان و الإذعان بالقلب، ولا يضرّ معه، ترك الفرائض واقتراف المحرّمات، ولو سادت تلك الفكرة لم يبق من الإسلام إلاّ اسمه، و من الدين إلاّ رسمه، ويكون المتظاهر بذلك كافراً ملحداً واقعاً اتخذ تلك الفكرة ستاراً لما يكنّ في ضميره.

ولقد وقف أئمّة أهل البيت فحذّروا شيعتهم منهم وقالوا: «بادروا أولادكم بالحديث قبل أن يسبقكم المرجئة». [١]

وبذلك تقف على قيمة ما روي عن عبد الله بن عمرو، فهو نص في الإرجاء، و انّ الإيمان بالله و عدم إشراك أحد معه، يكفي في النجاة ولا تضرّ معه الخطيئة وإن زنا و سرق، أو قتل وأحرق، لأنّه أقر بلسانه و استكمل إيمانه و إن فعل ما فعل.

فالرواية مكذوبة علىٰ لسان النبي ﷺ، لا يتفوّه بها مَنْ نزل على قلبه قوله سبحانه: ﴿إنّما المُؤْمِنُونَ الّذِينَ آمَنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرتابُوا وجاهَدُوا بِأَموالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ في سَبِيلِ اللهِ أُولئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ﴾ (الحجرات/ ١٥) وقوله: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ *إِلاّ الّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحات...﴾ (العصر/ ١ـ٣). إلى غير ذلك من الآيات المتعددة، لمن ترك العمل بالفرائض وارتكب الموبقات.

فقد حيكت الرواية ووضعت دعماً للإرجاء، ولسان الرواية وصياغتها، يشهد علىٰ أنّها من كلمات العلماء والمناظرين في مسألة حدّ الإيمان والكفر.

ولما اتخذت المرجئة الرواية سنداً لمذهبهم، جاء الخوارج ومن لفَّ لفَّهم ـ من القائلين بدخول العمل بالشريعة في واقع الإيمان في عامة درجاته ـ فاتخذوا، رواية أُخرى سنداً لمذهبهم، فكأنّ النبي الخاتم ﷺ لم يكن له عمل سوىٰ دعم كلّ مسلك سيظهر بعده بدليل.

وقد تمسّك الآخرون برواية تنافي الحديث السابق.

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة: انّ النبي ﷺ قال: لا يزني حين

---

١. الكافي: ٦/ ٤٧.

يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن. [١]

والحديث أيضاً كالحديث السابق يدعم فكرة الخوارج والمعتزلة، وقد سئل أبو حنيفة عن مدى صدق الحديث فأجاب بعدم صحته، وإليك السؤال والجواب.

قال المتعلم:

فما قولك في أُناس رووا انّ المؤمن إذا زنا خلع الإيمان من رأسه كما يخلع القميص، ثمّ إذا تاب أُعيد إليه إيمانه أتشكُّ في قولهم أو تصديقهم؟

فإن صدَّقت قولهم دخلت في قول الخوارج، وإن شككت في قولهم، شككت في قول الخوارج، ورجعت عن العدل الذي وصفت، وإن كذَّبت قولهم، قالوا: أنت تكذب بقول النبي ﷺ، فانّهم رووا ذلك عن رجال حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ. [٢]

فأجاب العالم (أبو حنيفة): أُكذِّبُ هؤلاء، ولا يكون تكذيبي لهؤلاء وردّي عليهم تكذيباً للنبي ﷺ، إنّما يكون التكذيب لقول النبي ﷺ: أن يقول الرجل أنا مكذب لقول نبي الله ﷺ، فأما إذا قال الرجل: أنا مؤمن بكلّ شيء تكلّم به النبي، غير انّ النبي لا يتكلم بالجور، ولم يخالف القرآن، فانّ هذا القول منه هو التصديق بالنبي وبالقرآن، وتنزيه له من الخلاف على القرآن، ولو خالف النبيُّ القرآنَ وتقوَّل على الله غير الحقّ، لم يدعه الله حتى يأخذه باليمين، ويقطع منه الوتين، كما قال الله عزّ وجلّ:

---

١. صحيح البخاري: ٧/ ١٠٤، كتاب الأشربة.

٢. يريد بذلك ما روى أنّه لا يشرب الخمر حين يشربها و هو مؤمن ولا يزني حين يزني وهو مؤمن.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الأَقاويل* لَأَخَذْنا مِنْهُ باليَمينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الوَتينَ* فَما مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ﴾ (الحاقة/ ٤٤-٤٧) ونبي الله لا يخالف كتاب الله تعالى، ومخالف كتاب الله لا يكون نبي الله، وهذا الذي رووه خلاف القرآن، لأنّه قال الله تعالى في القرآن في الزانية والزاني: ﴿واللّذانِ يأتيانِها مِنكُم﴾ (النساء/ ١٦) فقوله: ﴿منكم﴾ لم يعن به اليهود و لا النصارى، إنّما عني به المسلمون، فردٌّ كلّ رجل يحدث عن النبي ﷺ بخلاف القرآن، ليس رداً على النبي ﷺ ولا تكذيباً له، ولكن ردٌّ على من يحدِّث عن النبي ﷺ بالباطل، والتهمة دخلت عليه، ليس على نبيِّ الله ﷺ وكذلك، كلّ شيء تكلم به النبي ﷺ سمعنا به أو لم نسمعه فعلى الرأس والعين، قد آمنا به، ونشهد أنّه كما قال نبي الله ﷺ، ونشهد أيضاً على النبي ﷺ أنّه لم يأمر بشيء نهى الله عنه، ولم يقطع شيئاً وصّله الله، ولا وصف أمراً وصف الله ذلك الأمر بغير ما وصف به النبي، و نشهد انّه كان موافقاً لله في جميع الأمور، لم يبتدع ولم يتقوّل على الله غير ما قال الله عزّ وجلّ. ولا كان من المتكلّفين، ولذلك قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطعِ الرسُولَ فَقَدْ أَطاعَ الله﴾ (النساء/ ٨٠).[١]

---

١. العالم والمتعلم، ص ١٠٠-١٠٣.

٢٦

ابن عباس

(٣ق. هـ ـ ٦٨هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة

١. جواز التيمم مع إمكان العثور على الماء
٢. لعن زائرات القبور
٣. معاوية أوّل من نهى عن التمتع في الحج
٤. تزوج النبي و هو محرم
٥. رأى النبي ﷺ ربّه مرّتين
٦. ثلاثة اقتراحات لأبي سفيان
٧. خويلد يزوج خديجة ثملاً
٨. تردد ابن عباس في جملة انّها من القرآن
٩. الروافض علىٰ لسان النبي ﷺ
١٠. أخذ الأُجرة على تعليم كتاب الله

حبر الأُمّة وفقيه العصر وإمام التفسير تلميذ الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ولد في شعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين، صحب النبي نحواً من ثلاثين شهراً وحدّث عنه وعن: علي عليه السلام، ومعاذ، و عبد الرحمان بن عوف، و أبي ذر، وأُبيّ بن كعب، إلىٰ غير ذلك.

قرأ عليه: مجاهد، وسعيد بن جبير، وطائفة.

روى عنه خلق كثير، منهم: ابنه علي، و مواليه عكرمة، ومقصم، و كريب،

وأبو معبد نافـذ، وأنس بن مالك، وأبو الطفيل، وأبو امـامة بن سهل، وأخوه كثير ابن العباس، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله و....

انتقل ابـن عبـاس مع أبـويـه إلىٰ دار الهجـرة سنـة الفتح وقـد أسلـم قبل ذلك.

وكان فقيهـاً مفتياً محدِّثاً عـالماً بالتفسير، وهو أوّل مـن أملىٰ في تفسير القرآن ناقلاً عن الإمام علي عليه السلام، وكان يسمّى البحر والحبْر لغزارة علمه.

روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسح رأسه و دعا له بالحكمة، كما روي انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا في حقّه، وقال: اللّهمّ علّمه تأويل القرآن.

تُوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وله من العمر خمس عشرة سنة، أو ثلاث عشرة سنة.

عُدّ من المكثرين في الفتيا من الصحابة.

مسنده ألف وستمائة وستون حديثاً، له من ذلك في الصحيحين ٧٥، وتفرّد البخاري بمائة وعشرين حديثاً، وتفرد مسلم بتسعة أحاديث.

وقد جمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ١١٨٥ حديثاً. [١]

وشهد ابن عباس مع الإمام علي عليه السلام حروبه كلّها: الجمل وصفين والنهروان، وولاّه أمير المؤمنين البصرةَ بعد ظفره بأصحاب الجمل، وكان يُعدّه لمهام الأُمور.

وكان بين ابن عباس، ومعاوية وابن الزبير منافرات شديدة، رواها المؤرّخون في كتبهم، ولما دعا ابن الزبير لنفسـه بالخلافة، أبىٰ ابن عباس أن يبايعـه، فأخرجه من مكة إلى الطـائف فتوفي بها سنة ثمان و ستين، ولما دفن قال محمـد بن الحنفية: اليوم مات ربّانيّ هذه الأُمّة. [٢]

---

١. انظر المسند الجامع:ج٨ وج٩.

٢. انظر أُسد الغابة: ٣/ ٢٩٠؛ طبقات ابن سعد: ٢/ ٣٦٥؛ سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٣١ برقم ٥١.

روائع أحاديثه

١. أخرج البخاري في صحيحه، عن نافع بن جبير، عن ابن عباس، انّ النبي ﷺ قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنّة الجاهليّة، ومطَّلب دم امرئ بغير حقٍّ ليهريق دمه». (١)

٢. أخرج البخاري في الأدب المفرد، عن عبد الله بن المساور، قال: سمعت ابن عباس يخبر ابن الزبير، يقول: سمعت النبيﷺ يقول:

«ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع». (٢)

٣. أخرج الترمذي، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله». (٣)

٤. أخرج الترمذي، عن علي بن عبد الله بن عباس، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «احبُّوا الله لما يغذوكم من نعمه، واحبّوني بحبِّ الله، وأحبّوا أهل بيتي لحبِّي». (٤)

٥. أخرج الترمذي في سننه، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال:

كان رسول الله ﷺ حامل الحسن بن علي على عاتقه، فقال رجل: نعم المركب ركبتَ يا غلام، فقال النبي ﷺ: «ونعم الرّاكب هو». (٥)

٦. أخرج عبد بن حميد في مسنده، عن عطاء، عن ابن عباس، قال:

قيل لرسول الله ﷺ: أي جلسائنا خير؟ قال: «من ذكّركم بالله رؤيته، وزاد في

---

١. صحيح البخاري: ٩/ ٦٧، باب من طلب دم امرئ بغير حق.

٢. الأدب المفرد: ٥٤ برقم ١١٢.

٣. سنن الترمذي: ٤/ ١٧٥ برقم ١٦٢٩.

٤. سنن الترمذي: ٥/ ٦٦٤ برقم ٣٧٨٩.

٥. سنن الترمذي: ٥/ ٦٦١ برقم ٣٧٨٤.

علمكم منطقُه، وذكَّركم بالآخرة عملُه». [١]

٧. أخرج ابن ماجة في سننه، عن محمد بن كعب القُرظيّ، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ لكلّ دين خُلقاً، وإنّ خلق الإسلام الحياء. [٢]

٨. أخرج أحمد في مسنده، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال:

«اتّقوا الحديث عنّي إلاّ ما علمتم، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبّوأ مقعده من النار، و من قال في القرآن برأيه فليتبّوأ مقعده من النار». [٣]

٩. أخرج أحمد في مسنده، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ:

«الدّين النصيحة»، قالوا: لمن؟ قال: «لله ولرسوله ولأئمّة المؤمنين». [٤]

١٠. أخرج مسلم في صحيحه، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال:

لما حُضِرَ رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال النبي ﷺ: هلمّ، اكتب لكم كتاباً، لا تضلّون بعده، فقال عمر: إنّ رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاختصموا... فلمّا أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع.

فكان ابن عباس يقول: إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم. [٥]

---

١. مسند عبد بن حميد: برقم ٦٣١.
٢. سنن ابن ماجة: ٢/ ١٣٩٩ برقم ٤١٨٢.
٣. مسند أحمد بن حنبل: ١/ ٢٣٣.
٤. مسند أحمد: ١/ ٣٥١.
٥. صحيح مسلم: ٥/ ٧٦، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، من كتاب الوصية.

وقد عزيت إليه أحاديث سقيمة لا تستقيم مع الضوابط التي ذكرناها في صدر الكتاب.

١. جواز التيمم مع إمكان العثور على الماء

أخرج أحمد، عن حنش، عن ابن عباس

انّ رسول الله كان يخرج و يهريق الماء و يتمسّح بالتراب، فأقول: يا رسول الله إنّ الماء منك قريب، فيقول: فما يدريني لعلّي لا أبلغه. (١)

وفي الحديث تساؤل وهو:

إنّ الفقهاء اتفقوا علىٰ أنّ فاقد الماء إذا تمكّن من تحصيله بلا مشقة أو تغرير بالنفس يجب عليه تحصيله، قال في المغني:

إذا وجد بئراً وقدر على التوصل إلى مائه من غير ضرر أو الاغتراف بدلو أو ثوب يبلّه ثمّ يعصره لزم ذلك. (٢)

ولكن الظاهر من الحديث عدم وجوب تحصيل الماء مع التمكّن العرفي منه، بحجة انّه لا يدري لعله لا يبلغ إلى الماء، ومن المعلوم انّ مثل هذا الاحتمال مخالف لما عليه العقلاء من استصحاب الصحة وبقاء التمكن .

٢. لعن النبيّ زائرات القبور

أخرج أبو داود في سننه، عن أبي صالح يحدّث عن ابن عباس، قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتّخذين عليها المساجد و السُّروج. (٣)

---

١. مسند أحمد: ١/ ٢٨٨ و٣٠٣.

٢. المغني: ١/ ٢٤٠.

٣. سنن أبي داود: ٣/ ٢١٨ برقم ٣٢٣٦.

إنّ الحديث تضمن أحكاماً ثلاثة:

الأوّل: منع النساء عن زيارة القبور.

الثاني: منع اتخاذ القبور مساجد.

الثالث: منع إضاءة القبور بالسروج.

أمّا الأوّل: فلو افترضنا صحّته فـانّه منسوخ بما قام به النبيّ ﷺ في أُخريات حياته، فقد زار البقيع مع زوجته عائشة، حيث روت عن النبي ﷺ انّه قال ﷺ: إنّ جبرئيل أتـاه، فقال لـه: إنّ ربّك يأمـرك أن تأتي أهـل البقيع فتستغفر لهم، قـال: قلت: كيـف أقول لهم يـا رسـول الله؟ قال: قـولي : السَّـلام على أهل الـديـار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون. (١)

وأمّا الثاني: فهـو يخالف القرآن الكريم حيث إنّ التأمـل في قصة أصحاب الكهف يكشف لنـا انّ بناء المسجـد بجوار القبر كـان سنة متبعة عنـد الأُمـم وفي الشرائع السماوية السابقـة، وقد أشار إليها القـرآن من دون أي ردّ أو نقد، بل ربّما يظهـر منـه الإمضاء وذلـك انّ أصحاب الكهـف عنـدما انكشـف خبرهم بعـد ثـلاثمائة وتسع سنين، اختلف النـاس في كيفية تكـريمهم إلى طـائفتين، فقـالت طائفة: ﴿ ٱبنوا علَيهِم بُنياناً﴾ تخليداً لذكراهم.

وقالت أُخرى: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾ حتى يكون محلاً لعبادة الله تعالىٰ بجوار قبور هـؤلاء الذين رفضوا عبـادة غير الله، وخرجوا من ديارهـم هاربين من الكفر إلىٰ طاعة الله.

وقـد أجمع المفسرون علىٰ أنّ الاقتراح الأوّل كـان مـن المشركين، والاقتراح

---

١. صحيح مسلم: ٣/ ٦٤، باب ما يقال عند دخول القبور.

الثاني من المؤمنين الموحّدين، فعندئذٍ يثار هذا السؤال.

إذا كان بناء المسجد علىٰ قبور الصالحين أو بجوارها أمراً محرماً في الشريعة الإسلامية، وكان المباشر للعمل مستحقاً للعن، فلماذا ذكر القرآن اقتراحهم من دون أيِّ نقد أو ردع؟ أليس ذلك دليلاً على الجواز ؟ بل يدل على أنّ سيرة المؤمنين الموحّدين كانت جارية علىٰ هذا الأمر و كانت بمثابة التبرّك بصاحب القبر.

هذا وانّ مسجد النبي ﷺ يحتضن القبر الشريف للنبي ﷺ والمسلمون يصلّون فيه طيلة ١٤ قرناً ولم يخطر ببال أحد منهم انّ النبي ﷺ لعن المتخذين على القبور المساجد.

إذ لو صحّ الحديث فهو محمول على ما إذا كانت القبور قبلة المصلّين أو مسجودة لهم.

وأمّا الثالث: فلا يعلم له وجه إذا كان الإسراج لغاية عقلائية كالصلاة وقراءة الدعاء والقرآن أو غير ذلك ممّا لا يعدّ إسرافاً ولا عبادة لصاحب القبر.

٣. معاوية أوّل من نهى عن التمتع في الحجّ

أخرج الترمذي، عن طاووس، عن ابن عباس، قال: تمتع رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر و عثمان، وأوّل من نهىٰ عنها معاوية. [١]

والحديث مخالف لما اتّفق عليه قاطبة المسلمين من أنّ أوّل من نهىٰ عن التمتع في الحج هو عمر بن الخطاب، ووضوح الأمر يغنينا عن ذكر المصدر.

أضف إلى ذلك ما رواه نفس الترمذي عقيب هذا الحديث عن محمد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل انّه سمع سعد بن أبي وقاص والضحاك بن قيس وهما

---

١. سنن الترمذي: ٣/ ١٨٥ برقم ٨٢٢. ولاحظ أيضاً رقم ٨٢٤.

يذكران التمتع بالعمرة إلى الحجّ، فقال الضحاك بن قيس: لا يَصنع ذلك إلاّ من جهل أمر الله.

فقال سعد: بئس ما قلت يا ابن أخي.

فقال الضحاك بن قيس: فانّ عمربن الخطاب قد نهى عن ذلك.

فقال سعد: قد صنعها رسول الله ﷺ وصنعناها معه.

ثمّ قال الترمذي: وهذا حديث صحيح. [١]

٤. تزوج النبي ﷺ وهو محرم

أخرج البخاري، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس: انّ النبي ﷺ تزوَّج ميمونة وهو محرم. [٢]

وفي الحديث عدّة احتمالات:

الأوّل: أن يكون المراد من التزويج هو الجماع ويكون عندئذٍ مخالفاً لصريح القرآن الكريم، يقول سبحانه: ﴿**فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدالَ فِي الحَجّ**﴾ (البقرة/ ١٩٧) ومعنى الآية انّ من ألزم نفسه بالشروع في الحجّ بالنية قصداً باطناً، وبالإحرام فعلاً ظاهراً، وبالتلبية نطقاً مسموعاً، يحرم عليه الجماع.

قال القرطبي: قال ابن عباس وابن جبير والسدي وقتادة والحسن و عكرمة و الزهري ومجاهد ومالك: الرفث الجماع، أي فلا جماع لأنّه يفسده. [٣]

١. المصدر السابق برقم ٨٢٣.

٢. صحيح البخاري: ٣/ ١٥، باب تزويج المحرم؛ مسند أحمد: ١/ ٢٨٥؛ سنن النسائي: ٥/ ١٩١ الرخصة في النكاح للمحرم.

٣. تفسير القرطبي: ٢/ ٤٠٧، تفسير آية ١٩٧ من سورة البقرة.

الثاني: أن يكون المراد منه إجراء صيغة العقد، وهذا ما ينافي ما رواه عثمان، يقول: قال رسول الله ﷺ: لا يَنكحُ المحرِمُ ولا يُنكَح ولا يُخطَب.

قال البيهقي: رواه مسلم في الصحيح عن يحيى بن يحيى عن مالك. [١]

وقال الشيخ الطوسي في الخلاف: إذا كان الولي أو وكيله أو الزوج أو وكيله في القبول، أو المرأة محرمين أو واحد منهم محرماً، فالنكاح باطل، وبه قال في الصحابة علي عليه السلام وعمر وابن عمر وزيد بن ثابت ولا مخالف لهم في الصحابة.

وإليه ذهب في التابعين سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والزهري، وفي الفقهاء مالك والشافعي والأوزاعي وأحمد وإسحاق. [٢]

وقال ابن حجر: اختلف العلماء في هذه المسألة(أي عقد المحرم).

فالجمهور على المنع لحديث عثمان لا ينكح المحرم ولا ينكح أخرجه مسلم.

وأجابوا عن حديث ميمونة بأنّه اختلف في الواقعة كيف كانت، ولا تقوم بها الحجّة، ولأنّها تحتمل الخصوصية فكان الحديث في النهي عن ذلك أولى بأن يؤخذ به. [٣]

أضف إلى ذلك انّ الحجّ هو الوفود إلى الله سبحانه بترك العلائق الدنيوية ونسيانها والخروج إليه سبحانه بقلب طاهر، والحاجّ الوافد إليه سبحانه يمثّل بلبس ثوبي الإحرام انّه لا يملك من الدنيا إلاّ الثوب، ففي هذه الحالة إذا حرم الطيب على المحرم، فأولى أن يكون التزويج، محرماً عليه.

فالرواية إمّا موضوعة أو محمولة على مورد خاصّ.

---

١. السنن الكبرى للبيهقي: ٥/ ٦٥.

٢. الطوسي، الخلاف: ٢/ ٣١٥.

٣. فتح الباري: ٤/ ٥٢.

أضف إلى ذلك ما أخرجه غير واحد من المحدّثين انّ النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال.

أخرج الترمذي عن سليمان بن يسار عن أبي رافع قال: تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو حلال، و بنىٰ بها و هو حلال، وكنت أنا الرسول فيما بينهما. [١]

٥. رأى النبي ﷺ ربّه مرّتين

أخرج الترمذي، عن عكرمة ،عن ابن عباس، قال: رأى محمدٌ ربّه.

قلت: أو ليس الله يقول: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ﴾ ؟

قال: ويحك، ذاك إذاتجلّى بنوره الذي هو نوره، وقال: أُرَيه مرّتين. [٢]

نُعلّق على الحديث بالقول:

إنّ الرؤية من مستوردات الأحبار، وقد وردت في العهد القديم، وإليك مقتطفات منها:

١. رأيتُ السيد جالساً على كرسي عال...، فقلت: ويل لي لأنّ عينيّ قد رأتا الملك ربّ الجنود(اشعيا:٦/ ١/ ٦) والمقصود من السيد هو الله جلّ ذكره.

٢. كنت أرى انّه وضعت عروش وجلس القديم الأيام، لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار.(دانيال:٧/ ٩).

٣. أما أنا فبالبرّ أنظر وجهك.(مزامير داود:١٧/ ١٥).

وما جاء في الرواية انّ محمّداً ﷺ رأى ربّه مرّتين مخالف للقرآن أوّلاً، والعقل الصريح ثانياً.

---

١. سنن الترمذي: ٣/ ٢٠٠ برقم ٨٤١.

٢.سنن الترمذي: ٥/ ٣٩٥ برقم ٣٢٧٩.

أمّا القرآن، فقال سبحانه: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبصارَ وَهُوَ اللَّطيفُ الخَبير﴾ (الأنعام/ ١٠٣) والآية صريحة في أنّه ليس للأبصار أن تدركه فهو فوق الإدراك، وتفسير الادراك في الآية بالإحاطة لأجل تصحيح العقيدة، مهزلة لا توافقه اللغة.

وما نقل عن ابن عباس في تخصيص مفاد الآية بما إذا تجلّى بنوره، فهو تفسير بالرأي ولو قام به غيره لرمي بالجهمية.

والذي يوقفك على جليّة الحال انّه سبحانه كلما ذكر موضوع رؤيته ذكره بتنديد واستنكار، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يا مُوسىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّىٰ نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة/ ٥٥).

وقال سبحانه: ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الكِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذٰلِكَ فَقالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ (النساء/ ١٥٣).

كلّ ذلك يدفع الإنسان إلى أنّ رؤية الله من الأُمور المنكرة لدى الوحي.

وثمّة كلمة قيّمة للإمام الطاهر أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام ـ كلّم بها أبا قرّة أحد المحدّثين في عصره ـ قال أبو قرّة: إنّا رُوِينا انّ الله عزّ وجلّ قسّم الرؤية والكلام بين اثنين، فقسّم لموسى عليه السلام الكلام، ولمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم الرؤية؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: فمن المبلِّغ عن الله عزّ وجلّ إلى الثقلين: الجنّ والإنس: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبصار وَهُوَ يُدْرِكُ الأبصار﴾ (الأنعام / ١٠٣) و ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ (طه / ١١٠) و ﴿ليسَ كَمِثْلِهِ شَيء﴾ (الشورى / ١١) أليس محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: بلى، قال: فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم انّه جاء من عند الله، وأنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله، ويقول: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبصار وَهُوَ يُدْرِكُ الأبصار﴾ و ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلماً﴾ و ﴿ليسَ كَمِثْلِهِ شَيء﴾ ثمّ يقول: أنا

رأيته بعيني، وأحطت به علماً، وهو على صورة البشر؟ أما تستحيون؟ ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا: أن يكون يأتي عن الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر.[1]

وأمّا العقل، فانّ رؤية الله مستحيلة عقلاً لوجوه:

الأوّل: انّ الرؤية البصرية لا تقع إلاّ أن يكون للمرئيّ جهة ومكان وأن يكون المرئيّ مقابلاً لعين الرائي، وكلّ ذلك ممتنع على الله سبحانه، والقول بحصول الرؤية الحسيّة بلا هذه الشرائط أشبه بالجمع بين الفرضين المتضادين،والرؤية بلا كيف، نفي للرؤية الحسية التي تحكي عنها الرواية، والرؤية القلبية خارجة عن مدلولها.

الثاني: انّ الرؤية إمّا أن تقع على الله كلّه فيكون مركباً محدوداً متناهياً محصوراً، وإمّا أن تقع على بعضه فيكون مبعّضاً مركّباً، وكلّ ذلك ممّا لا يلتزم به أهل التنزيه.

الثالث: انّ كلّ مرئيّ بجارحة العين يشار إليه بحدقتها، وأهل التنزيه كالأشاعرة وغيرهم ينزّهونه سبحانه عن الإشارة إليه باصبع أو غيره.

الرابع: انّ الرؤية بالعين الباصرة لا تتحقق إلاّ بوقوع النور على المرئي وانعكاسه منه إلى العين، والله سبحانه منزّه عن كلّ ذلك.

وعلى ذلك فالرواية من الموضوعات، حتى انّ السيدة عائشة قد كذّبت رؤية النبي ﷺ ربّه في غير واحد من رواياتها، وقد أدخله الوضاعون في الحديث النبوي عن طريق حبر الأُمّة ووضعوا للحديث سنداً.

إنّ مسألة التجسيم وبالأخص رؤية الله تبارك و تعالى حازت على أهمية

---

١. التوحيد للصدوق: ١١٠ـ١١١، الحديث ٩.

بالغة في الأحاديث المنسوبة إلى النبي ﷺ، ولو قام الباحث بجمع ما جاء من الروايات حول هذا الموضوع ربّما ألّف رسالة، وإليك نماذج:

١. ما أخرجه الدارمي في سننه عن خالد بن اللجلاج، وسأله مكحول أن يحدّثه، قال: سمعت عبد الرحمان بن عائش، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

رأيت ربي في أحسن صورة، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟

فقلت: أنت أعلم يا رب، قال: فوضع كفّه بين كتفيّ فوجدت بردها بين ثدييَّ، فعلمت ما في السماوات والأرض، و تلا ﴿ وَكَذٰلِكَ نُرِي إِبْراهيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنين ﴾(الأنعام/ ٧٥). [١]

٢. أخرج ابن ماجة، عن وكيع بن حدس، عن عمه أبي رزين، قال: قلت يا رسول الله:

نرى الله يوم القيامة؟ وما آية ذلك في خلقه؟ قال: يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر مخلياً به؟

قال: قلت: بلىٰ. قال: فالله أعظم و ذلك آية في خلقه. [٢]

٣. أخرج ابن ماجة، عن وكيع بن حدس، عن عمه أبي رزين، قال: قال رسول الله ﷺ: ضحك ربُّنا من قنوط عباده و قرب غِيَرِه، قال: قلت: يا رسول الله أو يضحك الربّ؟ قال: نعم، قلت: لن نَعْدِم من ربٍّ يضحك خيراً. [٣]

٦. ثلاثة اقتراحات لأبي سفيان

أخرج مسلم عن أبي زميل قال: حدثني ابن عباس، قال:

كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبي ﷺ: يا

---

١. سنن الدارمي: ٢/ ١٢٦، باب في رؤية الرب تعالى في النوم برقم ٢١٥٥.

٢. سنن ابن ماجة: ١/ ٦٤ برقم ١٨٠.

٣. سنن ابن ماجة: ١/ ٦٤ برقم ١٨١.

نبيّ الله ثلاث أُعطينهنّ، قال: نعم، قال: عندي أحسن العرب وأجمله أُمّ حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها. قال: نعم.

قال: و معاوية تجعله كاتباً بين يديك، قال: نعم.

قال: وتؤمرني حتى أُقاتل الكفار كما كنت أُقاتل المسلمين ، قال: نعم.

قال أبو زميل: ولولا انّه طلب ذلك من النبي ﷺ ما أعطاه ذلك لأنّه لم يكن يُسأل شيئاً إلاّ قال: نعم. (١)

وقد بيّنا حال الحديث في مقدمة الكتاب وأوضحنا انّ التاريخ الصحيح يشهد على كذب الرواية وانّ أُم حبيبة أسلمت مع زوجها في مكة المكرمة وهاجرت معه إلى الحبشة، وتزوّج بها النبيّ قبل الفتح بعد مجيئها منها إلى المدينة وقد مات زوجها، فكيف يطلب أبو سفيان من النبي تزويجها منه بعد فتح مكة عام ٨هـ ؟!

٧. خويلد يُزوج خديجة ثملاً

أخرج أحمد في مسنده، عن عمار بن أبي عمار، عن ابن عباس:

انّ رسول الله ﷺ ذكر خديجة وكان أبوها يرغب أن يزوجها، فصنعت طعاماً وشراباً، فدعت أباها وزُمراً من قريش، فطعموا وشربوا حتى ثملوا، فقالت خديجة لأبيها : إنّ محمّد بن عبد الله يخطبني، فزوِّجني إيّاه، فزوَّجها إيّاه، فخلعته وألبسته حلّةً، وكذلك كانوا يفعلون بالآباء فلمّا سُرِّي عنه سكره، نظر، فإذا هو مخلّق وعليه حلّة، فقال: ما شأني،ما هذا؟ قالت: زوَّجتني محمد بن عبد الله، قال: أنا أزوِّج يتيم أبي طالب؟ ! لا لعمري. فقالت خديجة: أما تستحي؟ تريد أن تسفِّه نفسك

---

١. صحيح مسلم: ٧/ ١٧١، باب فضائل أبي سفيان بن حرب.

عند قريش. تخبر النّاس أنّك كنت سكران؟ فلم تزل به حتّى رضي. [1]

لا يخفى انّ الحديث عليل من جهات:

الأُولى: انّ صدر الحديث يشعر برغبة والدها في التزويج،ولذلك قامت خديجة فصنعت شراباً وطعاماً ودعت أباها وزمراً من قريش.

ولكن ذيل الحديث يعرب انّه ما كان راضياً بالتزويج منذ بدء الأمر، لأنّه يعلل عدم رضاه بقوله: «أنا أُزوج يتيم أبي طالب؟ لا لعمري».

الثانية: انّه لوأخذنا بذيل الحديث يلزم أن نرمي السيدة خديجة بإعمال الحيلة بغية الزواج من رسول الله ﷺ حيث صنعت طعاماً و شراباً لأبيها و زمراً من قريش وأثملتهم كي تتوصل بذلك إلى رضا أبيها بالزواج مخاطبة إياه، وهو ثمل بقولها: إنّ محمد بن عبد الله يخطبني فزوجني إيّاه، فزوجها إياه فخلعته وألبسته الحلة.

والسيدة خديجة من أعفّ النساء و من سيدات نساء الجنة .روى مسلم عن عبد الله بن جعفر يقول: سمعت علياً بالكوفة يقول: سمعت رسول الله يقول: خير نسائها مريم بنت عمران و خير نسائها خديجة بنت خويلد ، قال أبو كريب: وأشار وكيع إلى السماء والأرض. [2] فهي أجل من أن تتوصل إلى مطلوبها بهذه الحيلة الشيطانية.

الثالثة: انّ غير واحد من أصحاب السير ذكروا انّ أبا طالب ولفيفاً من أعمام النبي ﷺ حضروا المجلس وتقدم أبو طالب بإيراد الخطبة بقوله: ثمّ إنّ ابن أخي محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلاّ رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً، وإن

---

١ .مسند أحمد:١/ ٣١٢.

٢ . صحيح مسلم: ٧/ ١٣٢، باب فضائل خديجة.

كان في المال، فانّ المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسترجعة، له في خديجة رغبة ولها فيه رغبة، والصداق ما سألتم عاجله وآجله من مالي، و محمد من قد عرفتم قرابته.

فأجاب ورقة بن نوفل بن أسد الذي كان من أقارب خديجة بقوله: لا تُنكر العشيرة فضلَكم، ولا يرد أحد فخركم وشرفكم،وقد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم.

ثمّ أجري عقد النكاح ومهرها النبي ﷺ أربعمائة دينار وقيل أصدقها عشرين بكرة. (١)

هذه الأُمور تعرب عن أنّ المجلس كان مجلسَ عقل و وعي وصلاح و فلاح، وانّ التزويج كان على ملاك الشرف و الفضل وعن رغبة ورضاً.

وأين هذا مما جاء في الرواية من أنّ السيدة خديجة تُقدِّم كؤوس الشراب إلى أبيها وزمراً من قريش إلى آخر ما جاء في الرواية؟!

وقد روي عن ابن عباس في تاريخ الخميس ما يخالف المروي هنا فقد جاء فيه: قالت خديجة لأبيها: إنّ محمد بن عبد الله يخطبني، فزوجها إيّاه، فخلعته وألبسته حلّة، وكذلك كانوا يصنعون إذا زوّجوا نساءهم. (٢)

٨. تردّد ابن عباس في جملة أنّها من القرآن

أخرج مسلم في صحيحه، عن عطاء، يقول: سمعت ابن عباس، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:لو انّ لابن آدم ملء وادٍ مالاً، لأحبَّ أن يكون إليه مثله

---

١. تاريخ الخميس:١/ ٢٦٤؛ السيرة الحلبية:١/ ١٣٩؛ مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣٠.

٢. الديار بكري، تاريخ الخميس:١/ ٢٦٤.

ولا يملأ نفس ابن آدم إلاّ التراب،والله يتوب على من تاب.

قال ابن عباس: فلا أدري أمن القرآن هو أم لا؟ (١)

إنّ هذا الحديث يحطّ من شأن القرآن الكريم كما يحطّ من مقام حبر الأُمّة، فقد بلغ القرآن من الفصاحة والبلاغة بمكان جعله متميزاً بجوهره عمّا سواه فلا يشتبه القرآن بغيره، وإلاّ لزم بطلان الاحتجاج به.

كما أنّ حبر الأُمّة وإمامها أجل من أن لا يُميِّز حديث الرسول عن القرآن، فلو صحّ فإنّما يصحّ صدر الحديث لا ذيله، إلاّ إذا اريدت منه المبالغة في علوّ المضمون.

٩. الروافض على لسان النبي ﷺ

أخرج عبد بن حميد، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: يكون في آخر الزمان قوم ينبزون: الرافضة يرفضون الإسلام و يلفظونه، اقتلوهم فانّهم مشركون. (٢)

إنّ الحديث موضوع على لسان ابن عباس، والغاية من الوضع التنديد بشيعة آل البيت من أبناء الرسول، ولكن الواضع غفل عن أنّ الرافضة في عهد الرسول وبعده إلى قرن لم يكن يستعمل إلاّ في من يرفض الحكومات السائدة، لا في الموالين لعلي وأهل بيته عليهم السلام ولذلك أطلق اصطلاح الرافضة على طلحة والزبير ومروان بن الحكم ممّن قاموا في وجه علي عليه السلام وحكومته.

---

١. صحيح مسلم:٣/ ١٠٠، باب لو ان لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً ؛صحيح البخاري: ٨/ ٩٢ باب ما يتقى من فتنة المال، نقله باسنادين يشتمل النقل الثاني على قوله قال ابن عباس: «فلا أدري من القرآن هو أم لا».

٢. مسند عبد بن حميد برقم ٦٩٨، رواه في المسند الجامع: ٩/ ٥٩٦ برقم ١١٧٦.

هذا وقد كتب معاوية إلى عمرو بن العاص وهو في البِيَع.

أمّا بعد: فانّه كان من أمر عليّ وطلحة والزبير ما قد بلغك،وقد سقط إلينا[١] مروان بن الحكم في رافضة أهل البصرة.... [٢]

ويؤيد ذلك انّ ابن منظور يفسر الروافض بجنود تركوا قائدهم وانصرفوا، وقال: فكلّ طائفة منهم رافضة والنسبة إليهم رافضيّون.

فلم يكن في عهد الرسول ولا في عهد الخلفاء أيّ اصطلاح خاص في لفظ الرافضة، سوى ما ذكرناه، أعني: من يخالف السلطة الحاكمة، من غير فرق بين شيعيّ وسنّي، علويّ أو أموي.

١٠. أخذ الأُجرة على تعليم كتاب الله

أخرج البخاري في صحيحه، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس: أنّ نفراً من أصحاب النبي ﷺ مرّوا بماء فيهم لديغ أو سليم، فعرض لهم رجل من أهل الماء، فقال: هل فيكم من راق؟ إنّ في الماء رجلاً لديغاً أو سليماً، فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاء فبرأ فجاء بالشاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك، وقالوا: أخذت على كتاب الله أجراً،حتى قدموا المدينة فقالوا: يا رسول الله أخذ على كتاب الله أجراً، فقال رسول الله ﷺ: إنّ أحقّ ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله. [٣]

قال ابن الجوزي: قال ابن عدي : روى عمر بن المحرم البصري، عن ثابت الحفار عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: سألت رسول الله ﷺ: عن كسب

---

١. سقط إلينا أي نزل إلينا.
٢. وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري، ص ٣٩.
٣. صحيح البخاري:٧/ ١٣٢، باب الشرط في الرقية بقطيع من الغنم من كتاب الطب، ورواه أيضاً:٣/ ٩٣، باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب، من كتاب الاجارة.

المعلمين فقال: إنّ أحقّ ما أخذ عليه الأجر كتاب الله.

قال ابن عدي: لعمرو أحاديث مناكير، وثابت لا يعرف والحديث منكر. [١]

قال ابن حجر: وقال الحنفية: لا يجوز أخذ الأُجرة في تعليم الكتاب وأجازوه في الرقى كالدواء، قالوا: لأنّ تعليم القرآن عبادة والأجر فيه على الله.

وادّعىٰ بعضهم نسخه بالأحاديث الواردة في الوليد على أخذ الأُجرة على تعليم القرآن وقد رواها أبو داود وغيره. [٢]

وعلى أيّة حال فأخذ الأُجرة على تعليم كتاب الله أمر مرغوب عنه، ولو جاز فليس قطعاً من أحقّ ما يؤخذ عليه الأجر، فالرواية ضعيفة جداً أو مكذوبة.

---

١. الموضوعات: ١/ ٢٢٩، باب أخذ الأُجرة على التعليم.

٢. فتح الباري: ٤/ ٣٤٥٣؛ وانظر كتاب الموضوعات لابن الجوزي: ١/ ٢٢٨، فقد نقل الأحاديث المجوزه والناهية.

٢٧

زيد بن أرقم الأنصاري

(... ـ ٦٨ هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

حديثه السقيم:

سحر اليهود النبي ﷺ

هو ابن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن الحارث بن الخزرج.

قال ابن سعـد: يكنّى أبا سعد، وقيـل: أبا أنيس، أوّل مشاهـده مع النبي، المريسيع، ونزل الكوفة وابتنىٰ بها داراً في كندة وتوفي بها أيّام المختار سنة ٦٨.[١]

قـال الجزري: روى عنـه: ابن عبـاس، وأنـس بن مـالـك، وأبـو إسحـاق السبيعي، وابن أبي ليلىٰ، ويزيـد بن حبان، شهد مع رسـول الله سبع عشرة غزوة، واستصغر يـوم أُحد وكـان يتيماً في حجر عبـد الله بن رواحة وسـار معه إلى مـؤتة، وشهد مع عليٍّ صفين، وهو معدود في خاصّة أصحابه، روىٰ حديثاً كثيراً عن النبي ﷺ أخرجه الثلاثة.[٢]

يذكر المفسرون في تفسير قولـه سبحانه: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُـولُونَ لاٰ تُنفِقُوا علىٰ

١. طبقات ابن سعد:٦/ ١٨.

٢. أُسد الغابة: ٢/ ٢١٩.

مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتّى يَنْفَضُّوا﴾ (المنافقون/ ٧) قصة ملخصها مايلي:

قال كنت مع عمّي فسمعت عبد الله بن أبي بـن سلّول يقول لأصحابه: لا تنفقوا على مَنْ عند رسـول الله حتى ينفضّوا ولئن رجعنا إلى المدينة ليخـرجنّ الأعزّ منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي، فـذكره عمّي لرسول الله ﷺ، فدعاني النبي ﷺ فحدّثته، فـأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله وأصحـابه فحلفوا مـا قالوا، فكـذّبني رسول الله ﷺ وصدّقهم، فـأصابني شيء لم يصبني قط مثلـه، فجلست في البيت، فقال عمّي: ما أردت إلى ان كـذّبك رسول الله ﷺ ومقتك، فأنزل الله تعالى: ﴿إذا جاءك المُنافِقُون﴾ ، فبعـث إليَّ رسـول الله ﷺ فقـرأها عليَّ، ثـمّ قال: إنّ الله قـد صدّقك.[1]

وقيل انّـه تـوفي بعـد قتـل الحسين بقليل، وقـد تـرجمه ابن عسـاكـر تـرجمة مفصلة.[2]

وجمعت أحاديثه في المسند الجامع فناهزت ٥٢ حديثاً[3]، ولكن هذا العدد بالنسبة إلىٰ ما ذكره الجزري قليل، لأنّه قال: روىٰ حديثاً كثيراً عن النبي ﷺ.

وإليك شيئاً من روائع أحاديثه وما أكثرها.

روائع أحاديثه:

١. أخرج أحمد في مسنده، عن العزيـز بن حكيم، قال: صليت خلف زيد ابن أرقـم علىٰ جنازة فكبّر خمسـاً، ثمّ التفت، فقـال: هكذا كبّر رسـول الله ﷺ أو نبيكم ﷺ.[4]

---

١. أُسد الغابة: ٢/ ٢١٩.

٢. انظرتاريخ ابن عساكر:٦/ ٢٦٨ـ٢٧٨.

٣. المسند الجامع: ٥/ ٤٧٩ برقم ٢١٤.

٤. مسند أحمد: ٤/ ٣٧١.

وهذا هو المروي أيضاً عن أئمّة أهل البيت ﷺ من أنّ التكبيرة على الجنازة هي الخمس.

نعم روى مسلم، عن عبد الرحمان بن أبي ليلى، قال: كان زيد يكبّر علىٰ جنائزنا أربعاً وانّه كبّر على جنازة خمساً، فسألته، فقال: كان رسول الله ﷺ يكبّرها. (١)

أقول: الرواية الثانية لا يمكن تصديقها، لأنّه لو كان الاقتصار بالتكبيرات الأربع جائزاً، فالمصلّي يخرج من الفريضة بالتكبيرة الرابعة وتكون الخامسة ذكراً زائداً على الصلاة لا تمت لها بصلة فلا يصحّ القول بأنّ النبي ﷺ تارة يكبّر أربعاً وأُخرى خمساً.

نعم يعارض الأُولى ما رواه أحمد عن أبي سليمان المؤذن، قال: توفي أبو سريح فصلى عليه زيد بن أرقم، فكبر عليه أربعاً وقال: كذا فعل رسول الله ﷺ. (٢)

فالرواية الأُولى تفرض الخمس، والثانية تخير بين الأربع والخمس، والثالثة تفرض الأربع.

والعجب انّ الصحابة لم يحتفظوا بسنة نبيّهم في مسألة بسيطة كانت محلاً للابتلاء.

٢. أخرج النسائي ،عن الشعبي، عن عبد الله بن أبي الخليل، عن زيد بن أرقم، قال: كنت عند النبي ﷺ وعليٌّ(رض) يومئذ باليمن، فأتاه رجل، فقال: شهدت عليّاً أُتي في ثلاثة نفر ادّعوا ولد امرأة، فقال عليّ لأحدهم: تدعه لهذا؟ فأبىٰ، وقال لهذا :تدعه لهذا ؟ فأبى، وقال لهذا: تدعه لهذا ؟فأبى.

---

١. صحيح مسلم: ٣/ ٥٦، باب القيام للجنازة.

٢. مسند أحمد: ٤/ ٣٧٠.

قال علي (رض) أنتم شركاء متشاكسون، وسأقرع بينكم فأيكم أصابته القرعة فهو له وعليه ثلثا الدية، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه. [١]

ولا غرو فانّ علياً باب علم النبيّ ﷺ وقد وصفه النّبيّ بقوله: أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها. [٢]

٣. أخرج أحمد في مسنده عن قطبة بن مالك، قال: سبَّ أمير من الأُمراء عليّاً (رض)، فقام زيد بن أرقم، فقال:

أما علمت أنّ رسول الله ﷺ نهىٰ عن سبّ الموتى فَلِمَ تسبُّ عليّاً، وقد مات؟! [٣]

كان في وسع الصحابي الجليل زيد بن أرقم أن يحتج على الأمير السابّ بما روى عنه ﷺ غير واحد من الصحابة من أنّ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، فالأمير بسببه هذا قد فسق سواء أكان المسبوب حياً أم ميتاً، ولكن الظروف العصيبة حالت دون أن يحتج «زيد» عليه بهذا الحديث، ولذلك التجأ إلى الاحتجاج عليه بأُسلوب آخر.

٤. أخرج الترمذي في سننه، عن أبي عثمان، عن زيد بن أرقم، قال: كان النبي ﷺ يقول: اللّهمّ إنّي أعوذ بك من الكسل والعجز والبخل. [٤]

٥. أخرج مسلم في صحيحه، عن يزيد بن حيان، قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلمّا جلسنا إليه، قال له

---

١. سنن النسائي: ١/ ١٨٣، باب القرعة في الولد إذا تنازعوا فيه.

٢. أخرجه غير واحد من الحفاظ ناهز ١٤٢ محدثاً وعالماً، وقد جاء في كتاب الغدير مصادر الحديث مفصلاً، راجع الغدير: ٦/ ١٦١ـ ١٧٧.

٣. مسند أحمد: ٤/ ٣٦٩.

٤. سنن الترمذي: ٥/ ٥٦٦ برقم ٣٥٧٢.

حصين، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصلّيت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدِّثنا يا زيد، ما سمعت من رسول الله ﷺ.

قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سنّي وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم فأقبلوا، وما لا، فلا تكلّفونيه، ثمّ قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعىٰ خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنىٰ عليه، ووعظ، وذكر، ثمّ قال: أمّا بعد: ألا يا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أوّلهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه.

ثمّ قال: وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي ، فقال له حصين: ومَنْ أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال ومن هم؟ قال: هم آل عليّ وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم. [١]

هذا ما أخرجه مسلم و من الواضح انّه لم ينقل على وجه دقيق وذلك لوجهين:

الأوّل: انّ مقتضى قوله : أوّلهما، أن يقول النبي ﷺ،ثانيهما أهل بيتي مع أنّه لم يذكر كلمة ثانيهما.

وقد رواها الإمام أحمد بصورة أفضل مما سبق كما رواه النسائي في فضائل الصحابة كذلك.

أخرج أحمد في مسنده عن أبي الطفيل، عن زيد بن الأرقم، قال: لما رجع

١. صحيح مسلم: ٧/ ١٢٢، باب فضائل علي عليه السلام.

رسول الله عن حجّة الوداع ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقممن، ثمّ قال: كأنّي قد دُعيت فأُجبت: إنّي قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فانّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض.

ثمّ قال: إنّ الله مولاي، وأنا ولي كلّ مؤمن، ثمّ أخذ بيد عليّ، فقال: من كنت وليه فهذا وليه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه. (١)

الثاني:فسر أهل البيت في الحديث بالبيوت الأربعة: آل علي، آل عقيل، آل جعفر، آل عباس، وجعل حديث الغدير هادفاً إلى تكريم أهل بيته، ومن المعلوم انّه خلاف المراد، لأنّ النبي جعل أهل بيته عدلاً لكتاب الله عز وجلّ، فيجب أن يُفسر ببيت يكون عدلاً للقرآن وملجأً للمسلمين بعد كتاب الله، وهل لهذه البيوت الثلاثة: آل عباس، آل عقيل، آل جعفر هذه المنزلة والمرتبة؟

نعم إذا تفحصنا سائر مصادر الحديث نقف علىٰ أنّ الرواة لعبوا بالحديث، وتصرّفوا فيما نقله ذلك الصحابي الجليل، وإليك بعض ما روي في هذا المضمار عن زيد.

روى الإمام أحمد، عن ميمون أبي عبد الله، قال: قال زيد بن أرقم، وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله بواد يقال له وادي خم، فأمر بالصلاة فصلاها «بهجير» ثمّ قال: فخطبنا، وظلّل لرسول الله بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال النبي ﷺ: ألستم تعلمون، أولستم تشهدون، انّي أولىٰ بكلّ مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلىٰ، قال: فمن كنت مولاه فانّ علياً مولاه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه. (٢)

وأخرج أيضاً في فضائل الصحابة شعبة، عن سلمة بن كهيل، قال:

---

١. المسند الجامع: ٥/ ٥٠٥ برقم ٣٨٢٨، نقلاً عن مسند أحمد: ١/ ١١٨.

٢. مسند أحمد: ٤/ ٣٧٢؛ و فضائل الصحابة: ٢/ ٥٩٧، الحديث ١٠١٧.

سمعت أبا الطفيل يحدّث عن أبي سريحة أو زيد بن أرقم ـ شك شعبة ـ عن النبي ﷺ انّه قال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه.

قال سعد بن جبير وأنا سمعت مثل هـذا عن ابن عباس، قال محمد: أظنه قال وكتمته. (١)

كلّ ذلك يـدل علىٰ أنّ الرواة كـانوا ينقلـون الحديث مع الخوف والـوجل، ولأجلْ ذلك لم تنقل الخطبة في الروايتين الأخيرتين، ولكن نقل نص النبي ﷺ علىٰ ولاية عليّ عليه السلام عكس ما رواه مسلم حيث نقل الخطبة دون التنصيص على الولاية.

هذه نـزر من روائع رواياته، وقـد عزي إلى ذلك الصحابي مـالا يصح وفقاً للموازين المذكورة.

سحر اليهود النبي ﷺ

أخرج النسائي، عن يزيد بن حيّان، عن زيد بن أرقم، قال:

سحر النّبيّ ﷺ رجل من اليهود، فاشتكىٰ لذلك أيّاماً، فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال: إنّ رجلاً من اليهـود سحرك عقد لك عُقداً في بئر كذا وكـذا، فأرسل رسول الله ﷺ فاستخرجوها فجيء بها ،فقام رسول الله ﷺ كأنّما نشط من عقال، فما ذكر ذلك لذلك اليهوديّ ولا رآه في وجهه قطُّ. (٢)

أقول:إنّ السحر حسب ما جاء في الذكر الحكيم لا يضرّ إلاّ بإذن الله تبارك و تعالى، قال سبحانه: ﴿**فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللهِ**﴾ (البقرة/ ١٠٢).

إنّ سحر النبي ﷺ ليس كسحر الآخرين، إذ ربّما يكون الساحر قادراً علىٰ

---

١. فضائل الصحابة: ٢/ ٥٦٩، الحديث ٩٥٩.

٢. سنن النسائي : ٧/ ١١٢ـ ١١٣، باب سحرة أهل الكتاب.

أن يسحر إنسـاناً عاديّـاً ويضرّ به بإذن الله سبحـانه، ولكن لا سبيل لـه إلىٰ سحر النبي ﷺ، وإلاّ لوجب تسلّطـه وهيمنته عليه ﷺ، ولربّما يسفر عن تزلزل عقيدة الناس الـذين آمنوا به، فحكمتـه سبحانه تصـدّه عن أن يأذن لأحد بـالهيمنة على النبي ﷺ.

انّه سبحانـه يحكي عن موسىٰ مخاطباً سحرة فرعـون، بقوله: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ (يونس/ ٨١).

فإذا كـان هذا حـال موسى، فـالنبي ﷺ أولىٰ به منـه، فبإمكانـه أن يبطل السحر في أوّل لحظاتـه،لا أن يتأثر به أيّامـاً ويتخلص منه بعد معونـة جبرئيل له، كل ذلك يعرب عن وهن الحديث وضعفه بل كذبه علىٰ لسان زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ .

٢٨

البراء بن عازب الأنصاري

(١٠ق.هـ - ٧٢هـ)

سيرته و أحاديثه الرائعة

حديثه السقيم:

نزول الوحي عند رغبة ابن أُمّ مكتوم

البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة الأنصاري الأوسي الحارثي، يُكنّىٰ أبا عمارة، ردّه رسول الله ﷺ عن بدر استصغره، وأوّل مشاهده أحد، وقيل: الخندق، وغزا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة، غزوة وهو الذي افتتح الري سنة ٢٤هـ كما شهد فتح «تستر».

وشهد البراء مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين والنهروان هو وأخوه عبيد ابن عازب، و نزل الكوفة وابتنى بها داراً ومات أيام مصعب بن الزبير. [١]

قال الذهبي: البراء بن عازب الأنصاري نزيل الكوفة من أعيان الصحابة روىٰ حديثاً كثيراً، حدَّث عنه: عبد الله بن يزيد الخطمي، وأبو جحيفة السوائي، وعدي بن ثابت، وسعد بن عبيدة، وأبو عمر زاذان، وأبو إسحاق السّبيعي.

---

١. أُسد الغابة: ١/ ١٧١.

مسنده ثلاثمائة وخمسة أحاديث، له في الصحيحين اثنان وعشرون حديثاً، وانفرد البخاري بخمسة عشر حديثاً ومسلم بستة. (١)

وهو أحد رواة حديث غدير خم من الصحابة، رواه عنه غير واحد من التابعين مفصلاً. (٢)

قال الخطيب البغدادي: وكان رسول عليّ بن أبي طالب إلى الخوارج بالنهروان يدعوهم إلى الطاعة وترك المشاقة، ثمّ روىٰ بسنده عن أبي الجهم، قال: بعث عليٌّ البراء بن عازب إلى أهل النهروان يدعوهم ثلاثة أيام فلما أبوا سار إليهم. (٣)

وقد بلغت أحاديثه في المسند الجامع ١٣٦ حديثاً (٤)، وإليك شيئاً من روائع أحاديثه.

روائع أحاديثه

١. أخرج الترمذي في سننه، عن عبد الرحمان بن أبي ليلىٰ، عن البراء بن عازب، قال: قال رسول الله ﷺ: حقّ على المسلمين أن يغتسلوا يوم الجمعة، وليمسّ أحدهم من طيب أهله، فإن لم يجد فا لماء له طيب. (٥)

٢. أخرج أحمد في مسنده، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، قال: خرج رسول الله ﷺ وأصحابه، قال: فاحرمنا بالحجّ فلمّا قدمنا مكة، قال: اجعلوا حجَّكم عمرة، قال: فقال الناس يا رسول الله قد أحرمنا بالحجّ، فكيف نجعلها عمرة؟ قال: انظروا، ما آمركم به فافعلوا، فردّوا عليه القول، فغضب ثمّ انطلق حتى دخل علىٰ عائشة غضبان، فرأت الغضب في وجهه، فقالت من أغضبك

١. سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٩٤ برقم ٣٩.

٢. الغدير: ١/ ٢٩٤.

٣. تاريخ بغداد: ١/ ١٧٧.

٤. المسند الجامع: ٣/ ١٨٥.

٥. سنن الترمذي: ٢/ ٤٠٧ برقم ٥٢٨.

أغضبه الله؟ قال: ومالي لا أغضب وأنا آمر بالأمر فلا اتّبع. (١)

وفي الحديث دلالة واضحة على أنّ لفيفاً من أصحابه ربما كانوا يخالفونه ويغضبونه ويؤذونه، قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة/ ٦١). وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً﴾ (الأحزاب/ ٥٧).

ويظهر من غير واحد من التواريخ انّ العرب لم تكن تجمع بين العمرة والحج وإنّما يأتون بالعمرة في غير أشهر الحجّ، ولما كان أمر النبي ﷺ مخالفاً لما كانوا عليه في العصر الجاهلي استغربوه، وقالوا: كيف نجعلها عمرة وقد أحرمنا للحج؟

وعلى أيّة حال فهؤلاء هم الذين يصفهم الله سبحانه في سورة الحجرات بقوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَي اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَميعٌ عَليمٌ﴾ (الحجرات/ ١).

٢. أخرج ابن ماجة في سننه، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب، قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجته التي حجّ، فنزل في بعض الطريق، فأمر الصلاة جامعة، فأخذ بيد عليّ، فقال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلىٰ، قال: «ألست أولىٰ بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلىٰ، قال:فهذا وليّ من أنا مولاه، اللّهمّ وال من والاه، اللّهمّ عاد من عاداه. (٢)

٣. أخرج الترمذي عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، قال: بعث النبي ﷺ جيشين وأمّر علىٰ أحدهما عليّ بن أبي طالب، وعلى الآخر خالد بن الوليد، وقال: إذا كان القتال فعليّ، قال: فافتتح عليّ حصناً، فأخذ منه جارية، فكتب

---

١. مسند أحمد: ٤/ ٢٨٦.

٢. سنن ابن ماجة: ١/ ٤٣ برقم ١١٦.

معي خالد كتاباً إلى النبيّ ﷺ يشي به، قال: فقدمت على النبي ﷺ، فقرأ الكتاب فتغيّر لونه، ثـمّ قال: ما ترى في رجل يحبُّ الله ورسـوله، ويحبه الله ورسولـه؟ قال: قلت: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، وإنّما أنا رسول، فسكت. (١)

٤. أخـرج البخـاري في صحيحه ،عـن شعبـة، قال أخبرني عـديّ، قـال: سمعت البراء، قـال: رأيت النبي ﷺ والحسن علىٰ عاتقه يقـول: اللّهمّ إنّي أُحبُه، فأحبَّه. (٢)

٥. أخرج البخاري في صحيحه عن المسيب بن رافع، قال: لقيت البراء بن عازب، فقلت: طوبىٰ لك، صحبت النبي ﷺ وبايعته تحت الشجرة، فقال: يا ابن أخي، انّك لا تدري ما أحدثنا بعده. (٣)

ويؤيّـده ما رواه البخاري في كتاب الفتـن من إحداث لفيف من أصحـابه بِدَعاً وتبديلهم لدينه سبحانـه، أخرج البخاري عن أبي وائل، قال: قال عبد الله: قال النبي ﷺ: أنا فَرَطُكم على الحوض ليرفعنّ إليّ رجـال منكم حتى إذا أهويتُ لأناولهم، اختلجـوا دوني، فأقول: أي ربّ أصحـابي، يقول: لا تـدري ما أحـدثوا بعدك.

أخرج البخاري عن أبي حازم، قال: سمعت سهل بن سعد يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: أنـا فَرَطُكـم على الحوض، من ورد شرب منه، و مـن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ليرد عليّ أقـوام أعرفهم ويعرفوني ثمّ يحُال بينـي و بينهم. قال أبو حازم: فسمعنـي النعمان بن أبي عياش وأنـا أُحدِّثهم هـذا، فقال: هكـذا سمعت سهلاً ؟ فقلت: نعـم، قال: وأنا اشهد على أبي سعيـد الخدري لسمعته يزيـد فيه،

---

١. سنن الترمذي: ٥/ ٦٣٨ برقم ٣٧٢٥.

٢. صحيح البخاري: ٥/ ٢٦، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام.

٣. صحيح البخاري: ٥/ ١٢٥، باب غزوة الحديبية.

قال: إنّهم منّي، فيقال: إنّك لا تدري ما بـدّلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي. [١]

أخرج مسلم عن الأعمش، عن شفيق، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: أنا فرطكم على الحوض ولأُنازعنّ أقواماً ثم لأغلبن عليهم، فأقول: يا ربّ أصحابي، أصحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك. [٢]

والعجب انّ الذين يروون هذه الأحاديث من الصحيحين ـ اللّذين يُعدان عندهم من أصحّ الكتب بعد كتاب الله ـ يحكمون بلزوم الاقتداء بكلّ صحابي وأخذ الحديث منه، ولا يجوّزون رمي واحد منهم بالجرح مع أنّ بينهم من بدّل دين الله وغيّره وأحدث وقال في حقّه النبي ﷺ: سحقاً، سحقاً.

هذه طائفة من روائع أحاديثه، وإليك هذا الحديث المنسوب إليه والذي يخالف القواعد السالفة الذكر.

نزول الوحي عند رغبة ابن امّ مكتوم

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي إسحاق، أنّه سمع البراء يقول في هذه الآية: «لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله» فأمر رسول الله ﷺ زيداً فجاء بكتف يكتبها، فشكا إليه ابن أُمّ مكتوم ضرارته، فنزلت: ﴿**لَا يَسْتَوِي القاعِدونَ مِنَ المُؤْمنينَ غَيرُ أُولِي الضَّرَر**﴾. [٣]

ومعنى ذلك انّ الوحي نزل لرغبة ابن أُمّ مكتوم ولولا شكايته لكان الوحي مثل ما نزل أوّلاً، وقد مرّ الكلام فيه عند دراسة أحاديث زيد بن ثابت.

---

١. صحيح البخاري: ٩/ ٤٦، كتاب الفتن.

٢. صحيح مسلم: ٧/ ٦٨، باب إثبات حوض نبيّنا.

٣. صحيح مسلم: ٦/ ٤٢، باب سقوط فرض الجهاد على المعذورين؛ صحيح البخاري: ٤/ ٢٤ـ ٢٥، باب قوله تعالى: ﴿**لا يستوي القاعدون**﴾ (النساء/ ٩٥).

٢٩

عبد الله بن الزبير

(٢ـ ٧٣هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. تقديم صلاة الجمعة على الخطبتين

٢. خطبة علي بنت أبي جهل

عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي، كنيته أبو بكر، وأُمّه أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة، وهو أوّل مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة للمهاجرين .

ولد بالمدينة على رأس سنتين من الهجرة، أحضره أبوه الزبير عند رسول الله ﷺ ليبايعه وعمره سبع سنين.

وروى عن النبي ﷺ أحاديث، روى عنه: أخوه «عروة» وابناه «عامر» و«عباد»، وعبيدة السلماني، وعطاء بن أبي رباح، والشعبي، وغيرهم.

شهد الجمل مع أبيه الزبير مقاتلاً لعليّ، فكان علي عليه السلام يقول: مازال الزبير منّا أهلَ البيت حتى نشأ له عبد الله، وامتنع من بيعة يزيد بن معاوية بعد موت معاوية فأرسل إليه يزيد، مسلم بن عقبة «المرّي»، فحصر المدينة وأوقع بأهلها

وقعة الحرة المشهورة، ثمّ سار إلى مكة ليقاتل ابن الزبير فمات في الطريق، ثمّ استخلف الحصين بن نمير السكوني وحاصر ابن الزبير بمكة، ودام الحصر إلى أن مات يزيد، وبويع عبد اللهبن الزبير بالخلافة وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان. [1]

كان ابن الزبير يسوس الحجاز والعراق وفيهما عمّاله إلى ان استولى عبد الملك على العراق عام إحدى وسبعين من الهجرة وانحصرت امارة ابن الزبير بالحجاز، وعند ذاك وجّه عبد الملك، الحجاج بن يوسف الثقفي في جيش كثيف من أهل الشام لقتال عبد الله بن الزبير، وقدم مكة وحصر ابن الزبير، والتجأ هو وأصحابه إلى المسجد الحرام، ونصب الحجاج المنجنيق على «جبل أبي قبيس» ورمى به الكعبة إلى ان خرج أصحابه إلى الحجاج بالأمان، وقتل ابن الزبير يوم الثلاثاء من جمادى الآخرة عام ثلاث و سبعين من الهجرة. [2]

قال الذهبي: مسنده نحو من ثلاثة وثلاثين حديثاً، اتفقا له على حديث واحد، وانفرد البخاري بستة أحاديث ومسلم بحديثين.

وقبل ان نتناول أحاديثه بالبحث والتمحيص نذكر لمحة خاطفة عن سيرته والدور الذي لعبه في حرب الجمل.

التاريخ يصرح بأنّه هو الذي أشعل نائرة الحرب بين علي عليه السلام وأبيه، وكان أبوه على عتبة الندم والرجوع إلى المدينة وترك الحرب، ولكن ابنه عبد الله حال دون ذلك والجأ أباه إلى الاستمرار في موقفه المتصلّب ضد عليّ عليه السلام الذي كانت تربطه به أواصر القرابة، فقد كان علي عليه السلام ابن خاله وكان الزبير ابن عمة علي عليه السلام، وكانت الأواصر الودية مستوثقة إلى ان شبّ ابنه عبد الله فتعكّر صفو تلك الروابط.

---

١. أُسد الغابة: ٣/ ١٦١.

٢. الطبري، التاريخ: ٥/ ٢٤؛ الكامل لابن الأثير: ٤/ ٣٤٩ـ٣٥٦.

قال الطبري: فلما تواقفوا خرج عليّ على فرسه، فدعا الزبير، فتواقفا، فقال علي للزبير: ما جاء بك؟ قال: أنت، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً، ولا أولىٰ به منّا.

فقال علي ﷺ: لست له أهلاً بعد عثمان! قد كنا نعدُّك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرّق بيننا وبينك، وعظّم عليه أشياء، فذكر انّ النبي ﷺ مرّ عليهما، فقال لعليّ: «ما يقول ابن عمتك؟ ليقاتلنك وهو لك ظالم».

فانصرف عنه الزبير، وقال: فإنّي لا أُقاتلك. فرجع إلى ابنه عبد الله، فقال: مالي في هذه الحرب بصيرة.

فقال له ابنه: إنّك قد خرجت علىٰ بصيرة، ولكنّك رأيت رايات ابن أبي طالب، وعرفت انّ تحتها الموت، فجبُنتَ، فأحفظه حتى أرعد وغضب.

وقال: ويحك ! إنّي قد حلفت له ألاّ أقاتله.

فقال له ابنه: كفّر عن يمينك بعتق غلامك سرجس، فأعتقه وقام في الصف معهم.

وكان علي قال للزبير: أتطلب مني دم عثمان وأنت قتلته؟! سلط الله على أشدِّنا عليه اليوم ما يكره.[1]

وعلىٰ هذا فقد شبّ الرجل وشاب علىٰ عداء عليٍّ وحمل الضغن عليه.

ومما يكشف عن عدائه المتأصل ما نقله ابن الأثير ما هذا لفظه بتلخيص: انّ ابن الزبير دعا محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وشيعته وسبعة عشر رجلاً من وجوه أهل الكوفة منهم أبو الطفيل عامر بن واثلة الذي له صحبة ليبايعوه. فامتنعوا، وقالوا: لا نبايع حتى تجتمع الأُمة، فأكثر الوقيعة بابن الحنفية

١. تاريخ الطبري: ٣/ ٤١، حوادث سنة ٣٦، ونقله أيضاً ابن الأثير في الكامل، لاحظ ٣/ ٢٣٩.

وذمّه، فأخبروا ابن الحنفية بما كان منهم، فأمرهم بالصبر، ولم يلحّ عليهم ابن الزبير.

فلما استولى المختار على الكوفة وصارت الشيعة تدعو لابن الحنفية، خاف ابن الزبير أن يتداعىٰ الناس إلى الرضا به، فألحّ عليه وعلى أصحابه في البيعة له، فحبسهم بزمزم وتوعدهم بالقتل والإحراق، وإعطاء الله عهداً إن لم يبايعوه أن ينفِّذ ما توعَّدهم به، وضرب لهم في ذلك أجلاً.

ولما اطّلع المختار علىٰ حقيقة الأمر بعث ظبيان بن عُمارة أخا بني تميم ومعه أربعمائة وبعث معه لابن الحنفية أربعمائة ألف درهم، فساروا نحو مكة حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الرايات وهم ينادون: يا لثارات الحسين، حتى انتهوا إلى زمزم وقد أعدَّ ابن الزبير الحطب ليُحرقهم وكان قد بقي من الأجل يومان، فكسروا الباب ودخلوا على ابن الحنفية فقالوا: خلِّ بيننا وبين عدو الله ابن الزبير.

فقال لهم: إنّي لا أستحل القتال في الحرم إلى آخر ما ذكره. [١]

فإذا كان هذه هي شيمة الرجل و سيرته مع آل علي، فهل يصحّ أن يعتمد على ما يرويه في حقّهم كما سيوافيك؟!

وعلى أية حال فهو من المقلِّين في نقل الحديث، ومن روائع رواياته ما يلي:

روائع أحاديثه:

١. أخرج أحمد في مسنده، عن عطاء، عن عبد الله بن الزبير، قال: قال رسول الله ﷺ:

صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلاّ

١. الكامل في التاريخ: ٤/ ٢٤٩ـ ٢٥١.

المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في هذا. [١]

٢. أخرج النسائي في سننه، عن يوسف بن الزبير، عن عبد الله بن الزبير، قال:

جاء رجل من خثعم إلى رسول الله ﷺ، فقال: إنّ أبي شيخ كبير، لا يستطيع الركوب وأدركته فريضة الله في الحج، فهل يجزي أن أحج عنه؟

قال: أنت أكبر ولده؟ قال: نعم، قال: أرايت لو كان عليه دين، أكنت تقضيه؟ قال: نعم. قال: فحج عنه. [٢]

ثمّ إنّ هنا روايات رويت عنه، تخالف الضوابط المذكورة في صدر الكتاب.

١. تقديم صلاة الجمعة على الخطبتين

أخرج أحمد في مسنده، عن وهب بن كيسان مولى ابن الزبير، قال:

سمعت عبد الله بن الزبير في يوم العيد، يقول، حين صلّى قبل الخطبة، ثمّ قام يخطب النّاس: يا أيّها النّاس، كلاًّ سنّة الله وسنّة رسول الله ﷺ. [٣]

الظاهر انّ الرواية موقوفة، لأنّ ابن الزبير ولد في السنة الثانية من الهجرة، وتوفي النبي ﷺ وله ثمان سنين.

فيبدو انّه لم ير واقعة تقديم الصلاة على الخطبتين من قبل النبي ﷺ فتكون الرواية موقوفة وليست بحجّة.

على أنّ الظاهر من كلمات الفقهاء شرطية تقدّم الخطبة.

قال في المغني: الرابع من الشروط أن يتقدمها خطبتان من شرط صحتها،

---

١. مسند أحمد: ٤/ ٥.

٢. سنن النسائي: ٥/ ١١٧، تشبيه قضاء الحج بقضاء الدين.

٣. مسند أحمد: ٤/ ٤.

وقد كان عمل النبي ﷺ على تقديم الخطبة بينهما فصل من جلوس، و قد قال: صلوا كما رأيتموني أُصلي، فالعكس يحتاج إلى الدليل. [١] وقال العلاّمة الحلّي: الثاني من الشروط تقديمهما على الصلاة لأنّهما شرط فيها، والشرط مقدم ولانّ النبي ﷺ داوم على ذلك، وقال: صلّوا كما رأيتموني أُصلي، ولقول الباقر عليه السلام وقد سئل عن خطبة رسول الله ﷺ قبل الصلاة أو بعدها، قال: قبل الصلاة ثمّ يصلي [٢] وأغلب الظن انّ المصلحة الشخصية دفعته إلى تقديم الصلاة على الخطبتين فلما اعترض عليه، اضطر إلى عزو ذلك إلى النبي ﷺ ليخرج من هذا المأزق.

٢. خِطْبَةُ عليّ بنت أبي جهل

أخرج الترمذي، عن ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن الزبير؛ انّ عليّاً ذكر بنت أبي جهل، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: إنّما فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما آذاها، وينصبني ما أنصبها. [٣]

ولكن البخاري نقله في غير واحد من الأبواب عن مِسْوَر بن مَخْرمة، وإليك صور ما نقله:

١. ما نقله في «باب ما ذكر من درع النبي ﷺ» بسند ينتهي إلى ابن شهاب انّ علي بن الحسين عليهما السلام حدثه أنّهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية،بعد مقتل الحسين بن علي عليهما السلام، لقيه المسور بن مخرمة، فقال له: هل لك إليّ من حاجة تأمرني بها ؟ فقلت له: لا، فقال له: فهل أنت مُعطِيَّ سيف رسول الله ﷺ؟ فانّي أخاف أن يغلبك القوم عليه، وأيم الله لئن أعطيتنيه لا يُخلص إليهم أبداً، حتى تبلغ نفسي.

---

١. المغني، ابن قدامة ومعه الشرح الكبير:٢/ ١٨١.

٢. التذكرة:٤/ ٦٩.

٣.سنن الترمذي: ٥/ ٦٩٩ برقم ٣٨٦٩؛ ورواه أحمد في مسنده: ٤/ ٥.

انّ علي بن أبي طالب عليه السلام خطب ابنة أبي جهل علىٰ فاطمة عليها السلام، فسمعت رسول الله ﷺ يخطب الناس في ذلك على منبره هذا وأنا يومئذ محتلم.

فقال ﷺ: إنّ فاطمة مني، وأنا أتخوف أن تفتن في دينها، ثمّ ذكر صهراً له من بني عبد شمس فأثنىٰ عليه في مصاهرته إياه.

قال: حدَّثني فصدقني، ووعدني فوفىٰ لي، وإني لست أُحرِّم حلالاً ولا أحلُّ حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله أبداً. (١)

٢. ما أخرجه عن الزهري، قال: حدثني علي بن الحسين عليه السلام: انّ المسور ابن مخرمة، قال: إنّ علياً خطب بنت أبي جهل، فسمعتْ بذلك فاطمة، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يزعم قومك انّك لاتغضب لبناتك، وهذا عليّ ناكح بنت أبي جهل.

فقام رسول الله ﷺ فسمعتُه حين تشهد، يقول: أمّا بعد، أنكحتُ أبا العاص بن الربيع فحدَّثني وصدقني، وإنّ فاطمة بضعة منّي وإنّي أكره أن يسوأها، والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله عند رجل واحد. فترك عليّ الخطبة.

و زاد محمد بن عمرو بن حلحلة، عن ابن شهاب، عن علي، عن مسور: سمعت النبي ﷺ وذكر صهراً له من بني عبد شمس فأثنىٰ عليه في مصاهرته إياه فأحسن. قال: حدثني فصدقني ووعدني فوفىٰ لي. (٢)

٣. ما نقله أيضاً مرسلاً وقال: قال المسور: سمعت النبي ﷺ ذكر صهراً له فأثنى عليه في مصاهرته فأحسن، قال: حدثني فصدقني ووعدني فوفىٰ لي. (٣)

---

١. صحيح البخاري: ٤/ ٨٣، باب ما ذكر من درع النبي ﷺ.
٢. صحيح البخاري: ٥/ ٢٢ـ٢٣، باب ذكر اصهار النبي ﷺ.
٣. صحيح البخاري: ٧/ ٢٠، باب الشروط في النكاح.

٤. مانقله أيضاً في باب الغيرة، عن المسور بن مخرمة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول و هو على المنبر :إنّ بني هشام بن المغيرة استأذنوا أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن، فلا آذن، ثمّ لا آذن، ثمّ لا آذن، إلاّ أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنّما هي بضعة مني يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها.[1]

هذه هي صور أربع لرواية واحدة، وأنت ترى انّ البخاري كيف يلعب بالرواية سنداً و متناً، فتارة يذكره مسنداً إلى مخرمة، وأُخرى ينقله مرسلاً، وثالثة يضم إلى قصة الخطبة قصة أُخرى وهي طلب المسور سيف النبي ﷺ، وأُخرى يجردها عنها.

وأمّا الاختلاف في اللفظ فحدّث عنه ولا حرج، ومع ذلك فالرواية مكذوبة وموضوعة على لسان النبي ﷺ، وضعها الأمويون في عهدهم للحطّ من شأن عليّ ؑ، وإليك بيانها.

أمّا ما رواه الترمذي و أحمد مسنداً إلى ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن الزبير فلا يصحّ الاحتجاج به لما عرفت من أنّ الرجل كان من أعداء عليّ ؑ، فلا يمكن الاعتماد على قوله، وقد عرفت شيئاً من عدائه.

وأمّا ما أخرجه البخاري عن المِسْوَر، ففيه وجوه من الاشكال:

الأوّل: انّ الصلة بين القصتين في الصورة الأُولى مقطوعة، حيث إنّ ابن مخرمة يطلب سيف رسول الله ﷺ، ولما يواجه امتناع علي بن الحسين يتبعه بقصة أُخرى ويقول:

إنّ علي بن أبي طالب خطب ابنة أبي جهل، فأيُّ صلة بين القصتين؟ وان

---

١. صحيح البخاري: ٧/ ٣٧، باب ذبّ الرجل عن ابنته في الغيرة والانصاف من كتاب النكاح.

أتعب ابن حجر نفسه في شرحه على البخاري حتى يوّضح الصلة بينهما. [١]

الثاني: انّ المسور بن مخرمة ولد بمكة بعد الهجرة بعامين وله من العمر عند وفاة النبي ﷺ ثمان سنين، فكيف يقول في الصورة الأُولى ممّا نقلها البخاري: فسمعت رسول الله ﷺ يخطب الناس في ذلك على منبره، وانا يومئذٍ محتلم. ولا يطلق على من له ثمان سنين انّه محتلم، بل ولا كا لمحتلم؟

فما ذكره الذهبي انّ المسور كان كبيراً محتلماً يوم ذاك فهو غفلة عن سنة مولده، وقد أرّخ هو ميلاده بما ذكرنا. [٢]

الثالث: كيف ينقل علي بن الحسين عليه السلام ـ حينما قفل راجعاً من كربلاء إلى المدينة المنورة وقلبه مثقّل بالهموم والمصائب ـ تلك القصة الموهنة التي تحطّ من شخصية جدّه عليه السلام، للزهريّ فهل يقوم بذلك إنسان عادي فضلاً عن علي بن الحسين عليه السلام ؟حتى ولو افترضنا انّه سمعه من المِسْور بن مخرمة.

الرابع:انّ جميع صور الرواية الّتي رواها البخاريّ تنتهي إلى المسور بن مخرمة، الّذي كان منحرفاً عن عليّ، ويشهد على ذلك ما نقله الذهبي.

قال: قدم دمشق بريداً من عثمان يستصرخ بمعاوية.

وقال أيضاً: كانت الخوارج تغشاه وينتحلونه.

وقال أيضاً: قال عروة: فلم أسمع المسور ذكر معاوية إلاّ صلّى عليه.

وذكر انّ ابن الزبير لا يقطع أمراً دون المسور بمكة. [٣]

كلّ ذلك يشهد على أنّه قد نصب العداء لأمير المؤمنين عليه السلام واتخذ عداءه

---

١. لاحظ فتح الباري: ٦/ ٢١٤ فذكر انّ الصلة هي انّ رسول الله كان يحب رفاهية فاطمة فأنا أيضاً احب رفاهية خاطرك لكونك ابن ابنها فعاطني السيف حتى أحفظه لك. وهو كما ترى.

٢. سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٩٣ برقم ٦٠.

٣.سير أعلام النبلاء:٣/ ٣٩٠ـ ٣٩٤ برقم ٦٠.

بطانة لـه حتى بلغ به الأمر إلى انّـه لا يذكر معاويـة إلاّ صلى عليه، و ان الزبير لا يقطع أمراً دونه.

كلمة لأبي جعفر الاسكافي حول الرواية

وثمـةكلمة قيمـة لأبي جعفر الاسكـافي، لا بأس بنقلهـا هنا نقلهـا ابن أبي الحديد عنه:

قال: إنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي ﷺ، تقتضي الطعنَ فيـه والبراءة منـه؛ وجعل لهم على ذلك جُعـلاً يُرْغَبُ في مثله؛ فاختلقوا ما أرضـاه، منهم: أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين: عروة بن الزبير.

روى الزهريّ أنّ عروة بن الزبير حدّثه، قـال: حدّثتني عائشة، قالت: كنت عند رسول الله ﷺ إذ أقبل العباس وعليّ، فقال: يا عائشـة، إنّ هذين يموتان على غير ملّتي، أو قال: غير ديني.

وروى عبد الرزاق، عن معمر، قال: كان عنـد الزهريّ حديثان، عن عُروة، عن عائشة في عليّ ﷺ؛ فسألتُه عنهما يوماً؟ فقـال: ما تصنع بهما وبحديثهما! الله أعلم بهما؛ إنّي لأتهمهما في بني هاشم.

قال: فأمّا الحديث الأوّل؛ فقد ذكرناه؛ وأمّا الحديث الثاني فهو أنّ عُروة زعم أنّ عائشة حدثتـه، قالت: كنت عند النبي ﷺ إذ أقبل العباس وعلي، فقـال: «يا عائشة؛ إن سرّكِ أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا»، فنظرت، فإذا العباس وعلي بن أبي طالب.

وأمّا عمرو بن العاص، فروي عنـه الحديث الذي أخرجه البخاري و مسلم في صحيحيهما مسنـداً متصلاً بعمـرو بن العـاص، قـال: سمعت رسـول الله ﷺ

يقول: «إنّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء إنّما وليّي الله وصالح المؤمنين».

وأمّا أبو هريرة، فروي عنه الحديث الذي معناه أنّ علياً عليه السلام خطب ابنة أبي جهل في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله فأسخطه، فخطب على المنبر، وقال: لاها الله! لا تجتمع ابنة وليّ الله وابنة عدو الله أبي جهل! إنّ فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما يؤذيها؛ فإن كان علي يريد ابنة أبي جهل فليفارق ابنتي، وليفعل ما يريد، أو كلاماً هذا معناه، والحديث مشهور من رواية الكرابيسي.

قلت: هذا الحديث أيضاً مخرج في صحيحي مسلم والبخاري عن المِسْوَر ابن مخرَمة الزهريّ؛ وقد ذكره المرتضى في كتابه المسمى «تَنزيه الأنبياء و الأئمّة»، وذكر أنّه رواية حسين الكرابيسيّ، وأنّه مشهور بالانحراف عن أهل البيت عليهم السلام، وعداوتهم والمناصبة لهم، فلا تقبل روايته.

ولشياع هذا الخبر وانتشاره ذكره مروان بن أبي حفصة في قصيدة يمدح بها الرشيد، ويذكر فيها ولد فاطمة عليها السلام ويُنحي عليهم، ويذمّهم، وقد بالغ حين ذمّ علياً عليه السلام ونال منه، وأوّلها:

سَلامٌ على جُمْلٍ، وهَيْهاتَ من جملِ ... ويا حبّذا جملٌ وإن صَرَمَتْ حَبْلي

يقول فيها:

عليّ أبوكم كان أفضلَ منكمُ ... أباه ذوُو الشورى وكانوا ذَوِي الفَضْلِ

وساء رسول الله إذ ساء بنته ... بخِطْبته بنتَ اللعين أبي جهل

فذمَّ رسول الله صهر أبيكم ... على مِنبَرٍ بالمنطق الصادع الفصلِ

وحكّم فيها حاكمين أبوكُم ... هما خلعاه خَلْعَ ذِي النَّعْل للنعلِ

وقد باعها من بعده الحسنُ ابنُه ... فقد أبطلت دعواكُمُ الرثّةُ الحبلِ

وخلّيتُموها وهي في غير أهلها ... وطالبتُموها حين صارت إلى أهلِ

وقد رُوي هـذا الخبر على وجوه مختلفة، وفيـه زيادات متفاوتـة؛ فمن الناس من يروي فيه: «مهما ذممنا من صهر فإنّـا لم نذمّ صهر أبي العاص بن الربيع»، ومن الناس من يروي فيه: «ألا إنّ بني المغيرة أرسلـوا إلى عليّ ليزوجوه كريمتهم»؛ وغير ذلك.[١]

وفي الختام نقول: إنّ قصـارىٰ ما بذله ابن حجر في كتـابه فتح الباري [٢] في غير واحد من أجزاء كتـابه، لا يخرج عن تبرير عمل علي عليه السلام و انّه لم تكن خطبته مخالفة للإسلام و انّه انتهىٰ عن العمـل بعدما وقف علىٰ أنّ الزواج ببنت أبي جهل سينتهي إلى إيذاء بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان عليه أن يبذل جهوده في تقييم الرواية وعرضها على التاريخ الصحيح في سيرة عليّ عليه السلام وقربه من النبي وانّه كان يتبعه اتباع الظل لذي الظل وكان واقفاً على ما يبغض النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو يرضيه، فهل يتصور منه عليه السلام أن يخطب بنت أبي جهل ـ الذي هـو من ألد أعداء الإسلام ـــ على فاطمة الزهـراء من دون استئذان النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟!

نعم لا نقول إنّ تزويج بنت أبي جهل المسلمـة كان حراماً، ولكن ليس كل حلال يعمل به، خصوصاً مثل علي عليه السلام بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبضعته.

ولعل في هذا البحث غنى وكفاية.

فقد بان من هذا انّ علياً عليه السلام لم يُغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وها أنا أعرّف لك من أغضب الرسول و آذاه.

فهذا هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني.[٣]

---

١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤/ ٦٣ ـ ٦٥

٢. فتح الباري:٦/ ٢١٤؛ ٧/ ٨٥؛ ٩/ ٣٢٧.

٣. صحيح البخاري: ٥/ ٥١ في كتاب مناقب قرابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن جانب آخر يروي البخاري انّ فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقسم لها ميراثها مـا ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما أفاء الله عليه.

فقال لها أبوبكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: لا نُورث ما تركناه صدقة.

فغضبت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهجرت أبا بكر فلم تزل بها هاجرته حتى توفيت. [١]

وروى البخاري أيضاً انّ فـاطمة عليها السلام بنت النبـي صلى الله عليه وآله وسلم أرسلت إلى أبي بكـر تسأله ميراثهـا من رسول الله ممـا أفاء الله عليه بـا لمدينة وفدك ومـا يبقىٰ من خمس خيبر ـ إلى ان قال: ـ فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فـاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلـك فهجرتْه، فلم تكلمـه حتى توفيـت وعاشت بعد النبـي ستة أشهر، فلمّا توفيت دفنها زوجها عليّ ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى عليها. [٢]

وروى البخاري أيضاً: انّ فاطمة عليها السلام والعباس عليه السلام أتيا أبا بكـر يلتمسان من ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهما حينئذ يطلبان أرضيهما من فدك و سهمهما من خيبر، فقال لهما أبـو بكر: سمعت رسول الله يقول: لا نـورث ما تركنا صـدقة، إنّما يأكل آل محمـد من هذا المال. قال أبـو بكر: والله لا أدع أمراً رأيـت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصنعه فيه إلاّ صنعته قال: فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتّى ماتت. [٣]

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق/ ٣٧).

---

١. صحيح البخاري: ٤/ ٧٩، باب فرض الخمس.

٢. صحيح البخاري: ٥/ ١٣٩، باب غزوة خيبر؛ وأخرجه أيضاً مسلم في صحيحه :٥/ ١٥٣، كتاب الجهاد، باب قول النبي لا نورث ما تركناه صدقة؛ وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده: ١/ ٩.

٣. صحيح البخاري: ٨/ ١٤٩، كتاب الفرائض.

٣٠

أبو سعيد الخدري

(١٠ ق.هـ ـ ٧٤هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. ثلاثمائة وخمس عشرة شريعة
٢. نزول النبي ﷺ عند رغبة عمر
٣. احتجاج آدم على موسى بالقدر
٤. قتال المارّ بين يدي المصلي
٥. النبي يغفل عن صلاته
٦. الوقوع على السبايا قبل الاستبراء
٧. الصوم في السفر
٨. سلطان إبليس على النبي ﷺ
٩. كذب إبراهيم ثلاث مرّات
١٠. التحدث عن بني إسرائيل.

هو سعد بن مالك بن سنان الخزرجي وأخوه لأُمّه هو قتادة بن النعمان الظفري أحد البدريين، استشهد أبوه «مالك» يوم أُحد، و شهد أبو سعيد الخندقَ وبيعة الرضوان.

قال أبو سعيد: عُرضتُ يوم أحد وأنا ابن ثلاث عشرة، فجعل أبي يأخذ بيدي و يقول: يا رسول الله إنّه عَبْلَ العظام، و جعل نبيّ الله يصعِّد في النظر ويصوِّبه ثمّ قال: رُدّه فردّني.

قال الذهبي: مسند أبي سعيد ١١٧٠ حديثاً، ففي البخاري و مسلم ٤٣

وانفرد البخاري بـ ١٦ حديثاً و مسلم بـ٥٢ حديثاً. [١]

ولكن الموجود من أحاديثه في الصحاح و المسانيد لا يبلغ هذا المقدار بل ينقص عنه بكثير، و قد جمعت في المسند الجامع رواياته فبلغت ٦٢٥ حديثاً [٢] ولعلّه لم يستوفها كما هو دأبه في غير مورد.

يقول ابن الأثير: أبو سعيد الأنصاري الخدري و هو مشهور بكنيته من مشهوري الصحابة و فضلائهم و هو من المكثرين من الرواية عنه، وأوّل مشاهده الخندق، و غزا مع رسول الله اثنتي عشرة غزوة، وروىٰ عنه من الصحابة: جابر وزيد بن ثابت وابن عباس و أنس و ابن عمر وابن الزبير؛ ومن التابعين: سعيد بن المسيب وأبو سلمة وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة و عطاء بن يسار و أبو أمامة بن سهل بن حنيف و غيرهم، توفي سنة ٧٤هـ يوم الجمعة و دفن بالبقيع، وهو ممّن له عقب من الصحابة، و كان يحفي شاربه و يصفر لحيته. [٣]

وقال في قسم الكنى: و كان من الحفاظ لحديث رسول الله ﷺ المكثرين ومن العلماء الفضلاء العقلاء. [٤]

وقال ابن عبد البر: وكان ممّن حفظ عن رسول الله ﷺ سنناً كثيرة وروىٰ عنه علماً جماً، و كان من نجباء الأنصار و علمائهم وفضلائهم. [٥]

وروى السيد نور الدين السمهودي في «جواهر العقدين» نقلاً عن الحافظ أبي نعيم الاصبهاني في حلية الأولياء عن أبي الطفيل، قال: إنّ علياً عليه السلام قام فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: أنشد الله من شهد يوم غدير خم إلاّ قام، ولا يقوم رجل يقول: إنّي نُبئت أو بلغني، إلاّ رجل سمعتْ أُذناه و وعاه قلبه.

---

١. سير أعلام النبلاء:٣/ ١٦٨ برقم ١٨.
٢. المسند الجامع: ٦/ ٥٧٥.
٣. أُسد الغابة: ٢/ ٢٨٩.
٤. المصدر نفسه: ٥/ ٢١١.
٥. الاستيعاب: ٢/ ٦٠٢ تحقيق علي محمد البجاوي.

فقام سبعة عشر رجلاً منهم أبو سعيد الخدري. [١]

وقال ابن قتيبة ـ عند سرده لوقعة الحرّة لما أراد أهل الشام نهبَ المدينة وقتلَ رجالها الذين خلعوا بيعة يزيد عن أعناقهم ـ قال: ولزم أبو سعيد الخدري في بيته فدخل عليه نفر من أهل الشام، فقال: أيّها الشيخ من أنت؟ فقال: أنا أبو سعيد صاحب رسول الله ﷺ، فقالوا: مازلنا نسمع عنك فبحظك أخذت في تركك قتالنا و كفك عنّا ولزوم بيتك، ولكن أخرج إلينا ما عندك، قال: والله ما عندي مال فنتفوا لحيته و ضربوه ضربات، ثمّ أخذوا كلّما وجدوه في بيته حتّى الثوم و حتى زوج حمام كان له. [٢]

تعاطفه مع أهل البيت عليهم السلام

إنّ أبا سعيد الخدري من أجلّاء الصحابة الذين كانت لهم مواقف مشرّفة مع أئمّة أهل البيت عليهم السلام، و قد عرفتَ أنّه أحد من شهد لعلي عليه السلام بالولاية يوم الغدير، وأخرج الإمام أحمد عنه، انّه قال: قال رسول الله ﷺ: إنيّ تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وانّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. [٣]

وقد أخرج هذا الحديث الترمذي في سننه، عن جابر بن عبد الله، قال: رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة و هو على ناقته القصواء يخطب فسمعته، يقول: يا أيّها الناس إنّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا؛ كتاب الله و

---

١. الغدير: ١/ ١٧٦.

٢. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ١٩٥.

٣. مسند أحمد: ٣/ ١٤.

عترتي أهل بيتي. (١)

هذه إلمامة عابرة بترجمة ذلك الصحابي العظيم، و إليك استعراض ما روي عنه من روائع الأحاديث.

روائع أحاديثه

١. أخرج ابن ماجة في سننه، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ : من خرج من بيته إلى الصلاة، فقال: «اللهمّ إنّي أسألك بحقّ السائلين عليك، و أسألك بحقّ ممشاي هذا فإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة وخرجت اتقاء سخطك و ابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي انّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت». أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك. (٢)

وبالرغم من أنّ المعلق على سنن ابن ماجة ضعّف الحديث لمكان عطية العوفي، لكنّه رجل ثقة، وما نقموا منه إلاّ تشيّعه وحبّه لأهل البيت عليهم السلام.

٢. أخرج ابن ماجة، عن جابر بن عبد الله، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: إذا قضى أحدكم صلاته فليجعل لبيته نصيباً، فانّ الله جاعل في بيته من صلاته خيراً. (٣)

ولأجل ذلك كان النبي يؤدّي نوافل رمضان في بيته فرادىٰ، و قلّما يتفق أن يصليها في المسجد، و ما هذا إلاّ لأنّ للبيت نصيباً من الصلاة، و بذلك يعلم انّ

---

١. سنن الترمذي:٥/ ٦٦٢ برقم ٣٧٨٦.

٢. سنن ابن ماجة:١/ ٢٥٦ برقم ٧٧٨؛ مسند أحمد: ٣/ ٢١، قوله «أقبل الله عليه بوجهه» خلاف قوله «صرف الله وجهه عنه» وكلاهما كنايتان عن شمول الرحمة وخلافه.

٣. سنن ابن ماجة: ١/ ٤٣٨ برقم ١٣٧٦ ؛ مسند أحمد: ٣/ ١٥.

إقامة صلاة التراويح جماعة، إخلاء للبيت من إقـامة الصلاة فيه، و قد أخرج ابن ماجة عن عبد الله بن سعد، قال: سألت رسول الله ﷺ أيما أفضل، الصلاة في بيتي أو الصلاة في المسجد؟ قال: ألا ترىٰ إلى بيتي؟ مـا أقربه من المسجد! فلئن أصلّي في بيتي أحبُّ إليّ من أن أُصلّي في المسجد إلاّ أن تكون صلاة مكتوبة. (١)

ونقل المعلق عن الزوائد انّ اسناده صحيح و رجاله ثقات.

٣. أخرج البخـاري في صحيحه، عـن أبي سلمة، عن أبي سعيـد الخدري، عن النبي ﷺ قال: ما استخلف خليفة إلاّ له بطانتـان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، و المعصوم من عصم الله. (٢)

٤. أخرج الترمذي عن عطية ،عن أبي سعيـد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: اتقـوا فـراسـة المؤمن فـانّـه ينظـر بنـور الله، ثمّ قـرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾. (٣)

٥.أخرج أبو داود في سننه، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري: قال: قال رسول الله ﷺ : أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر. (٤)

٦. أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من رأى منكـم منكراً فليغيّره بيده، ومن لم يستطع فبلسـانه، ومن لم يستطع فبقلبه و ذلك أضعف الإيمان. (٥)

٧. أخـرج أحمد في مسنـده، عـن أبي عيسى الأسـواري، عـن أبي سعيـد

١. سنن ابن ماجة: ١/ ٤٣٩ برقم ١٣٧٨.

٢. صحيح البخاري: ٨/ ١٢٥، باب المعصوم من عصم الله.

٣. سنن الترمذي: ٥/ ٢٩٨ برقم ٣١٢٧ والآية ٧٥ من سورة الحجر .

٤. سنن أبي داود: ٤/ ١٢٤ برقم ٤٣٤٤.

٥. صحيح مسلم: ١/ ٥٠، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان.

الخدري، عن النبي ﷺ، قال: عوِّدوا المريض، واتّبعوا الجنائز تذكِّركم الآخرة. (١)

٨. أخرج الإمام مسلم في صحيحه، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي سعيد الخدري: انّ ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثمّ سألوه فأعطاهم، حتى إذا نفد ما عنده، قال: مايكن عندي من خير فلن أدّخره عنكم، و من يستعفف يعِفّه الله و من يستغن يُغنه الله و من يصبر يصبِّره الله، و ما أُعطي أحد من عطاء خيراً وأوسع من الصبر. (٢)

٩. أخرج البخاري في الأدب المفرد، وأحمد في مسنده، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: من لا يرحم الناس لا يرحمه الله. (٣)

١٠. أخرج الترمذي، عن عبد الله بن غالب الحرّاني، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: خصلتان لا تجتمعان في قومي: البخل وسوء الخلق. (٤)

١١. أخرج الترمذي، عن ابن أبي ليلى، عن عطية، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: من لم يشكر الناس لم يشكر الله. (٥)

هذه جملة من روائع أحاديثه اقتصرنا عليها، لأنّ المقصود عرض نماذج من أحاديثه التي علا هامتَها نورُ النبوّة، و إليك شيئاً ممّا نسب إليه والذي لا يوافق المعايير المذكورة في صدر الكتاب.

---

١. مسند أحمد: ٣/ ٢٢٣.
٢. صحيح مسلم: ٣/ ١٠٢، باب فضل التعفف والصبر.
٣. البخاري: الأدب المفرد، ص ٩٥؛ مسند أحمد:٣/ ٤٠.
٤. سنن الترمذي: ٤/ ٣٤٣ برقم ١٩٦٢.
٥. سنن الترمذي: ٤/ ٣٣٩ برقم ١٩٥٥.

١. ثلاثمائة و خمس عشرة شريعة

أخرج عبد بن حميد، عن عبد الله بن راشد مولىٰ لعثمان بن عفان، قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: قال رسول الله ﷺ:

إنّ بين يدي الرحمن تبارك وتعالى لوحاً فيه ثلاثمائة و خمس عشرة شريعة، يقول الرحمن: وعزتي وجلالي لا يجيئني عبد من عبادي لا يشرك بي شيئاً فيه واحدة، وإحدىٰ منكنّ إلاّ أدخلته الجنة. (١)

تتضمن الرواية انّه سبحانه و تعالى أنزل شرائع كثيرة تربو علىٰ ٣١٥ شريعة ولكن الظاهر من الذكر الحكيم انحصار شرائعه في خمس، قال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّين ما وَصّىٰ بِهِ نُوحاً وَالّذي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهيمَ وَ مُوسىٰ وَعِيسىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى/ ١٣) فلو كان هناك شريعة قبل نوح أو شريعة في ثنايا شرائع السابقين لأشار إليها.

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْراهيمَ وَمُوسىٰ وَعِيسى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ (الأحزاب/ ٧).

فالمتبادر من الآيتين انّ هؤلاء هم أصحاب الشرائع وانّ الباقين كانوا من الدعاة إلى شرائعهم، يقول ابن كثير في تفسير الآية الأُولى: «فذكر أوّل الرسل بعد آدم و هو (نوح ﷺ) وآخرهم و هو (محمدﷺ) ثمّ ذكر من بين ذلك من أُولي العزم: إبراهيم وموسىٰ و عيسىٰ بن مريم، وهذه الآية تضمنت ذكر الخمسة كما اشتملت آية الأحزاب عليهم في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْراهيمَ وَمُوسىٰ وَعِيسىٰ ابْنِ مَرْيَمَ﴾. (٢)

---

١. المسند الجامع: ٦/ ١٥٨ـ ١٥٩، قال أخرجه عبد بن حميد برقم ٩٦٨.

٢. مختصر تفسير ابن كثير: ٣/ ٢٧٢.

وقال جلال الدين السيوطي في تفسير آية الشورى الماضية: وأخرج ابن المنذر عن زيد بن رفيع، بقية أهل الجزيرة، قال: بعث الله نوحاً عليه السلام وشرع له الدين فكان الناس في شريعة نوح عليه السلام ما كانوا، فما اطفأها إلاّ الزندقة، ثمّ بعث الله موسى عليه السلام وشرع له الدين، فكان الناس في شريعة من بعد موسى، ما كانوا، فما اطفأها إلاّ الزندقة، ثمّ بعث الله عيسى عليه السلام وشرع له الدين، فكان الناس في شريعة عيسى عليه السلام ما كانوا فما أطفأها إلاّ الزندقة، قال: ولا يخاف على هلاك هذا الدين إلاّ الزندقة». [١]

يقول العلاّمة الطباطبائي: يستفاد من الآية (آية الشورى) أُمور (نذكر ممّا ذكره أمرين):

الأوّل: انّ الشرائع الإلهية المنتسبة إلى الوحي إنّما هي شريعة نوح و إبراهيم وموسى وعيسى و محمد صلى الله عليه وآله، إذ لو كان هناك غيرها لذكر قضاء لحقّ الجامعية المذكورة، و لازم ذلك أوّلاً : ان لا شريعة قبل نوح عليه السلام بمعنى القوانين الحاكمة في المجتمع الإنساني الرافعة للاختلافات الاجتماعية. و ثانياً: انّ الأنبياء المبعوثين بعد نوح كانوا على شريعته إلى بعثة إبراهيم وبعدها علىٰ شريعة إبراهيم إلى بعثة موسى و هكذا.

الثاني: انّ الأنبياء أصحاب الشرائع وأُولي العزم هم هؤلاء الخمسة المذكورون في الآية إذ لو كان معهم غيرهم لذكر فهؤلاء سادة الأنبياء، ويدل على تقدمهم أيضاً قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ (الأحزاب/ ٧). [٢]

نعم ليس كل نبي ذا شريعة، ولأجل ذلك يربو عدد الأنبياء على الأُلوف مع

---

١. الدر المنثور: ٧/ ٣٤٠. هكذا في المصدر و قد سقط من الرواية ذكر شريعة إبراهيم.

٢. الطباطبائي، الميزان: ١٨/ ٢٩.

أنّ الشريعة لا تتجاوز الخمس .

ولو فرض إطلاق صاحب الشريعة على كلّ نبي باعتبار انّه مروّجها ومبينها فلا تنحصر الشريعة في العدد المذكور في الرواية بل يزيد عددهم بكثير.

ثمّ أين هذه الشرائع الكثيرة التي تحكي عنهـا الرواية، ولا أثر لها في الكتب السماوية الموجودة؟

٢. نزول النبي ﷺ عند رغبة عمر

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد، قال: لما كـان غزوة تبوك، أصـاب الناس مجاعـة، قالوا: يـا رسول الله لو أذنـت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادّهنّا.

فقال رسول الله ﷺ: افعلوا.

قـال فجاء عمـر، فقـال: يا رسـول الله إن فعلت قـلّ الظّهر ولكـن ادعهم بفضل ازوادهم. ثمّ ادع الله لهم عليها بالبركة لعلّ الله أن يجعل في ذلك.

فقال رسول الله ﷺ نعم. [١]

أقول: إنّه سبحانه يصف نبيّه بقوله: ﴿**وَعلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً**﴾ (النساء/ ١١٣).

والمراد من الفضل هو علمه ومن وصف سبحانـه علمه بالعظمة، فهل من المعقول أن يكون غير واقف علىٰ مـا جاء في هذه الرواية وكان بعـض أتباعه أعلم منه؟!

إنّ الحنكـة السياسيـة والعسكـرية تفـرض على القـائد أن يكون واقفـاً على

١. صحيح مسلم: ١/ ٤٢، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه، من كتاب الإيمان.

المصالح والمفاسد التي تحدق بعسكره، فإذا كان عمر قد اطّلع علىٰ ذلك فالنبي ﷺ أولى بالاطّلاع منه فكيف وقف الأوّل عليها دون أفضل الخليقة؟!

وثمة نكتة جديرة بالإشارة وهي انّ ما جاء في تلك الرواية ليس فريداً من نوعه بل تكرر ذلك في موارد أُخرى بنحو تُصوِّر انّ عمر كان أعلم من النبي ﷺ وهذا النوع من الروايات نابع عن الإفراط في العاطفة تجاه الخليفة، فلنذكر بعض الموارد.

المورد الأوّل: قتل الأسرى

أخرج الإمام أحمد عن أنس (رض) قال: استشار النبي الناس في الأُسارى يوم بدر، فقال: إنّ الله أمكنكم منهم.

فقام عمر بن الخطاب (رض) فقال: يا رسول الله، اضرب أعناقهم؟فأعرض عنه النبي ﷺ فقال: يا أيّها الناس إنّ الله قد أمكنكم منهم و إنّما هم إخوانكم بالأمس. فقام عمر، فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم؟

فأعرض عنه النبي ﷺ ثمّ عاد فقال مثل ذلك. فقام أبو بكر الصديق فقال: يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم و ان تقبل منهم الفداء. فعفا عنهم و قبل منهم الفداء، فنزل ﴿لَولاَ كتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ الآية.[1]

يلاحظ عليه أوّلاً: انّ هناك موضوعات عرفية ربما يستشير فيها النبي أصحابه لا لأجل الوقوف على ما هو الأصلح بل لأجل منحهم الشخصية، يقول سبحانه: ﴿فَاْعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِر لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الأَمْر﴾(آل عمران / ١٥٩).

وربما تكون في المشاورة مصالح أُخرىٰ كتعليم أصحابه كيفية معالجة المشاكل

١. الدر المنثور: ٤/ ١٠٤ والآية ٦٨ من سورة الأنفال.

كما شاور ﷺ في غزوة أُحد والأحزاب.

وأمّا الأحكام الشرعية التي يختص تشريعها بالله سبحانه وأُمِرَ النبيُّ ﷺ بإبلاغها دون أيّ تصرف، فهي أُمور لا تخضع للمشاورة بل على النبي أن يمكث حتى يوافيه الوحي بها، وقد تكرر ذلك فسُئل النبي عن أشياء، فمكث حتى وافاه الوحي.

ومسألة الأُسارىٰ من المسائل الشائكة المهمة في الحياة الاجتماعية والسياسية للمسلمين فللّه سبحانه فيها تشريع كتشريعه في سائر الموضوعات ولا يسع النبيّ ﷺ المبلِّغ عن الله أحكامه، أن يشاور هذا أو ذاك حتّى يشير أحدهم بالقسوة والآخر بالرأفة .

وعلى ذلك فليس هناكِ أيُ مسوغ للنبي للمشاورة حسب الموازين الشرعية.

ثانياً: كيف يكون الرسول غير واقف على الحكم الأصلح في حقّ الأُسارى ويكون غيره واقفاً عليه، والنبي ﷺ أكرم الخليقة و أفضل من أبينا آدم الذي علَّمه سبحانه الأسماء كلّها وصار بذلك خليفة لله ومعلّماً للملائكة.

ثالثاً: انّ ظاهر الحديث يعرب عن كون الخطاب في قوله: ﴿**لمسّكم فيه عذاب عظيم**﴾ ـ نعوذ بالله ـ عاماً شاملاً للنبيّ، لأنّه ـ صلوات الله عليه ـ اختار الأخذ و الفداء دون ضرب الأعناق، فيدخل ـ صلوات الله عليه ـ تحت قوله ﴿**لولا كتاب من الله سبق...**﴾ وفي الوقت نفسه ليس شاملاً لعمر، وهذا على طرف النقيض من القول بعصمته بعد البعثة التي اتفقت عليه عامة المسلمين. مع أنّ سياق الآية وما قبلها يشهد علىٰ خروج النبي ﷺ عن مصب الخطاب، لأنّه سبحانه يذكره بصيغة الغائب، و يقول: ﴿ **ما كانَ لِنَبِيٍّ أنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى...**﴾ (الأنفال / ٦٧) وعندما يندد بهذا العمل يخص المجاهدين بالخطاب، ويقول: ﴿**ولولا كتاب من الله سبق لمسّكم...**﴾ والتغاير في التعبير آية عدم الشمول.

المورد الثاني: عدم إقامة الصلاة على المنافقين

أخرج البخاري في تفسير قوله سبحانه: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِر لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِر لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِين﴾ (التوبة/ ٨٠).

قال: لما توفي عبد الله (ابن أُبي) جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلىٰ رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يُكفّن فيه أباه فأعطاه، ثمّ سأله أن يصلّي عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلّي، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله تصلي عليه و قد نهاك ربّك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: إنّما خيّرني الله فقال: ﴿استغفر لهم أو لاتستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة﴾، وسأزيده على السبعين، قال: إنّه منافق، قال: فصلّى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿وَلا تُصَلِّ عَلىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلىٰ قَبْرِهِ﴾ (البقرة/ ٨٤). [١]

وفي الحديث تأملات وتساؤلات:

أوّلاً: المتبادر من الآية عند الناطقين بالضاد هو أنّ عدد السبعين فيها كناية عن الكثرة بمعنى انّ الاستغفار لا يجدي لهم مهما بلغ عددها سواء أكان أقل من السبعين أو أزيد منه و هذا ما يفهمه العربيّ الصميم من الآية، ويؤيد ذلك انّه سبحانه علّل عدم الجدوىٰ بقوله: ﴿بأنّهم كفروا بالله ورسوله﴾ والكافر مادام كافراً لا يستحق الغفران أبداً، وإن استغفر النبي ﷺ في حقّه مائة مرة.

ولكن الظاهر من الرواية انّ النبيّ ﷺ فهم من الآية انّ لعدد السبعين خصوصية وانّه ﷺ ما أقدم على الصلاة على عبد الله بن أُبي(وهو رأس المنافقين) إلّا لأجل أن يستغفر له أزيد من السبعين الذي ربما تكون الزيادة نافعة لحاله ولا

---

١. البخاري: الصحيح: ٦/ ٦٧، قسم التفسير.

خفاء في أنّه علىٰ خـلاف ما يفهمه العربي الصميم من الآيـة فكيف بنبيّ الإسلام وهو أفصح من نطق بالضاد؟!

وثانياً: انّ المتبـادر من لفظـة «أو» في الآيـة من قـولـه: ﴿**استغفـر لهم أو لا تستغفر لهم**﴾ أنـّها للتسـوية أي الاستغفار وعـدمه سيان، لأنّ المحل غير قـابل للاستفاضـة ولكن النبيّ ﷺ حسب الـروايـة حملهـا على التخيير حيث قـال: إنّما خيّـرني الله وقال: ﴿**استغفر لهم أو لا تستغفر لهم**﴾ فكيف خفي على النبي مفاد الآية؟!

نعم نقل ابن حجر في فتح البـاري لفظة: «اخبرني» مكان «خيرني» و لكنه يخالف ما هو المتضافر من نسخ البخـاري على أنّه روىٰ هذه الرواية بصورة أُخرى وهي: «اخّر عني يا عمر فلما أكثـرت عليه، قال: إنّما خُيّرت فاخترت لو أعلم انّي زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها». [١]

وثالثاً: كيف قام النبي بالصلاة على المنافق، وهو يشتمل على الاستغفار مع أنّ المروي في الصحاح انّه سبحـانه نهى النبي ﷺ عن الاستغفار للمشركين، وهو في مكّة المكـرّمة وقـال: ﴿**مـا كانَ للنَّبـيِّ وَالّذيـنَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِـرُوا لِلْمُشْرِكينَ وَ لَوكانُوا أُولي قُربىٰ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيّـنَ لَهُمْ أَنَّـهُمْ أصحابُ الْجَحِيمِ**﴾ (التوبة/ ١١٣).

قال ابن حجر: نزلت الآية في قصة أبي طالب حين قالﷺ : لاستغفرنّ لك ما لم أنـه عنك، فنزلت الآيـة وكانت وفـاة أبي طالب بمكـة قبل الهجرة اتّفـاقاً [٢] وقصة عبـد الله بن أُبي كانت في السنة التـاسعة من الهجـرة فكيف يجوز للنبيّ مع النهي المتقدم الاستغفار للمنافق مع الجزم بكفره؟! [٣]

---

١. فتح الباري: ٨/ ٣٣٨.

٢. توفي سيد الأباطح أبـو طالب مؤمن قريش في العام العاشر مـن البعثة، وقد ثبت في محله إيمان أبي طالب ببراهين ساطعة وقد نزلت الآية في حقّ غيره.

٣. فتح الباري: ٨/ ٣٣٩.

ورابعاً: انّه سبحانه نهى النبي عن الاستغفـار في سورة المنافقين، وقد نزلت في غزوة بني المصطلق وغزاهم النبي في العام السـادس من الهجرة ، قال سبحانه: **﴿سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَـرتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرِ لَهُمْ لَنْ يَغْفِـرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدي القَوْمَ الفاسِقينَ﴾** (المنافقون/ ٦).

ومع هـذا البيان الصريـح كيف أقـدم النبي ﷺ على الصـلاة على المنـافق والتي لم تكن إلّا عملاً لغواً غير مفيد؟

وما ربما يتوهم من أنّه ﷺ قدم على الصلاة استمالة لقلوب عشيرته فهو كما ترى، لأنّ القرآن يخبر بصراحة انّ الصلاة والاستغفار لا تفيد بحاله، أفيكون عمل النبي بعد هذا التصريح سبباً للاستمالة.

وخامساً: انّ معنى الحديث انّ الخليفـة كان أعلم من رسـول الله بحكم الله تعـالىٰ بشهادة انّ الـوحـي وافاه وصـدّق قـول الخليفة وخطّـأ قـول الرسـول ﷺ بالملازمـة، وما هذا إلّا قـول عازب و رأي كاذب صـدر عن عاطفة انجـر القائل معها إلى ترجيح التابع على المتبوع «ما هكذا تورد يا سعدُ الابل».

وأخيراً انّ الحديث بلغ من الشنـاعة بمكان أنكـره جمع غفير من المحقّقين لا سيما أبو بكر الباقلاني، حيث قال في التقـريب: هذا الحديث من أخبار الآحاد لا يعلم ثبوته، وقال إمام الحرمين في مختصره: هذا الحديث غير مخرج في الصحيح، وقال أيضاً في البرهان: لا يصححه أهل الحديث.

وقال الغزالي في المستصفىٰ: الأظهر انّ هذا الخبر غير صحيح.

وقال الداوودي الشارح: هذا الحديث غير محفوظ.

إلى غير ذلك من كلمات أعلام السُّنَّة حول الحديث. [1]

---

١. انظر فتح الباري: ٨/ ٣٣٨.

المورد الثالث: آية الحجاب

روى البخاري في تفسير سورة الأحزاب عن أنس قال: قال عمر: قلت يا رسول الله يدخل عليك البرّ و الفاجر، فلو أمرت أُمّهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب. (١)

وهذا أحد الموارد الثلاثة التي نزل الوحي على وفق ما اقترحه الخليفة، ولكن في الحديث عدة تساؤلات .

أوّلاً: يخالفه ما رواه نفس أنس، في سبب نزول قوله: ﴿**فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجاب**﴾ قال أنس: أنا أعلم الناس بهذه الآية: آية الحجاب، لمّا اهديت زينب إلىٰ رسول الله ﷺ كانت معه في البيت صنعت طعاماً ودعا القوم فقعدوا يتحدثون فجعل النبي ﷺ يخرج ثمّ يرجع و هم قعود يتحدثون، فأنزل الله تعالى: ﴿**يا أيّها الّذينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيّ إلاّأن يُؤذَنَ لَكُمْ إلىٰ طَعامٍ غَير ناظِرينَ... مِنْ وراءِ حِجاب**﴾ فضرب الحجاب و قام القوم. (٢)

ثانياً: يخالفه ما رواه السيوطي في الدر المنثور قال: وأخرج ابن جرير عن مجاهد انّ رسول الله ﷺ كان يطعم و معه بعض أصحابه ، فأصابت يد رجل منهم يد عائشة، فكره ذلك النبي، فنزلت آية الحجاب. (٣)

ثالثاً: انّ لازم تلك الرواية وما تقدمها أن يكون الخليفة أعلم وأكثر غيرة

---

١. البخاري: الصحيح: ٦/ ١١٨، تفسير سورة الأحزاب. من هذا الفاجر الذي كان يدخل على بيت النبي ﷺ؟! فهل كان من المسلمين (الصحابة) «وهم عدول» أو من غيرهم، فإذا كان من غيرهم فكيف يدخل بيت رسول الله ﷺ و ليس بمسلم ؟!

٢. المصدر السابق: ٦/ ١١٩. والآية ٥٣ من سورة الأحزاب .

٣. الدر المنثور: ٦/ ٦٤١.

من رسول الله ﷺ ، وهذا ما أنكره الخليفة مصرِّحاً في مواطن عديدة بأنّ كلّ الناس أفقه من عمر.

فعن مسروق بن أجدع ـ التابعي العظيم ـ قال ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله ﷺ ثمّ قال: «يا أيّها الناس ما إكثاركم في صداق النساء وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه، والصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم، فما دون ذلك ولو كان الإكثار في ذلك تقوىٰ عند الله أو كرامة لم تسبقوهم إليها. فلا أعرف ما زاد رجل في صداق امرأة علىٰ أربعمائة درهم قال: ثمّ نزل، فاعترضته امرأة من قريش، فقالت: يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء علىٰ أربعمائة درهم، قال: نعم، فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟ قال: واي ذلك؟ فقالت: أما سمعت الله يقول: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً﴾ الآية؟ قال: فقال: اللهمّ غفراً، كلّ الناس أفقه من عمر. ثمّ رجع فركب المنبر، فقال: أيّها الناس إنّي كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب. وقال اسناده جيد قوي. [1]

ورواه السيوطي في الدر المنثور عن عبد الله بن مصعب، قال: قال عمر: لا تزيدوا في مهور النساء علىٰ أربعين أوقية، فمن زاد القيت الزيادة في بيت المال، فقالت امرأة: ما ذاك لك، قال: و لِمَ؟

قالت: لأنّ الله يقول: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً﴾ الآية.

فقال عمر: امرأة أصابت و رجل أخطأ. [2]

---

١. تفسير ابن كثير: ٢/ ٢٣٠. والآية ٢٠ من سورة النساء.

٢. الدر المنثور: ٢/ ٤٦٦.

المورد الرابع و الخامس: أخذ المصلي من مقام إبراهيم و...

أخرج السيوطي في الدر المنثور عن البيهقي، وغيره عن أنس بن مالك، قال: قال عمر بن الخطاب وافقت ربي في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلىٰ فنزلت : ﴿وَٱتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ... ﴾ واجتمع على رسول الله نساؤه في الغيرة، فقلت لهنَّ: عسى ربّه أن طلقكنّ أن يبدله أزواجاً خيراً منكنَّ، فنزلت كذلك. (١)

هذه الأُمور الخمسة نماذج ممّا ادّعي فيها انّ الوحي وافق رغبة عمر، وقد عرفت انّ كثيراً منها لا يوافق الكتاب.

والتشريع أجلّ من أن يكون خاضعاً لرغبة إنسان غير معصوم.

٣. احتجاج آدم على موسى بالقدر

عن أبي هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ:

احتج آدم و موسى ﷺ : فقال موسى: أنت خليفة الله، بيده أسكنك جنته، واسجد لك ملائكته، فأخرجت ذريتك من الجنة، وأشقيتهم. فقال آدم ﷺ : أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه ورسالته، تلومني في شيء وجدته قد قدّر عليَّ قبل أن أخلق؟ قال: فحجَّ آدم موسى. (٢)

هذا الحديث رواه البخاري أيضاً، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: احتج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنّة. فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ثمّ تلومني علىٰ أمر

---

١ .الدر المنثور:١/ ٢٩٠. والآية ١٢٥ من سورة البقرة .

٢. المسند الجامع: ٦/ ١٦٥ برقم ٤١٨٤ نقلاً عن عبد بن حميد برقم ٩٤٩ .

قدر عليَّ قبل أن أخلق.

فقال رسول الله ﷺ: فحجَّ آدم موسى مرتين. (١)

أقول: إنّ الاحتجاج بالقدر في تبرير المعاصي فكرة جاهلية قد أشار إليها سبحانه في كتابه الكريم، فقال: ﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللهُ ما أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتّىٰ ذاقُوا بَأْسَنا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا ان تَتَّبِعُونَ إِلّا الظنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلّا تَخْرُصُونَ**﴾ (الأنعام/ ١٤٨).

وقال سبحانه: ﴿**وَإِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَاللهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ**﴾ (الأعراف/ ٢٨) فالآيتان تشيران إلى الفكرة الرائجة في العصر الجاهلي فانّهم كانوا يبررّون شركهم، وشرك ابائهم وتحريمهم الحلال واقترافهم الآثام بتقديره سبحانه و علمه بأفعالهم وهي نفس الفكرة التي طرحتها الرواية حيث احتجّ آدم علىٰ موسى وأفحمه بأنّه وجده قد قدّر عليه قبل أن يخلق، و التقدير ليست إلّا مشيته سبحانه و تعالى الواردة في الآية الأُولى: ﴿**لَوْ شاءَ اللهُ ما أَشْرَكْنا**﴾ أو أمره سبحانه الوارد في الآية الثانية «**والله أمرنا بها**».

حتّى انّ الفكرة لم تجتثَّ من أُصولها بعد مجيء الإسلام، وهذا هو السيوطي ينقل عن عبد الله بن عمر انّه جاء رجل إلى أبي بكر فقال: أرأيت الزنا بقدر؟ قال: نعم: قال: فانّ الله قدره عليَّ ثمّ يعذبني ؟! قال: نعم، يا ابن اللخناء أما والله لو كان عندي إنسان أمرته أن يجأ أنفك. (٢)

---

١. صحيح البخاري: ٤/ ١٥٨، باب وفاة موسى.

٢. السيوطي: تاريخ الخلفاء: ٩٥.

إنّ القضاء والقدر من المعارف الإلهية والتي لا يمكن لمسلم إنكارهما، غير انّ تفسير القضاء والقدر بمثل ما جاء في الرواية أو أشير إليه في الآية السابقة يجعل الإنسان مكتوف اليدين لاحيلة له أمام الحوادث التي تعصف به، وهو مما ترغب عنه الفطرة السليمة، وينافي دعوة الأنبياء والمصلحين التي قامت أُسسها علىٰ حرية الإنسان في اختيار مصيره.

أظن انّ هذه الأحاديث قد نسجت وفق العقائد التي روّجها الجهاز الحاكم آنذاك حتى يُبرِّر فكرة انّ الوضع الاجتماعي لا يمكن تغييره أبداً بأي أُسلوب من الأساليب، فالقوي يبقىٰ قوياً، والضعيف يبقىٰ ضعيفاً، وهكذا الحال في الظالم والمظلوم لكونه مسبوقاً في علم الله.

ثمّ إنّ شرّاح الحديث مالوا يميناً وشمالاً حتى يجدوا له معنى صحيحاً يفارق الجبر، وأنّى لهم ذلك، فانّه يساوي الجبر، وإلاّ لم يصح احتجاج آدم علىٰ موسىٰ، ولم يغلب عليه في مقام المحاجّة حيث اقنعه بقوله بأنّه (ليس علي اللوم وإنّما سبق الكتاب علىٰ عملي)، وقد رواه البخاري أيضاً في كتاب القدر عن أبي هريرة[١] باختلاف طفيف.

ونقل ابن حجر، عن ابن عبد البر، انّه قال: هذا الحديث أصل جسيم لأهل الحق في إثبات القدر وانّ الله طوى أعمال العباد، فكلّ أحد يصير لما قُدِّر له بما سبق في علم الله، قال: و ليس فيه حجة للجبرية و إن كان في بادئ الرأي ساعدهم.

وقال الخطابي في «معالم السنن» يحسب كثير من الناس انّ معنى القضاء والقدر يستلزم الجبر وقهر العبد و يتوهم انّ غلبة آدم (علىٰ موسى) كانت من هذا

١. البخاري: ٨/ ١٢٦، باب في القدر.

الوجه وليس كذلك، وإنّما معناه الإخبار عن إثبات علم الله بما يكون من أفعال العباد وصدورها عن تقدير سابق منه. [١]

يلاحظ عليه: انّ النزاع ليس في تقدم علمه سبحانه على ما يجري في العالم من حوادث وكوارث، إنّما الكلام في احتجاج آدم علىٰ موسى ورد اعتراضه، وعندئذٍ إمّا أن يكون علمه السابق سبباً للجبر والسير وراء العلم على وجه القطع أو لا، فعلى الأوّل يصحّ الجواب ولكن يستلزم الجبر.

وعلى الثاني: لا يصحّ الجواب لافتراض انّ علمه سبحانه لا يسلب الاختيار عن آدم و يمكن للإنسان السير على خلافه فيبقىٰ اعتراض موسى بلا جواب . إذ كان بامكان أبينا آدم أن يخالف ما قُدِّر ولم يفعل.

٤ . قتال المارّ بين يدي المصلي

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري انّ رسول الله ﷺ ، قال: إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحداً يمرّ بين يديه وليدرأه ما استطاع فإن أبىٰ فليقاتله فإنّما هو شيطان. [٢]

والحديث مطلق يدل علىٰ جواز دفع المارّ سواء كان بين المصلي والمارّ سترة أو لا، ولكن الرواية الأُخرى تقيّد القتال بصورة وجود السترة.

روى مسلم عنه انّه قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: إذا صلّى أحدكم إلى شيء يستره الناس، فأراد أحد أن يجتاز بين يديه، فليدفع في نحره، فإن أبىٰ فليقاتله فإنّما هو شيطان.

---

١. فتح الباري: ١١/ ٥٠٩.

٢. صحيح مسلم: ٢/ ٥٧، باب منع المارّ بين يدي المصلي من كتاب الصلاة.

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام انّه قال: كـان طول رحل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذراعاً فإذا كان صلّى وضعه بين يديه يستتر به بين يديه. (١)

وفي رواية أُخرىٰ عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا صلّى أحدكم بأرض فلاة فليجعل بين يديه مثل مـؤخرة الرحل، فإن لم يجد فحجراً، فإن لم يجد فسهماً، وإن لم يجد فليخط في الأرض بين يديه. (٢)

وبهذه الـروايات يعلـم انّ المنع مختـص بما إذا استتر المصلي بشيء من المارّ كالرحل والحجر والخط والعصاء.

روى الإمام الصادق عليه السلام قال: كان لـرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنزة في أسفلهـا عكاز يتوكأ عليها ويخرجها في العيدين يصلي إليها. (٣)

وعلى ذلك فلو صلى المصلي من دون أن يجعل بينـه و بين المار شيئاً يُعلِمَ به منع المرور فليس له الدفع.

نعم ربما يكـون مـرور المار مكـروهـاً مطلقـاً وإن لم يكن بينـه و بين المصلي حائل وساتر.

هـذا كلّه ممّـا اتّفقـت عليه المذاهـب الفقهية إجمالاً، إنّما الكـلام في جـواز المقاتلة في ردع المارّ عن العبور كما أشارت إليه رواية أبي سعيد، فالمذكور في رواية أئمّة أهل البيت عليهم السلام هو درأ المارّ على القدر المستطاع.

روى ابن أبي يعفور قـال: سألت أبا عبـد الله عن الرجل هل يقطع صـلاته شيء ممّـا يمـر بين يديـه ؟ فقـال: لا يقطـع صلاة المؤمـن شيء، ولكن ادرأوا مـا

---

١. الوسائل: ٣/ ٤٣٧، الباب ١٢ من أبواب مكان المصلي، الحديث ٢

٢ و ٣. الوسائل: ٣/ ٤٣٧، الباب ١٢ من أبواب مكان المصلي، الحديث ٤ و ٧.

استطعتم.[١]

وممّا لا شكّ فيه انّ الدرء بالقدر المستطاع عبارة عمّا يمكن للمصلي من ردع المارّ في حال الصلاة كالاشارة باليد أو شيء آخر لا أن تصل إلى المقاتلة، فما تضمّنته رواية أبي سعيد من جواز المقاتلة أمر ينكره الشرع والعقل.

امّا الشرع فلما عرفت من انّ الوارد عن طريق أئمّة أهل البيت هو الدرء على القدر المستطاع، وقد نقل عن علي عليه السلام انّه قال: إنّ الصلاة لا يقطعها شيء، و لكن إدرأوا ما استطعتم هي أعظم من ذلك [٢] وأين هو من المقاتلة؟

وأمّا العقل فهل يجوز إراقة دم مسلم بمجرد مروره امام المصلي مع أنّه لا يبطل صلاته أبداً؟ واحترام دم المسلم أعظم من ذلك فلا يُقتل إذا زنىٰ أو أكل الربا أو ترك الصلاة، فكيف يجوز قتله بمجرد المرور؟! وأظن انّ الحديث نقل علىٰ غير وجهه الصحيح، لكن شراح الحديث تلقوه حقيقة راهنة فجوزوا القتل.

قال النووي في تفسير قوله: «فإن أبىٰ فليقاتله فإنّما هو شيطان» هذا الأمر بالدفع أمر ندب وهو ندب متأكد ولا أعلم أحداً من العلماء أوجبه بل صرح أصحابنا وغيرهم بأنّه مندوب غير واجب.

قال القاضي عياض: وأجمعوا على أنّه لا يلزمه مقاتلته بالسلاح ولا ما يؤدي إلىٰ هلاكه، فان دفعه بما يجوز فهلك من ذلك فلا قود عليه باتفاق العلماء، وهل تجب ديته أم يكون هدراً؟ فيه مذهبان للعلماء وهما قولان في مذهب مالك.

والذي قاله أصحابنا: إنّ المصلي يرده إذا أراد المرور بينه و بين سترته بأسهل الوجوه، فإن أبىٰ فبأشدها وإن أدىٰ إلىٰ قتله فلا شيء عليه، وقد أباح له الشرع مقاتلته، والمقاتلة المباحة لا ضمان فيها.[٣]

---

١ و ٢. الوسائل: ٣/ ٤٣٥، الباب ١١ من أبواب مكان المصلي، الحديث ٨و ٩.

٣. شرح مسلم للنووي: ٤/ ٤٧٠ـ ٤٧١، باب منع المار.

وفي روايات أئمّة أهل البيت تصريح بالإغماض عنه. روى أبو بصير المرادي عن الإمام الصادق عليه السلام: لا يقطع الصلاة شيء لا كلب ولا حمار ولا امرأة ولكن استتروا بشيء و إن كان بين يديك قدر ذراع رافع من الأرض فقد استترت والفضل في هذا أن تستتر بشيء بين يديك ما تتقي به المارّ، فإن لم تفعل فليس به بأس لأنّ الذي يصلّي له المصلّي أقرب إليه ممّن يمرّ بين يديه ولكن ذلك أدب الصلاة وتوقيرها. (١)

فقوله عليه السلام: «لا يقطع الصلاة شيء لا كلب و... » ورد لردّ الفكرة السائدة يوم ذاك وإلاّ فهو أجل من أن يجمع بين المرأةو الكلب والحمار. فتدبّر.

ونحن نحيل القضاء في تمييز ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى القارئ الكريم، فهل الصحيح هو ما روي عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، أو ما ورد في صحيح مسلم من تسويغ إراقة دم مسلم لأجل إصراره على المرور امام المصلي الذي لا يبطل صلاته؟

٥. النبي يغفل عن صلاته

أخرج الإمام أحمد، عن عبد الرحمان بن سعيد الخدري، عن أبيه، قال: شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس وذلك قبل أن ينزل في القتال ما نزل، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَفَى اللهُ الْمُؤمِنِينَ الْقِتالَ﴾ (الأحزاب / ٢٥).

فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلالاً، فأقام لصلاة الظهر، فصلاها كما كان يصليها لوقتها، ثمّ أقام للعصر، فصلاها كما كان يصليها في وقتها، ثمّ أذّن للمغرب، فصلاها كما كان يصليها في وقتها. (٢)

١. وسائل الشيعة:٣/ ٤٣٥، الباب ١١، الحديث ١٠.

٢. مسند أحمد:٣/ ٢٥ .ومراده من قوله«وذلك قبل أن تنزل»... آية صلاة الخوف.

يلاحـظ على مضمون الحديث انّ في الفقـه الإسلامي صـلاة باسـم صلاة الخوف والمطاردة وقد ورد فيها الذكر الحكيم والسنة الشريفة.

أمّا القـرآن فقد ورد قـوله سبحـانه: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُـمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّـلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُـمُ الَّـذِينَ كَفَـرُوا﴾ (النساء/ ١٠١) وقـوله سبحـانه: ﴿فَـإِنْ خِفْتُمْ فَرِجـالاً أَوْ رُكبـاناً فَـإِذا أَمِنتُمْ فَاذْكُـرُوا اللهَ كَما عَلَّمَكُمْ ما لَمْ تَكُونُـوا تَعْلَمُون﴾ (البقرة/ ٢٣٩).

أخـرج ابن أبي حاتـم، عن ابن عبـاس، في قولـه: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجالاً أَوْ رُكباناً﴾ قال:يصلي الراكب على دابته والراجل على رجليه.

وأخرج ابن المنذر و ابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله: إذا كانت المسايفة فليوم برأسه حيث كان وجهه فذلك قوله: ﴿ فَرِجالاً أَوْ رُكباناً ﴾.

وأخرج ابن المنذر، عن مجاهـد في قوله : ﴿ فرجالاً﴾: قال: مشاة أو ركباناً، قال: لأصحاب محمد على الخيل في القتـال إذا وقع الخوف فليصل الرجل إلى كلّ جهة قائماً أو راكباً أو ما قدر على أن يومئ ايماء برأسه أو يتكلم بلسانه. [١]

وهـذه الأحاديث التـي نقلناهـا و التي لم ننقلهـا تعيّن موقـف المجاهـد في ميدان القتال وانّه ليس له ترك الصلاة بل له أن يومئ برأسه ما استطاع، و قد روي عن الإمام الصادق عليه السلام هذا المضمون نفسه، وانّه قال: إن خاف من سبع أو لصّ كيف يصلي؟ قال: يكبّـر ويومئ برأسه ايماءً. [٢]

وعلى ضـوء ذلـك فما رواه أبـو سعيـد الخدري: حبسنـا يـوم الخنـدق على الصلـوات حتى كـان بعد المغـرب.نـاظر إلى غـزوة الخنـدق في العام السـادس،

---

١. السيوطي، الدر المنثور:١/ ٧٣٦.

٢. الوسائل: ٥/ ٤٨٢، الباب ٣ من أبواب صلاة الخوف، الحديث١، وانظر ما ورد في هذا المجال في ذلك الباب.

والآيات الواردة حول صلاة الخوف و المطاردة جاءت في سورة النساء، والمشهور انّها أوّل سورة نـزلت في المدينة [١] كما تحكي عنهـا مضامينهـا فكيف تـرك النبي الصلاة بتاتاً؟ إلاّ أن يقال بنزول غـالب آياتها في السنة الأُولى و استثناء ما دلّ على حكم صلاة الخوف.

نعم على مـا رواه أبو خـالد الأحمر عن ابـن أبي ذئب من أنّ ذلك كـان قبل نزول قوله سبحانه: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجالاً أَوْ رُكباناً﴾ يلزم نزول آيـة صلاة الخوف بعد غزوة الأحزاب وقد عرفت انّه خلاف المشهور.

وروىٰ جلال الـدين السيوطي ما روينـاه عن أبي سعيد مذيـلاً بها في رواية ابن أبي ذئب، و قـال: كنـا مع رسـول الله يوم الخنـدق فشغلنا عـن صلاة الظهـر والعصر والمغرب والعشاء حتى كفينـا وذلك قوله: ﴿وَكَفى الله المؤمِنينَ القِتال﴾ فأمر رسول الله بلالاً فأقام لكلّ صـلاة إقامة وذلك قبل أن ينزل عليه ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجالاً أَوْ رُكباناً﴾. [٢]

٦. الوقوع على السبايا قبل الاستبراء

أخرج البخاري عـن أبي سعيد الخدري، قال: خرجنـا مع رسول الله ﷺ في غزوة بنـي المصطلق وأصبنا سبيـاً من سبي العـرب، فاشتهينـا النساء، واشتـدّت علينا العزبـة، وأحببنا العزل، فأردنـا أن نعزل، وقلنا نعزل و رسـول الله بين أظهرنا قبل أن نسأله، فسألناه عن ذلك، فقال: مـا عليكم ألا تفعلوا، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلاّ وهي كائنة. [٣]

---

١. الدر المنثور: ١/ ٤٦.

٢. الدر المنثور: ١/ ٧٣٧.

٣. صحيح البخاري:٥/ ١١٥، باب غزوة بني المصطلق؛ ورواه أحمد في مسنده:٣/ ٨٢

ويثار حول الحديث سؤالان:

الأوّل: إنّ النبي ﷺ لم يوجب عليهم العـزل و معنى ذلك انّه ﷺ سوغ لهم المجامعة بعد السبي قبل استبرائهنَّ وهو سبب لاختلاط الأنساب، وقد روي عن نفس أبي سعيد الخدري عن النبيﷺانّه قال: «لا توطأ حامل حتى تضع ولا غير ذات حمل حتى تحيض حيضة». [١]

وروي أيضاً عن رسول الله ﷺ انّه قـال: «لا يحل لامرئ يؤمن بـالله واليوم الآخـر أن يسقي ماءه زرع غيره» يعنـي إتيان الحبـالى «ولا يحل لامـرئ يؤمن بـالله واليوم الآخر أن يقع على امرأة من السبي حتى يستبرئها». [٢]

الثاني: انّ النبي ﷺ نهى عن العزل واحتج بـذلك بأنّها «ما من نسمـة كائنة إلىٰ يوم القيامة إلاّ وهي كـائنة» ومعنى ذلك انّه قد تعلقت مشيئته سبحـانه بوجود الكائن الحي في الرحم ثمّ في الخارج، فالعزل يخالف التقدير.

وعند ذلك يتوجـه السؤال إذا تعلقت مشيئته بوجود الكـائن فأمّا أن يكون التعلق قطعياً أو على تقدير عدم العزل.

فعلى الأوّل يحرم العزل لأنّه بعزله يتحكّم على تقديره.

وعلى الثـاني: لا ينسجم تعليل المنـع عن العـزل بتعلق المشيئـة، لأنّها وإن تعلقت بوجود النسمـة الكائنة ولكن تعلقاً مشروطاً بعدم عـزل الإنسان، فإذا همَّ الإنسان بـالعزل فليس هنـاك مشيئة متعلقة بـوجود النسمـة الكائنة حتـى تكون مانعة عن العزل.

---

١. سنن أبي داود: ٢/ ٢٤٨ برقم ٢١٥٧.

٢. سنن أبي داود: ٢/ ٢٤٨ برقم ٢١٥٨.

٧. الصوم في السفر

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله (رض) قالا: سافرنا مع رسول الله ﷺ فيصوم الصائم و يفطر المفطر فلا يعيب بعضهم على بعض.[١]

وسيوافيك الكلام في هذه الرواية عند التطرق إلى روايات أنس بن مالك، ويظهر فيها انّ الصحابة تبعاً للنبي ﷺ ندّدوا بمن صاموا و عابوا عليهم حتى انّ رسول الله سماهم عصاة. إلاّ أن ترجع الواقعة إلى الفترة التي لم يُحرّم الصوم فيها.

٨. سلطان إبليس على النبي

أخرج الإمام أحمد، عن أبي سعيد انّ رسول الله ﷺ قام فصلى صلاة الصبح وهو خلفه، فقرأ فالتبست عليه القراءة، فلما فرغ من صلاته، قال: لو رأيتموني وإبليس، فأهويت بيدي، فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين اصبعي هاتين: الإبها م والتي تليها، ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد، يتلاعب به صبيان المدينة، فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل.[٢]

وهذا الحديث لا يخلو عن نقاش.

الأوّل: هل يعرض السهو على النبي أو لا؟ وهل النبي بما انّه إنسان تلتبس عليه القراءة أو لا؟ وهذا خارج عن موضوع الحديث.

---

١. صحيح مسلم: ٣/ ١٤٣، باب جواز الصوم والفطر من شهر رمضان.

٢. مسندأحمد:٣/ ٨٢.ورواه أيضاً عن جابر بن سمرة في:٥/ ١٠٤ لكن بتفاوت في اللفظ والمعنى؛ ورواه مسلم عن أبي هريرة في :٢/ ٧٢. وقد مرّت دراسة رواية الأخير في محلها.

الثاني: هل يكـون لابليس (لعنه الله) سلطـان على النبي ﷺ بنحو تلتبس عليه القـراءة؟ وهذا أمـر يرفضـه القرآن الكـريم: ﴿إِنَّ عِبـادِي لَيْسَ لَـكَ عَلَيْهِمْ سُلطانٌ إِلاّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغاوِين﴾ (الحجر/ ٤٢). وقال سبحانه: ﴿إِنهُ لَيْسَ لَهُ سُلطانٌ على الّذينَ آمَنُـوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون﴾ (النحل/ ٩٩). وقـال تعالى: ﴿إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلطانٌ وَكَفىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ (الإسراء/ ٦٥).

مضافاً إلى أنّ الـرواية تشير إلى أنّ إبليس موجـود عنصري وله حلق و عنق ولعاب وانّ النبي أمسك عنقه فخنقه فوجد برد لعابه بين اصبعيه، وهذه كلّها أُمور لا تخلو من تأمل وإشكال.

الثالث: انّ مفاد الرواية كون الشيطان مـوجوداً عنصرياً وله من الصفات ما للموجـود المادي من كـونه متحيزاً في مكـان، و معه كيف يمكـن له أن يـوسوس الناس مع تشتتهم في الأمصار، قال سبحانه: ﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ في صُدُور الناسِ * مِنَ الجِنَّةِ وَالنّاس﴾ (الناس/ ٥ـ ٦).وكيـف يمكن لمتحيّز في مكـان معين، أن يحصل له الحضور في أمكنة غير محصورة فيوسوس في صدور الناس.

الرابع: انّه سبحـانه يصرّح بأنّ الشيطان يـرى الناس وهؤلاء لا يرونـه، قال سبحانه: ﴿انّهُ يَـراكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِـنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾ (الأعراف/ ٢٧) وعندئذٍ كيف يصح قوله: «يتلاعب به الصبيان»؟ و هل اللعب إلاّ فرع الرؤية؟

إلى غير ذلك من التـأملات وقد مضـى الكلام في أمثال هـذه الروايـة عند دراسة روايات أبي هريرة، فلاحظ.

٩. كَذِبَ إبراهيمُ ثلاثَ مرّات

أخرج الترمذي، عن أبي سعيـد، قال: قال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم يوم القيـامة ولا فخـر، وبيدي لواء الحمـد ولا فخر، ومـا من نبي يومئـذ، آدم فمن

سواه إلاّ تحت لوائي، وأنـا أوّل من تنشق عنه الأرض ولا فخر، قـال: فيفزع الناس ثلاث فزعات، فيأتون آدم، فيقولون: أنت أبونا آدم فاشفع لنا إلى ربّك فيقول: إنّي أذنبت ذنباً أُهبطت عنه إلى الأرض ولكـن ائتوا نوحـاً، فيأتـون نوحـاً فيقول: إنّي دعوت على أهل الأرض دعوة فأُهلكوا ولكن اذهبـوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقول: إنّي كذبت ثلاث كذبات ـ ثمّ قال رسول الله ﷺ: ما منها كذبة إلاّ ما حلّ بها عن دين الله ـ ولكن ائتوا موسى، فيأتـون موسى، فيقول: إنّي قـد قتلت نفساً ولكن ائتوا عيسىٰ، فيأتوا عيسىٰ، فيقول: إنّي عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمّداً قال: فيأتونني فانطلق معهم، قال ابـن جدعان: قال أنس: فكأنّي انظر إلى رسول الله ﷺ قال: فآخذ بحلقة باب الجنة فأُقعقعها [١]، فيقال: من هذا؟ فيقال محمد، فيفتحون لي و يرحبون فيقولون مرحباً. [٢]

وأخرجه الإمام أحمد، عن ابن عباس علىٰ وجه التفصيل وبيّن المواضع التي كذب فيها إبـراهيم، وقال: فيقول إنّي لست هنا، كم انّي كـذبت في الإسلام ثلاث كذبات والله إن حاول(كذا في المصدر) بهنَّ إلاّ عن دين الله: قوله: ﴿إِنّي سَقيم﴾ [٣] وقوله : ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبيرُهُمْ هـذا فَاسْئَلُوهُمْ إِنْ كـانُوا يَنْطِقُون﴾ [٤] وقوله لامرأته حين أتى على الملك «اختي» [٥] و انّه لا يهمني إلاّ نفسي. [٦]

وأخرجه الإمام أحمد عن أبي سعيد أيضاً وليـس فيه حديث كذب إبراهيم: قال: أنـا سيد ولـد آدم يوم القيامـة ولا فخر، وأنـا أوّل من تنشق عنـه الأرض يوم

---

١. فأُقعقعها: أي أحركها وأصلها حكاية صوت الشيء يسمع له صوت.

٢. سنن الترمذي: ٥/ ٣٠٨ برقم ٣١٤٨.

٣. الصافات: ٨٩.

٤. الأنبياء: ٦٣.

٥. التوراة، سفر التكوين ١٢ و١٣، الاصحاح الثاني عشر.

٦. مسندأحمد: ١/ ٢٨١.

القيامة ولا فخر، وأنا أوّل شافع يوم القيامة ولا فخر». [١]

كما أخرجه في الجزء الثاني في مسنده عن أبي هريرة ملخصاً، قال: أنا سيد ولد آدم، وأوّل من تنشق عنه الأرض، وأوّل شافع، وأوّل مشفع. [٢]

وأخرجه ابن ماجة في باب ذكر الشفاعة مثل ما أخرجه أحمد في الجزءين الأخيرين. [٣]

وأخرجه الإمام البخاري في باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلاً﴾. [٤]

وفي الحديث إشكالات واضحة تسقطها عن الاعتبار.

أوّلاً: انّ الذكر الحكيم يصف إبراهيم بصفات لم يصف بها أحداً من أنبيائه العظام، فقد وصفه بالصفات التالية: حنيفاً [٥] خليلاً [٦]، أوّاهاً مُنيباً [٧] أُمّة قانتاً لله [٨]، صديقاً نبياً [٩].

أفيمكن أن يكون الموصوف بهذه الصفات يكذب في دين الله وإن كان للغاية المذكورة في الحديث؟

ثانياً: انّه لا دليل على أنّه كذب في الموارد الثلاثة المعروفة.

---

١. مسند أحمد: ٣/ ٢.

٢. مسند أحمد: ٢/ ٥٤٠.

٣. سنن ابن ماجة: ٢/ ١٤٤٠ برقم ٤٣٠٨.

٤. صحيح البخاري: ٤/ ١٤٠، باب قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ (النساء/ ١٢٥).

٥. آل عمران: ٦٧.

٦. النساء: ١٢٥.

٧. هود: ٧٥.

٨. النحل: ١٢٠.

٩. مريم: ٤١.

أمّا الأوّل: أعني قوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ* فَقَالَ إِنّي سَقِيم﴾ (الصافات / ٨٨ ــ ٨٩) . فلا دليل لنا انّه لم يكن حين ذاك سقيماً، وقد أخبر القرآن بإخباره بأنّه سقيم، وذكر سبحانه قبل ذلك انّه جاء ربّه بقلب سليم.

فلا يصحّ عليه كذب ولا لغو في القول.

وأمّا ما هي الصلة بين قوله ﴿ فنظر نظرةً في النجوم﴾ وقوله: ﴿انّي سقيم﴾ ؟فخارج عن موضوع بحثنا، ولو لم يظهر لنا وجه الصلة، فلا مسوغ لنا علىٰ حمل قوله على الكذب.

وأمّا الثاني أعني: قوله: ﴿قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا فاسئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُون﴾ (الأنبياء / ٦٣) فليس بكذب قطعاً فانّ الصدق والكذب من صفات الكلام الصادر عن جدٍّ. وأمّا الكلام الصادر لغاية أُخرى كالهزل والاستهزاء الحق، فلا يوصف بالكذب وممّا لا شك فيه انّ إبراهيم تكلّم بما تكلّم و نسب كسر الأصنام إلى كبيرهم بغية الاستخفاف بعقول القوم حتى يهيّئ الأرضية اللازمة لأن يقولوا له: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤلاءِ يَنْطِقُون﴾ (الأنبياء / ٦٥) فتهيأ عندئذٍ أرضية مناسبة لإفحامهم و تفنيد مزاعمهم بأُلوهية تلك التماثيل، بقوله: ﴿أَفَتَعبُدُونَ مِنْ دُونِ الله ما لا يَنْفَعُكُمُ شيئاً وَلا يَضُرُّكُمْ* أُفٍّ لَكُمْ وَلِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله أَفَلا تَعْقِلُون﴾ (الأنبياء/ ٦٦ـ٦٧).

فالكلام الملقىٰ لتسكيت الخصم و إفحامه لا يوصف بالكذب إذا كان هناك قرينة واضحة علىٰ أنّه لم يصدر لغاية الجد، بل صدر لتكون مقدمة لاستنطاق الخصم واعترافه بعدم قابلية الأصنام على التكلم حتى يتابعه إبراهيم بالبرهان الدامغ والتنديد بعقيدتهم الساذجة بما عرفت.

وأمّا الثالث فليس له مصدر إلاّ التوراة المحرفة، فقد جاء فيها:

فحدث لما دخل ابرام إلى مصر أنّ المصريين رأوا المرأة انّها حسنة جداً

ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون، فأُخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع إلى ابرام خيراً بسببها وصار له غنم و بقر وحمير و عبيد وإماء وأُتن وجمال فضرب الربُّ فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة ابرام.

فدعا فرعون أبرام و قال: ما هذا الذي صنعت بي، لماذا لم تخبرني انّها امرأتك لماذا قلت هي أُختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي، والآن هو ذا امرأتك خذها واذهب فأوصىٰ عليه فرعون رجالاً فشيعوه وامرأته وكلّ ما كان له. [1]

وثالثاً: نفترض انّه كذب في هذه المواضع الثلاثة، ولكنّه ما كذب إلاّ تقية وصيانة لنفسه عن تعرض العدو الماكر، فقد امتثل واجبه، قال سبحانه: ﴿**إِلاّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاة**﴾ (آل عمران/ ٢٨) وقال سبحانه: ﴿**إِلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمان**﴾ (النحل/ ١٠٦).

وعندئذ فما معنى قوله: ما منها كذبة إلاّ ما حلّ بها عن دين الله؟ أي خرج بها عن دين الله، يقال: حلَّ الرجل أي خرج من إحرامه.

وربما يجعل فعلاً من ماحل يماحل أي دافع، يدافع بمعنى انّه دافع عن دين الله ولكنّه لا يناسب سياق الكلام، فانّه إذا دافع بهذه الكذبات عن دين الله فقد امتثل المعروف فلِمَ لا تقبل شفاعته، مع أنّ مثل هذا الكذب أفضل من صدق يترتب عليه مفسدة كبيرة.

ورابعاً: انّ المسيح يعتذر بقوله: «إنّي عُبدت من دون الله» وأي ذنب للمسيح إذا عبده غيره؟ قال سبحانه: ﴿**وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخرىٰ**﴾ (الأنعام/ ١٦٤) وقال سبحانه: ﴿**وإِذْ قالَ اللهُ يا عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُوني وَأُمِّي إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما في نَفْسي وَلا أَعْلَمُ ما في نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ**

١. التوراة، سفر التكوين ١٢ و١٣، الاصحاح الثاني عشر.

عَلاّمُ الغُيُوبِ﴾، إلى أن قال سبحانه: ﴿قالَ اللهُ هٰذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوزُ العَظِيمُ﴾ (المائدة/ ١١٦ـ ١١٩) فالمسيح هو من الصادقين الذين ينفعهم صدقهم، فله الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، فلماذا لا تقبل شفاعتهم؟

والعجب انّ الترمذي بعدما نقل الحديث قال: هذا حديث حسن صحيح، وقد روى بعضهم هذا الحديث عن أبي نضرة عن ابن عباس الحديث بطوله.

١٠. جواز التحدّث عن بني إسرائيل

أخرج الإمام أحمد في مسنده، عن أبي سعيد الخدري انّ رسول الله ﷺ قال: حدّثوا عنّي ولا تكذبوا عليَّ، ومن كذّب عليَّ متعمداً فقد تبوّأ مقعده من النار وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج. [١]

وهذا الحديث يكتنفه كثير من الغموض وذلك لأُمور :

أوّلاً: انّ الإمام أحمد أخرجه عن أبي سعيد الخدري بلا زيادة قوله: «حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» فقال: إنّ النبي ﷺ قال: لا تكتبوا عني شيئاً إلاّ القرآن، فمن كتب عنّي شيئاً فليمحه، وقال: حدّثوا عني و من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. [٢]

وثانياً: قد أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري بلا هذه الزيادة وقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: لا تكتبوا عنّي، ومن كتب عنّي غير القرآن فليمحه وحدثوا عني ولا حرج ومن كذب عليَّ ـ قال همام: احسبه قال متعمداً ـ فليتبوّأ مقعده من النار. [٣]

---

١. مسند أحمد:٣/ ٤٦.
٢. المصدر السابق:٣/ ٣٩.
٣. مسلم: الصحيح:٨/ ٢٢٩، باب التثبت في الحديث.

نعم أخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو انّ النبي ﷺ قال: بلغوا عني ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذّب عليَّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار. (١)

وفي سند البخاري أبي كبشة السلولي، قال ابن حجر: و ليس له في البخاري سوى هذين الحديثين. (٢)

والذي يسيء الظن بصحة ما رواه البخاري هو انّ الراوي هو عبد الله بن عمرو بن العاص الذي أكثر الرواية عن كتب بني إسرائيل والذي عثر على زاملتين من كتب أهل الكتاب فحدّث عنهما كثيراً.

ثمّ إنّ هنا رواية أُخرى أخرجها البخاري عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم. (٣)

وظاهرها يعرب عن أنّ أبا هريرة شاهد الواقعة و رأى انّ أهل الكتاب كانوا يقرأون بالعبرانية ويفسرون بالعربية، وعند ذلك قال النبي ﷺ ما قال مع أنّه أسلم بعد فتح خيبر و قد أُجليت اليهود من الجزيرة العربية كبني قينقاع و بني النضير، واجتث جذورهم، فكيف شاهد هذه الواقعة؟ ولعلّه سمعها من غيره ولم يذكر اسمه، وقد مرّ في ترجمة أبي هريرة انّه كان يُدلّس في الاسناد.

وثالثاً: انّ الإنسان لا يقتنع مهما أحسن الظن برواة الصحاح و المسانيد، إذ كيف يأمر النبي ﷺ بالتحدث عنهم مع أنّ كتابه يصفهم بأنّهم اقترفوا الكذب

---

١. البخاري: الصحيح: ٤/ ١٧٠، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

٢. فتح الباري: ٦/ ٤٩٨، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

٣. البخاري: الصحيح: ٩/ ١١١، باب قول النبي.

والتحريف والوضع في الكتب التي أنزلت على أنبياء بني إسرائيل.

إنّ الاعتماد على هذه الأحاديث وأمثالها جرّ الويلات على المسلمين حيث حشُوا كتبهم بخرافات وأقاصيص بني إسرائيل لا يصدّقها العقل والنقل.

ثمّ إنّ التمسك بجواز النقل عن أهل الحديث بعمل الصحابة كما ترى، فإنّ الحجة هي قول المعصوم وفعله وتقريره لا قول الصحابي، فهم معذورون في نقل هذه الأحاديث.

قال ابن حجر في تفسير الحديث المروي في صحيح البخاري:« إنّ عمر أتى النبي بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه، فغضب، وقال: لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحقّ فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو انّ موسى كان حياً ما وسعه إلاّ أن يتبعني»: إنّ رجاله موثقون إلاّ أنّ في مجالد ضعفاً وأخرج البزار أيضاً من طريق عبد الله بن ثابت الأنصاري انّ عمر نسخ صحيفة من التوراة، فقال رسول الله ﷺ: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء و في سنده جابر الجعفي وهو ضعيف.[1]

وعلى أية حال فما روي عن بني إسرائيل في كتبنا بحاجة إلى تمحيص علمي كي يميز المخالف للكتاب عن موافقه، و ما لا يصدقه العقل عمّا يصدقه، وما يخالف اتفاق المسلمين عمّا يوافقه.

وقد بلغ اعتماد الصحابة على مستسلمة الأحبار والرهبان بمكان أنّهم كانوا يسندون ما سمعوه من كعب الأحبار إلى النبي ﷺ ظناً منهم بصدق الخبر، وانّ الخبر ينتهي إلى الوحي السماوي، وقد وضعنا أمامك نموذجاً واضحاً على ذلك عند دراسة روايات أبي هريرة، فلاحظ.

هذه دراسة إجمالية لبعض ما أسند إلى ذلك الصحابي الجليل أبي سعيد الخدريّ، من الأخبار السقيمة، والأقاصيص الباطلة.

---

١. فتح الباري: ١٣/ ٣٣٤، باب قول النبي لا تسألوا أهل الكتاب.

٣١

عبد الله بن عمر

(١٠ق.هـ ـ ٧٤هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. ليس الأمر بيد الإنسان

٢. النبي ﷺ يمنع البكاء على حمزة

٣. طلب العلم لغير الله

٤. أفضل الناس بعد النبي ثلاثة

٥. أصحابي كالنجوم

٦. أوّل من تنشق عنه الأرض

٧. الحط من منزلة بعض الصحابة

٨. عدم وقوفه على أبسط المسائل

٩. نفي العدوى

١٠. النبي يأكل ممّا ذبح على الانصاب

هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، أسلم بمكة ولم يكن بلغ يومئذ، وهاجر مع أبيه إلى المدينة، وكان يكنّى أبا عبد الرحمان.

عرض نفسه يوم بدر و أُحد للمشاركة في الجهاد فلم يقبل رسول الله، وعرضها في غزوة الخندق و له من العمر ١٥ سنة، فقبله. [١]

موقفه من نقل السنة النبوية

قال ابن حزم في كتاب الإحكام في الباب الثامن والعشرين: المكثرون من

---

١. طبقات ابن سعد: ٤/ ١٤٢.

الفتيا من الصحابة: عمر، وابنه عبد الله، علي، عائشة، ابن مسعود، ابن عباس، زيد بن ثابت فهم سبعة.

ولابن عمر في «مسند بَقيّ» ألفان وستمائة وثلاثون حديثاً بالمكرر، واتّفقا له علىٰ مائة وثمانية وستين حديثاً، وانفرد له البخاري بأحد وثمانين حديثاً، ومسلم بأحد وثلاثين حديثاً. [١]

وقد جُمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ١١٤٥ حديثاً في مختلف الأبواب [٢] ونقل ابن سعد في طبقاته عن أبي جعفر الباقر عليه السلام انّه قال: لم يكن من أصحاب رسول الله ﷺ أحد أحذر إذا سمع من رسول الله ﷺ شيئاً ألاّ يزيد فيه ولا ينقص منه ولا ولا من عبد الله بن عمر. [٣]

ويدل على شدّة تمسكه بالسنّة شواهد:

منها: انّه كان يشترط علىٰ من صحبه في السفر الفطر والأذان والذبيحة، وكان يقول: و لئن أُفطِرَ في السفر فآخذَ برخصة الله أحبّ إليَّ من أن أصوم.

ونقل نافع انّ عبد الله بن عمر لم يكن يصوم في السفر. [٤] ولقد أثبتنا في محلّه [٥] انّ السنّة هي الإفطار في السفر و انّ رسول الله ﷺ سمّىٰ الصائم في السفر عاصياً.

ومنها: ما أخرجه الترمذي في سننه، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، انّ سالم بن عبد الله حدثه انّه سمع رجلاً من أهل الشام، وهو يسأل عبد الله بن

١. سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٣٧.

٢. المسند الجامع، الجزء العاشر، وقد خصص هذا الجزء لرواياته.

٣. طبقات ابن سعد: ٤/ ١٤٤.

٤. طبقات ابن سعد: ٤/ ١٤٨.

٥. البدعة علىٰ ضوء الكتاب والسنة: ٢٦٤ـ ٢٩٦.

عمر عن التمتع بالعمرة إلى الحج.

فقال عبد الله بن عمر: هي حلال، فقال الشامي: إنّ أباك قد نهىٰ عنها، فقال عبد الله بن عمر: أرأيت إن كان أبي نهىٰ عنها و صنعها رسول الله ﷺ أ أمرَ أبي نتبع، أم أمر رسول الله ﷺ؟ فقال الرجل: بل أمر رسول الله ﷺ فقال: لقد صنعها رسول الله ﷺ. (١)

ومنها: ما رواه نافع انّ ابن عمر كان يتبع آثار رسول الله كلّ مكان صلّى فيه حتى انّ النبي ﷺ نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة، ويصبُّ في أصلها الماء لكي لا تيبس. (٢)

وكان إذا قدم بسفر بدأ بقبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فيقول: السّلام عليك يا رسول الله. السّلام عليك يا أبا بكر. السلام عليك يا أبتاه. (٣)

والعجب انّه مع زهده و تقشفه كان يتسامح مع الخلفاء الظالمين.

روى الثوري، عن عبد الله بن دينار، قال: لما اجتمعوا علىٰ عبد الملك كتب إليه ابن عمر، أمّا بعد: فانّي قد بايعت لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين بالسمع والطاعة علىٰ سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت وانّ بنيّ قد أقرّوا بذلك. (٤)

كما نقل عن زيد بن أسلم انّ ابن عمر كان في زمان الفتنة لا يأتي أمير إلاّ صلّى خلفه وأدىٰ إليه زكاة ماله، ثمّ نقل عن سيف المازني، قال: كان ابن عمر، يقول: لا أُقاتل في الفتنة وأُصلّي وراء من غلب. (٥)

---

١. سنن الترمذي: ٣/ ١٨٦ برقم ٨٢٤.

٢. سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢١٣.

٣. طبقات ابن سعد: ٤/ ١٥٦.

٤. سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٣١؛ ورواه ابن سعد في طبقاته: ٤/ ١٥٢.

٥. طبقات ابن سعد: ٤/ ١٤٢ـ١٤٩.

ولهذه الشخصية مواقف متناقضة فتارة يتعاطف مع أئمة أهل البيت ويشهد على ذلك أُمور:

١. يقول في سؤال السائل عن رأيه في عثمان وعلي: أمّا عثمان فقد عفا الله عنه و كرهتم أن يعفو الله عنه.

وأمّا علي: فابن عمّ رسول الله ﷺ وختنه وأشار بيده هذا بيته حيث ترون. [١]

٢. نقل البخاري عن محمد بن أبي يعقوب، سمعت ابن أبي نُعْم سمعت عبد الله بن عمرو سأله عن المُحْرِم ـ قال شعبة ـ أحسبه يقتل الذباب فقال: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ وقال النبي ﷺ: هما ريحانتاي من الدنيا. [٢]

٣. أخرج ابن ماجة عن نافع، عن ابن عمر ، قال: قال رسول الله ﷺ: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خير منهما. [٣]

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تكشف النقاب عن تعاطفه مع أهل البيت عليهم السلام في حين انّه كانت له مواقف أُخرىٰ كعدم مبايعته لعليٍّ عند بيعة المهاجرين والأنصار له.

يقول الطبري: جاءوا بعبد الله بن عمر حتى يبايع علياً، فقال: بايع، قال: لا أُبايع حتى يبايع الناس، قال علي: دعوه، انّه لسيّء الخلق صغيراً و كبيراً. [٤]

وقال أيضاً لما قتل عثمان: بايعت الأنصار علياً إلاّ نُفَيراً يسيراً، منهم: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدري، ومحمد

١. سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٢٩.

٢. صحيح البخاري: ٥/ ٢٧.

٣. سنن ابن ماجة: ١/ ٤٤ برقم ١١٨.

٤. تاريخ الطبري: ٣/ ٤٥١.

ابن مسلمـة، والنعمان بن بشير، وزيد بـن ثابت، ورافـع بن خديـج، وفضالـة بن عبيد، وكعب بن عجرة، كانوا عثمانية.

فقال رجل لعبد الله بن حسن: كيف أبىٰ هؤلاء بيعة علي، و كانوا عثمانية؟ قال: أمّـا حسّان فكان شـاعراً لا يبـالي ما يصنع، وأمّـا زيد بن ثابـت فولّاه عثمان الديوان و بيت المال،... فامّا كعب بن مالك فـاستعمله على صدقة «مزينة» وترك ما أخذ منهم له... الخ. [1]وهذا يكشف عن أنّ الامتناع عن البيعـة كان لغايات دنيوية.

هذا بعض مـا يمكن أن يذكـر في ترجمته، وقـد ترجمه بإسهاب ابـن سعد في طبقاته، وابن الأثير في أُسد الغابة، والذهبي في سير أعلام النبلاء إلىٰ غير ذلك.

وقبل كلّ شيءنذكر أوّلاً نماذج من روائع أحاديثه.

روائع أحاديثه

١ . أخرج الترمذي في سننـه، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ابـن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: بُني الإسـلام على خمس: شهـادة أن لا إلـه إلاّ الله وانّ محمّـداً رسول الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة وصوم رمضان وحجّ البيت. [2]

٢ .أخرج البخـاري، عن واقد بـن محمد، قال: سمعـت أبي يحدّث عن ابن عمر، انّ رسول الله ﷺ قال: أُمـرت أن أُقاتل الناس، حتى يشهـدوا أن لا إله إلاّ الله، وانّ محمّداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاّ بحقّ الإسلام وحسابهم على الله. [3]

---

١ .تاريخ الطبري:٣/ ٤٥٢. ٢ . سنن الترمذي: ٥/ ٥ برقم ٢٦٠٩.

٣ . صحيح البخاري: ١/ ١٠، باب «فان تـابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكـاة فخلّوا سبيلهم» من كتاب الإيمان.

٣. أخرج ابن ماجـة في سننه، عن سالم، عن ابن عمر، قـال: قال رسول الله ﷺ: لا يُلدغ المؤمن من جُحْر مرتين. (١)

٤. أخرج الترمـذي عن أبي اليقظان، عن زاذان، عـن ابن عمر، قـال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة على كثبان المسك ـ أراه قال يوم القيامة ـ : عبد أدّى حقّ الله وحقّ مواليه ، ورجل أمَّ قوماً و هم به راضون، ورجل ينادي بالصلوات الخمس في كلّ يوم و ليلة. (٢)

٥. أخرج ابـن خزيمة، عـن نافع، عـن ابن عمر: انّ الشمس كسفـت يوم مات إبراهيـم ابن رسول الله ﷺ فظنّ النـاس انّها كسفت لموتـه، فقـام النبي ﷺ فقال: «أيّها الناس إنّ الشمـس والقمر آيتان من آيات الله لا يُكسفـان لموت أحد ولا لحيـاتـه فإذا رأيتـم ذلك، فـافـزعـوا إلى الصـلاة ، وإلىٰ ذكـر الله و ادعـوا وتصدَّقوا». (٣)

٦. أخرج ابـن ماجة في سننـه، عن محارب بن دثـار، عن عبد الله بـن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: أبغض الحلال إلى الله الطلاق. (٤)

٧. أخرج ابن ماجـة في سننه عن نافع، عن ابن عمر، قـال: قال رسول الله ﷺ: التاجر الأمين الصدوق المسلم، مع الشهداء يوم القيامة. (٥)

٨. أخرج ابن ماجة في سننه، عن أبي شجرة كثير بن مرّة، عن ابن عمر، انّ رسول الله ﷺ قال: إقامـة حدٍّ من حدود الله خير من مطـر أربعين ليلة في بلاد الله عزّ وجلّ. (٦)

---

١. سنن ابن ماجة: ٢/ ١٣١٨ برقم ٣٩٨٣.

٢. سنن الترمذي: ٤/ ٣٥٥ برقم ١٩٨٦.

٣. المسند الجامع: ١٠/ ١٧٧ برقم ٧٣٩١.

٤. سنن ابن ماجة: ١/ ٦٥٠ برقم ٢٠١٨.

٥. سنن ابن ماجة: ٢/ ٢٧٤ برقم ٢١٣٩.

٦. سنن ابن ماجة: ٢/ ٨٤٨ برقم ٢٥٤٧.

٩. أخرج البخاري في صحيحه، عن عمر بن محمد، عن أبيه، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت انّه سيورّثه. (١)

١٠. أخرج أحمد في مسنده، عن خالد بن أبي عمران، عن نافع، عن ابن عمر: انّ النبي ﷺ كان يقول: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله. ويقول: والذي نفس محمّد بيده ما توادّ اثنان ففُرّق بينهما إلاّ بذنب يحدثه أحدهما.

وكان يقول: للمرء المسلم علىٰ أخيه من المعروف ست: يسمِّته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، و يُنصحه إذا غاب، ويشهده و يسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، ويتبعه إذا مات، و نهىٰ عن هجرة المسلم أخاه فوق ثلاث. (٢)

١١. أخرج مسلم في صحيحه، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، انّه قال: ألا كلّكم راع و كلّكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهومسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية علىٰ بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، و العبد راع علىٰ مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع و كلّكم مسؤول عن رعيته. (٣)

١٢. أخرج أحمد في مسنده، عن محارب بن دثار ،عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: أيها الناس اتقوا الظلم فانّه ظلمات يوم القيامة. (٤)

هذه نماذج من روائع أحاديثه، وإليك بعض ما عُزيت إليه من الروايات السقيمة التي لا يذعن بها الكتاب ولا السنة ولا العقل الحصيف.

---

١. صحيح البخاري: ٨/ ١٠ ، باب الوصاة بالجار من كتاب البر والصلة.

٢. مسند أحمد: ٢/ ٦٨.

٣. صحيح مسلم: ٦/ ٨، باب فضيلة الإمام العادل.

٤. مسند أحمد: ٢/ ٩٢.

١ .ليس الأمر بيد الإنسان

أخرج الإمام أحمد في مسنده، عن يحيى بن يعمر، قلت لابن عمر: إنّ عندنا رجالاً يزعمون انّ الأمر بأيديهم فإن شاءوا عملوا و إن شاءوا لم يعملوا، فقال: أخبرهم إنّي منهم بريء و إنّهم مني بُرآء.

ثمّ قال: جاء جبرئيل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد ما الإسلام؟ فقال: تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة، إلى أن قال: ... فما الإيمان؟ قال: تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله و البعث من بعد الموت والجنّة والنار والقدر كلّه، قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن؟ قال: نعم، قال: صدقت. [1]

إنّ المروي مؤلف من كلام ابن عمر وكلام الرسول ﷺ، فالكلام في صحّة ما استنبطه هو من كلام الرسول.

لا يشكّ أيّ مسلم و مؤمن في أنّ لله سبحانه تقديراً في عالم التكوين والتشريع وتدلّ عليه طائفة من الآيات والروايات.

قال سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا انّ ذٰلِكَ على الله يَسِيرٌ﴾ (الحديد/ ٢٢).

وقال سبحانه: ﴿انَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكة إِنّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيها يُفرقُ كُل أمرٍ حَكيمٍ﴾ (الدخان/ ٣و٤).

كما لا شكّ انّ هناك أُموراً ليس للإنسان فيها دور شاء أم لم يشاء، فقد كتب على كلّ إنسان عدم الخلود، قال سبحانه: ﴿وَما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الخالِدُونَ﴾ (الأنبياء/ ٣٤).

---

١. مسند أحمد:٢/ ١٠٧.

إلى غير ذلك من الحوادث والنوازل التي تنهب نفس الإنسان ونفيسه ومن حسن الحظ انّ تلك الأُمور الخارجة عن إطار الاختيار ليست ملاكاً للثواب والعقاب ولا للحسن والقبح، فليس لمشيئة الإنسان أيّ دور فيها.

إنّما الكلام فيما يقوم به الإنسان من الأعمال التي عليها يدور رحى الإيمان والكفر، والثواب والعقاب، وقد سئل ابن عمر عن هذا القسم من الأُمور، حيث قال السائل: « إنّ عندنا رجالاً يزعمون انّ الأمر بأيديهم فإن شاءوا عملوا و إن شاءوا لم يعملوا» و لا شكّ انّ هذا القسم من الأفعال بيد الإنسان ومشيئته فعلاً وتركاً فهو بحول الله وقوته يقوم بهذا الأمر أو يتركه في ضوء الاختيار الذي فطر الله الإنسان عليه، فإنكار المشيئة في هذا النوع من الأفعال يلازم الجبر المطلق ويعارض الهدف الذي بعث لأجله الأنبياء. وبالتالي يكون الإنسان مكتوف اليدين في مسرح الحياة فما استنتجه ابن عمر من حديث الرسول فرض على الحديث وليس الحديث ناظراً إلى سلب الاختيار، بل تقديره سبحانه في حقّ الإنسان هو أن يكون إنساناً مختاراً، يعمل بما شاء وفق مشيئته واختياره.

وبعبارة أُخرى لا مانع أن يكون هذا القسم من الأفعال مقدراً من جانبه سبحانه، وفي نفس الوقت يكون فعله وتركه بيد الإنسان ، وذلك لأنّ المقدر فيه هو كون الإنسان مختاراً، وأن يكون الفعل والترك باختياره، فالقول بالاختيار لا يخالف التقدير.

فكما انّ أصل الفعل مقدّر من جانبه سبحانه، كذلك وصفه أي صدوره عن فاعل مختار باختياره أيضاً مقدّر، فلو أنكرنا مشيئتهم ودورهم في أفعالهم فقد أنكرنا تقدير الله سبحانه في أفعال الإنسان.

٢. النبي ﷺ يمنع من البكاء علىٰ حمزة

أخرج ابن ماجة في مسنده، عن نافع، عن ابن عمر: انّ رسول الله ﷺ مرَّ بنساء عبد الأشهل يبكين هلكاهنَّ يوم أُحد، فقال رسول الله ﷺ: لكنَّ حمزة لا بواكي له.

فجاء نساء الأنصار يبكينَ حمزة، فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال: «ويحهنَّ ما انقلبنَ بعدُ؟ مروهنَّ فلينقلبن ولا يبكين علىٰ هالك بعد اليوم». (١)

والحديث لا يخلو عن إشكالات:

الأوّل: انّ الإسلام دين الفطرة، وتشريعاته تطابق ما جُبل عليه الإنسان ولا شكّ انّ الإنسان عند فقدان الأحبّة يلوع قلبه وتدمع عينه ويعلو صوته بالبكاء، فالنهي عن مثل هذا الأمر، نهي عن مقتضى الفطرة والتي عليها بُني الدين، قال سبحانه: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاس عَلَيْها**﴾ (الروم/ ٣٠).

لما أُصيب النبي ﷺ بوفاة ولده إبراهيم، ذرفت عيناه ﷺ وقال: إنّا بك يا إبراهيم لمحزونون، تبكي العين، و يحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب، ولولا انّه وعد صادق وموعود جامع فإنّ الآخر منا يتبع الأوّل وجدنا عليك يا إبراهيم وجداً شديداً أشد من هذا، وانّا بك يا إبراهيم لمحزونون. (٢)

فإذا كان كذلك فالنهي عنه أمر غير معقول إلاّ إذا تكلم بما فيه سخط الرب والإطاحة بتقديره سبحانه وقضائه، وأمّا إظهار حزنه بذرف الدموع علىٰ

---

١. سنن ابن ماجة: ١/ ٥٠٧ برقم ١٥٩١.

٢. السيرة الحلبية: ٣/ ٣١٠؛ سنن ابن ماجة: ١/ ٥٠٦ برقم ١٥٨٩ ولاحظ بحار الأنوار: ٢٢/ ١٥٧ إلى غير ذلك من المصادر المتوفرة.

صفحات الوجه، وإظهار اللوعة بالنوح فهذا ممّا لا شبهة في جوازه.

وعلى ضوء ذلك رغّب النبي ﷺ بالبكاء على حمزة لما دخل المدينة بعد غزوة أُحد ورأى النساء يبكين علىٰ قتلاهنّ، بكى، وقال: أمّا حمزة فلا بواكي له. (١) وبذلك حرّض النساء على البكاء على حمزة.

لما استشهد جعفر في مؤتة دخل النبي ﷺ بيت جعفر ليعزي أسماء بنت عميس، فلمّا أراد أن يخرج قال: على مثل جعفر فلتبكي البواكي. (٢)

أخرج الحاكم بسنده، عن أبي هريرة، قال: خرج النبي علىٰ جنازة ومعه عمر ابن الخطاب فسمع نساءً يبكين، فضربهنَّ عمر، فقال رسول الله ﷺ: يا عمر دعهنَّ، فانّ العين دامعة، والنفس مصابة، والعهد قريب. (٣)

كلّ ذلك يعرب عن موقف الإسلام من البكاء على الميت وانّه لم ينه من البكاء وإنّما نهىٰ عن الكلمات التي تُسخط الرب.

الثاني: انّ ذيل الحديث يناقض صدره فانّه ﷺ بقوله: «لكن حمزة لا بواكي له» يحرِّض النساء على البكاء على حمزة، وعلى ذلك فقد اجتمعت النساء للبكاء عليه بأمر الرسول ﷺ فما معنىٰ لما جاء في ذيل الحديث «فاستيقظ رسول الله ﷺ وقال: ويحهنَّ ما انقلبن بعدُ، مروهنّ فلينقلبن ولا يبكين على هالك بعد اليوم» ؟!

الثالث: استشهد حمزة في غزوة أُحد و هو في السنة الثانية من الهجرة مع أنّ الرسول بكى بعده مرات، حيث بكىٰ على ابنه الذي توفي في العام العاشر من الهجرة، كما بكى عند قبر أُمّه.

---

١. مسند أحمد: ٢/ ٤٠؛ والاستيعاب بهامش الإصابة: ١/ ٢٧٥؛ إلى غير ذلك من المصادر.

٢. أنساب الأشراف: ٢/ ٤٣.

٣. الحاكم، المستدرك: ١/ ٣٨١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين؛ ولاحظ سنن النسائي: ٤/ ١٩٠، إلى غير ذلك من المصادر.

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن سليمان بن بريدة عن أبيه، قال: زار النبي ﷺ قبر أُمّه في ألف مقنع فلم ير باكياً أكثر من يومئذ.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه. [١]

وأمّا ما أثر عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في فضيلة البكاء على الحسين عليه السلام وغيره من الأئمة المعصومين عليهم السلام فحدِّث عنه ولا حرج.

٣. طلب العلم لغير الله

أخرج ابن ماجة في مسنده، عن خالد بن دريك، عن ابن عمر، انّ النبي ﷺ قال: من طلب العلم لغير الله، أو أراد به غير الله، فليتبوّأ مقعده من النار. [٢]

يلاحظ عليه: أنّ مفاد الحديث هو انّ طلب العلم فريضة عبادية لا تطلب إلّا لوجه الله فلو طلب لغيره، فقد ترك الفريضة.

توضيحه: انّ الواجب على قسمين: تعبدي و توصلي، ويراد من الأوّل ما يؤتىٰ به لوجه الله تبارك و تعالى و امتثال أمره بحيث لو قصد به غيره لبطل العمل، كما إذا صلّى رياءً وسمعة.

ويراد من الثاني ما يكون المطلوب نفس العمل سواء أتىٰ به لوجه الله أو لغيره، وهذا كما في تطهير الثوب للصلاة فلو طهّره لا للصلاة بل لغاية أُخرى صحّ تطهيره وصحّت إقامة الصلاة فيه.

وعلى ضوء هذا نقول: إنّ طلب العلم يوصف بالوجوب تارة والندب أُخرى والإباحة ثالثاً والكراهة رابعاً والحرمة خامساً.

---

١. الحاكم، المستدرك: ١/ ٣٧٥.

٢. سنن ابن ماجة: ١/ ٩٥ برقم ٢٥٨؛ سنن الترمذي: ٥/ ٢٣ برقم ٢٦٥٥.

فطلب علم الشريعة وأحكامها واجب توصلي لا تعبدي، فلو طلبه لغايات دنيوية فقد امتثل الواجب غاية الأمر لا يترتب عليه ثواب إذا لم يقصد به وجه الله لا انّه يوعد بالنّار كما في الحديث.

كما أنّ طلب العلم إذا كان مستحباً فهو مطلوب توصلي يقصد به أن يقف الطالب على ما دعا إليه الشارع والغاية حاصلة وان طلبها لأجل أُمور أُخرى ولا يحكم عليه بالفسق والعصيان.

وأمّا ما في الرواية فمعناه انّ طلب العلم فيما يرتبط بالواجبات والمستحبات يجب أن يقصد به وجه الله، فمن ترك الشرط وطلبه لغير الله فلم يأت بالفريضة، وهذا أمر لا يوافق عليه أحد.

هذا حكم الواجب أو المستحب من طلب العلم وأمّا طلب العلم المباح وغيره فلا أظن أحداً يشترط فيه وجه الله على نحو لو طلب العلوم الرياضية أو الفيزياوية لرفاه حاله وحال عياله فقد ارتكب معصية موبقة يتبوّأ مقعده من النار.

ولعلّ المراد من العلم هو علم الشريعة والإيعاد بالنار يختص بما إذا كانت الغاية من تعلّمه، أمراً حراماً، فعندئذٍ عليه أن يتبوّأ مقعده من النار، فتدبّر.

٤. أفضل الناس بعد النبي ﷺ ثلاثة

أخرج البخاري، عن نافع، عن ابن عمر، قال: كنا نخيّر بين الناس في زمن النبي ﷺ، فنخير أبا بكر ثمّ عمر بن الخطاب ثمّ عثمان بن عفان.[1]

أخرج أحمد، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن ابن عمر، قال: كنّا

---

١. صحيح البخاري: ٥/ ٤، باب فضل أبي بكر.

نعدّ ورسول الله ﷺ حيّ وأصحابه متوافرون أبو بكر وعمر و عثمان ثمّ نسكت. [١]

أخرج أبو داود، عن سالم بن عبد الله، عن ابن عمر، قال: كنّا نقول و رسول الله ﷺ حيّ: أفضل أُمّة النبي ﷺ بعده أبو بكر ثمّ عمر ثم عثمان رضي الله عنهم أجمعين. [٢]

أخرج أبو داود عن نافع، عن ابن عمر، قال: كنّا نقول في زمن النبي ﷺ: لا نعدل بأبي بكر أحداً ثمّ عمر ثمّ عثمان ثمّ نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم. [٣]

يستفاد من الحديث أمران:

الأوّل : أفضلية الثلاثة على غيرهم من الناس.

الثاني: الناس بعد الثلاثة كلّهم في الفضل سواء .

فيقع الكلام في مقامين:

الأوّل: أفضلية الثلاثة على غيرهم:

إنّ ما عُزِي إلى ابن عمر إنّما هو استنباط شخصي يعود إليه، و لم يعرج المستنبط فيه على دليل واضح وبرهان ساطع .

إنّ تفضيل الثلاثة على غيرهم فرع وجود ملاكات توفرت فيهم دون غيرهم وعلى أساسها فُضِّلوا بها على غيرهم.

إنّ هذه الملاكات لا تخرج عن أحد أمرين:

---

١. مسند أحمد: ٢/ ١٤.

٢. سنن أبي داود: ٤/ ٢٠٦ برقم ٤٦٢٨.

٣. سنن أبي داود: ٤/ ٢٠٦ برقم ٤٦٢٧.

أ. ملاكات روحية وفضائل نفسانية.

ب. ملاكات عملية وسلوكية.

وإليك الكلام في كلا الملاكين:

أ. الملاكات الروحية والفضائل النفسانية

لا شكّ انّ الملاكات الروحية كالسبق إلى الإسلام والإيمان بالله والخشوع امامه و العلم الغزير الذي يفيد الناس تعد سبباً للتقدّم، ولكن لا أظن سبق الخلفاء الثلاثة على غيرهم في هذا المضمار وفي الأمّة مثل علي بن أبي طالب عليه السلام أوّل الناس إسلاماً وأتقاهم وأزهدهم وأقضاهم وأعلمهم. ويكفي في ذلك، الإمعان فيما نزل في حقّه في سورة الإنسان ، فقد اتّفقت الأمّة علىٰ نزولها في حقّه وزوجته وأولاده، قال سبحانه: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً * إِنّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقاهُمُ اللهُ شَرَّ ذٰلِكَ اليَومِ وَلَقّاهُمْ نَضْرَةً وَسُروراً﴾ (الإنسان/ ٨ـ١١).

وقد ضحّىٰ بنفسه عندما نام علىٰ فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت في حقّه الآية التالية: ﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغاءَ مَرْضاةِ اللهِ وَاللهُ رَؤوفٌ بِالعِبادِ﴾ (البقرة/ ٢٠٧) وهذا غاية الزهد في الدنيا والتجافي عنها.

وقد بلغ من الإيمان بمكان عُدّ تأمينه لدعاء النبي موجباً لنزول العذاب حيث شارك النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المباهلة مع زوجته وولديه، ونزل قوله سبحانه: ﴿فَمَنْ حاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُل تَعالَوا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلى الكاذِبِينَ﴾ (آل عمران/ ٦١).

فهذه الآيات وما ورد حولها من الكلمات تعرب عن وجود فضائل و مناقب فائقة لعلي عليه السلام أدّت إلى تفضيله علىٰ غيره، فكيف يقول ابن عمر: «كنّا نعدّ ورسول الله حيّ وأصحابه متوافرون أبو بكر وعمر و عثمان ثمّ نسكت».

وقد بلغ في العلم بالعقيدة والشريعة مقاماً كان يربو بعلمه على جميع الصحابة وكانوا يرجعون إليه في القضايا والمشكلات دون غيره وانّ أوّل من صرح له بالأعلمية نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم بقوله لفاطمة عليها السلام : أما ترضين انّي زوّجتك أوّل المسلمين إسلاماً، وأعلمهم علماً. (١)

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لها: زوجتك خير أُمّتي، أعلمهم علماً، وأفضلهم حلماً، وأوّلهم سلماً. (٢)

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لها: إنّه لأوّل أصحابي إسلاماً، وأقدم أُمّتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً. (٣)

وقد اعترف ثلة من الصحابة والصحابيات بفضيلته وهذه عائشة تقول: عليّ أعلم الناس بالسنة. (٤)

ويقول عمر: علي أقضانا. (٥)

وقد اشتهر قول عمر: لولا علي لهلك عمر اشتهاراً لا حاجة به إلى تخريج سنده. (٦)

---

١. كنز العمال: ١١/ ٦٠٥ برقم ٣٢٩٢٤ـ٣٢٩٢٥.

٢. أخرجه الخطيب في المتفق والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه :٦/ ٣٩٨.

٣. مسند أحمد:٥/ ٢٦.

٤. الاستيعاب: ٣/ ٤٠ هامش الاصابة، طبعة عام ١٣٥٨هـ.

٥. حلية الأولياء: ١/ ٦٥.

٦. صحيح مسلم: ٧/ ١٢٠، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام.

ب. الملاكات العملية والسلوكية

ثمة ملاكات عملية يقوّم بها المؤمن حال حياته وأفضلها الجهاد في سبيل الله قال سبحانه: ﴿فَضَّلَ اللهُ المُجاهِدينَ عَلى القاعِدينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ (النساء/ ٩٥).

ولا شكّ انّ عليّاً عليه السلام أكثر الناس جهاداً وقد شارك في جميع الغزوات إلاّ غزوة تبوك فخلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة بأمره.

والعجب انّ عبد الله بن عمر صاحب هذا الاجتهاد، استنتج خلاف ما جاء في هذا الحديث، في حديث آخر أخرجه عنه الإمام أحمد في مسنده عن عمر بن أسيد، عن ابن عمر، قال: كنّا نقول في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله خير الناس ثمّ أبو بكر ثمّ عمر ولقد أُتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منهن أحبُّ إليَّ من حمُر النعم زوّجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنته وولدت له، وسدّ الأبواب إلاّ بابه في المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر.[1]

ترى فيه تراجعاً عن رأيه في حقّ الشيخين، فمع انّه يعترف في صدر الحديث بأفضليتهما، ولكن يستدرك بأنّ ابن أبي طالب أُتي ثلاث خصال ليس له فيها نظير.

وأظن انّ ابن عمر اقتبس ما استنبطه في حقّ علي عليه السلام من كلام سعد بن أبي وقاص على ما أخرجه مسلم في صحيحه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، قال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب، فقال: امّا ما ذكرت ثلاثاً، قالهنّ له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلن أسبَّه، لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبُّ إليَّ من حمر النعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله: أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من

---

١. مسند أحمد: ٢/ ٢٦.

موسى إلاّ انّه لا نبي بعدي.

وسمعته يقـول يوم خيبر: لأعطينّ الـراية رجـلاً يحب الله ورسولـه ويحبه الله ورسوله، قـال: فتطاولنا لها، فقال: ادعـوا لي علياً ﷺ، فأُتي بـه أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه.

ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعالَوا نَدْعُ أَبْنـاءَنا وَأَبناءَكُمْ﴾ دعا رسـول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ﷺ فقال: اللهمّ هؤلاء أهلي.[1]

إنّ ما استنتجه عبـد الله بن عمر إنّما يصحّ إذا لم يكن بين الصحابـة من هو أفضل منهم، وهل يتصور أن يكون الثلاثة أفضل من أبي ذر الذي عرّفه النبي ﷺ بقوله: «ما أظلت الخضراء ولا أقلـت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفىٰ من أبي ذر شبيه عيسىٰ»؟[2]

لقد كان بين الصحابة من ملئ إيماناً إلىٰ مشـاشه و ما عرض عليه أمران إلاّ اختار الأرشد منهما و انّ رسول الله أمر بحبه.

أخرج ابن ماجة، عن علي بن أبي طالب، قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فاستأذن عمّار بن ياسر ، فقال النبي ﷺ: ائذنوا له مرحباً بالطيب المطيب.[3]

وروي أيضاً انّ النبي ﷺ قال: ملئ عماراً إيماناً إلى مشاشه.[4]

وروي عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: عمار ما عرض عليه أمران إلاّ

---

١. صحيح مسلم: ٧/ ١٢٠ـ١٢١ باب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ.

٢. وقـد أخرجـه غير واحد من الحفـاظ وأهل الحديـث نذكـر منهم مسند أحمد:٢/ ١٦٣؛ مستـدرك الحاكم: ٣/ ٣٤٤ صحّحـه وأقره الذهبـي ؛ سنن ابن ماجـة: ١/ ٥٥ برقم ١٥٦؛ سنـن الترمذي: ٥/ ٦٦٩ برقم ٣٨٠١ـ ٣٨٠٢.

٣. ابن ماجة: السنن: ١/ ٥٢ برقم ١٤٦؛ الترمذي، السنن: ٥/ ٦٦٨ برقم ٣٧٩٨.

٤. ابن ماجة: السنن: ١/ ٥٢ برقم ١٤٧.

اختار الأرشد منهما. (١)

وروي عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: انّ الله أمرني بحب أربعة، وأخبرني أنّه يحبهم قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: علي منهم، يقول ذلك ثلاثاً، و أبو ذر و سلمان والمقداد. (٢)

الثاني: كلّ الناس بعد الثلاثة في الفضل سواء:

إنّ الحديث كما كان يتضمن أفضلية الثلاثة من جميع الناس، يتضمن أيضاً انّ سائر الناس في الفضل سواسية، وهذا أيضاً مخالف لإجماع المسلمين على أفضلية علي عن غير الثلاثة من الصحابة كما هو واضح، و لذلك نرى انّ ابن عبد البر أنكر صحّة الحديث، ويقول:

قال أبو عمرو: من قال بحديث ابن عمر: كنا نقول على عهد رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثمّ، ثمّ، ثمّ عثمان، ثم نسكت ـ يعني فلا نفاضل ـ و هو الذي أنكر ابن معين وتكلم فيه بكلام غليظ، لأنّ القائل بذلك قد قال بخلاف ما اجتمع عليه أهل السنة من السلف والخلف من أهل الفقه و الأثر: انّ علياً أفضل الناس بعد عثمان، وهذا ممّا لم يختلفوا فيه و إنّما اختلفوا في تفضيل عليّ وعثمان. (٣)

٥. أصحابي كالنجوم

أخرج ابن حميد عن نافع، عن ابن عمر، انّ رسول الله ﷺ قال: مثل أصحابي مثل النجوم يهتدي به، فأيّهم أخذتم بقوله اهتديتم. (٤)

---

١. ابن ماجة: السنن: ١/ ٥٢ برقم ١٤٨؛ الترمذي، السنن: ٥/ ٦٦٨ برقم ٣٧٩٩.

٢. ابن ماجة: السنن: ١/ ٥٣ برقم ١٤٩.

٣. الاستيعاب: ٣/ ٥٢.

٤. المسند الجامع: ١٠/ ٧٨٢ برقم ٨٢١٩ نقله عن مسند عبد بن حميد.

يلاحظ عليه : أنّ متن الحديث يكذب صدوره إذ ليس كلّ نجم هادياً في البرّ و البحر بل هناك نجوم خاصة للاهتداء، ولأجل ذلك قال سبحانه: ﴿وَعَلاماتٌ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُون﴾ (النحل/ ١٦).

وأمّا قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها في ظُلُماتِ البَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآياتِ لِقَومٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام/ ٩٧) فاللام في النجوم للعهد، أي النجوم المعهودة التي كانت العرب يومذاك يهتدون بها في البر والبحر وليست للاستغراق.

ولا يتمشىٰ ذلك الحمل في الحديث، لأنّ الغاية فيها التبسيط والتعميم لكلّ صحابي كما هو صريح قوله: «فأيّهم أخذتم بقوله اقتديتم» فلا محيص من حمل «كالنجوم» على الاستغراق والمفروض انّ كلّ نجم ليس هادياً.

ولو افترضنا الاهتداء بكلّ نجم في السماء، أفهل يمكن أن يكون كلّ صحابي نجماً لامعاً هادياً للأُمّة؟ فهذا قدامة بن مظعون، صحابي بدري يعد من السابقين الأوّلين ومن المهاجرين هجرتين، شرب الخمر وأقام عليه عمر الحدّ، كما أنّ المشهور انّ عبد الرحمان الأصغر بن عمر بن الخطاب قد شرب الخمر.[1]

كما انّ بعض الصحابة خضّب وجه الأرض بالدماء فمن استقصى تاريخ حياة بسر بن أرطأة يجد انّه اقترف جرائم كثيرة، حتّى قتل طفلين لعبيد الله بن عباس، و كم بين الصحابة رجال قد احتفل التاريخ بضبط مساوئهم، أفبعد هذه البيّنات يصحّ لأحد أن يتقوّل بأنّهم جميعاً ــ بلا استثناء ــ كالنجوم يهتدىٰ بهم؟!

يقول أبو جعفر النقيب: إنّ هذا الحديث من موضوعات متعصبة الأموية، فإنّ منهم من ينصرهم بلسانه و بوضعه الأحاديث إذا عجز عن نصرهم

---

١. أُسد الغابة: ٣/ ٣١٢.

بالسيف.[١]

ولعل القارئ الكريم يتصور انّ أبا جعفر النقيب ممن ينفرد في شأن هذه الرواية و ليس الأمر كذلك ، بل حكم بوضعه كثير من محقّقي السنّة، وقد رويت بصور مختلفة:

أ. أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم

رواه ابن عبد البر في جامع العلم (٢/ ٩١) ،و ابن حزم في الاحكام (٦/ ٨٣) من طريق سلام بن سليم، قال: حدثنا الحارث بن غصين، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر مرفوعاً به، وقال ابن عبد البر:«هذا إسناد لا تقوم به حجّة، لأنّ الحارث بن غصين مجهول».

وقال ابن حزم:«هذه رواية ساقطة، أبو سفيان ضعيف، والحارث بن غصين هذا هو أبو وهب الثقفي، وسلام بن سليمان يروي الأحاديث الموضوعة، وهذا منها بلا شك». [٢]

ب. مهما اوتيتم من كتاب الله فالعمل به ، لا عذر لأحدكم في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله، فسنّة منّي ماضية، فإن لم يكن سنة مني ماضية فما قال أصحابي، إنّ أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأيّما أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة.

أخرجه الخطيب في الكفاية في علم الدراية ، ص ٤٨، وكذا أبو العباس العصم وابن عساكر (٧/ ٣١٥/ ٢) من طريق سليمان بن أبي كريمة، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس مرفوعاً.

وهذا اسناد ضعيف جداً، سليمان بن أبي كريمة، قال ابن أبي حاتم

---

١. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٢٠/ ١٢.

٢. لاحظ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ١/ ٧٨.

(٢/ ١/ ١٣٨) عن أبيه «ضعيف الحديث».

وجويبر هو ابن سعيد الأزدي متروك كما قال الدار قطني، والنسائي وغيرهما، والضحاك هو ابن مزاحم الهلالي لم يلق ابن عباس. [1]

ج. سألت ربّي فيما اختلف فيه أصحابي من بعد فأوحى الله إليّ: يا محمد: انّ أصحابك عندي بمنزلة النجوم بعضها أضوأ من بعض، فمن أخذ بشيء مما هم عليه فهو عندي على هدى.

رواه ابن بطّة في الابانة(٤/ ١١/ ٢) والخطيب أيضاً، نظام الملك في الأمالي(١٣/ ٢) والضياء في المنتقى عن مسموعاته بمرو(١١٦/ ٢) وكذا ابن عساكر (٦/ ٣٠٣/ ١) من طريق نعيم بن حماد، حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب مرفوعاً.

وهذا السند موضوع، نعيم بن حماد ضعيف، قال الحافظ: يخطأ كثيراً. وعبد الرحيم بن زيد العمي كذاب فهو آفة. [2]

هذا قليل من كثير ممّا ذكره الشيخ الالباني المعاصر في كتابه، و من أراد التفصيل فليرجع إلى نفس الكتاب .

وقد أضاف في آخر تحقيقه، وقال: لو صحّ هذا الخبر يكون المراد إنّ ما قالوه برأيهم يجب العمل به، وهذا دليل آخر على أنّ الحديث موضوع، وليس من كلامه ﷺ إذ كيف يسوغ لنا أن نتصور انّ النبي ﷺ يبرر لنا أن نقتدي بكل رجل من الصحابة مع أنّ فيهم العالم والمتوسط في العلم،ومن هو دون ذلك وكان فيهم مثلاً من يرى انّ البردة لا يفطر الصائم بأكله. [3]

---

١ و ٢. المصدر نفسه.

٣. سلسلة الأحاديث الضعيفة و الموضوعة، وحديث البرد أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار، لاحظ ٢/ ٣٤٠، وهوحديث غريب يضاد القرآن والسنة وإجماع المسلمين، كما مرّ في مقدّمة الكتاب.

روى أنس قال:

مطرت السماء برداً، فقال لنا أبو طلحة: ناولوني من هذا البرد، فجعل يأكل وهو صائم وذلك في رمضان، فقلت: أتأكل وأنت صائم؟ فقال: إنّما هو برد نزل من السماء فطهر به بطوننا، وإنّه ليس بطعام ولا بشراب، فأتيتُ رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك، فقال: خذها عن عمِّك [١].

٦. أوّل من تنشق عنه الأرض

أخرج الترمذي في مسنده، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أوّل من تنشق عنه الأرض، ثمّ أبو بكر، ثمّ عمر، ثمّ آتي أهل البقيع فيحشرون معي، ثمّ أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين. [٢]

يلاحظ عليه: أنّ الهدف من وراء هذا الترتيب هو بيان الأفضلية فالأفضل والأفضل تنشق عنه الأرض حتى تصل النوبة إلىٰ غيره، وعلىٰ ضوء هذا الحديث انّ أهل البقيع يحشرون في الدرجة الثالثة ويعقبهم أهل مكة في الدرجة الرابعة ومعنى ذلك انّ هؤلاء أفضل من وطئوا الأرض فيقدمون في الحشر، وتصبح النتيجة انّ غيرهم يتأخرون فضيلة عنهم كعلي بن أبي طالب و الحسن بن علي ونظائرهما الذين لهم أضرحة خارج مكة والمدينة وهل الأمر كذلك؟! لا أدري..

وثمة نكتة جديرة بالإشارة، هي انّ هذا الحديث يشير إلى أنّ الحشر يوم القيامة أمر تدريجي، فالناس يحشرون و يخرجون من أجداثهم تدريجاً مع أنّه يخالف ما عليه ظاهر القرآن من وقوع البعث بغتة وحشر الناس دفعة واحدة. قال سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذا هُمْ مِنَ الأَجْداثِ إِلىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾

---

١. الطحاوي، مشكل الآثار: ٢/ ٢٣٨ برقم ١٩٨٣.

٢. سنن الترمذي: ٥/ ٦٢٢ برقم ٣٦٩٢.

(يس/ ٥١)وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر/ ٦٨) إلى غير ذلك من الآيات الصريحة في وقوع القيامة فجأة وحشر الناس جميعهم دفعة لا تدريجاً، و هذا على خلاف ما جاء في الرواية «ثم انتظر أهل مكة ...».

٧. الحط من منزلة بعض الصحابة

أخرج مسلم في صحيحه، عن عمرو بن دينار، عن ابن عمر، انّ رسول الله ﷺ أمر بقتل الكلاب إلاّ كلب صيد أو كلب غنم أو ماشية، فقيل لابن عمر: إنّ أبا هريرة يقول: أو «كلب زرع» فقال ابن عمر: إنّ لأبي هريرة زرعاً. [١]

يشير ابن عمر إلى ما رواه أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: من اتخذ كلباً إلاّ كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من أجره كلّ يوم قيراط، قال الزهري: فذكر لابن عمر قول أبي هريرة ، فقال: يرحم الله أبا هريرة كان صاحب زرع. [٢]

وكان ابن عمر يشير بقوله: إنّ لأبي هريرة زرعاً، انّه أضاف هذا الاستثناء لأجل امتلاكه زرعاً وحرثاً ولولاه لما أضاف، ومعنى ذلك انّ أبا هريرة زاد على الحديث من جانبه.

ويؤيد ذلك أمران:

أ. انّه نُقل الحديث عن أبي هريرة مرّة بلا هذه الزيادة، أخرج مسلم، عن أبي رزين، قال: سمعت أبا هريرة، يقول: قال رسول الله ﷺ: من اتخذ كلباً ليس بكلب صيد ولا غنم نقص من عمله كلّ يوم قيراط. [٣]

ب. انّه لما ذكر لابن عمر قول أبي هريرة، أجابه بقوله: يرحم الله أبا هريرة

---

١. صحيح مسلم: ٥/ ٣٦، باب الأمر بقتل الكلاب؛ سنن الترمذي: ٤/ ٧٩ برقم ١٤٨٨.
٢. صحيح مسلم: ٥/ ٣٨، باب الأمر بقتل الكلاب.
٣. المصدر نفسه.

كان صاحب زرع، فانّه يشير باسترحامه عليه إلى زلّته في ذلك النقل.

هـذا هو المفهـوم من الروايـة، ولكن النـووي حمل الروايـة على غير ما هـو المفهوم عـرفاً، وقال نقلاً عـن العلماء:ليس هذا توهينـاً لرواية أبي هريـرة ولا شكاً فيهـا، بل معناه انّـه لما كان صـاحب زرع وحـرث اعتنىٰ بـذلك وحفظه وأتقنـه، والعادة انّ المبتلي بشيء يُتقنـه ما لا يتقنـه غيره ويتعرض من أحكامـه ما لا يعـرفه غيره. (١)

أقول: لم يكن الحديث حـديثاً مفصلاً حتى يصعب علىٰ ابن عمـر حفظه فلو سمع من رسول الله لنقله بلا نقيصة، فالرسول حدّث حديثاً واحداً سمعه كلّ من حضره من ابن عمر و أبي هريرة، ولكـن نقل الثاني مع الزيادة دون الأوّل وابن عمر يدّعي انّه ما خانته ذاكرته، بل زاد أبو هريرة من عنده. والله العالم.

٨. عدم وقوفه على أبسط المسائل

أخرج البخاري في صحيحه، عن سالم انّ عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أخبره انّه طلق امرأته وهي حـائض، فذكر عمر لرسول الله ﷺ فتغيظ فيه رسول الله، ثمّ قال: ليراجعها، ثـمّ يمسكها حتى تطهر ثمّ تحيض فتطهر، فـإن بدا له أن يطلقها طاهراً قبل أن يمسها، فتلك العدّة. (٢)

أخرج أبو داود عن ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، انّه سمع عبد الرحمان بن أيمن مولى عروة يسأل ابن عمر وأبـو الزبير يسمع، قال: كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضـاً؟ قال: طلق عبد الله بن عمر امرأته وهـي حائض علىٰ عهد رسول الله ﷺ فسأل عمـر رسول الله ﷺ فقـال: إنّ عبد الله بـن عمر طلق امـرأتـه وهي

---

١. شرح النووي: ١٠/ ٤٩٧.

٢. صحيح البخاري: ٦/ ١٥٥، في تفسير سورة الطلاق.

حائض، قال عبد الله: فردَّها عليَّ ولم يرها شيئاً، وقال: «إذا طهرت فليطلق أو ليمسك».

قال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ ﴿يا أَيُّهَا النَبِيُّ إذا طَلَّقْتُمُ النِّساء فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ في قُبُلِ عدّتهنّ. (١)

إنّ غضب رسول الله علىٰ فعل ابن عمر كما في الرواية الأُولى وقراءته الآية كما في الرواية الثانية تعرب عن أنّ البيان والتشريع كان قد تم في عهد رسول الله ﷺوانّه بلّغ ما يجب عليه إبلاغه وذلك بنزول سورة الطلاق التي جاء في مطلعها قوله: ﴿يا أَيُّها النّبيّ إذا طَلَّقْتُمُ النِّساء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ .

وهذا يدل على عدم وقوف عبد الله بن عمر على أبسط المسائل وأوضحها وأكثرها ابتلاءً في أوساط المسلمين، ولم يكن والده أيضاً أكثر اطلاعاً منه.

٩ . نفي العدوى

أخرج ابن ماجة، عن يحيى بن أبي حية، عن أبيه، عن ابن عمر ، قال: قال رسول الله ﷺ: لا عدوىٰ ولا طيرة ولا هامة، فقام إليه رجل أعرابي فقال: يا رسول الله : أرأيت البعير يكون به الجرب فيُجرب الإبل كلّها، قال: ذلكم القدر، فمن أجرب الأوّل؟! (٢)

وثمة تساؤلات:

١ . «العدوى» عبارة عن انتقال المرض من مريض إلىٰ سليم وهذا أمر واضح لا يشوبه شكٌ ومن سنن الله تبارك و تعالى خلق الجراثيم التي تنقل الأمراض، ولا ينافي ذلك تقدير الله سبحانه فإنّ عمل الجراثيم من تقديره سبحانه، فلا منافاة بين العلل الطبيعية التي هي مظاهر سننه وتقاديره، والقول

---

١ . سنن أبي داود: ٢/ ٢٥٦ برقم ٢١٨٥ والآية ١ من سورة الطلاق.

٢ .سنن ابن ماجة: ١/ ٣٤ برقم ٨٦.

بالقضاء والقدر، لأنّ تأثير الأسباب الطبيعية بإذن الله سبحانه ، و تأثيره من تقديراته ، قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرج بِهِ مِنَ الثَّمرات رِزقاً لَكُمْ﴾ (البقرة/ ٢٢) أي أخرج بسبب الماء. إلى غير ذلك من الآيات الناصّة على تأثير الأسباب الطبيعية بإذن الله. فلما نفى النبي ﷺ ـ حسب ما جاء فيها ـ العدوىٰ بنحو مطلق بدت علىٰ وجه الاعرابي علائم الاستغراب، و أدرك انّ ما سمعه من النبي يخالف الملموس في حياته فسأله وقال: أرأيت البعير يكون به الجرب فيُجرب الإبل كلّها، فكيف تنفي العدوىٰ وانتقال المرض من حيّ إلى آخر؟!

فما ورد في الرواية من الجواب لا يقنعه ولا يزيل استغرابه، فانّ الجواب فيها عبارة عن قوله:«ذلكم التقدير» أي انّ الانتقال بتقديره سبحانه لا بالعدوى مع انّه لا تنافي بين الأمرين، وذلك لأنّ انتقال المرض من مريض إلى صحيح، سنة من سنن الله سبحانه، سنّها وقدّرها كما قدّر سائر السنن الكونية، فلا مانع من أن يكون هناك تقدير وفي الوقت نفسه عدوى.

٢. انّ المجيب في الرواية لم يقتصر بقوله: «ذلكم التقدير» بل ضمّ إليه جواباً آخر وهو انّه لو صحّ «العدوى» فمن جرّب البعير الأوّل إذ لم يكن هناك إلاّ بعير واحد ابتلي با لمرض حتى يكون هو السبب للجرب.

مع أنّ هذا الجواب لا يصلح للردّ أبداً إذ يمكن أن يكون للمرض عاملان أحدهما: «العدوىٰ»، وثانيهما: «تأثير العوامل الطبيعية الأُخرى».

٣. كيف تنفي الرواية العدوى مع أنّ سعد بن أبي وقاص نقل عن النبي ﷺ أنّه قال:

«وإذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تهبطوا، وإذا كان بأرض وأنتم بها فلا تفرّوا منه»[1]؟

---

١. مسند أحمد: ١/ ١٧٤؛ سنن أبي داود برقم ٣٩٢١.

فانّ الحديث صريح في الاعتراف بسنّة العدوى في الطاعون، ولأجل ذلك منع المُصحَّ أن يهبط على أرض كان فيها طاعون، كما منع من الخروج من الأرض التي فيها الطاعون لئلا يبتلى الآخرون به. وقد مضى الكلام فيه أيضاً عند دراسة روايات أبي هريرة.

١٠. النبي يأكل ممّا ذُبح على الأنصاب

أخرج البخاري عن موسى بن عقبة، قال: أخبرني سالم انّه سمع عبد الله يحدِّث عن رسول الله ﷺ انّه لقي زيد بن عمرو بن نُفَيل بأسفل «بَلْدح» وذاك قبل أن ينزل على رسول الله ﷺ الوحي، فقدّم إليه رسول الله ﷺ سفرة فيها لحم فأبى أن يأكل منها.

ثمّ قال: إنيّ لا آكل ممّا تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلاّ ممّا ذكر اسم الله عليه.[1]

إنّ هذه الرواية تحط من شأن النبي ﷺ بوجهين:

الأوّل: إنّ مفاد الحديث أنّ النبي ﷺ كان يأكل مما ذبح على الأنصاب، والشاهد على ذلك انّه قدّم إلى زيد بن عمرو سفرة ولا معنى لتقديمه إليه سفرة غيره بل الظاهر انّه قدّم إليه نفس السفرة التي كان يأكل منها وهذا طعن عظيم على سيد المرسلين ﷺ كما لا يخفى.

ويؤيد مضمون الرواية ما أخرجه أحمد، عن هشام بن سعيد، عن أبيه سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل، قال: كان رسول الله ﷺ بمكة، هو وزيد بن حارثة، فمرَّ بهما زيد بن عمرو بن نفيل، فدعوه إلى سفرة لهما. فقال: يا ابن أخي، إنّي لا

---

١. صحيح البخاري:٧/ ٩١، باب ما ذبح على النصب و الأصنام.

آكل مما ذبح على النّصب، قال: فما رؤي النبي ﷺ بعد ذلك أكل شيئاً ممّا ذبح على النّصب. قال: قلت: يا رسول الله، إنّ أبي كـان كما قد رأيت وبلغك، ولو أدركك لآمن بك و اتّبعك فأستغفر لـه؟ قال: نعم . فاستغفر له. فانّه يبعـث يوم القيامة أُمّة واحدة. [١]

الثاني: انّ الحديث يتضمن انّ زيد بن عمرو كان أعرف بالحنفية البيضاء من النبي ﷺ حيث أبـى من أكله دونـه ﷺ هـذا ممّا لا يمكن احتمالـه في حقّه عليـه الصلاة والسلام.

نعم أخرجه البخـاري في كتاب المناقب بصورة أُخـرى ربما تكون نزيهة عن الإشكال، ولكن الرواية فاقدة للانسجام العام، وهي تشهد على أنّ الراوي تصرف في الرواية لدفع الطعن، وإليك نصها:

أخرج البخـاري في صحيحه، عن موسـى بن عقبة، عن سـالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر :

إنّ النبي ﷺ لقي زيد بـن عمرو بن نُفيل بأسفل «بلـدح» قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي فقُدِّمتْ إلى النبي ﷺ سفرة، فأبى أن يأكل منها. ثمّ قال زيد: إنّي لستُ آكل ممّا تـذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلاّ ما ذكـر اسم الله عليه. انّ زيد ابن عمرو كـان يعيب على قريش ذبـائحهم، ويقول: الشاة خلقهـا الله، وأنزل لها من السماء الماء ، وأنبـت لها من الأرض، ثمّ تـذبحـونها على غير اسم الله، إنكـاراً لذلك وإعظاماً له. [٢]

أقول: إنّ الرواية لا تخلو عن تأملات :

أ. قوله :« فقُدِّمَتْ إلى النبيﷺ سفرة» بصيغة المجهول فمن المقدِّم لها إلى

---

١ . مسند أحمد: ١/ ١٨٩ .

٢. صحيح البخاري: ٥/ ٤٠، كتاب مناقب الأنصار، الباب ٢٤ .

النبي ﷺ ؟فلماذا لم يـذكر؟ وهـذا دليل على أنّ الأصـل ما ورد في الصـورة الأُولى «فقدم إليه رسول الله سفرة» وإنّما حرّفه الراوي لدفع الإشكال.

ب.انّ الضمير في قولـه: «فأبى» يـرجع إلى النبي ﷺ، فإذا أبى رسـول الله ﷺ أن يأكل منها فـالأولى أن يقول النبيّ ﷺبعد إبـائه: «إنّي لست آكل» ولكن الوارد في الصورة الثانية انّه بعدما أبى النبي ﷺ، تكلم زيد بن عمرو، وقال:«إنّي لست آكل».

ج.لو افترضنـا صحّة قول زيد بعـد عمل النبي ﷺ فالصحيـح عندئذٍ أن يقول زيد: أنـا أيضاً لا آكل ممّا تذبحون، ليكـون تصديقاً للنبي ﷺ حسب ظاهر الرواية.

د.الظاهر انّ الخطـاب في كلام زيد«انّي لست آكل مما تـذبحون» إلى النبي ﷺ والمفروض في الصورة الثانية انّ النبي ﷺ كان يعيب ذلك على قريش و يمتنع من أكله، فكيف يخاطبـه زيد بن عمرو؟! و هـذا يدل على أنّ النبي ﷺ ـ حسب الرواية ـ كان يوافق قريشاً ذبحاً وأكلاً.

كلّ ذلك يعرب عن سقم الرواية وعدم نقلها على الوجه الصحيح، والمنقول صحيحاً هو مـا رواه في باب الذبائح، و من المعلوم انّـه يتضمن أشدّ الطعن على أفضل الخليقة، فالحديث مكذوب.

ثمّ إنّ ابـن حجر رجح الحديـث الأوّل على الثاني، فقـال في شرح الحديث الثاني:

«فقدِّمتْ بضم القاف إلى النبي ﷺ» كذا للأكثر، وفي رواية الجرجاني:فقدَّم إليه النبي ﷺ سفرة (إشارة إلى النقل الأوّل).

قال عياض: الصواب الأوّل.

وقال ابن بطـال: كانت السفرة لقـريش قدمـوها للنبي ﷺ فأبى أن يـأكل منها، فقدّمها النبي ﷺ لزيد بن عمرو فأبى أن يأكـل منها، وقال مخاطباً لقريش: الذين قدموها أوّلاً«إنّا لا نأكل ما ذبح على أنصابكم».

وما قاله محتمل لكن لا أدري من أين له الجزم بذلك؟ فأنّي لم أقف عليه في رواية أحد وقد تبعه ابن المنير في ذلك وفيه ما فيه. [١]

***

ثم إنّ الحديثين المذكـوريـن تحت رقم ٧ و ٨ وإن لم يكـونـا من أحـاديثـه السقيمـة إلاّ أنّ الغـاية مـن نقلهما إلفات نظـر القـارئ إلى مـا في مضمـونهما من الحقائق.

---

١. فتح الباري: ٧/ ١٤٣، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل.

٣٢

جابر بن سمرة

(... ـ ٧٦هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

سلطان إبليس على النبي ﷺ

ابن جنادة بن جندب، له صحبة مشهورة وراوية أحـاديث سكن الكوفة، حدّث عنه الشعبي وتميم بن طرفة، و ابن خاله عامر بن سعد بن أبي وقاص شهد فتح المدائن وخلف من الأولاد خالداً وطلحة وسا لماً.

قال ابن سعد: توفي جابر بن سمرة في ولاية بشر بن مروان على العراق.

وقال خليفة: توفي سنة ٧٦هـ وقيل سنة ٦٦هـ.

وعلى كلّ حال مات قبل جابر بن عبد الله. [١]

وقد جمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ٥٨ حديثاً. [٢]

وعزيت إليه روايات صحيحة وأُخرى سقيمة ولنذكر نماذج.

---

١. أُسد الغابة: ١/ ٢٥٤؛ سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٨٦ برقم ٣٦.

٢. المسند الجامع: ٣/ ٣٥٨ برقم ٧٢.

روائع أحاديثه

١ . أخـرج أحمد، عن علي بـن عمارة، عن جابـر بن سمـرة، قـال: كنت في مجلس فيه النبي ﷺ قال: وأبي سمرة جالس أمامي، فقال رسول الله ﷺ:

إنّ الفحـش والتفحّش ليسـا مـن الإسـلام، وإنّ أحسـن النـاس إسـلامـاً أحسنهم خلقاً. (١)

٢ . أخرج الترمـذي، عن سماك بن حرب، عن جـابر بن سمرة، قـال: قال رسول الله ﷺ: لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدّق بصاع. (٢)

٣ . أخرج مسلم في صحيحه ، عن سماك بن حرب، قال: سمعت جابر عن سمرة، يقول: سمعت رسول الله ﷺ ، يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلىٰ اثني عشرة خليفة، ثمّ قال كلمة لم أفهمها.

قال: قلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلّهم من قريش. (٣)

وقد أخرج مسلم هذه الرواية بأسانيد مختلفة، و للقارئ الكريم أن يتدبر في معنى الرواية حتى يظهر له المراد من هؤلاء الخلفاء الاثني عشر الذين أُنيطت بهم عزة الإسلام، وقد جاءوا واحداً تلو الآخر عبْر الزمان، وهو لا ينطبق إلاّ على الأئمّة الاثني عشر الذيـن أوّلهم علي بن أبي طالب و آخـرهم القائم المهدي ــ عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ والكلام في ذلك ذو شجون. (٤)

وقد عزي إليه ما لا يستقيم مع الضوابط المذكورة.

---

١ . مسند أحمد: ٥/ ٨٩.

٢ . سنن الترمذي: ٤/ ٣٣٧ برقم ١٩٥١.

٣ . صحيح مسلم: ٦/ ٣، باب الناس تبع لقريش.

٤ . انظر كتاب الإلهيات الجزء الثالث للمؤلف.

سلطان إبليس على النبي

أخرج أحمد، عن سماك بن حرب، قال: سمعت جابر بن سمرة، يقول:

صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح، فجعل ينتهر شيئاً قدّامه، فلما انصرف سألناه، فقال: ذلك الشيطان ألقىٰ على قدميّ شرراً من نار ليفتنني عن الصلاة، قال: وقد انتهرته، ولو أخذته لينط إلى سارية من سواري المسجد حتى يطيف به ولدان أهل المدينة. (١)

أقول: إنّ هذا الحديث روي بمضامين مختلفة عزّي إلىٰ أبي سعيد الخدري وأبي هريرة، وقد عرفت ضعفه عند التطرق إلى حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري حيث جاء في حديث الخدري: انّ رسول الله صلّىٰ صلاة الصبح وهو خلفه فقرأ، فلبست عليه القراءة، فلمّا فرغ من صلاته، قال: لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين اصبعي هاتين: الابهام وماتليه، ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة. (٢)

وعلى ضوء هاتين الروايتين كان للشيطان سلطان على النبي ﷺ فتارة يخنقه النبي فيجد برد لعابه بين اصبعيه، و أُخرى ينهره و هو يلقي علىٰ قدميه شراراً من ناره و المضمونان يضادان القرآن الكريم ، قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (النحل/ ٩٩).

وقد أوضحنا حال الرواية غير مرة فلاحظ. (٣)

---

١. مسند أحمد:٥/ ١٠٤.

٢. مسند أحمد: ٦/ ٨٢.

٣. لاحظ سيرة أبي هريرة وأبي سعيد الخدري.

٣٣

عبد الرحمان بن غنم الأشعري

(... ـ ٧٨هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

حديثه السقيم

يهدىٰ إلى النبي ﷺ راوية خمر كل عام

أسلم عبد الرحمان بن غنم الأشعري على عهد رسول الله ﷺ ولم يره ولم يفد إليه ولزم معاذ بن جبل منذ بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن إلى أن مات [معاذ] في خلافة عمر، يعرف بصاحب معاذ لملازمته، وكان أفقه أهل الشام وهو الذي فقّه عامة التابعين بالشام وكانت له جلالة وقدر، وهو الذي عاتب أبا الدرداء وأبا هريرة بحمص إذ انصرفا من عند علي عليه السلام رسولين لمعاوية وكان فيما قال لهما: «عجباً منكما كيف جاز عليكما ما جئتما به، تدعوانِ علياً أن يجعلها شورى وقد علمتما انّه بايعه المهاجرون والأنصار وأهل الحجاز والعراق، وانّ من رضيه خير ممن كرهه، ومن بايعه خير ممن لم يبايعه، وأيّ مدخل لمعاوية في الشورى» ويذمهما على مسيرهما. فتابا منه بين يديه.

توفي عبد الرحمان سنة ٧٨هـ.

روى عنه أبو إدريس الخولاني وجماعة من أهل الشام. [1]

---

١. أسد الغابة: ٣/ ٣١٨.

قـال الذهبي: روى لـه أحمد بن حنبـل في مسنده أحـاديث لكنّهـا مرسلـة ويحتمل أن يكون له صحبة. [١]

وهو مـن المقلّين في الروايـة وقد جمعت أحـاديثه في المسنـد الجامع فبلغت عشرة. [٢]

روائع رواياته

١. أخرج أحمد في مسنده، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمان بن غنم، عن رسول الله ﷺ قال: والـذي نفس محمد بيـده ليبيتنّ نـاس من أُمّتي على أشر، وبطـر، ولعب، ولهو، فيُصبحـوا قِـرَدة وخنازيـر بـاستحـلالهم المحارم والقينـات وشربهم الخمر وأكلهم الربا ولبسهـم الحرير. [٣]

ولعلّ المراد مـن صيرورتهم قردة وخنـازير كـونهم كـذلك نفساً وروحـاً، لا جسماً وصورة.

وله حديث لا يمكن عزوه إلى ذلك الصحابي الجليل.

يُهدى إلى النبيّ ﷺ راوية خمر كلّ عام

أخرج أحمد في مسنده، عن شهر بن حوشب، قال: حدثني عبد الرحمان بن غنم، انّ الدّاريّ كـان يهدي لرسول الله ﷺ كلّ عام راوية مـن خمر، فلما كان عام حرمت، فجاء براوية، فلما نظر إليه نبي الله ﷺ ضحك.

قال: هـل شعرت أنّها قـد حرمت بعـدك؟ قال: يـا رسول الله، أفـلا أبيعها

١. سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٥ برقم ١٠.
٢. المسند الجامع: ١٢/ ٣٥٦ـ٣٦٠.
٣. مسند أحمد: ٥/ ٣٢٩.

فانفع بثمنها؟

فقال رسول الله ﷺ: لعن الله اليهود، انطلقوا إلى ما حُرِّم عليهم من شحوم البقر والغنم فأذابوه، فجعلوه ثمناً له، فباعوا به ما يأكلون، وانّ الخمر حرام وثمنها حرام، وانّ الخمر حرام وثمنها حرام، وانّ الخمر حرام وثمنها حرام. (١)

أقول:إنّ ذيل الرواية يصدّنا عن القول بكونها موضوعة، لأنّ أكثر الروايات تدعمه، إنّما الكلام في صدر الرواية، وانّه كيف يقبل النبي ﷺ كلّ عام راوية من خمر قبل تحريمه، فما ذا كان يصنع بها؟! فهل كان يخلّلها أو انّه يشربها ـ والعياذ بالله ـ و الثاني قطعي الانتفاء والأوّل بعيد جداً.

مضافاً إلى أنّ النبي ﷺ منذ بعث، اشتهر بأنّه يحرّم الخمر .

نقل ابن هشام انّ أعشى بن قيس خرج إلى رسول الله ﷺ يريد الإسلام فقال يمدح رسول الله ﷺ في قصيدة مطلعها:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا   وبتَّ كما بات السَّليمُ مسَّهدا

فلما كان بمكة أو قريباً منها اعترضه بعض المشركين من قريش، فسأله عن أمره، فأخبره انّه جاء يريد رسول الله ﷺ ليُسلم، فقال له: يا أبا بصير: إنّه يحرّم الزنا.

فقال الأعشى: والله انّ ذلك لأمر مالي فيه من أرب.

فقال له: يا أبا بصير، فانّه يحرم الخمر، فقال الأعشى: أمّا هذه فوالله إنّ في النفس منها لعُلالات، ولكني منصرف فأتروّىٰ منها عامي هذا، ثمّ آتيه فأُسلم، فانصرف فمات في عامه ذلك، ولم يعد إلى رسول الله ﷺ. (٢)

---

١. مسند أحمد: ٤/ ٢٢٧.

٢. السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٣٨٦ـ٣٨٨.

روى الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «ما بعث الله نبياً قط، إلاّ وقد علم الله انّه إذا أكمل له دينه كان فيه تحريم الخمر، ولم تزل الخمر حراماً». (١)

وقال الإمـام أبو الحسن الـرضا عليه السلام: «مـا بعث الله نبيـاً قـط إلاّ بتحـريم الخمر». (٢)

ومع هذه القرائن كيف يمكن أن نُصـدِّق بأنّه كان يهدى إلى النبي ﷺ كلّ عام راوية من الخمر وهو يقبلها؟!

١. الكليني، الكافي: ٦/ ٣٩٥، باب انّ الخمر لم تزل محرمة.

٢. الكليني، الكافي: ٢/ ١٤٨، الحديث ١٥.

٣٤

جابر بن عبد الله الأنصاري

(١٦ق.هـ ـ ٧٨هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. افتاء النبي بقتل السارق ثمّ العدول عنه

٢. سبّ النبي و لعنه وجلده زكاة

٣. محمد بن مسلمة قاتل مرحب

٤. طلحة شهيد يمشي على وجه الأرض

٥. الله ليس بأعور

جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان الأنصاري السلمي.

يصفه الذهبي بقوله: الإمام الكبير، المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله، الأنصاري، الخزرجي، السلمي، المدني، الفقيه، من أهل بيعة الرضوان، وكان آخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتاً.

روى علماً كثيراً عن النبي ﷺ وحدّث عنه: ابن المسيب، وعطاء بن أبي رباح، وسالم بن أبي جعد، والحسن البصري، إلى غير ذلك.

وكان مفتي المدينة في زمانه عاش بعد أن عمّر أعواماً مديدة وتفرد، شهد

ليلة العقبة مع والده وكان والده من النقباء البدريين، استشهد يوم أُحد. [١]

قال ابن سعد في طبقاته: ويجعل جابر في الستة نفر الذين أسلموا من الأنصار، أوّل من أسلم منهم بمكة وشهد جابر بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ وقد روىٰ عن رسول الله ﷺ أحاديثه وتوفي وليس له عقب. [٢]

روى الإمام أحمد، عن أبي الزبير، عن جابر، انّه قال: غزوت مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة، قال جابر: لم أشهد بدراً ولا أُحداً منعني أبي، قال: فلما قتل عبد الله يوم أُحد لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة قط. [٣]

قال الذهبي: مات جابر بن عبد الله سنة ٧٨ وهو ابن ٩٤ سنة وكان قد ذهب بصره.

مسنده بلغ ألفاً وخمسمائة وأربعين حديثاً، اتّفق له الشيخان علىٰ ٥٨ حديثاً، وانفرد له البخاري بـ ٢٦ حديثاً، ومسلم بـ ١٢٦ حديثاً.

والعجب انّ ابن سعد وغيره لم يترجموا له ترجمة وافية بحقه، مع أنّهم ربما أطنبوا الكلام فيمن لا يصل إلى منزلة جابر، وأمّا ما هو السبب من وراء ذلك فنحيل دراسته إلى القارئ الكريم.

فلنذكر شيئاً من روائع رواياته ثمّ نعرج إلى السقيمة منها.

روائع رواياته

١. أخرج أحمد، عن أبي الزبير، عن جابر، قال:

---

١. سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٨٩ برقم ٣٨، نقل بتصرف.

٢. طبقات ابن سعد: ٣/ ٥٧٤.

٣. مسند أحمد: ٣/ ٣١٩.

سمعت النبي ﷺ يقول: أفضل الصدقة صدقـة عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلىٰ. (١)

٢. أخرج مسلـم في صحيحه، عن أبي نضرة، قـال: كان ابـن عباس يأمـر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهىٰ عنها.

قال: فذكرت ذلك لجابر بـن عبد الله، فقال: علىٰ يديّ دار الحديث، تمتّعنا مع رسول الله ﷺ فلما قام عمر، قال: إنّ الله يحل لرسوله ما شاء بما شاء، وإنّ القرآن قد نزل منازله، فأتمو الحجّ والعمرة لله كما أمركم الله .

وأبتّـوا نكاح هـذه النسـاء فلن أُوتى بـرجل نكح امـرأة إلىٰ أجل إلاّ رجمتـه بالحجارة. (٢)

أقول: الرواية ناظرة إلى متعتين:

الأُولى: متعة الحجّ، وإليه يشير قول جابر: «تمتعنا مع رسول الله».

الثانية: متعة النساء وإليه يشير قول الخليفة «وابتوا نكاح هذه النساء...».

وربما يلتبس على البعض معنى «المتعتين» نقوم بتوضيحها فنقول:

أمّا الأُولى فهي عبارة عن الإتيان بالعمرة في أشهر الحجّ ثمّ الحجّ، من عامه بفصل العمـرة عن الحج بالتمتـع بينهما. وقد كـان عمر بن الخطـاب يرغـب عن التمتع بين العمرة والحج.

فعن أبي مـوسى الأشعـري انّه كـان يفتي بـالمتعة، فقـال له رجل: رويـدك ببعض فتيـاك، فانّك لا تدري مـا أحدث أمير المؤمنين في النسك بعـدك، حتى لقيه(أبو موسىٰ) بعدُ فسأله عن ذلك.

---

١. مسند أحمد: ٣/ ٣٣٠.

٢. صحيح مسلم: ٤/ ٣٨، باب في المتعة بالحج والعمرة.

فقال عمر: قد علمت انّ النبي ﷺ قد فعله هو وأصحابه، ولكن كرهت أن يظلّوا بهنَّ معرِّسين في الأراك ثمّ يروحون بالحجّ تقطر رؤوسهم. [١]

وعن أبي موسى من طريق آخر، انّ عمر قال: هي سنّة رسول الله ــ يعني المتعة ـ و لكنّي أخشىٰ أن يعرسوا بهنّ تحت الأراك ثمّ يروحوا بهنّ حجاجاً. [٢]

وقد جاء في مصادر الشيعة أوضح من ذلك. روى الشيخ المفيد (٣٣٦ـ٤١٣ هـ) في إرشاده صورة ما دار ما بين النبي ﷺ و عمر من الحوار.

قال النبي ﷺ: «من لم يَسُق منكم هدياً فليحلّ وليجعلها عمرة (أي فليقصر أي يأخذ من شعره وظفره فيحل له ما حرم له بالإحرام) و من ساق منكم هدياً فليقم علىٰ إحرامه».

فالتفت النبي ﷺ إلىٰ عمر، وكان ممن بقي علىٰ إحرامه، وقال: ما لي أراك يا عمر محرماً أسُقْتَ هدياً؟

قال عمر: لم أسُق.

فقال النبي ﷺ: فلم لا تُحل، وقد أمرتُ من لم يسق الهدي بالإحلال؟

قال عمر: والله يا رسول الله لا أحللت وأنت محرم.

وكان عمر يستغرب الإحلال ويقول: كيف تقطر رؤوسنا من الغسل و نحن زوار البيت. [٣]

وأمّا استدلال الخليفة على الوصل بين العمرة والحجّ. بقوله سبحانه: ﴿وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالْعُمْرَةَ للهِ﴾ (البقرة / ١٩٦) فغير تامّ و الآية أجنبية عمّا يرومه،

---

١. مسند أحمد: ١/ ٥٠.

٢. مسند أحمد: ١/ ٤٩.

٣. الارشاد، ص٩٣.

وذلك لأنّها بصـدد بيان إكمال كلّ من الفـريضتين لله سبحانـه، والإتيان بهما علىٰ وجه قربي، وأين هو من وصل إحداهما بالآخر؟

هذا ما يرجع إلى الأوّل من الرواية.

وأمّا **الثانية** وهي قوله: «ابتّوا نكاح هـذه النساء فلن أُوتى برجل نكح امرأة إلىٰ أجل إلاّ رجمته بـالحجـارة» فهو راجـع إلى متعـة النساء التـي ورد فيها قـولـه سبحانه: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ (النساء/ ٢٤).

وقد اشتهـر من الخليفة قوله: يـا أيّها الناس ثلاث كنَّ علىٰ عهـد رسول الله وأنا أنهى عنهنَّ وأُحـرمهنَّ وأُعاقب عليهنَّ: متعة النسـاء، ومتعة الحجّ، وحيّ علىٰ خير العمل. (١)

وبما ذكـرنا يظهـر الخلل فيما جـاء به النـووي في شرح صحيح مسلم عنـد تفسير الرواية حيث ذكـر في تفسيره وجهين: ١. فسخ الحج إلى العمرة، ٢. العمرة في أشهر الحجّ ثمّ الحجّ من عامه. (٢)

والثاني هـو المتعين لكن بإضافـة «والتمتع بين العمرة والحجّ بـالتحلل من محرماتها».

٣. أخرج ابن خزيمـة، عن محمد بن المنكدر، عن جابـر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة، ولا يصعد لهم حسنة: العبد الآبق حتى يرجـع إلى مواليه فيضع يـده في أيديهم، والمرأة الساخط عليهـا زوجها حتىٰ يرضى، و السكران حتى يصحو. (٣)

---

١. مفاتيح الغيب: ١٠/ ٥٢ـ ٥٣؛ القوشجي، شرح التجريد: ٤٨٤ طبع إيران.

٢. لاحظ شرح صحيح مسلم للنووي: ٨/ ٤١٨، الباب ١٨ ، باب في المتعة.

٣. مسند ابن خزيمة: ٢/ ٦٩ برقم ٩٤٠.

٤. أخرج مسلم في صحيحه، عن عمرو بن دينـار، انّه سمع جابر بن عبد الله، يقول: نهىٰ رسول الله عن بيع الثمر حتى يبدو صلاحه. (١)

٥. أخرج النسائي في سننه، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قضىٰ رسول الله ﷺ بالشفعـة في كلّ شركة لم تُقْسم رَبْعَـة، وحائط لا يحل له أن يبيعـه حتى يؤذن شريكه، فإن شاء أخذ وإن شاء ترك وإن باع ولم يؤذنه فهو أحقّ به. (٢)

٦. أخرج أحمد في مسنده، عن أبي الزبير، عن جابر: انّ رسول الله ﷺ قال: من أحيا أرضاً ميتة فله فيها أجر، وما أكلت العافية منها فهو له صدقة. (٣)

٧. أخرج ابن ماجة، عن عمر بن دينار، عن جابر بن عبد الله، انّ امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت: إنّ أُمّي تُوفّيت وعليها نـذر صيام، فتوفيت قبل أن تقضيه، فقال لها رسول الله ﷺ: ليصم عنها الولي. (٤)

٨. أخرج أحمد عن سليمان بن مـوسى، قال: قال جابـر: قال النبي ﷺ: لا وفاء لنذر في معصية الله. (٥)

٩. أخرج مسلم عن الأمير، عـن جابر: انّ امرأة من بنـي مخزوم سرقت، فأُتي بها النبي ﷺ فعـاذت بأُمّ سلمـة زوج النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: والله لو كـانت فاطمة لقطعت يدها، فقطعت. (٦)

١٠. أخرج أحمد في مسنده، عن أبي الزبير، عن جابر عن رسول الله ﷺ: انّه

---

١. صحيح مسلم: ٥/ ١٢، باب النهي عن بيع الثمار قبل بدو صلاحها من كتاب البيوع.
٢. سنن النسائي: ٧/ ٣٢٠.
٣. مسند أحمد: ٣/ ٣٥٦.
٤. سنن ابن ماجة: ١/ ٦٨٩ برقم ٢١٣٣.
٥. مسند أحمد: ٣/ ٢٩٧.
٦. صحيح مسلم: ٥/ ١١٥، باب قطع السارق الشريف من كتاب الحدود.

قال : لكلّ داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عزّ وجلّ. (١)

١١. أخرج مسلم في صحيحه عن أبي الزبير، عن جابر، قال: اقتتل غلامان، غلام من المهاجرين، وغلام من الأنصار.

فنادى المهاجر أو المهاجرون: يا للمهاجرين، ونادى الأنصاري: يا للأنصار.

فخرج رسول الله ﷺ فقال: ما هذا دعوىٰ أهل الجاهلية؟!

قالوا: لا، يا رسول الله إلاّ أنّ غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر، قال: فلا بأس ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فلينهه فانّه له نصر، وإن كان مظلوماً فلينصره. (٢)

١٢. أخرج الترمذي عن أبي بكر المنكدر، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاث من كنّ فيه ستر الله عليه كنفه، وأدخله جنته: رفق بالضعيف، وشفقة على الوالدين، وإحسان إلى المملوك. (٣)

هذه نخبة من روائع أحاديثه، وما أكثرها، وعزيت إليه روايات لا تصح نسبتها إلى ذلك الصحابي الجليل، وإليك دراستها.

١. إفتاء النبي بقتل السارق ثمّ العدول عنه إلى القطع

أخرج النسائي في سننه، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: جيء بسارق إلى رسول الله ﷺ فقال: اقتلوه، فقالوا: يا رسول الله إنّما سرق، قال: اقطعوه، فقطع.

---

١. مسند أحمد: ٣/ ٣٣٥.

٢. صحيح مسلم: ٨/ ١٩، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً من كتاب البر والصلة والآداب.

٣. سنن الترمذي: ٤/ ٦٥٦ برقم ٢٤٩٤.

ثمّ جيء به الثانية، فقال: اقتلوه، فقالوا: يا رسول الله إنّما سرق، قال: اقطعوه، فقطع.

فأتي به الثالثة، فقال: اقتلوه، قالوا: يا رسول الله إنّما سرق، فقال: اقطعوه ثمّ أتى به الرابعة، فقال: اقتلوه، قالوا: يا رسول الله إنّما سرق، قال: اقطعوه فأتىٰ به الخامسة، قال: اقتلوه.

قال جابر: فانطلقنا به إلىٰ مربد النعم وحملناه فاستلقىٰ على ظهره ثمّ كشر بيديه ورجليه فانصدعت الإبل، ثمْ حملوا عليه الثانية، ففعل مثل ذلك، ثمّ حملوا عليه الثالثة فرميناه بالحجارة فقتلناه، ثمّ ألقيناه في بئر ثمّ رمينا عليه بالحجارة. [1]

وهناك إشكال واضح يوجب سقوط الحديث عن الحجّية مضافاً إلى ما في كيفية القتل من القساوة التي لا يرضى بها نبيّ الرحمة، وهو انّ النبي ﷺ ـ حسب الرواية ـ أفتىٰ بقتل السارق أربع مرات وفي الوقت نفسه لما أُخبر بأنّه سرق أفتىٰ بالقطع، وعندئذٍ يُطرح السؤال التالي وهو انّ النبي ﷺ قد أفتىٰ بالقتل أربع مرّات، فهل ثبت عنده ما يوجب القتل بشهادة الشهود العدول أو لا؟

فعلى الأوّل لماذا عدل عن الحكم بالقتل إلى القطع، وعلى الثاني يلزم الإفتاء بالقتل قبل التثبت وهو أمر لا يليق أن ينسب إلى القاضي العادل فضلاً عن النبي المعصوم.

فإن قيل قد أفتى بالقتل بعد الثبوت ولكن تبين فسق الشهود وزيف شهادتهم، فلذلك عدل بالقتل بعد ثبوت سببه.

يلاحظ عليه: ـ مضافاً إلى بُعد تبين فسق الشهود متتابعاً ـ أنّه ﷺ لماذا لم

---

١. سنن النسائي: ٧/ ٩٠، باب قطع اليدين والرجلين من السارق؛ وسنن أبي داود: ٤/ ١٢٤ برقم ٤٤١٠.

يعـزّر الشهود أوّلاً ؟ وأخـذ بقـولهم في المراتب اللاحقـة أيضـاً كلّ ذلك يـؤدي إلى سقـوط الـرواية عـن الحجّية وانّـه لا يليـق بساحـة النبي المعصـوم ولا القـاضي العادل.

ولحن الحديث أشبه بكلام قاض متساهل لا يقيم لدم الإنسان قدراً وقيمة، فيحكم بـالقتـل قبل السـؤال والتريث، ولما الفـت نظره إلى فقـدان سبـب القتل ووجود سبب القطع، حكم بالثاني.

هذا هو الإشكال الواضح في الرواية.

والعجـب انّ شرّاح الحديث لم يلتفتـوا إلى ذلـك وإنّما ركـزوا البحـث على الخامسة بتصور انّـه لا يباح دم السارق وإن تتكررت منه السرقـة و ربما يوجه بأنّ الحديث مخرج على مذهب مالك وهو أن يكـون السارق الوارد فيها من المفسدين في الأرض فانّ للإمام أن يجتهـد في عقوبته و إن زاد على مقدار الحد، وإن رأى أن يقتل قتل، وربما يوجه بوجه آخر وهو إن قتلـه في الرابعة ليس حداً وإنّما هو تعزير بحسب المصلحة وعلى هذا يتخرج حديث الأمر بقتل السارق. (١)

وهناك وجه آخر وهو انّ السارق في المرتبة الرابعة إذا سرق في السجن يقتل، وهو المروي عن الإمام الصادق عليه السلام ، قال: إذا أخذ السارق قُطعت يده من وسط الكف، فـإن عاد قطعت رجلـه من وسط القـدم فإن عـاد استودع السجـن، فإن سرق في السجن قتل. (٢)

والمهم هو الإشكال الأوّل.

---

١. عون المعبود في شرح سنن أبي داود: ١٢/ ٩٧ برقم ٤٣٨٧.

٢. وسائل الشيعة: ٨/ ٩٣، الباب الخامس من أبواب حدّ السّرقة، الحديث ٤.

٢. سبُّ النبي ﷺ ولعنه وجلده زكاة للمسبوب و ...

أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي سفيان، عن جابر، عن النبي ﷺ قال:

اللّهمّ إنّما أنا بشر، فأيّما رجل من المسلمين سببتُه، أو لعنتُه أو جلدُته فاجعلها له زكاة وأجراً. (١)

أقول: كيف تصح نسبة السبّ إلى النبيّ ﷺ مع أنّه قال: «سباب المسلم فسوق» و هو أرفع من أن يكون سبّاباً، وأدبه يأبى ذلك؟!

و مع غض النظر عن ذلك نقول: إنّ صدور السبّ واللعن والجلد لا يخلو عن حالتين:

الأُولى : أن يكون المسبوب والمجلود والملعون مستحقاً لذلك الفعل فالقيام بمثل ذلك العمل فريضة إلهية جعلت علىٰ عاتق النبي ﷺ وعلى القائم مقامه بعده، ومثل هذا ـ لو جاز ـ لا يحتاج إلى الاعتذار كما هو ظاهر الحديث، ولا يحتاج إلى أن يقول إنّما أنا بشر.

مثلها ما إذا لم يكن مستحقاً لذلك عند الله وفي واقع الأمر ولكن قامت الأمارة الشرعية على الاستحقاق في الظاهر، والنبي ﷺ مأمور بالحكم بالظاهر والله يتولّى السرائر، فعندئذٍ الذي يتولّى كبره هو شاهد الزور، لا القاضي فلا وجه للاعتذار.

الثانية: ما إذا لم يكن هناك مسوغ لهذه الأعمال لا واقعاً ولا ظاهراً، وإنّما قام الفاعل بذلك متأثراً عن قوى حيوانية وهذا هو المتبادر من الرواية بشهادة قوله «إنّما أنا بشر» ولازم ذلك أن يكون النبي فاحشاً ولعّاناً وسبّاباً و ... مع أنّه ﷺ منزه

---

١. صحيح مسلم: ٨/ ٢٥، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبّه أو دعا عليه.

عن هذه العيوب.

أخرج البخاري بسنده عن أنس، قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا لعاناً ولا سبّاباً، إلى غير ذلك من الروايات. (١)

وقد ذُكر احتمال آخر لتصحيح الرواية وهو انّ المراد من سبّه ودعائه ما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نيّة كقوله: «تربت يمينك و عقري حلقي»، وفي هذا الحديث «لا كبرت سنك» وفي حديث معاوية «لا أشبع بطنه» ونحو ذلك لا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء، فخاف ﷺ أن يصادف شيء من ذلك أجابة فسأل ربّه سبحانه وتعالى ورغّب إليه في أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهوراً وأجراً. (٢)

يلاحظ عليه: أنّه على خلاف الظاهر أوّلاً، والنبيّ المعصوم أجلّ شأناً من أن يحوم حول اللغو العبث ثانياً وعلى فرض كونه المراد فالله سبحانه حكيم لا يؤاخذ من دعا عليه النبي ﷺ بلا جدٍ و نية حتى يسأله النبي ﷺ جعل دعائه عليهم زكاة وأجراً.

ولعلّ مصدر الرواية هو أبو هريرة ومنه انتشرت الرواية.

روى مسلم عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال، قال رسول الله ﷺ:

إنّما أنا بشر فأيّما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعل له زكاة و رحمة. (٣)

وقد تقدم عند دراسة أحاديث أبي هريرة انّ الحديث موضوع لغاية ابراء مروان بن الحكم وأبيه وبنيهما الملعونين على لسان رسول الله. فلاحظ.

---

١. البخاري: الأدب المفرد: ١٥٤ برقم ٤٣٠.

٢. شرح صحيح مسلم: ١٦/ ٣٨٩ـ٣٩٠.

٣. صحيح مسلم: ٨/ ٢٥، باب من لعنه النبي أو سبّه أو دعا عليه.

٣. محمد بن مَسْلَمة قاتل مرحب

أخرج الإمام أحمد، عن عبد الله بن سهل بن عبد الرحمان بن سهل أخي بني حارثة، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: خرج مرحب اليهودي من حصنهم، قد جمع سلاحه يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر انّي مرحب   شاكي السلاح بطل مجرب

أطعن أحياناً وحيناً أضرب   إذ الليوث أقبلت تلهب

كان حماي لحمى لا يقرب

وهو يقول: هل من مبارز؟ فقال رسول الله ﷺ: من لهذا؟ فقال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، وأنا والله المأثور الثائر، قتلوا أخي بالأمس، قال: فقم إليه، اللّهمّ أعنه عليه، فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عمرية من شجر العشر، فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه، كلما لاذ بها منه اقتطع بسيفه ما دونه، حتى برز كلّ واحد منهما لصاحبه، وصارت بينهما كالرجل القائم، ما فيها فنن، ثمّ حمل مرحب على محمد فضربه، فاتقى بالدَّرقة فوقع سيفه فيها، فعضّت به، فأمسكه وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله. [١]

إنّ الرواية لا تتفق مع التاريخ الصحيح الذي اتّفق عليه علماء كلا الفريقين كابن هشام في سيرته [٢] والطبري في تاريخه [٣] وابن الأثير في كامله [٤] والواقدي في مغازيه. [٥]

---

١. مسند أحمد: ٣/ ٣٨٥.
٢. السيرة النبوية لابن هشام: ٣/ ٣٤٩.
٣. تاريخ الطبري: ٢/ ٢٣٣.
٤. ابن الأثير الكامل في التاريخ: ٢/ ٢٢٠ـ٢٢٢.
٥. الواقدي، المغازي: ٢/ ٦٥٣.

أخرج مسلم في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسبَّ أبا تراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً، قالهنَّ له رسول الله ﷺ فلن أسبَّه، لئن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليَّ من حمر النِّعم.

ثمّ ذكر من هذه الثلاثة قوله:

وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطينّ الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، قال: فتطاولنا لها، فقال: ادعو لي علياً فأُوتي به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه. [1]

إنّ القول بأنّ ابن مَسْلمة هو الذي قتل مرحباً من الوهن بمكان لا يقاوم ما اشتهر في التاريخ الإسلامي، لأنّ محمد بن مسلمة لم يكن ذلك الرجل الشجاع، والبطل الصنديد الذي تؤهله شجاعته لأن يكون فاتح خيبر وقاتل بطلها الأكبر، فانّ التاريخ لا يذكر له موقفاً بارزاً من بطولته وشجاعته.

فقد كُلّف في السنة الثالثة من قبل النبي ﷺ بأن يغتال كعب بن الأشرف الذي حرّك المشركين واليهود ضد الإسلام عقب معركة بدر الكبرى.

وقد بقي ثلاثة أيام بلياليها لا يطعم شيئاً خوفاً، فأنكر عليه رسول الله ﷺ خوفه و سأله عن سبب ذلك، فقال: يا رسول الله قلت لك قولاً لا أدري هل أفينَّ به أم لا؟

فلمّا رأى رسول الله ﷺ عنه ذلك أرسل معه أربعة رجال ليعينوه على هذه المهمة ويتخلّصوا من كعب.

فخرجوا إليه في منتصف الليل وقتلوا عدو الله كعباً وفق خطة مدروسة،

---

١. صحيح مسلم: ٧/ ١٢٠، باب مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولكن محمد بن مسلمة جَرح أحدَ رفاقه من شدة الخوف والوحشة التي أصابته.

نقل ابن هشام في سيرته عن محمد بن مسلمة انّه قال:

وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ، فجرح في رأسه أو في رجله، أصابه بعض أسيافنا. [١]

ولا شكّ انّ مثل هذا الشخص لا يمكنه أن يبارز صناديد «خيبر» المعروفين وينازلهم.

على أنّ فاتح خيبر لم يقاتل مرحباً وحده بل قاتل بعد مصرع مرحب من كانوا معه من شجعان اليهود، وإليك أسماء الذين قاتلهم عليّ عليه السلام بعد قتل مرحب:

١. داود بن قابوس، ٢. ربيع بن أبي الحُقيق، ٣. أبو البائث، ٤. مرّة بن مروان، ٥. ياسر الخيبري، ٦. ضحيج الخيبري.

وكلّ هؤلاء قاتلهم علي خارج حصن خيبر، فكيف يمكن أن ينفرد محمد بن مسلمة بقتل مرحب، ويترك نزال الآخرين لعلي عليه السلام؟ إذ لا يمكن لشجاع أن يرجع إلى معسكره إلاّ بعد أن يخضّب سيفه بدماء الأبطال واحداً تلو الآخر.

هذا وانّ أبناء الدنيا حاولوا أن يسلبوا تلك المنقبة الثابتة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، ولكنّه سبحانه جرت سنته تعالى علىٰ ابطال تلك الخطط الشيطانية، ولذلك ملأت الخافقين فضائله ومناقبه بعدما منع نقلها ونشرها أحقاب متتالية، و من خططهم الشيطانية، نقل هذه الرواية على لسان جابر بن عبد الله، المعروف بالولاء لعلي وأهل بيته عليهم السلام وإلى الله المشتكىٰ.

---

١. السيرة النبوية لابن هشام: ٣/ ٥٦.

٤. طلحة شهيد يمشي علىٰ وجه الأرض

أخرج الترمذي في سننه، عن أبي نضرة، قال: قال جابر بن عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سرّه أن ينظر إلى شهيد يمشي علىٰ وجه الأرض فلينظر إلىٰ طلحة بن عبيد الله. (١)

أقول: ما هو الملاك في تسمية طلحة شهيداً يمشي علىٰ وجه الأرض أكان جهاده في سبيل الله؟ فلم يكن هذا سمة خاصة به وقد شاركه فيها علي بن أبي طالب والزبير وسعد بن أبي وقاص وأبو دجانة وغيرهم من الأنصار.

أو كان الملاك انّه وقىٰ بيده رسول الله يوم أُحد فصارت شلاء؟

روى ابن ماجة عن قيس، قال: رأيت يد طلحة شلاء وقىٰ به رسول الله يوم أُحد. (٢)

ومعنى ذلك أن يصحّ تسمية كلّ من نقص منه عضو في سبيل حفظ الرسول بالشهيد، وهذا ممّا لا يقبله الذوق السليم.

وعلى كلّ تقدير فهذه الرواية لا تضفي على الرجل ثوب العصمة والعدالة ولا تجعله في عداد الشهداء بعدما حارب الإمام المفترضة طاعته.

والعجب انّ بعض هذه الروايات تنتهي إلىٰ معاوية بن أبي سفيان.

أخرج ابن ماجة عنه، قال: نظر النبي ﷺ إلىٰ طلحة، فقال: هذا ممّن قضىٰ نحبه. (٣)

---

١. سنن الترمذي: ٥/ ٦٤٤ برقم ٣٧٣٩؛ وأخرجه أيضاً ابن ماجة في سننه: ١/ ٤٦ برقم ١٢٥.

٢. سنن ابن ماجة: ١/ ٤٦ برقم ١٢٨.

٣. سنن ابن ماجة: ١/ ٤٦ برقم ١٢٧.

٥. الله ليس بأعور

أخرج أحمد في مسنده، عن زيد بن أسلم، عن جـابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: ما كانت فتنة ولا تكون حتى تقوم الساعة أكبر من فتنة الدجال ولا من نبي إلاّ وقد حذَّر أُمّته، ولاخبرنّكم بشيء مـا أخبره نبيّ أُمّته قبلي، ثمّ وضع يده على عينه، ثمّ قال: اشهد انّ الله عزّ وجلّ ليس بأعور. [١]

وقد تكلمنا حول هذا الموضوع في عدّة مواضع فلاحظ.

٣٥

أبو أمامة الباهلي

(...ـ ٨١هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. مجيئ الأُمّة يوم القيامة غرّاً محجلين.
٢. ملك الموت لا يقبض شهيد البحر.
٣. مشاهدات النبي في الجنّة.
٤. لا وصية لوارث.
٥. النهي عن السياحة.

صُدي بن عجلان بن الحارث، أبو أمامة الباهلي السهمي، غلبت عليه كنيته سكن «حمص» من الشام، روى عنه : سليمان بن عامر الجنائزي، والقاسم أبو عبد الرحمان، وأبو غالب خرورّ وشرحبيل بن مسلم، ومحمد بن زياد الالهاني وغيرهم.

روى سليمان بن حبيب المحاربي، قال: دخلت مسجد «حمص» فإذا مكحول وابن أبي زكريا جالسان، فقال مكحول: لو قمنا إلىٰ أبي امامة صاحب رسول الله ﷺ فأدّينا من حقّه وسمعنا منه، قال: فقمنا جميعاً حتى أتيناه فسلّمنا عليه فردّ السلام، ثمّ قال: إنّ دخولكم عليَّ رحمة لكم وحجّة عليكم ولم أر رسول الله ﷺ من شيء أشدّ خوفاً علىٰ هذه الأُمّة من الكذب والعصبية، ألا وإيّاكم والكذب والعصبية، ألا وانّه أُمرنا أن نبلغكم ذلك عنه، ألا وقد فعلنا فأبلغوا عنّا

ما قد بلغناكم. [١]

وقال ابـن الأثير في فصل الكنىٰ: أخبر فضـال بن جبير، قال: سمعـت أبا أمامة البـاهلي، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اكفلـوا لي ست، أكفل لكم بالجنة، إذا حدَّث أحدكم فلا يكذب، وإذا ائتُمن فلا يخن، وإذا وَعد فلا يُخلف، غضُّوا أبصاركم، وكفُّـوا أيديكم، واحفظُوا فروجكم. وهو آخر مـن مات بالشام من أصحاب النبي ﷺ في قول بعضهم. [٢]

وفي قول آخر: آخرهم موتاً بالشام عبد الله بن بشر.

قال ابن سعد: قال أبو امامة: شهدت صفين فكانوا لا يجهزون علىٰ جريح، ولا يطلبون مولّياً، ولا يسلبون قتيلاً.

ونقل انّـه توفي بالشـام سنة ٨٦ في خـلافة عبـد الملك بن مروان، وهـو ابن احدىٰ وستين. [٣]

وما ذكره محرّف قطعاً فقد روى الذهبي عن سليم بن عامر، قال: سمعت أبا امامة يقول: سمعت النبي يقول في حجَّـة الوداع. قلت لأبي امامة: مثْل من أنت يومئذٍ؟ قال: أنا يومئذ ابن ثلاثين سنة. [٤]

ولو قلنا انّه توفي في سنة ٨١هـ يكون حينئذٍ هو ابن ١٠١ ، ولو قلنا بالقول الآخر يكون ١٠٦ سنين لا إحدى و ستين. وقد جمعـت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ١٦١ حديثاً [٥]، وإليك شيئاً من محاسن رواياته.

---

١. أُسد الغابة: ٣/ ١٦.

٢. أُسد الغابة: ٥/ ١٣٨.

٣. طبقات ابن سعد: ٧/ ٤١١ـ ٤١٢.

٤. سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٦٠.

٥. المسند الجامع: ٧/ ٤٨١.

روائع أحاديثه

١. أخرج أحمد في مسنده، عن زيد بن سلام، عن جدّه، قال: سمعت أبا أُمامة، يقول: سأل رجل النبي ﷺ فقال: ما الإثم؟ فقال: إذا حكّ في نفسك شيء فدعْه، قال: فما الإيمان؟ قال: إذا ساءتك سيّئتك، وسرّتك حسنتك، فأنت مؤمن.[١]

ويؤيده قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطان تَذَكّروا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُون﴾ (الأعراف/ ٢٠١).

٢. أخرج أبو داود في سننه، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن رسول الله ﷺ، انّه قال: «من أحبّ لله وأبغض لله وأعطىٰ لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان».[٢]

٣. أخرج ابن خزيمة، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي أُمامة الباهلي، عن رسول الله ﷺ قال: عليكم بقيام الليل، فانّه دأبُ الصّالحين قبلكم، وهو قربة لكم إلىٰ ربّكم، ومكفِّرة للسّيّئات، ومنهاة عن الإثم.[٣]

ويؤيده قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ (المزمل/ ٦).

٤. أخرج مسلم في صحيحه، عن عكرمة بن عمار، حدّثنا شداد، قال: سمعت أبا أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: يا ابن آدم، انّك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شرّ لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السُّفلىٰ.[٤]

---

١. مسند أحمد: ٥/ ٢٥١.

٢. سنن أبي داود: ٤/ ٢٢٠ برقم ٤٦٨١.

٣. المسند الجامع: ٧/ ٤٠٧ برقم ٥٢٤٩.

٤. صحيح مسلم: ٣/ ٩٤، باب النهي عن المسألة من كتاب الزكاة.

٥. أخرج ابن ماجة في سننه، عن القاسم، عن أبي امامة، عن النبي ﷺ أنّه كان يقول: ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خير له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرّته، وإن أقسم عليها أبرّته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله. [١]

٦. أخرج ابن ماجة في سننه، عن عبيد الله الافريقي، عن أبي أمامة، قال: نهىٰ رسول الله ﷺ عن بيع المغنّيات وعن شرائهنّ وعن كسبهنّ وعن أكل أثمانهنّ. [٢]

٧. أخرج أحمد في مسنده، عن القاسم، عن أبي أمامة، انّ رسول الله ﷺ قال: من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلاّ لله، كان له بكلّ شعرة مرّت عليها يده حسنات، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده، كنت أنا وهو في الجنة كهاتين، وفرّق بين اصبعيه السبّاحة والوسطى. [٣]

٨. أخرج أحمد في مسنده عن محمد بن زياد الالهاني، قال: سمعت أبا أمامة، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يوصي بالجار حتى ظننت انّه سيورّثه. [٤]

٩. أخرج البخاري في الأدب المفرد، عن القاسم بن عبد الرحمان، عن أبي أمامة، انّ رسول الله، قال: من لم يرحم صغيرنا ويُجلّ كبيرنا، فليس منّا. [٥]

١٠. أخرج ابن ماجة في سننه، عن القاسم، عن أبي أمامة: انّ رجلاً، قال: يا رسول الله، ما حقُّ الوالدين على ولدهما؟ قال: هما جنّتُك ونارك. [٦]

---

١. سنن ابن ماجة: ١/ ٥٩٦ برقم ١٨٥٧.
٢. سنن ابن ماجة: ٢/ ٧٣٣ برقم ٢١٦٨.
٣. مسند أحمد: ٥/ ٢٥٠.
٤. مسند أحمد: ٥/ ٢٦٧.
٥. الأدب المفرد: ١٣٠ برقم ٣٥٨.
٦. سنن ابن ماجة: ٢/ ١٢٠٨ برقم ٣٦٦٢.

١١. أخرج ابن ماجة في سننه، عن القاسم، عن أبي امامة، قال: قال رسول الله ﷺ:... العالم والمتعلم شريكان في الأجر ولا خير في سائر الناس. [١]

١٢. أخرج ابن ماجة في سننه، عن أبي غـالب، عن أبي أمامة، قال: عرض لـرسـول الله رجل عنـد الجمرة الأُولى، فقـال: يـا رسـول الله: أي الجهـاد أفضل؟ فسكت عنـه، فلما رأى الجمرة الثـانية سـأله، فسكـت عنه، فلما رمىٰ جمرة العقبـة وضع رجله في الغرز ليركب، قال: أين السائل؟ قال: أنا يا رسول الله، قال: كلمة حقّ عند ذي سلطان جائر. [٢]

١٣. أخرج أحمد في مسنـده، عن سليم بن عامـر، عن أبي أمامـة، قال: إن فتىٰ شابّـاً أتى النّبيّ ﷺ فقال: يـا رسول الله: ائذن لي بـالزّنـا، فأقبل القـوم عليه فزجروه، وقالوا: مه، مه، فقال: ادنـه، فدنا منه قريباً، قال: فجلس قال ﷺ : أتحبه لأُمّك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا النّـاس يحبونه لأُمهاتهم، قال : أفتحبُّه لابنتك؟ قـال: لا والله، يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قـال: ولا الناس يحبونه لبنـاتهم، قال: أفتحبه لأُختك؟ قال: لا والله، جعلنـي الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم ، قـال: أفتحبّه لعمتّك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبُّـونه لعمّاتهم، قال: أفتحبّه لخالتـك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قـال: ولا الناس يحبّـونه لخالاتهم، قـال: فوضع يـده عليه، وقـال: اللّهـمّ اغفـر ذنبـه، وطهّر قلبـه، وحصِّـن فرجـه، فلـم يكن بعـد ذلك الفتـى يلتفت إلى شيء. [٣]

هذه نماذج من روائع أحـاديثه التي يشهـد شموخ مضامينهـا علىٰ صحتها

---

١. سنن ابن ماجة: ١/ ٨٣ برقم ٢٢٨.

٢. سنن ابن ماجة. ٢/ ١٣٣٠ برقم ٤٠١٢.

٣. مسند أحمد:٥/ ٢٥٦.

ومع ذلك فقد عزيت إليه روايات سقيمة لا تخلو عن إشكال ووهن لكونها مخالفة للكتاب والسنّة أو الموازين الأُخرى التي أوعزنا إليها في صدر الكتاب وإليك بعض ما وقفنا عليه:

١. مجيء الأُمّة يوم القيامة غرّاً محجّلين

أخرج أحمد في مسنده، عن أبي عتبة الكندي، عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: ما من أُمّتي أحد إلاّ وأنا أعرفه يوم القيامة، قالوا: يا رسول الله، من رأيت ومن لم تر ؟ قال: من رأيت ومن لم أر غرّاً محجّلين من أثر الطهور. [١]

إنّ قوله: «ما من أُمّتي أحد إلاّ وأعرفه» من الصيغ التي تفيد العموم أوّلاً، والحصر ثانياً، وعلى ضوء ذلك يدل الحديث على أنّ النبي ﷺ يعرف جميع أُمّته، وآية عرفانه كونهم غرّاً محجلين من أثر الطهور مع أنّ تلك العلامة، ليست عامة، بل تختصّ بطائفة من الأُمّة وهم المتطهرون المصلون، فكيف يعرف النبي ﷺ جميع الأُمّة بعلامة في جبين طائفة منهم.

ولا محيص في تصحيح الرواية عن حمل الفقرة الأُولىٰ من الحديث على المصلّين المتطهّرين، فيكون معنى قوله: «ما من أُمتي»، أي ما من أُمّتي الذين يتطهرون ويصلون أحد إلاّ وأنا أعرفه، وهو خلاف الظاهر، ولعلّ الحديث لم ينقل صحيحاً.

٢. ملك الموت لا يقبض شهيد البحر

أخرج ابن ماجة في سننه، عن سليم بن عامر، قال: سمعت أبا أمامة، يقول: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: شهيد البحر مثل شهيدي البرّ و المائد في

---

١. مسند أحمد: ٥/ ٢٦١.

البحر كا لمتشحِّط في دمه في البرّ، وما بين الموجتين كقـاطع الدُّنيا في طاعة الله، وانّ الله عـزّ وجـلّ وكّل ملـك الموت بقبـض الأرواح إلاّ شهيـد البحـر، فـانّــه يتـولّى قبض أرواحهـم. ويغفر لشهيـد البرّ الـذنـوب كلّها إلاّ الـدَّيْـن، ولشهيد البحـر الذُّنوب والدَّين. [1]

يلاحظ عليه: كيف أنّـه سبحانـه يتولّـى قبض أرواحهم، مـع أنّه سبحـانه يقول: ﴿قُلْ يَتَـوفّـاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ الَّـذِي وُكِّـلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلىٰ رَبِّكُـمْ تُرْجَعُـونَ﴾ (السجدة/ ١١).

يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ تَتَوفّاهُمُ المَلائِكَةُ ظالِمي أَنْفُسِهِمْ﴾ (النحل/ ٢٨).

وقال سبحانه: ﴿الَّذِيـنَ تَتَوفّـاهُمُ المَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُـولُونَ سَـلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ (النحل/ ٣٢)، إلى غير ذلك مـن الآيات التي تصرِّح بـأنّ الملائكة هم الموكّلـون بقبض الأرواح دون فـرق بين شهيـد البرِّ وشهيد البحـر، ولما كـانت الملائكـة هم المباشرون لقبض الـروح بأمر منه سبحـانه صحّ نسبة التـوفّي إليهم، كما في الآيات السالفة الذكر، وإلى الله سبحانه أيضاً، قال: ﴿اللهُ يَتَوفّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَالَّتِي لَمْ تَمُت فِي مَنامِها﴾ (الزمر/ ٤٢).

وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّـذِي يَتَوفاكُـمْ باللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مـا جَرَحْتُمْ بِـالنَّهارِ﴾ (الأنعام/ ٦٠)، وقال عزّ من قائل: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفّاكُمْ وَمِنكُمْ مَن يردّ إِلى أَرذَلِ العُمُرِ﴾ (النحل/ ٧٠)، وعلىٰ ضوء ذلك فعالم الاحياء والاماتة عالم الاسباب والمسببات وإليه سبحانه ينتهي تأثير الأسباب و القوى الغيبيّة فتصح نسبة الفعل إلى المباشر والمسبب.

وربما يتخيل انّ قيامـه سبحانه بقبض روح شهيد البحر تخصيـص للآيات السابقـة فلا مانع من أن يكـون قبض الأرواح بيد الملائكة إلاّ شهيد البحـر، لكنّه

---

١. سنن ابن ماجة: ٢/ ٩٢٨ برقم ٢٧٧٨.

توهم باطل لأنّ التخصيص والتقييد والنسخ إنّما هو في الأحكام التشريعية لا في عالم التكوين وعينية الأسباب والمسببات.

كما انّ ذيل الحديث «يغفر لشهيد البرّ الذنوب كلّها إلاّ الدّين،ولشهيد البحر الذنوب والدين» قابل للنقاش، لأنّ الدّين حقّ مالي متعلق بالمديون وليس حقاً لله تبارك وتعالى ، والدائن و دَيْنه و إن كانا مملوكين لله تبارك و تعالى لكن جرت مشيئته على أن لا يغفر للمديون إلاّ برضى صاحب الدين، فيُغفر ذنب كلا الشهيدين إذا رضي الدائن وإلاّ فلا يغفر ذنبهما، فما وجه هذا التخصيص؟!

٣. مشاهدات النبي في الجنّة

أخرج أحمد في مسنده، عن القاسم، عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: دخلت الجنة فسمعت فيها خشفة بين يدي، فقلت: ما هذا؟ قال: بلال، قال: فمضيت فإذا أكثر أهل الجنّة فقراء المهاجرين وذراري المسلمين، ولم أر أحداً أقلّ من الأغنياء والنساء، قيل لي: أمّا الأغنياء فهم هاهنا بالباب يحاسبون ويمحّصون، وأمّا النساء فألهاهنَّ الاحمران، الذّهب والحرير، قال: ثمّ خرجنا من أحد أبواب الجنّة الثمانية، فلمّا كنت عند الباب أتيت بكفّة فوضعت فيها، ووضعت أُمّتي في كفّة فرجحت بها، ثمّ أتي بأبي بكر فوضع في كفة، وجيء بجميع أُمّتي في كفة فوضعوا، فرجح أبوبكر، وجيء بعمر فوضع في كفّة، وجيء بجميع أُمّتي فوضعوا، فرجح عمر، وعرضت أُمّتي رجلاً رجلاً فجعلوا يمرّون، فاستبطأت عبد الرحمان بن عوف ثمّ جاء بعد الاياس، فقلت: عبد الرحمان؟!، فقال: بأبي وأُمّي يا رسول الله، والذي بعثك بالحقّ ما خلصت إليك حتى ظننت أنّي لا أنظر إليك أبداً إلاّ بعد المشيبات، قال: وما ذاك؟ قال: من كثرة مالي، أُحاسب وأُمحّص.[١]

---

١. مسند أحمد: ٥/ ٢٥٩ .وأخرج الترمذي نظيره عن بريدة الأسلمي مع اختلاف في المضمون لاحظ: السنن:٥/ ٦٢٠ برقم ٣٦٨٩، وقد مضى الكلام في الحديث عند ترجمته.

وفي الحديث تأملات وإشكالات واضحة لا تنطبق على الضوابط التي أشرنا إليها في صدر الكتاب.

أوّلاً: انّ الجنة دار الخلود فمن دخلها كان خالداً فيها، قال سبحانه: ﴿**أُولئِكَ أَصحابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُون**﴾ (هود/ ٢٣). فكيف دخل النبي ﷺ وخرج منها وهل هذا إلاّ تخصيص للسنة الإلهية؟

ثانياً: انّ النبي ﷺ سمع خشفة بين يديه، والخشفة هي الصوت الخفي، فقال: ما هذا؟ قال: بلال. وهل كان بلال دخل الجنّة مع النبي ﷺ مع أنّه كان في المدينة حيّاً يرزق؟

ثالثاً: ثمّ إنّ النبي ﷺ خرج من أحد أبواب الجنّة الثمانية، فإذا وضعت أُمّته في كفة، ووضع أبو بكر في كفة أُخرى، رُجّحت كفة أبي بكر، ومثله عمر، والمراد من التمثيل انّ حسنات الأُمّة كانت أقلّ من حسنات كلّ واحد من الشيخين، وفي الأُمّة من هو أسبق منهما إسلاماً وجهاداً وأكثر علماً وتقوى.

ثمّ لما شاهد النبي ﷺ استبطاء عبد الرحمان بن عوف، فسأله النبي ﷺ عن سبب التأخير، فقال: ما استبطأت إلاّ من كثرة مالي، أحاسب وأمحّص.

إنّ ذيل الحديث لا يوافق مع ما نعلم من حياة وسيرة عبد الرحمن بن عوف، فقد جاء في ذيل الحديث انّه حُوسب ومُحِصَّ ودخل الجنة وشافه النبي ﷺ وقال له: «والذي بعثك بالحقّ ما خلصت إليك حتى ظننت انّي لا أنظر إليك أبداً إلاّ بعد المشيبات، قال: وما ذاك؟ قال: من كثرة مالي أُحاسب وأمحص» وإليك صورة إجمالية عما تركه عبد الرحمن، فهل مثله يحاسب ويمحص وفي المدينة وما والاها بطون غرثى، وأكباد حرّى لا عهد لهم بالشّبع؟!

قال ابن سعد: ترك عبد الرحمان ألف بعير وثلاثة آلاف شاة بالبقيع، ومائة

فرس ترعىٰ بالبقيع، وكان يزرع بالجُرُف علىٰ عشرين ناضحاً وكان يدخل قوت أهله من ذلك سنة، وكان فيما ترك ذهب، قُطِعَ بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال منه، وترك أربع نسوة فأخرجت امرأة من ثمنها بثمانين ألفاً.

وعن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمان، قال: أصاب تَماضرَ بنت الأصبغ رُبعُ الثمن، فأخرجت بمائة ألف، وهي إحدى الأربع. (١)

وقال المسعودي: ابتنىٰ داره ووسعها، وكان علىٰ مربضه ١٠٠ فرس، وله ألف بعير، وعشرة آلاف شاة من الغنم، وبلغ بعد وفاته ثمن ماله ٨٤ ألفاً. (٢)

٤. لا وصية لوارث

أخرج الترمذي في سننه، عن شرحبيل بن مسلم الخولاني، عن أبي أمامة الباهلي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته عام حجّة الوداع:

إنّ الله قد أعطىٰ لكلّ ذي حقٍّ حقَّه، فلا وصيّة لوارث، الولد للفراش وللعاهر الحجر وحسابهم على الله، ومن ادّعى إلىٰ غير أبيه، أو انتمىٰ إلىٰ غير مواليه، فعليه لعنة الله التابعة إلىٰ يوم القيامة، لا تنفق امرأة من بيت زوجها إلاّ بإذن زوجها، قيل: يا رسول الله، ولا الطّعام؟ قال: ذلك أفضل أموالنا، ثمّ قال: العارية مؤدّاة، والمنحة مردودة، والدَّين مقضيّ والزَّعيم غارم. (٣)

وهذا الجزء من الحديث(لا وصية لوارث) يخالف الكتاب إذ يكفي في جواز الوصية للوارث قوله سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَينِ وَالأَقْرَبينَ بِالمَعْرُوفِ حَقّاً عَلى المُتَّقِينَ﴾ (البقرة/ ١٨٠)،

١. طبقات ابن سعد: ٣/ ١٣٦ـ ١٣٧، فصل ذكر وصية عبد الرحمان بن عوف.
٢. مروج الذهب: ٢/ ٣٣٣، طبع دار الاندلس.
٣. سنن الترمذي: ٤/ ٤٣٣ برقم ٢١٢٠.

والآية تأمـر بالايصاء بـا لمعروف ، فمن يملك المال الكثير إذا أوصىٰ بـدرهم فلم يوصِ با لمعروف، والآية صريحة في الوصية للـوالدين ولا وارث أقرب للإنسان من والـديه، وقـد خصهما بالـذكـر لأولويّتهما بـالـوصية، ثمّ عمّـم الموضوع، وقـال: والأقربين ليعم كلّ قريب وارثاً كان أم لا.

ولا يمكن القـول بنسـخ القرآن العظيـم بخبر الـواحد مـع إمكـان الجمع بينهما، وهو حمل الخبر علىٰ ما إذا زاد عن الثلث، حتى أنّ الدار قطني أخرجه عن النبي ﷺ بهذا القيد، وقال: خطبنا رسول الله بمنىٰ، وقال: إنّ الله عزّ وجلّ قد قسم لكلّ إنسان نصيبه من الميراث، فلا يجوز لوارث وصية إلاّ من الثلث. [١]

وقد بسطنا الكلام حوله في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. [٢]

٥. النهي عن السياحة

أخـرج ابن داود في سننـه، عن القـاسم، عـن أبي أمـامة انّ رجـلاً، قـال: يـا رسول الله، ائذن لي في السيـاحة، قـال النبي ﷺ: «إنّ سيـاحة أُمّتي الجهـاد في سبيل الله تعالى». [٣]

انّ حصر السياحـة في الجهاد لا يسـاعده الكتـاب ولا سيرة المسلمين، أمّا الكتـاب فقد ذكـر مـن أوصاف المؤمنين،وقـال: ﴿التّائِبُونَ الْعابِـدُونَ الحامِدُونَ السـائِحُـونَ الـرّاكِعُـونَ السّـاجِـدُونَ الآمِـرُونَ بِـالْمَعْـرُوفِ وَالنّـاهُـونَ عَـنِ الْمُنْكَرِ وَالحـافِظُونَ لِحُـدُودِ اللهِ وَبشِّرِ المُـؤْمِنينَ﴾ (التـوبـة/ ١١٢) وقـد فُسِّر السائحون بطلبة العلم الذين يسيحون في الأرض ويطلبونه في مظانه. [٤]

---

١. الدار قطني، السنن: ٤/ ١٥٢، الوصايا، الحديث ١٢ـ١٣.

٢. الاعتصام بالكتاب والسنة، ص ٢٣٧ـ ٢٦٠.

٣. سنن أبي داود: ٣/ ٥ برقم ٢٤٨٦.

٤. الكشاف: ٢/ ١٧٤؛ الدر المنثور: ٤/ ٢٩٨.

قال سبحانه: ﴿فَلَولا نَفَرَ مِنْ كُـلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُـوا فِي الدِّين﴾ (التوبـة/ ١٢٢) ولو غُضَّ النظـر عن هذه الآيـة، فقد دلت الآيـات الأخرى على استحباب السير في الأرض، قال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُـوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثاراً فِي الأَرْضِ فَما أَغْنىٰ عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (غافر/ ٨٢).

وأمّـا سيرة المسلمين فالسيـاحة في الأرض سنـة سـائرة بينهم، ولو جعلنـا السفر من أقسام السياحة، فقد ندب إليها في الشرع وذكر لها فوائد جمة.

ولا محيص في تصحيح الحديث مـن حمله على الترغيب إلى الجهاد والتـأكيد عليه، فكأنّه لا سياحة في الإسلام إلاّ السير إلى الجهاد.

٣٦

عبد الله بن أبي أوفى

(١٤ قبل الهجرة ـ ٨٦هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. معاذ يسجد للنبي ﷺ.
٢. النبي ﷺ يستمع لضرب الدف.
٣. النهي عن المراثي.

عبد الله بن أبي أوفىٰ (علقمة) بن خالد بن الحارث بن هوازن بن أسلم الأسلمي، يكنّى أبا معاوية، وقيل أبا إبراهيم، وقيل أبا محمد، شهد الحديبية وبايع بيعة الرضوان وشهد خيبر ومابعدها من المشاهد، ولم يزل بالمدينة حتى قُبض رسول الله ﷺ ثمّ تحول إلى الكوفة وهو آخر من بقي في الكوفة من أصحاب النبي ﷺ.

روى أحمد بن حنبل عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: رأيت علىٰ ساعد عبد الله بن أبي أوفى ضربة، فقلت: ما هذه؟ قال: ضُربتُها يوم حنين، وقلت: أشهدتَ معه حنيناً، قال: نعم، وقيل: غير ذلك.

روىٰ عنه عمـرو بن مرّة، انّـه قال: كـان أصحاب الشجـرة ألفاً وأربعمائة، وكانت «أسلم» ثُمنَ المهاجرين يومئذٍ، روى عنه: إسماعيل بن أبي خالد والشعبي وعبد الملـك بن عمير وأبو إسحـاق الشيباني والحكم بـن عتيبة وسلمـة بن كهيل وغيرهم.

وروى عنه سالم بـن أبي النضر وكان كاتبَه، قال: كتب إليـه عبد الله بن أبي أوفىٰ إنّ رسول الله ﷺ قال: «اعلم أنّ الجنّة تحت ظلال السيـوف» توفي عبد الله بن أبي أوفىٰ بالكوفة سنة ٨٦ هـ، وقيل ٨٨ بعدما كُفَّ بصره. [١]

وقـال الذهبـي: من أهـل بيعة الـرضـوان وخاتمة مـن مات بـالكـوفـة من الصحابة، وكان أبوه صحابياً أيضاً، وقد توفي سنة ٨٨ هـ وقد قارب مائة سنة. [٢]

ونقل ابن سعد عـن أبي يعقوب، عن ابن أبي أوفىٰ، قال: غـزوت مع رسول الله سبع غزوات، ونَقَـلَ أيضاً عن محمد بـن أعين أبو العلانيـة المرئيّ، قال: كنت بالكـوفة فرأيت عبـد الله بن أبي أوفىٰ أحرم من الكـوفة من مسجد الـرمادة وجعل يلبّي. [٣]

وله في المسند الجامع ٥١ حديثاً. [٤]

وهو صحـابي وابن صحابي، وله روايـات في أبواب مختلفة نـذكر من روائع رواياته شيئاً.

---

١. أُسد الغابة: ٣/ ١٢١ـ١٢٢.

٢. سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٢٨ برقم ٧٦.

٣. طبقات ابن سعد: ٤/ ٣٠١ـ ٣٠٢، وترجمه أيضاً في ٦/ ٢١.

٤. المسند الجامع: ٨/ ١٩٠.

روائع أحاديثه

١ . أخرج ابن ماجة في مسنده عن أبي إسحاق الشيباني، عن عبد الله بن أبي أوفىٰ، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله مع القاضي مالم يَجُر، فإذا جار وكّله إلى نفسه.[١]

٢ . أخرج البخاري في الأدب المفرد عن سليمان أبي آدم، قال: سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول عن النبي ﷺ، قال: إنّ الرحمة لا تنزل علىٰ قوم فيهم قاطع رحم.[٢]

والمراد انّ وجود قاطع الرحم بين قوم، يحول دون نزول الرحمة عليهم، وليس بغريب قال سبحانه: ﴿وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خاصّة﴾ (الأنفال/ ٢٥).

٣. أخرج الإمام أحمد عن مدرك عن عبد الله بن أبي أوفىٰ، انّ رسول الله ﷺ كان يدعو، ويقول: اللّهمّ طهرني بالثلج والبرد والماء البارد، اللّهمّ طهّر قلبي من الخطايا ، كما طهرت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين ذنوبي كما باعدت بين المشرق والمغرب؛ اللّهمّ انّي أعوذ بك من قلب لا يخشع، ونفس لا تَشبع، ودعاء لا يُسمع، وعلم لا ينفع، اللّهم إنّي أعوذ بك من هؤلاء الأربع. اللّهمّ إنّي أسألك عيشة تقية، وميتة سوية، ومردّاً غيرمخزي.[٣]

٤ . أخرج مسلم في صحيحه عن عمر بن عبد الله، انّه كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى يخبره انّ رسول الله ﷺ كان في بعض أيّامه التي لقى فيها العدو ينتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيهم، فقال: يا أيّها الناس لاتتمنوا لقاء العدو،

---

١ سنن ابن ماجة: ٢/ ٧٧٥ برقم ٢٣١٢.

٢. البخاري: ، الأدب المفرد،ص٣٨ برقم ٦٣، باب لا تنزل الرحمة علىٰ قوم فيهم قاطع رحم.

٣. مسند أحمد: ٤/ ٣٨١.

واسألـوا الله العـافيـة، فـإذا لقيتمـوهم فـاصبروا واعلمـوا انّ الجنّـة تحت ظـلال السيوف. (١)

٥. أخرج مسلم عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب، وقال: اللّهمّ منزّل الكتاب، سريع الحساب، أهزم الأحزاب، اللهمّ اهزمهم وزلزلهم. (٢)

٦. أخرج النسـائي عن يحيى بن عقيل، قال:سمعـت عبد الله بن أبي أوفىٰ، يقول: كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر ويقلّ اللغـو ويطيل الصلاة ويُقصر الخطبة ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة. (٣)

والمراد من اللغو هو «الـدعابة» لا اللغو الذي يعد تـركه من علائم الإيمان قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون/ ٣).

٧. أخرج مسلم عن محمد بن بشر العبـديّ عن إسماعيل، قال: قلت لعبد الله بن أبي أوفىٰ: أكان رسول الله ﷺ بشَّر خديجة ببيت في الجنّة؟ قـال: نعم بشّرها ببيت في الجنَّة من قصب لا صخب (٤) فيه ولا نصب. (٥)

ولا غرو فيه فـانّ الرسول ﷺ كان يقـول: «خير نسائها مريـم بنت عمران، وخير نسـائهـا خـديجة بنت خـويلـد. قـال أبوكـريـب: وأشـار وكيع إلى السماء والأرض. (٦)

وقد حكى الـذكر الحكيم عن آسية انّـها طلبـت من ربّها أن يبني لها بيتاً في

---

١ و ٢. صحيح مسلم: ٥/ ١٤٣، باب كراهة تمني لقاء العدو، وبـاب استجابة الدعـاء بالنصر عند لقاء العدو.

٣. سنن النسائي: ٣/ ١٠٩، باب ما يستحب من تقصير الخطبة.

٤. الصخب: الصياح.

٥. صحيح مسلم: ٧/ ١٣٣، باب فضائل خديجة.

٦. صحيح مسلم: ٧/ ١٣٢، باب فضائل خديجة.

الجنّة، قال عزّ من قائل: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلّذِينَ آمَنُوا امْـرَاةَ فِرْعَونَ إِذْ قالَتْ رَبِّ ابْنِ لي عِنْدَكَ بِيتاً في الجَنّةِ وَنَجِّني مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّني مِنَ القَومِ الظّالِمين﴾ (التحريم/ ١١).

٨. أخـرج عبد بـن حميد، عـن فائد أبي الـورقـاء، عن عبـد الله بن أبي أوفىٰ الأسلمي، قال:

خرجت فإذا رسول الله وأبوبكـر وعمر قعوداً وإذا غلام صغير يبكي، فقال رسول الله لعمر: ضُمَّ الصَّبيَّ إليك فانّه ضالّ، فضَمّه عمر إليه، فبينا نحن قعود إذ أمٌّ له تُوَلْـوِلُ، أظنه قال: وتقول: وابنيَّاه وتبكي، فقال رسـول الله لعمر: نادِي المرأة فانّها أُمّ الصَّبـيّ وهي كاشفـة عن رأسهـا ليس على رأسها خمار جـزعاً على ابنهـا، فجاءت حتّـى قَبَضتْ الصبي من حُجْر عمـر وهي تبكي و الصّبيُّ في حجـرها، فالتفتـت فلمّا رأت رسول الله ﷺ قالـت: واحربـاه، ألا أرىٰ رسول الله ﷺ؟فقال: رسول الله عند ذلك: أترون هذه رحيمة بولـدها ؟ فقال أصحابه: بلى يا رسول الله، كفى بهذه رحمة، فقـال رسول الله ﷺ: والذي نفس محمد بيـده، الله أرحم بالمؤمن من هذه بولدها. [١]

إلى غير ذلك من روائع أحاديثـه المبثوثة في المسانيد والصحـاح، وفي مقابل ذلك عـزيت إليـه روايـات لا يمكن الـركـون إليها لتخلفهـا عن الموازيـن التي استعرضناها في صدر الكتاب:

١ . معاذ يسجد للنبي ﷺ

أخرج ابن مـاجة عن القـاسم الشيباني، عن عبـد الله بن أبي أوفىٰ، قال: لمّا قدم معاذ من الشـام سجد للنبي ﷺ . قال: ما هذا يـا معاذ؟! قال: أتيت الشّام

---

١. المسند الجامع: ٨/ ١٨٦ـ ١٨٧، نقلاً عن مسند عبد بن حميد: ٥٣٠.

فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك.

فقال رسول الله ﷺ: فلا تفعلوا، فاني لوكنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله، لأمرت المرأة أن تسجُد لزوجها، والّذي نفس محمّد بيده! لا تؤدّي المرأة حقّ ربّها حتّى تؤدّي حقّ زوجها ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه. (١)

والحديث لوصحّ لدلّ على سذاجة معاذ بن جبل في فهم الدين، وقد أوضحنا حاله عند دراسة أحاديثه، فراجع.

٢. النبي يستمع لضرب الدف

أخرج أحمد في مسنده عن شيخ من بجيلة، قال: سمعت ابن أبي أوفى، يقول: استأذن أبو بكر على النبي ﷺ وجارية تضرب بالدف فدخل، ثمّ استأذن عمر فدخل، ثمّ استأذن عثمان فأمسكت، قال: فقال رسول الله ﷺ: إنّ عثمان رجل حييّ. (٢)

انّ معنى الحديث انّ النبيﷺ قد استمع لجارية كانت تضرب الدف (وربما تُغنّي) فهل من المعقول أن يستمع النبي ﷺ لدفّها مع أنّه سبحانه يقول: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ (النور/ ٣١) ويقول سبحانه: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ (الأحزاب/ ٣٢). وليس المراد من الجارية إحدىٰ نسائه و إلاّ لكان التعبير بها هو المتعين.

ثمّ العجب انّ عثمان أشدّ حياءً من الرسول!!!!، فهو ﷺ والشيخان يستمعان لضرب الدفّ ولكن عثمان أنف عن ذلك مما حدا بالجارية ان تمسك عن الضرب بالدف!!!!

---

١. سنن ابن ماجة: ١/ ٥٩٥ برقم ١٨٥٣؛رواه أحمد في مسنده: ٤/ ٣٨١و ٥/ ٢٢٧.

٢. مسند أحمد: ٤/ ٣٥٣.

كيف يجوز للنبي أن يصغي لضرب الدفّ وقد نهىٰ عنه؟!

أخرج أحمد في مسنده عن عاصم بن عمرو البجلي، عن أبي امامة عن النبي ﷺ قال: تبيت طائفة من أُمّتي على أكل وشرب ولهو ولعب ثمّ يُصبحون قردة وخنازير فيبعث علىٰ أحياء من أحيائهم ريح فتنسفهم كما نسفت من كان قبلهم باستحلالهم الخمور وضربهم بالدفوف واتخاذهم القينات. (١)

أخرج البخاري معلقاً عن النبي ﷺ انّه قال: ليكوننَّ من أُمّتي أقوام يستحلون الحُرَّ والحرير و الخمر و المعازف. (٢)

٣. النهي عن المراثي

أخرج أحمد في مسنده عن إبراهيم الهجري، عن عبد الله بن أبي أوفىٰ وكان من أصحاب الشجرة فماتت ابنة له وكان يتبع جنازتها علىٰ بغلة خلفها، فجعل النساء يبكين، فقال: لا ترثين، فانّ رسول الله ﷺ نهىٰ عن المراثي فتفيض احداكنَّ من عبرتها ما شاءت (٣).

قد تقدّم منّا الكلام حول الرثاء على الميت عند دراسة روايات أبي موسى الأشعري وعبد الله بن عمر وقلنا بأنّ الممنوع منه هو التكلم بما فيه غضب الرب وليس فيه رضاه وأمّا البكاء ـ سواء كان بصوت عال أو خافت ـ فهو أمر فطري نابع من صميم العاطفة الإنسانية لا محظور فيه، فنهي رسول الله ﷺ عن المراثي إنّما لأجل القسْمِ المحرّم منه.

---

١. مسند أحمد: ٥/ ٢٥٩.

٢. صحيح البخاري: ٧/ ١٠٦ ، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه من كتاب الأشربة.

٣. مسند أحمد: ٤/ ٣٥٦؛ سنن ابن ماجة: ١/ ٥٠٧ برقم ١٥٩٢.

أخرج ابـن ماجة عـن مكحول والقاسـم، عن أبي أُمامـة: انّ رسول الله ﷺ لعن الخامشة وجهها، والشاقة جيبها والدّاعية بالويل والثّبور[١].

قال في الزوائد: اسناده صحيح.

١. سنن ابن ماجة: ١/ ٥٠٥ برقم ١٥٨٥.

٣٧

سهل بن سعد الساعدي

(٥ ق. هـ ـ ٩١هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. بال النبي ﷺ قائماً. ٢. نزول الآية ناقصة.

٣. وضع اليد اليمنىٰ على اليسرىٰ. ٤. الشؤم في المرأة.

سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة، أبو العباس الخزرجي الأنصاري الساعدي.

وكان أبوه من الصحابة الذين توفُّوا في حياة الرسول ﷺ، وتُوفي الرسول وسهل له من العمر خمس عشرة سنة، وعاش و طال عمره حتى أدرك الحجاج بن يوسف و امتحن معه، أرسل الحجاج سنة ٧٤هـ إلىٰ سهل بن سعد (رض)، قال: ما منعك من نصر أمير المؤمنين عثمان؟ قال: قد نصرته، قال: كذبت، ثم أمر به فختم في عنقه، وختم أيضاً في عنق أنس بن مالك. و ختم في يد جابر بن عبد الله. يريد إذلالهم بذلك و أن يجتنبهم الناس ولا يسمعوا فيهم.

وشهد سهل قضاء رسول الله في المتلاعنين وانّه فرق بينهما وكان اسمه حزناً فسماه رسول الله سهلاً.

يروي عنه ابنه عباس، وأبو حازم الأعرج، وغيرهم، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة و كان من أبناء المائة.

ذكر عدد كبير وفاته في إحدىٰ وتسعين، وقال أبو نعيم وتلميذه البخاري سنة ٨٨. [١]

كما بلغ عدد رواياته في المسند الجامع نحواً من ٨٧ رواية [٢].

وقد نسبت إليه روايات تعدّ من روائع رواياته يؤيدها الكتاب والسنة والعقل، وربما يوجد شذوذ فيما عزي إليه، وإليك بيان كلا القسمين.

روائع أحاديثه

١. أخرج ابن ماجة عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي، قال: قال رسول الله ﷺ: ليبشر المشاؤون في الظُّلَم بنورٍ تامٍّ يوم القيامة. [٣]

٢. أخرج أبو داود، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، عن النبي ﷺ: انّ رجلاً أتاه فأقر عنده أنّه زنىٰ بامرأة سمّاها، فبعث رسول الله ﷺ إلى المرأة فسألها عن ذلك، فأنكرت أن تكون زنت، فجلده الحد وتركها. [٤]

٣. أخرج الترمذي، عن عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: أنا و كافل اليتيم في الجنّة كهاتين وأشار باصبعيه يعني السّبّابة والوسطىٰ. [٥]

---

١. أُسد الغابة: ٢/ ٣٦٦ وسير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٢٢ـ ٤٢٤.

٢. المسند الجامع: ٧/ ٣٢١.

٣. سنن ابن ماجة: ١/ ٢٥٦ برقم ٧٨٠.

٤. سنن أبي داود: ٤/ ١٥٠ـ١٥١ برقم ٤٤٣٧.

٥. سنن الترمذي: ٤/ ٣٢١ برقم ١٩١٨.

٤. أخرج البخاري عن أبي حازم، قال: سمعت سهل بن سعد، يقول: سمعت النبي ﷺ، يقول: أنا فرطكم على الحوض من ورد شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ليرد عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثمّ يحال بيني و بينهم.

قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش وأنا أُحدِّثهم هذا، فقال: هكذا سمعتَ سهلاً ؟ فقلتُ: نعم، قال: أشهد علىٰ أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه، قال: إنّهم منّي، فيقال أنت لا تدري ما بدّلوا بعدك، فأقول: سحقاً، سحقاً لمن بدّل بعدي. [1]

ويؤيد ذلك مضافاً إلى ما ورد في هذا الباب في صحيح البخاري وصحيح مسلم، قوله سبحانه: **﴿وَما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْخَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَو قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلىٰ أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلىٰ عَقِبَيهِ فَلَنْ يَضُرَّ الله شَيْئاً وَسَيَجْزِى اللهُ الشّاكرينَ﴾** (آل عمران/ ١٤٤)، و الآية تخبر عن وقوع الانقلاب على الأعقاب بعد رحيل الرسول والتاريخ حافل بنماذج كثيرة من هذا الارتداد.

٥. أخرج مسلم في صحيحه، عن أبي حازم عن سهل: انّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطينّ هذه الراية رجلاً يفتح الله علىٰ يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيّهم يُعطاها، قال: فلمّا أصبح النّاس غدوا على رسول الله ﷺ كلّهم يرجون أن يعطاها، فقال: أين عليّ بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتىٰ به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية.

فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: انفذ على رسلك حتّى تنزل بساحتهم ثمّ ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله

---

١. صحيح البخاري: ٩/ ٤٦، كتاب الفتن.

فيه فو الله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النّعم. [١]

٦. أخرج أحمد عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: إيّاكم ومحقّرات الذنوب، كقوم نزلوا في بطن واد فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى أنضَجوا خبزتهم، وإنّ محقّرات الذّنوب متىٰ يُؤخذ بها صاحبها تهلكه. [٢]

وقد رويت عنه روايات لا تخلو عن تساؤلات و ربما لا تنطبق مع ما ذكرنا من الموازين السالفة الذكر:

١. بال النبي ﷺ قائماً

أخرج ابن خزيمة عن أبي حازم قال: رأيت سهل بن سعد يبول قائماً، فانّه تحدث ذلك عليه، وقال: قد رأيت من هو خير منّي فعله. [٣]

ولعلّه أراد الرسول من قوله : هو خير منّي، فقد نسب إليه ﷺ بأنّه بال قائماً.

أخرج البخاري عن حذيفة، قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ أو قال: لقد أتى النبي ﷺ سباطة قوم فبال قائماً. [٤]

وقد ذكرنا ما في هذه الروايات من الضعف عند دراسة روايات حذيفة، فلاحظ.

---

١. صحيح مسلم: ٧/ ١٢١ـ١٢٢، باب فضائل علي بن أبي طالب ﵇، ورواه البخاري في الصحيح: ٤/ ٥٣، باب ما قيل في لواء النبي ﷺ، عن سلمة بن أكوع؛ ورواه أيضاً في ٥/ ١٨ باب مناقب علي بن أبي طالب ﵇.

٢. مسند أحمد: ٥/ ٣٣١.

٣. المسند الجامع: ٧/ ٢٥٨، نقلاً عن مسند ابن خزيمة.

٤. صحيح البخاري: ٣/ ١٣٥، باب الوقوف والبول عند سباطة قوم.

٢. نزول الآية ناقصة

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي حازم عن سهل بن سعد، قال: أنزلت ﴿وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ ولم ينزل (من الفجر) فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود، ولم يزل يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد (من الفجر) فعلموا انّه إنّما يعني الليل و النهار.[١]

وقد روى نظير ذلك عن عدي بن حاتم، قال: لما نزلت ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت علىٰ رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: إنّما ذلك سواد الليل وبياض النّهار.[٢]

إنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين يفهمه كلّ عربي صميم، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر/ ١٧).

وقال سبحانه: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الدخان/ ٥٨).

فإذا كان القرآن كتاب الهداية والإنذار وكان في مقام بيان الحكم الشرعي لعامة الناس يجب أن يكون بلغة فصيحة يعرفها أهل اللغة.

وعلى ضوء ذلك فلا يعقل انّ عدي بن حاتم ذلك العربي الصميم لم يفهم المراد من الخيط الأبيض والخيط الأسود فعمد إلى عقال أسود وإلىٰ عقال أبيض فجعلهما تحت وسادته فجعل ينظر إليهما في الليل، ولا يستبين له فيرجع إلى النبي

---

١. صحيح البخاري: ٣/ ٢٨، باب قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا﴾.
٢. المصدر نفسه.

ﷺ ويبين حاله، فانّ هذا شأن من لم يكن من أهل اللسان أو كان بعيداً عن التراكيب الفصيحة.

وأسوأ منه ما عزي إلى سهل بن سعد الساعدي من نزول كلمة ﴿من الفجر﴾ بعد فترة من نزول الآية فانّ لفظ الآية إمّا أن يكون كافياً في إفادة المعنى المقصود أو لا، فعلى الأوّل لا حاجة إلى قوله: من الفجر، وعلى الثاني كان الفصل بين الآية وقيدها أمراً غير صحيح، ولا يقاس ذلك بفصل الخاص على العام أو المقيد على المطلق.

٣. وضع اليد اليمنى على اليسرىٰ

أخرج البخاري، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: كان الناس يُؤمَرون أن يضع الرجل اليدَ اليمنىٰ على ذراعه اليسرىٰ في الصلاة.

قال أبوحازم: لا أعلمه إلاّ يَنمِي ذلك إلى النبي، وقال إسماعيل (شيخ البخاري) يُنمىٰ ذلك ولم يقل ينمي.[١]

تعد هذه الرواية من أدلة استحباب وضع اليمنىٰ على اليسرىٰ كما فعل النبي ﷺ ولكن الاستدلال مخدوش بوجوه:

الأوّل: انّ ظاهر قوله: «كان الناس يُؤمرون أن يضع الرجل اليد اليمنىٰ علىٰ ذراعه اليسرى في الصلاة» انّ الآمر غير النبي ﷺ ولو كان هو الآمر لما أخلَّ التصريحَ به وهذا يؤيد انّ القبض حدث في عصر الخلفاء ومن أعقبهم من الأمويين.

الثاني: انّ أبا حازم راوي الحديث عن سهل، قال: «لا أعلمه إلاّ ينمي ذلك

١. صحيح البخاري: ١/ ١٤٤، باب وضع اليمنى على اليسرى.

إلى النبي ﷺ» فقد قرأه لفيف من المحدّثين بصيغة المعلوم يعني انّ سهل بن سعد كان ينسبه إلى النبي ﷺ، ولكن شيخ البخاري، يقول: الصحيح قراءته بصيغة المجهول أي «ينمىٰ ذلك» من دون أن يصرح للناسب.

كلّ ذلك يعرب عن وجود اضطراب في نفس النقل، قال ابن حجر: ومن اصطلاح أهل الحديث إذا قال الراوي ينميه، فمراده يرفع ذلك إلى النبي ﷺ. (١)

الثالث: روى البيهقي في سننه كيفية صلاة النبي عن أبي حميد الساعدي ولم يأت فيه بشيء من القبض.

فقال أبوحميد الساعدي: أنا أعلمكم بصلاة رسول الله ﷺ قالوا: لِمَ، ما كنت أكثرنا له تبعاً، ولا أقدمنا له صحبة؟ قال: بلى، قالوا: فأعرض علينا، فقال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثمّ يكبر حتى يقرّ كلّ عضو منه في موضعه معتدلاً، ثمّ يقرأ ثمّ يكبر ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه، ثمّ يركع ويضع راحتيه علىٰ ركبتيه، ثمّ يعتدل ولا ينصب رأسه ولا يقنع، ثمّ يرفع رأسه، فيقول: سمع الله لمن حمده، ثمّ يرفع يديه حتىٰ يحاذي بهما منكبيه حتى يعود كلّ عظم منه إلى موضعه معتدلاً، ثمّ يقول: الله أكبر، ثمّ يهوي إلى الأرض فيجافي يديه عن جنبيه، ثمّ يرفع رأسه فيثني رجله اليسرى فيقعد عليها ويفتح أصابع رجليه إذاسجد ثمّ يعود ثمّ يرفع، فيقول: الله أكبر ثمّ يثني برجله فيقعد عليها معتدلاً حتى يرجع أو يقر كلّ عظم موضعه معتدلاً، ثمّ يصنع في الركعة الأُخرى مثل ذلك، ثمّ إذا قام من الركعتين كبَّر ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما فعل أو كبّر عند افتتاح صلاته، ثمّ يصنع مثل ذلك في بقية صلاته

---

١. فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ٢/ ٢٢٤.

حتى إذا كان في السجدة التي فيها التسليم أخـر رجله اليسرى وقعد متوركاً على شقه الأيسر، فقالوا جميعاً: صدق هكذا كان يصلّي رسول الله ﷺ.[١]

٤. الشؤم في المرأة والفرس والمسكن

أخـرج أحمد في مسنـده، عـن أبي حـازم بـن دينـار، عـن سهل بـن سعـد الساعدي، انّ رسول الله ﷺ قال: إن كان في شيء، ففـي المرأة والفرس والمسكن. يعني الشّؤم.[٢]

وقدتعـرضنا إلىٰ نقـد هذا الحديـث عند التطـرق إلى أحاديث سعـد بن أبي وقاص تحت عنوان التطير بالمرأة والفرس والدار، فلاحظ.

١. البيهقي، السنن: ٢/ ٧٢، ٧٣، ١٠١، ١٠٢؛ سنن أبي داود: ١/ ١٩٤.
٢. مسند أحمد: ٥/ ٣٣٥.

٣٨

أنس بن مالك الصحابي

(١٠ قبل الهجرة ـ ٩٣ هجرية)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

١. طواف النبي على نسائه في ليلة واحدة.
٢. أبو النبي ﷺ في النار.
٣. نسيان السورة من أعظم الذنوب.
٤. اجتهاد النبي في الأحكام.
٥. الصيام في السفر.
٦. مجبوب متهم بالزنا.
٧. برغوث يوقظ نبياً للصلاة.
٨. موسىٰ يصلّي في القبر.
٩. التجسيم في أحاديثه.
١٠. رقص أهل الحبشة أمام النبي ﷺ.
١١. سيدا كهول أهل الجنة.
١٢. أُمّتي على خمس طبقات.
١٣. صلاة النبي بلا بسملة.
١٤. ردّ دعاء النبي ﷺ.
١٥. النهي عن باء الاقراء.
١٦. فضل عائشة.
١٧. نوم النبي علىٰ فراش أُم سليم.
١٨. مدة خدمته.
١٩. إسراء النبي قبل أن يوحىٰ له.
٢٠. نزول آية الصلح في عبد الله بن أُبي.

أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الخزرجي النجاري، كنيته أبو حمزة، قدم النبي ﷺ المدينة وهو ابـن عشر سنين فأهدته أُمّه لـرسول الله ﷺ كي يخدمـه، وانتقل من المدينة بعـد ان مُصِّرت البصرة أيام عمر بـن الخطاب

وسكنها. [١]

أمّا أبوه فهو مالك بن النضر فلا يذكرون عنه شيئاً سوى انّه غضب على أُمّ سليم و خرج إلى الشام فمات كافراً هناك.

وأمّا أُمّه فهي أُمّ سُليـم بنت مِلْحان بن خالد بن زيد بـن حرام بن جندب ابن عامر بن غنم بن عدي بن النجّار الأنصـارية الخزرجية النجّارية، فقد خطبها أبو طلحة بعد ما مات زوجها مالك، وهو مشرك، فقالت: أمّا انّ لي فيك رغبة وما مثلك يُـرد، ولكنك كافـر وأنا امـرأة مسلمة فـان تسلم فلك مهـري و لا أسألك غيره، فأسلم وتزوّجها.

و كان لأُمّ سُليم مواقف في بعض الغزوات لا سيما يوم أُحد. [٢]

وقد وصف أنس بالأوصاف التالية:

المفتي، المقرئ، المحـدِّث، راويـة الإسـلام، خـادم رسول الله، وهـو آخـر أصحابه موتـاً وحيث إنّه ولد قبل الهجرة بعشر سنين وأشهر الأقـوال في وفاته انّه توفي عام ٩٣ فيكون عمره على هذا مائة وثلاثة سنين.

يقول الذهبـي: قال الأنصاري اختلف علينا في سـنّ أنس، فقال بعضهم: بلغ ١٠٣ سنين، وقال بعضهم: ١٠٧ سنين.

وقال أيضاً: مسنده ألفان ومائتـان وستة وثمانون، اتّفق له البخاري ومسلم علىٰ ١٨٠ حديثاً، وانفرد البخاري بثمانين حديثاً، ومسلم بتسعين. [٣]

وقد أحصيتُ أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ١٤٧٢ [٤]، وهو يقل بكثير

---

١. مشـاهير علماء الأمصار واعـلام فقهـاء الأقطار: ٦٥ بـرقـم ٢١٥، وسيوافيـك الاختلاف في مـدة خدمته.

٢. سير أعلام النبلاء: ٢/ ٣٠٤ برقم ٥٥.

٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٠٦ برقم ٦٢.

٤. المسند الجامع: ٣/ ٦٩.

عمّا ذكره الذهبي والحقّ انّ المسند الجامع ليس بجامع.

وكان أنس يقول: قدم رسول الله المدينة وأنا ابن عشر و مات وأنا ابن عشرين، وكن أُمّهاتي تحثّني علىٰ خدمته. (١)

وعلى ذلك فما يرويه من الروايات عن النبي مباشرة ـ وهو الأغلب ـ إنّما أخذه في هذه السنين وهو بعدُ لم يزل صبياً، مراهقاً.

يروي عن: النبي، وعن: أبي بكر وعمر و عثمان ومعاذ وأسيد بن الحضير وأبي طلحة وأُمّه أُمّ سُليم وفاطمة الزهراء وغيرهم. (٢)

كما أخذ عنه خلق كثير، منهم: الحسن البصري، وابن سيرين، و الشعبي، وأبو قلابة، ومكحول، وعمر بن عبد العزيز، وثابت البناني، إلى غير ذلك ممّن يروي عنه. (٣)

وقد شارك في بعض الغزوات وجاء في حديثه مشاركته في غزوة خيبر كما سيوافيك وهو الراوية الثاني للحديث النبوي بعد أبي هريرة، فهما من المكثرين للرواية عن رسول الله ﷺ.

ومن أبرز سماته انّه يروي في أغلب الأحيان أفعال النبي ﷺ كما هو واضح لمن استقصى أحاديثه فالقول والفعل كلاهما سنّة.

وقد خدم البيت النبوي مدّة مديدة لمس خلالها مدى الحب والعناية التي كان النبي يوليها لبنته فاطمة الزهراء وابنيها الحسن والحسين عليهما السلام، فانعكس كل ذلك على اخباره.

روى عن النبي ﷺ انّه قال: حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران،

---

١. مسند أحمد: ٣/ ١١٠.

٢. سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٩٦؛ تهذيب التهذيب: ١/ ٣٧٦ برقم ٦٩٠.

٣. سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٩٦.

وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وآسية امرأة فرعون. [١]

وروي أيضاً: جاء جبرئيل إلى النبي ﷺ وعنده خديجة، فقال: إنّ الله يقرئ خديجة السلام، فقالت: إنّ الله هو السلام وعلىٰ جبرئيل السلام وعليك السّلام ورحمة الله. [٢]

وروى أيضاً انّ رسول الله كان يمرّ بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر، يقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. [٣]

وروى الترمذي عن أنس بن مالك: سئل رسول الله أي أهل بيتك أحبّ إليك، قال: الحسن الحسين، وكان يقول لفاطمة: إدعي ابنيّ فيشمُّهما ويضمُّهما إليه. [٤]

أخرج الترمذي عن السدّيّ،عن أنس بن مالك، قال: كان عند النبي طير، فقال: اللّهمّ إئتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، فجاء علي فأكل معه. [٥]

أخرج الإمام أحمد عن عبد الصمد وعفان، قالا: حدّثنا حماد، عن سماك، عن أنس بن مالك انّ رسول الله ﷺ بعث ببراءة مع أبي بكر الصديق (رض) فلما بلغ ذا الحليفة، قال عفان: لا يبلغها إلاّ أنا أو رجل من أهل بيتي فبعث بها مع علي عليه السلام. [٦]

كلّ ذلك يعرب عن تعاطفه مع أهل البيت عليهم السلام.

---

١. مسند أحمد:٣/ ١٣٥؛ والترمذي: السنن: برقم٣٨٧٨.

٢. سنن النسائي، في باب عمل اليوم و الليلة برقم ٣٧٤، وأخرجه في فضائل الصحابة برقم ٢٥٤.

٣. مسند أحمد: ٣/ ٢٥٩ـ ٢٨٥.

٤. الترمذي: السنن: ٥/ ٦٥٧ برقم ٣٧٧٢.

٥. الترمذي: السنن:٥/ ٦٣٦ برقم ٣٧٢١، كتاب المناقب.

٦. مسند أحمد:٣/ ٢١٢.

روائع أحاديثه

نذكر في المقام شيئاً من روائع أحاديثه ليكون انموذجاً لما لم نذكر.

١. عن حميد عن أنس انّ رسول الله، قال:

انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قيل يا رسول الله: هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تمنعه من الظلم. (١)

٢. عن أبي عبد الله الأسدي، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ:

دع ما يريبك إلى ما لا يريبك. (٢)

٣. عن قتادة عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ:

﴿قل هو الله﴾ تعدل ثلث القرآن. (٣)

٤. عن سليمان التيمي، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ: من كذب عليّ فليتبوّأ مقعده من النار. (٤)

٥. عن أبي حفص انّه سمع أنس بن مالك يقول: قال النبي ﷺ: إنّ مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يُهتدىٰ بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة. (٥)

٦. عن خلف أبي الربيع قال: حدّثنا أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق. (٦)

---

١. مسند أحمد:٣/ ٢٠١.

٢. مسند أحمد:٣/ ١٥٣.

٣. سنن ابن ماجة برقم ٣٧٨٨.

٤. مسند أحمد:٣/ ١١٦.

٥. مسند أحمد:٣/ ١٥٧.

٦. مسند أحمد:٣/ ١٩٩.

٧. عن أبي التّياح انّه سمع أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: البركة في نواصي الخيل. [١]

هذه مقتطفات من روائع أحاديثه التي يعلو عليها نور النبوة ويدل سموُّ مضمونها علىٰ صدق مقاله، فالأُمّة قاطبة تنهل من النمير العذب لتلك الأحاديث بلا تريّث، ولكن مع الاعتراف بذلك ففي الروايات المروية عنه شذوذ وشطحات تصدّنا عن الأخذ بها .

١ . طواف النبي على نسائه في ليلة واحدة

روى البخاري عن قتادة، انّ أنس بن مالك حدَّثهم: انّ نبي الله كان يطوف علىٰ نسائه في الليلة الواحدة وله أيضاً تسع نسوة. [٢]

وقد تضافر نقل هذا الحديث عن أنس انّ النبي كان يطوف على نسائه في غسل واحد. [٣]

وعن قتادة، قال حدثنا أنس بن مالك، قال: كان النبي يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهنّ إحدى عشرة، قال: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث انّه أُعطي قوّة ثلاثين. [٤]

هذا وإذا أردنا أن نستقصي أسانيد هذه الرواية من كتب الحديث لطال بنا الكلام فقد نقلها عنه غير واحد من أصحاب السنن والمسانيد.

---

١. مسند أحمد: ٣/ ١١٤.

٢. صحيح البخاري: ١/ ٧٩، باب الجنب يخرج ويمشي في السوق وغيره، ولاحظ ٧/ ٤ باب كثرة النساء.

٣. مسند أحمد: ٣/ ١٦١؛ وصحيح البخاري: ٧/ ٣٤، باب من طاف على نسائه في غسل واحد من كتاب النكاح.

٤. مسند أحمد: ٣/ ٢٩١.

إنّ الحسن والقبح العقليين وإن صارا معرضاً للنقاش بين العدلية والأشاعرة ولكن الحسن والقبح العرفيين أمر لا يمكن أن ينكر، فالأكل في الطريق وإن كان أمراً مباحاً ولكن تستنفره طبائع الناس، فعلى النبي تنزيه ساحته عن كلّ ما يوجب انفضاض الناس عنه، ولا يقلّ عن هذا العمل، الطوافُ على النساء التسع على رواية أو الإحدىٰ عشرة علىٰ رواية أُخرى في ليلة واحدة أمام شاب مراهق كأنس.

فلو كان الحافز لذلك العمل هو بيان الحكم الشرعي وانّه يجوز الاقتصار علىٰ غسل واحد لجنابات متعددة فما أيسر بيانَه في ثنايا كلماته ومواعظه كسائر ما أفاده من الأحكام والسنن.

وهل كان الجمع بين النساء في الدخول في ليلة واحدة أمراً مفروضاً عليه مع انّ أصل وطء الزوجة أمر مختلف فيه في فقه أهل السنّة، فالحنابلة على أنّه يجب على الزوج وطء زوجته في كلّ أربعة أشهر مرّة واحدة إن لم يكن له عذر، والحنفية على أنّه ليس لها حق المطالبة به في العمر إلاّ مرّة واحدة، والشافعية علىٰ أنّه ليس للمرأة الحقّ في مطالبة الرجل بالوطء لأنّ عقد النكاح واقع علىٰ أن يستمتع الرجل بها فا لمعقود عليها هي المرأة لا الرجل فعلى هذا فالوطء حقّه. [1]

وعليه لا يتصور وجوب الوطء إلاّ علىٰ مذهب الحنابلة دون غيرهم، كما لا يجب الوطء في ليلة واحدة بل له ﷺ أداء حقّهن ضمن ليالي.

ثمّ إنّ ما برّر به أنس إمكان عمل النبي بعد ما سئل عن إطاقة النبي فأجاب: كنّا نتحدث انّه أُعطي قوة ثلاثين رجلاً. [2] أمر مشكل، فإن أوقفه النبي على ذلك فلماذا لم ينسبه إليه؟ وإن أخذه من غيره فمن أوقفه على ذلك؟ ومن أين عرف انّ نبي الإسلام أُعطي قوة ثلاثين رجلاً ؟

---

١. لاحظ الفقه على المذاهب الأربعة: ٤/ ٢٤٠ـ٢٤١.

٢. مسند أحمد: ٣/ ٢٩١.

نعم دلّ العقل والشرع علىٰ لـزوم بلوغ الأنبياء في العقل والـوعي والأخلاق الحميدة والفضائل الحسنـة مرتبة سامية تجعلهم في مستوى عـال يتفوقون بها علىٰ سائر البشر، وأمّا مـا سوى ذلك ممّا لا يعد مَحْمَدة في العمل ولا كـرامة في الأخلاق فلم يدل دليل علىٰ تفوّقهم على الناس بشيء فضلاً عن إعطائهم قوة ثلاثين رجلاً فيما يرجع إلى الغرائز السافلة.

كلّ ذلك يعرب عن وهن الحديث مضموناً وعدم مطابقته للأُصول المسلمة عند المسلمين.

ثمّ إنّ القيام بهذا العمل أمام شاب مراهق ـ كما قلنـا ـ أمر قبيح عرفاً، ينفّر الناس عـن النبي إذا سمعوا بـه، و هذا هو البخـاري يحدثنا انّ أنساً لحق بـالنبي قُبيل غزوة خيبر التي وقعت في محرم سنة ٧ من الهجرة [١].

أخرج البخاري عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب انّه سمع أنس بن مالـك يقول: قال رسول الله ﷺ لأبي طلحة: التمس غلاماً من غلمانكم يخدمني، فخرج بي أبو طلحة يردفني وراءه، فكنت أخدم رسول الله كلما نزل، فكنت أسمعـه يكثر أن يقول: «اللّهمّ انّي أعوذ بـك من الهم والحَزَنِ والعجز والكسل والبخل والجبـن وضَلَع الدَّين، وغلبـة الرجـال»، فلم أزل أخدمـه حتى أقبلنا من خيبر. [٢]

فهذا يعرب عن أنّه لحق بالنبـي في سنة ٧ للهجرة وله من العمر ١٧ أو ١٨ عامـاً أفيمكن أن يقـوم النبي ﷺ أمـام شاب مـراهق في عنفوان شبـابه و ثـوران شهواته بالطواف على زوجاته في ليلة واحدة؟!

كان النبي ﷺ إنساناً حيِياً عفيفاً، و هذا هو القـاضي عياض، يعرّفه بقوله:

---

١. سيرة ابن هشام: ٣/ ٣٢٨.

٢. صحيح البخاري: ٧/ ٧٦، باب الحيس من كتاب الأطعمة.

وكان النبي ﷺ أشدّ الناس حياءً، وأكثرهم عن العورات اغضاءً.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُم كانَ يـؤذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحي مِنكُمْ وَاللهُ لا يَسْتَحِي مِنَ الحَقِّ﴾ (الأحزاب/ ٥٣).

وعن أبي سعيـد الخدري (رض): كان رسول الله أشـد حياءً مـن العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفنـاه في وجهه، وكان لطيف البشرة، رقيق الظاهر، لا يشافه أحداً بما يكرهه حياءً وكرم نفس.

وعن عائشة: كـان النبي إذا بلغه عن أحد يكرهه لم يقل مـا بال فلان يقول كذا، ولكن يقول: ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا.

وروى عنه: انّه كـان من حيائه لا يُثبت بصره في وجه أحد و انّـه كان يُكنّي عما اضطره الكلام إليه ممّا يكره.

وعن عائشة: ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قط.[1]

فإذا كان هذا حياءَه وعفتَه، فهل يتصوّر أن يطوف في ليلة واحدة على تسع أو إحـدىٰ عشرة من زوجـاته واحـدة تلـو الأُخرى، ونسـاءه مطلعـات على ذلك مضافاً إلى غلامه الذي بلغ سن المراهقة وهو في شره غريزته؟

إنّ عمل كـلّ إنسان يعكـس نفسيـاته وملكـاتـه، فهـذا النوع مـن العمل يكشف عن نفسيّـة غارقـة في حب الشهـوات، والنبي ﷺ أجل من هـذه التهمة الرخيصة، ومن قرأ حياته وهو في شرخ شبابه إلى ان ذرّف العقد السادس من عمره الشريف يقف، على أنّه كان بعيداً عن أيّ عمل يمت إلى ذلك بصلة.

«فهو قـد تزوج خـديجة وهو في الثـالثة والعشريـن من عمره وهـو في شرخ الصبا، وريعـان الفتوة، ووسـامة الطلعـة، وجمال القسمات وكمال الرجوليـة، ومع

---

١. القـاضي عياض الأنـدلسي: الشفاء، بتعـريف حقـوق المصطفى:١/ ٢٤١ـ ٢٤٣.ولاحظ مسنـد أحمد:٣/ ٧١.

ذلك ظلّت خديجة وحـدها زوجه ثماني وعشرين سنـة حتى تخطّى الخمسين،هذا على حين كان تعـدد الزوجات أمـراً شائعاً بين العـرب في ذلك العهد و على حين كان لمحمد ﷺ مندوحة في التـزويج علىٰ خديجة أن لم يعش له منهـا ذَكَر، في وقت كان تُـوأد فيه البنـات، وكان الذكـور وحدهم هم الـذين يعتبرون خلفاً وقـد ظل النبي مع خديجة سبع عشرة سنة قبل بعثه وإحـدىٰ عشرة سنة بعده وهو لا يفكر قط في أن يُشرك معها غيرها في فراشه، ولم يعرف عنه في حياة خديجة ولم يعرف عنه قبل زواجه منها، انّه كان ممن تغريهم مَفاتن النساء، في وقت لم يكن فيه على النساء حجاب بـل كانت النسـاء يتبرجنَّ فيه و يبـدينّ من زينتهنّ مـا حرّم الإسـلام من بعد». [١]

فمن غير الطبيعي ان تراه وقد تخطـى الخمسين ينقلب فجأة هذا الانقلاب الذي تصوره تلك الرواية.

وأمّا تعـدد زوجاتـه ونسائه، فمن قـرأ صفحات تـاريخه يقف علىٰ أنّـه كان لأجل غايات سياسية أو اجتماعية أو ما يشبههما.

مثلاً انّه ﷺ لم يشرك مع خـديجة أحداً مـدىٰ ٢٨ سنة، فلمّا قبضهـا الله إليه تزوج سـودة بنت زمعـة أرملة السكـران بن عمرو بـن عبد شمس، ولم يـرو راو انّ سودة كـانت من الجمال أو مـن الثروة أو من المكـانة بما يجعـل لمطمع من مطـامع الدنيـا أثراً في زواجه بها، إنّما كـانت سودة زوجـاً لرجل من السـابقين إلى الإسلام الذين احتملوا في سبيله الأذىٰ والذين هاجروا إلى الحبشة بعد ان أمرهم النبي ﷺ بالهجرة وراء البحر إليها، وقد أسلمت سودة وهاجرت معه وعانت من المشاق ما عانىٰ، ولقيت من الأذىٰ مالقـي، فإذا تزوّجها النبي ﷺ بعد ذلك ليعولها وليرتفع بمكانتهـا إلى أُمومة المؤمنين، فذلك أمـر يستحق من أجله أسمى التقـدير وأجلّ الحمد. [٢]

---

١ و ٢. محمد حسين هيكل، حياة محمد، ص ٣١٨ـ٣١٩ الطبعة الثالثة عشرة.

هذه إلمامه إجمالية لتعدّد زوجـاته، ومن أراد التفصيل، فليتصفّح صفحات التاريخ حتى يقف على الحوافز التي دفعته إلى الزواج بهنّ.

وممّا يعـرب عن ضعف الروايـة ما رواه نفس أنـس في حقّ النبي ﷺ وقال: وكان النبي شديد الحياء [١].

ويروى أيضاً: في قضيـة تزويج النبي بزينـب وإقامة وليمة ويقـول: فأكلوا حتى شبعـوا وخرجـوا وبقي طائفـة منهم، فأطالـوا عليه الحديـث، فجعل النبي يستحيي منهم أن يقول لهم شيئاً. [٢]

ما رواه حول زواج النبي ﷺ بصفية

انّ ما رواه أنس حـول صفية، ممّا يشـوِّه سمعة النبي ﷺ ولا يوافق الأُصول المسلمة المستفادة من الكتاب والسنّة.

أخرج مسلم في صحيحه عن ثابت، قال: حدّثنا أنس، قال: صارت صفية لدحية في مقسمه، وجعلوا يمدحونها عند رسول الله ﷺ قال: ويقولون: ما رأينا في السبي مثلها، قـال: فبعث إلىٰ دحية فأعطاه بها ما أراد، ثمّ دفعهـا إلى أُمي، فقال: أصلحيها، ثمّ خـرج رسول الله ﷺ من خيبر حتـى إذا جعلهـا في ظهـره نـزل، ثمّ ضرب عليها القبّة. [٣]

أخرج البخاري عن مولى المطّلب، عـن أنس بن مالك في رواية... فلمّا فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب وقد قُتل زوجها فكانت عروساً فاصطفاها النبيﷺ لنفسه، فخرج بها حتى بلغنا سد الصهباء حلّت، فبنىٰ

---

١. صحيح البخـاري: ٦/ ١١٩، تفسير سـورة الأحزاب، بـاب زواج زينب بنـت جحش من كتـاب النكاح.

٢. مسند أحمد:٣/ ١٦٣؛ صحيح مسلم:٤/ ١٥٢.

٣. صحيح مسلم: ٤/ ١٤٨؛ مسند أحمد: ٣/ ١٩٥.

بها ثمّ صنع حيساً في نطع صغير، ثمّ قال رسول الله ﷺ: آذن من حولك، فكانت تلك وليمة رسول الله علىٰ صفية، ثمّ خرجنا إلى المدينة. (١)

ثمة تأملات حول الروايتين:

أوّلاً: وجود التهافت بينهما حيث إنّ الرواية الأُولى تصرّح بأنّ صفية صارت لدحية في مقسمه، فلمّا سمع النبي مدح الناس إيّاها وقولهم: «ما رأينا في السبي مثلها» بعث إلىٰ دحية فأعطاه بها ما أراد، ثمّ أخذها منه و دفعها إلى أُم أنس كي تصلحها، ولكن الظاهر من الثانية هو انّ النبي اختارها لنفسه من أوّل الأمر بعد أن ذكر له جمال صفية ومحاسنها.

وثانياً: انّ الفقه الإسلامي يصرّح بأنّ صفايا الغنائم للنبي والخليفة بعده، ولكن لا يصلح لمسلم الدخول بالأمة المسبية إلاّ بعد استبراء رحمها، فكيف بنىٰ بها النبي في الطريق قبل الاستبراء علىٰ كلتا الروايتين؟ كما هو صريح قوله: «وقد قتل زوجها وكانت عروساً، فخرج بها حتى بلغنا سدَّ الصهباء حلّت فبنىٰ بها».

وقد روىٰ أبو سعيد الخدري: «انّه لا توطأ حامل حتى تضع ولا غير ذات حمل حتى تحيض حيضة واحدة» وروى رويفع بن ثابت الأنصاري عن رسول الله ﷺ انّه قال يوم حنين: «لا يحل لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره ـ يعني إتيان الحبالىٰ ـ ولا يحل لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقع على امرأة من السبي حتى يستبرئها». (٢)

وقد صرح بلزوم استبراء الأمة فقهاء المذاهب قاطبة من غير فرق بين سبب دون سبب، ففي المبسوط: لو ملكها بهبة أو صدقة أو ميراث أو جناية وجبت عليه، أو جعل كتابة أو خلع فعليه الاستبراء فيها.

---

١. صحيح البخاري: ٥/ ١٣٥، باب غزوة خيبر.

٢. أبو داود، السنن: ٢/ ٢٤٨، برقم ٢١٥٧ و٢١٥٨.

وهذا كما ترىٰ يذهب إلى الاستبراء بصورة عامة.

ومنهم من صرّح بما إذا كان السبب هو الغنيمة فحسب.

فقد جاء في كشف القناع: يجب الاستبراء بملك اليمين من قنّ و مكاتبة وأُمّ ولد ومدبرة عند حدوث الملك بشراء أو هبة أو إرث أو وصية أو غنيمة أو غير ذلك. [1]

وثالثاً: انّ مكارم الأخلاق التي تمتع بها النبي ﷺ تصدّه عن البناء بها في الطريق تحت القبة وفي معرض أنظار المسلمين، ولا يقوم بذلك من له أدنى حظ من العفة.

ولعمري انّ تلك الروايات وأمثالها التي رواها أنس بن مالك أو رووا عنه تُشوِّه سمعة النبي ﷺ الذي كان في منتهى الخلق الكريم والأدب الرفيع، وقد اقتصرنا على هاتين الروايتين، وإلاّ فالروايات التي تمس كرامة النبي ﷺ موجودة بوفرة في روايات أنس أو في من رووا عنه، و وزر ذلك على من دسّ تلك الروايات في الأحاديث النبوية فأخذها السُّذَّج من الناس حقائق ثمّ حاولوا أن يبرروها بوجوه غير مقبولة.

٢. أبو النبي ﷺ في النار

أخرج مسلم عن ثابت، عن أنس انّ رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال في النار، فلما قفّىٰ، دعاه فقال: إنّ أبي وأباك في النار. [2]

وروى أحمد بهذا الطريق قال، قال رجل للنبي ﷺ أين أبي؟ قال: في النار،

---

١. لاحظ في الوقوف على نصوص المذاهب في لازم الاستبراء، موسوعة الفقه الإسلامي: ٥/ ١٨٣ ـ ١٨٧.

٢. مسلم، الصحيح: ١/ ١٣٢ ـ ١٣٣، باب انّ من مات على الكفر فهو في النار. من كتاب الإيمان.

قال: فلمّا رأى ما في وجهه قال: إنّ أبي و أباك في النار. [١]

وثمة تساؤلات نطرحها وهي:

أ. انّ المعروف عن النبي ﷺ هو العطف والحنان في معاشرته مع الناس وعلى ضوء ذلك، فهل كان من واجب النبي ﷺ أن يجيب علىٰ سؤاله و يصرّح انّ مكانه في النار، و لمّا شاهد انزعاجه من جوابه اضطرّ إلى تسليته بأنّ أباه مثل أبيه كلاهما في النار، ومثل هذا السؤال والجواب لا يصدر ممّن وصفه سبحانه بالخلق والفضل العظيم.

قال الإمام النووي في شرح الحديث: قوله :«إنّ أبي وأباك في النار» هو من حسن العشرة بالتسلية بالاشتراك في المصيبة. [٢] نعم من حسن العشرة لكن من غير مبرِّر لكسر قلبه ببيان مصير أبيه ثمّ تسليته.

ب. إنّ الذين عاشوا بعد المسيح إلىٰ حين بعثة النبي ﷺ علىٰ طائفتين، فمنهم من تمت عليه الحجّة فلا شكّ انّه في نار الجحيم، وأمّا من لم تتم عليه الحجّة فهو ممّن قال سبحانه في حقّه: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللهِ إِمّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكيم﴾ (التوبة/ ١٠٦) فليس كلّ من عاش بين الفترتين في النار قطعاً، فهل كان والد السائل ممن تمت عليه الحجة ؟

ج. إنّ الرواية تخالف ما عليه الإمامية والزيدية وجملة من محققي أهل السنّة من أنّ والدي النبي كانوا موحدين وشذَّ من قال إنّ النبي مع كثرة ما أنعم الله عليه ووفور إحسانه إليه لم يرزقه إحسان والديه، فإنّ هذه الكلمة صدرت من غير تحقيق، فانّ التاريخ لم يضبط من سيرتهما إلاّ شيئاً يسيراً، و فيما ضبط إيعاز لو لم نقل دلالة علىٰ إيمان والديه، فقد نقل التاريخ عن والد النبي ﷺ انّه عندما

---

١. مسند أحمد:٣/ ١١٩.

٢. شرح صحيح مسلم للإمام النووي:٣/ ٧٩.

عرضت فاطمة الخثعمية نفسها عليه، فقال: رداً عليها:

أمّـــا الحرام فــالمات دونـــه   والحلّ لا حـــلّ فـــاستبينـــه

يحمـي الكــريـمُ عــرضَــه ودينَــه   فكيـف بــالأمـر الــذي تبغينــه[١]

أضف إلى ذلـك تضـافر الـروايـات حـول طهارة ولادة النبـي التي جمعهـا الحافظ أبو الفداء ابن كثير في تاريخه، قال :وخطب النبي وقال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب...و ما افترق الناس فرقتين إلاّ جعلني الله في خيرها، فأخرجت من بين أبويَّ، فلـم يصبني شيء من عهد الجاهليـة وخرجت من نكـاح ولم أخرج من سفـاح، من لدن آدم حتـى انتهيت إلى أبي وأُمّي فأنـا خيركم نفسـاً و خيركم أبـاً.[٢]

إلى غير ذلك من الأحاديث والروايات وكلمات المحقّقين التي استقصيناها في كتابنا مفاهيم القرآن.[٣]

قـال القاضي عيـاض الأندلسي: فـانّه نخبـة بني هـاشم وسـلالة قـريش وصميمها وأشرف العرب وأعزهم نفراً من قبل أبيه وأُمّه.

وعن العباس (رض) قال: قال النبي ﷺ: إنّ الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم و من خير قرنهم، ثمّ تخيّر القبائل فجعلني من خير قبيلة، ثمّ تخيّر البيوت فجعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً...إلى أن قال:

وعن ابـن عباس: قـال رسـول الله : فاهبطنـي الله إلى الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب إبراهيم، ثمّ لم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتىٰ أخرجني من أبويّ.[٤]

---

١. السيرة الحلبية: ١/ ٤٦.   ٢. البداية والنهاية: ٢/ ٢٥٥.

٣. مفاهيم القرآن: ٥/ ١٤٨ـ ١٥٠.

٤. القاضي عياض، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى: ١/ ١٨٠ـ ١٨٣.

فهذا النور الذي قدّر في علمه سبحانه أن يضيْ العالم بجماله، ويغيّر مصير التاريخ برسالته لا يحتضنه إلاّ أصلاب شامخة وأرحام مطهرة كنوح و إبراهيم ومن بعده كلّهم موحدون منزّهون عن عبادة الأوثان ورذائل الأعمال ومساوئ الأخلاق.

وبما ذكرنا يعلم عدم صحّة ما أخرجه أحمد عن وكيع بن حدس، عن أبي رزين عمّه، قال: قلت يا رسول الله: أين أُمّي؟ قال: أُمّك في النار، قال: قلت: فأين من مضى من أهلك؟ قال: أما ترضى أن تكون أُمّك مع أُمّي. [١]

٣. نسيان السورة من أعظم الذنوب

أخرج أبو داود [٢] و الترمذي [٣] عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: عرضت عليّ أجور أُمّتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت عليّ ذنوب أُمّتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثمّ نسيها.

أقول: لم يدل دليل على وجوب حفظ القرآن، ولا على حرمة نسيانه بعد حفظه، ومع غض النظر عن ذلك كيف يكون نسيان آية من المحرمات الموبقة المهلكة وفي عداد أكل الربا الذي يعد آكله محارباً لله ولرسوله ؟ قال سبحانه: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَذَرُوا مٰا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ* فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾** (البقرة/ ٢٧٨ـ٢٧٩).

أو في عداد من يحارب الله ورسوله؟ قال سبحانه: **﴿إِنَّما جَزاؤُا الَّذِينَ**

---

١. مسند أحمد:٤/ ١١.

٢. سنن أبي داود : ١/ ١٢٦ برقم ٤٦١.

٣. سنن الترمذي: ٥/ ١٧٨ برقم ٢٩١٦.

يُحارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرض فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَو يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ... ﴾ (المائدة/ ٣٣).

فعلى ضوء هذا الحديث يكون نسيان آية من آيات القرآن أعظم من أكل الربا والسعي للفساد في الأرض، و الزنا بالمحارم في الأماكن المتبركة، وقتل النفس المحترمة، ونهب الأموال.

ولما كان الحديث من الوهن بمكان، عاد الترمذي يستغربه ويقول: هذا حديث غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه.

قال: وذاكرت به محمد بن إسماعيل فلم يعرفه واستغربه.

٤. اجتهاد النبي في الأحكام

أخرج الإمام أحمد عن عبد الوارث مولى أنس بن مالك، و عمرو بن عامر عن أنس، قال:

نهى رسول الله عن زيارة القبور، وعن لحوم الأضاحي بعد ثلاث، وعن النبيذ في الدّباء [١] والنقير [٢] والحنتم [٣] والمزفت [٤].

قال: ثمّ قال رسول الله بعد ذلك: ألا إنّي قد نهيتكم عن ثلاث ثمّ بدالي فيهنّ: نهيتكم عن زيارة القبور، ثمّ بدا لي انّها ترقّ القلب وتُدمِعُ العينَ وتذكر الآخرة فزوروها ولا تقولوا هجراً، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث ليال ثمّ

---

١. الدباء: القرع وأحدها دُبّاءة كانوا ينتبذون فيها فتُسرع الشدّة في الشراب.(النهاية:٢/ ٩٦).

٢.النقير: أصل خشبة ينقر فينبذ فيه فيشتد نبيذه.

٣.الحنتم واحدتها حنتمة، نهي عن الانتباذ فيها لأنّهاتسرع الشدة فيها لأجل دهنها.(النهاية:١/ ٤٤٨).

٤. المزفت: هو الإناء الذي طلي بالزفت وهو نوع من القار، ثمّ انتبذ فيه.(النهاية:٢/ ٣٠٤).

بدا لي انّ الناس يتحفون ضيفهم ويخبئون لغائبهم فامسكوا ما شئتم، ونهيتكم عن النبيذ في هـذه الأوعية فاشربوا بها شئتـم ولا تشربوا مسكراً فمن شـاء أوكأ سقاءه على إثم. [١]

هنا تساؤلات نطرحها:

أ. الحديث ــ مع قطع النظر عن سنـده ــ مبني علىٰ أنّه يصحّ للنبي ﷺ الاجتهاد في الأحكام الشرعيـة وانّه كسائر المجتهدين يخطـئ ويصيب، ولكن هذا الزعم يخالف الذكر الحكيم، قال سبحانه: **﴿وَلَولا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طائِفَـةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَما يُضِلُّـونَ إِلّاأنفُسَهُم وَما يَضُرُّونَكَ مِـنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾** (النساء/ ١١٣).

وقد ذكـر المفسرون أسباب نـزول متعددة لهذه الآية تجمعهـا انّها رفعت إلى النبي ﷺ واقعة كان الحقّ فيها غير واضح، فأراه الله سبحـانه حقيقة الواقع الذي تخاصم فيها المتحاكمان وعلّله بقوله: **﴿وَلَولا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾**.

ففضل الله ورحمتـه صدّاه عن الحكـم بالبـاطل، وهل كـان فضله سبحـانه ورحمته مختصين بهذه الواقعة أو انّهما خيّما عليه ﷺ طيلة عمره الشريف؟ مقتضى قوله سبحـانه في ذيل الآية: **﴿وَكانَ فَضْلُ اللهِ عليكَ عَظيماً﴾** هو انّـه حظي بهما طيلة عمره الشريف. فهو في كلّ الحوادث والـوقائع يحكم بمرّ الحق ونفس الواقع مؤيّـداً من قبل الله، و من اختص بهذه المنـزلة الكبيرة فقد استغنى عـن الاجتهاد المصيب تارة والمخطئ أُخرى.

ب. انّه سبحانـه يخاطب النبي ﷺ بقوله: **﴿ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ**

---

١. مسند أحمد:٣/ ٢٣٧ برقم ١٣٠٧٥.

الأَمْرِ فَاتَّبِعْها وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ لاٰ يَعْلَمُون﴾ (الجاثية/ ١٨).

والشريعة هي طريق ورود الماء، والأمر، أمر الدين و معنى الآية انّه سبحانه تبارك وتعالى أورد النبي ﷺ الطريق الموصل إلى الدين قطعاً، ومن حظي بتلك المنزلة، فما يصدر عنه إنّما يصدر عن واقع الدين لا عن الدين المظنون الذي يُخطئ ويصيب، وليست تلك الخصيصة من خصائصه ﷺ فقط بل قد حظي بها معظم الأنبياء، قال سبحانه: **﴿لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنهاجاً﴾** (المائدة/ ٤٨).

ج. انّ طبيعة الاجتهاد خاضعة للنقاش والنقد، فلو اجتهد النبي ﷺ في بعض الأحكام فنظره كغيره قابل للنقد والنقاش، ومعه كيف يكون حلال محمد حلالاً إلىٰ يوم القيامة وحرامه حراماً إلىٰ يوم القيامة؟ وكيف تكون شريعته خاتمة الشرائع؟ فهذه الضابطة ثابتة إلاّ فيما ثبت فيه النسخ.

كلّ ذلك يعرب عن أنّ نسبة الاجتهاد إلى النبي ﷺ بعيدة عن الصواب، وإنّما يتفوّه بها من ليس له أدنىٰ إلمام بمقامات الأنبياء، لا سيما خاتم النبيين أفضل الخليقة.

ما ذكرناه من الوجوه ترجع إلى الحكم الكلي، أعني: جواز اجتهاد النبي ﷺ في بيان الأحكام وقد عرفت انّه مرفوض بنص الكتاب، وعلى فرض تسويغ الاجتهاد للنبي ﷺ فهو في المقام أمر غريب، لأنّ مفاده انّ النبي ﷺ كان غافلاً عن حكمة زيارة القبور وهي انّها ترقّ القلوب و تذكّر الآخرة، ولكنّه انتقل إليها بعد حين من الدهر غير انّ تلك الحكمة ليست من الأُمور التي يغفل عنها السُّذَّج من الناس، فكيف بالنبي ﷺ الذي وصف الله علمه بالعظمة؟ ومثله نهيه عن أكل لحوم الأضاحي ثمّ تسويغه، لأنّ الناس ربما يحتاجون إليها لأجل اتحاف ضيفهم أو قدوم غائبهم.

فالرواية إمّا مدسوسة أو منقولة علىٰ غير وجهها.

٥. جواز الصوم في السفر

أخرج البخاري في صحيحه، عن عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: كنّا نسافر مع النبي، فلم يُعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم. (١)

وأخرجه مسلم بسنده إلى حُميد، قال: سئل أنس (رض) عن صوم رمضان في السفر فقال: سافرنا مع رسول الله ﷺ في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم. (٢)

إنّ الرواية وإن لم تنقل حكم النبي ﷺ حول الصيام في السفر، لكنّها تتضمّن اتّفاق الصحابة على صحة الصوم في السفر، لأجل أنّه لم يُعِب المفطر على الصائم ولا الصائم على المفطر.

ولكن ثمة تساؤلات حول الروايتين:

أ. انّ الذكر الحكيم فرض الإفطار عند السفر وجعل الواجب على المسافر هو الصيام في أيام أُخر، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة/ ١٨٣ـ١٨٤).

إنّ الآية الكريمة بصدد تشريع الحكم وبيان وظيفة المسلمين، وعلى ذلك يكون مفاد الآية انّ المشروع في حقّ السالم والحاضر هو الصيام في نفس الأيام المعدودات(أي شهر رمضان).

كما انّ المشروع في حقّ غيرهما ـ أعني المريض والمسافر ـ هو الصيام في غير

١. البخاري، الصحيح: ٣/ ٣٤، باب لم يعب أصحاب النبي بعضهم بعضاً.

٢. صحيح مسلم: ٣/ ١٤٣. باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر من كتاب الصيام.

تلك الأيـام، وهـذا هـو المتبـادر من الآيـة بقـرينـة انّها في مقـام التشريع و بيـان الوظائف.

وعلى ذلك فيكون مفاد قوله:﴿فَمَنْ كانَ مِنكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيّامٍ أُخَر﴾ هـو أنّ المكتـوب عليهم، الصيـام في أيّـام أُخر لا الصيـام في شهـر رمضـان، فينتج عـدم مشروعية الصـوم لهاتين الطـائفتين في شهـر رمضان لكـون المكتوب عليهم هو الصيام في غير هذا الشهر.

وعلى هذا فالآية بدلالتها المطابقية تدل على أنّ الإفطار عزيمة وانّ المكتوب عليهما من أوّل الأمر هو الصيام في غير هذا الشهـر وتسميته قضاءً لا باعتبار كون الصيام عليهما واجبـاً في ذلك الشهر، بل بـاعتبار فوات المصلحـة والملاك ووجود المقتضي للصيام فيه لولا المانع من المرض والسفر.

ب. إنّ القائلين بالـرخصة لما رأوا انّ ظاهر الآية يـدل على أنّ المكتوب منذ أوّل الأمر هو الصيـام في غير شهر رمضان حاولـوا تأويل الآية على ما يتبنّـونه من الرخصة، فقدّروا لفظة «فافطر»، وقـالوا إنّ معنى الآية: فمن كان منكم مريضاً أو على سفر (فأفطَرَ) فعليه عدّة من أيّام أُخر ولو لم يفطر فلا.

ولا يخفىٰ عليك انّه تلاعب بالآية وفرض عليها بما لا تدل عليه.

وربّما يتوهم ممّـا جاء في ذيل الآيـة، أعني قوله سبحانه: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُون﴾ دلالته على وجـود الرخصـة للمسافر في الصيـام، ولكن الإمعـان في الآيتين (١٨٣ـ ١٨٤) يثبـت انّ الجملة نـاظـرة إلى صدر الآيـة لا إلى المستثنىٰ أعني الطائفتين.

حيث إنّه سبحانه قال: ﴿يا أَيُّها الّذينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيام﴾.

ثمّ حدّده بقوله: ﴿أَيّاماً معدودات﴾.

ثمّ عاد يؤكد ما أفاده في صدر الآية بقوله: ﴿وأَن تَصُومُوا خيرٌ لَكُمْ﴾ دون

نظر إلى ما جاء في ثنايا الآية من استثناء الطائفتين والدليل على أنّه لا يرجع إلى المستثنىٰ هو انّ الصوم ليس لصالح المريض مطلقاً حتى يعود إليه قوله سبحانه: ﴿وأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ كما انّه ليس لصالح المسافر في أكثر الأحيان.

هذا كلّه في عرض ما حُكي من عمل الأصحاب على الذكر الحكيم فلا يمكن أن يكون عملهم علىٰ خلاف القرآن.

ج. وهناك أمر آخر يرجع إلى ما تضمنه الحديث من سكوت كلّ من الطائفتين أمام الأُخرى فانّه مخالف لما رواه البخاري وغيره، و إليك بعض النصوص.

١. أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله(رض) قال: كان رسول الله في سفر فرأى زحاماً ورجلاً قد ظُلِّل عليه فقال ما هذا؟قال: صائم فقال: ليس من البرّ الصوم في السفر. [1]

ومن الواضح انّ البرّ يقابل الإثم قال سبحانه: ﴿وَتَعاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوىٰ وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوان﴾ (المائدة/ ٢).

الرواية وإن وردت في مسافر صائم وقع في حرج شديد لكن المورد غير مخصص والنبي ﷺ ضرب قاعدة كلية وحكم بأنّ مطلق الصيام في السفر ليس ببر والحجّة هي القاعدة والمورد من أحد مصاديقها، وكان التنديد لأجل صيامه في السفر وانتهائه إلى حرج شديد.

٢. أخرج أحمد، بسنده عن كعب بن عاصم الأشعري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليس من البر الصيام في السفر. [2]

---

١. البخاري، الصحيح: ٣/ ٣٤. باب قول النبي ﷺ لمن ظلل عليه واشتد الحرّ «ليس من البر الصوم في السفر» من كتاب الصوم.

٢. أحمد بن حنبل، المسند: ٥/ ٤٣٤؛ سنن ابن ماجة: ١/ ٥٣٢، الحديث ١٦٦٤.

٣. أخرج ابن ماجة، مثل ذلك عن ابن عمر،وقال في الزوائد: إسناد حديث ابن عمر صحيح، لأنّ محمد بن المصفىٰ، ذكره ابن حبان في الثقات، ووثّقه مسلمة والذهبي في الكاشف، وقال أبو حاتم: صدوق. وقال النسائي: صالح وباقي رجال الاسناد علىٰ شرط الشيخين. (١)

٤. أخرج مسلم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس انّه أخبره انّ رسول الله ﷺ خرج عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثمّ أفطر، قال: وكان صحابة رسول الله ﷺ يتبعون الأحدث فالأحدث من أمره.

٥. وأخرج أيضاً عن ابن شهاب بهذا الاسناد، قال: فكانوا يتبعون الأحدث فالأحدث من أمره ويرونه الناسخ المحكم. (٢)

يستفاد من هذين الحديثين انّ النبي كان يصوم في السفر ثم نسخ ذلك فأمر بالإفطار، فالأمر بالإفطار صار ناسخاً محكّماً ولا يجوز لنا اتباع المنسوخ بعد مجيئ الناسخ.

٦. أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله (رض) انّ رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلىٰ مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم فصام الناس، ثمّ دعا بقدح من ماء، فرفعه حتىٰ نظر الناس إليه، ثمّ شرب، فقيل له بعد ذلك: إنّ بعض الناس قد صام، فقال: أُولئك العصاة، أولئك العصاة. (٣)

وهذا الحديث صريح في أنّ المفطر عاب الصائم، فكيف روي عن أنس انّه لم يعب أحدهما على الآخر؟!

٧. أخرج ابن ماجة عن عبد الرحمان بن عوف، قال: قال رسول الله ﷺ:

---

١. سنن ابن ماجة: ١/ ٥٣٢، الحديث ١٦٦٥ لاحظ تعليقة المحقق.

٢. صحيح مسلم: ٣/ ١٤٠ـ١٤١ باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر من كتاب الصيام.

٣. صحيح مسلم: ٣/ ١٤١ ـ١٤٢ باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر من كتاب الصيام.

صائم رمضان في السفر كالمفطر في الحضر.[١]

إلىٰ غير ذلك من الأحاديث التي تدل علىٰ أمرين:

الأوّل: انّ الإفطار في السفر عزيمة لا رخصة.

الثاني: احتدام النقاش بين الصحابة بعد ورود الحظر عن الصيام في السفر، حيث إنّ رهطاً منهم تابعوا النبي ﷺ فأفطروا، ورهطاً آخر صاموا، فأطلق رسول الله اسم «العصاة» عليهم، والحديث يحكي عن أنّ رهطاً من الصحابة كانوا يقدِّمون رأيهم على الوحي المنزل علىٰ قلب رسول الله ﷺ بحجج واهية، وقد ورد النهي عن ذلك في قوله سبحانه: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيم**﴾ (الحجرات/ ١).

٦. مجبوب متهم بالزنا

أخرج الإمام أحمد في مسنده [٢] ومسلم في صحيحه [٣] عن ثابت، عن أنس: انّ رجلاً كان يُتَّهم بأُم ولد رسول الله ﷺ فقال رسول الله لعلي عليه السلام: إذهب فاضرب عنقه، فأتاه علي عليه السلام، فإذا هو في ركيّ [٤] يتبرّد فيها، فقال له علي: أُخرج، فناوله يده، فأخرجه فإذا هو مجبوب ليس له ذكر، فكفّ عليّ عنه، ثمّ أتى النبي فقال: يا رسول الله، انّه لمجبوب ما له ذكر.

والحديث نقله مسلم في باب براءة حرم النبي من الريبة، وحاصل الحديث انّ رجلاً كان يتهم بأُمّ ولده ﷺ، ولعلها مارية القبطية التي أنجبت له إبراهيم،

---

١. ابن ماجة: السنن: ١/ ٥٣٢، الحديث ١٦٦٦.

٢. مسند أحمد: ٣/ ٢٨١.

٣. صحيح مسلم: ٨/ ١١٩، باب براءة حرم النبي ﷺ من الريبة من كتاب التوبة.

٤. الركيّ: البئر، جمع الركيّة.

فأمر علياً بضرب عنقه، فلما رآه علي عليه السلام مجبوباً تركه.

وفي الحديث إشكال وهو :

هل كان قضاء النبي قائماً على البيّنة أو على علمه الشخصي؟

فعلى الأوّل فلماذا لم يُعزِّر البيّنة الكاذبة مع أنّ شاهد الزور يُعزر؟

وعلى الثاني: كيف تخلف علمه عن الواقع مع أنّه سبحانه يصف علمه بقوله: ﴿وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ (النساء/ ١١٣).

وقد ذكر شراح الحديث وجهين لتصحيحه:

١. انّه صلى الله عليه وآله كان يعلم انّه مجبوب، وأمر علياً بقتله، لينكشف أمره وترتفع تهمته. [١]

يلاحظ عليه: أنّه إذا كان الرجل بريئاً لا مجرماً، وكان النبي صلى الله عليه وآله على علم بأنّه مجبوب كان عليه ابراؤه عن التهمة بأُسلوب عقلائي قبل أن يتوصل بالطريق الآخر وكان الناس أكثر تسليماً للنبي في قوله.

٢. ما ذكره الإمام النووي: لعلّه كان منافقاً ومستحقاً للقتل بطريق آخر وجعل هذا محركاً لقتله بنفاقه وغيره لا بالزنا، وكفّ عنه علي (رض) اعتماداً على أنّ القتل بالزنا وقد علم انتفاء الزنا. [٢]

يلاحظ عليه: انّه لا يصحّ للنبي أن يعطل إجراء الحدود، فإذا كان الرجل واجب القتل كان عليه قتله بأي نحو اتّفق، فلمَ ترك قتله بعد مالم تنجح الطريقة الأُولى؟

وأخيراً كيف نظر الإمام عليه السلام إلى عورته مع أنّه أعف من ذلك وشديد الحياء

---

١. هامش صحيح مسلم:٨/ ١١٩.

٢. الإمام النووي، شرح صحيح مسلم: ١٧/ ١٢٣.

حتىٰ أنّـه لم ينظر إلىٰ عورة عـدوه (عمرو بن العـاص) بعد مـا كشف عنها لـدفع الردى عن نفسه، كما هو مشهور في التاريخ.

ولعمر القارئ رفض الخبر أفضل من التمسك بتلك الوجوه الواهية.

٧. برغوث يوقظ نبيّاً للصلاة

.أخرج البخاري عـن قتادة، عن أنس بن مالـك انّ رجلاً لعن برغوثـاً عند النبي، فقال: لا تلعنه فانّه أيقظ نبياً من الأنبياء للصلاة. (١)

يلاحظ عليه:أنّ البرغوث آية مـن آيات الله وخلق من مخلوقاتـه ليس لأحد لعنه، ولـو لعنه لا يضره لأنّه سبحـانه عادل لا يعـاقب الموجود الذي ليـس فعله باختياره، فانّ عمل البرغوث عمل غريزي وبه حياته.

أضف إلى ذلـك انّ البرغـوث الـذي لـدغ النبي ﷺ وأيقظـه للصـلاة لا يستحق ثـواباً لعدم صـدوره عنه لغايـة الإيقاظ، وإنّما حـاول به مصّ الـدم بغية التغذية.

ومع غض النظر عن ما ذكر فأي صلـة بين برغوث قام بعمل حسن وسائر البراغيث التي لم تزل تؤذي البشر في تمام الأحوال؟

وقد قيل: اقتلوا الموذي قبل أن يوذي.

٨. موسى يصلّي في القبر

أخرج النسائي في باب ذكر صلاة نبي الله موسى ﷺ عن ثابت عن أنس: انّ رسول الله ﷺ قال أتيت ليلـة أُسري بي علىٰ موسى ﷺ عند الكثيب (٢) الأحمر

١. البخاري، الأدب المفرد، ص ٤١٠، باب لا تسبّوا البرغوث، برقم ١٢٤٢.

٢. الكثيب هو ما ارتفع من الرمل كالتل الصغير.

وهو قائم يصلّي في قبره. [١]

لا شكّ انّ الأنبيـاء، أنبياء الشهداء وهـم كنفس الشهداء أحيـاء عند ربّهم يرزقون ،وهذا أمر اتّفقت عليه الأُمّة الإسلامية لكن حياتهم حياة برزخية لا مادّية في القبر.

قال سبحانه: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُـوا في سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْيـاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُـونَ * فَرِحينَ بِما آتاهُمُ اللهُ مِـنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّـذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُـونَ* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَانَّ اللهَ لاٰ يُضِيعُ أَجْر المُؤْمِنين﴾(آل عمران/ ١٦٩ـ١٧١).

والحياة البرزخية ترمي إلىٰ حياة خاصة لا إلى الحياة بين التراب والجنادل.

ثمّ إنّ التكليـف ينقطع بالموت ولا تكليـف بعده. قـال سبحانـه: ﴿وَاْعْبُدْ رَبَّكَ حَتّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقين﴾ (الحجر/ ٩٩).

والمراد من اليقين هـو الموت بشهـادة قولـه سبحانـه: ﴿وكُنَّا نُكَـذِّبُ بِيَومِ الدِّينِ* حَتّىٰ أَتانَا الْيَقِين﴾ (المدثر/ ٤٦ـ٤٧).وعلى ذلك فما معنى صـلاة موسى في القبر؟

٩. التجسيم في أحاديثه

قـد ورد التجسيم في غير واحد مـن الروايـات المعـزوّة إلىٰ أنس بن مـالك، نذكر منها ما يلي:

١ . أخرج مسلم في صحيحه من حديـث أنس بن مالك (رض) عن النبي ﷺ قال: لا تـزال جهنم تقول: هـل من مزيد؟ حتـى يضع فيها رب العـزة تبارك و تعالى قدمه، فتقول: قط، قط وعزّتك ويُزوى بعضها إلى بعض. [٢]

---

١. النسائي ، السنن:٣/ ٢١٥. باب ذكر صلاة نبي الله موسى عليه السلام.

٢. صحيح مسلم: ٨/ ١٥٢، باب النـار يدخلها الجبارون والجنـة يدخلها الضعفاء مـن كتاب الجنة، ونقله بطرق مختلفة ؛ وصحيح البخاري: ٦/ ١٣٨، تفسير سورة ق.

إنّ هذا الحديث بظاهره يثبت لله أعضاءً وانّه يضع قدمه في الجحيم حتى تسكت النار، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، ومعنى ذلك انّ بعض أجزاء جسمه تحل في خلقه، لأنّ النار بعض خلقه كما يثبت لله نقلة وحركة. تعالى الله عن ذلك.

ثمّ إنّ الذين يأخذون بحرفية الصحيحين صاروا بصدد تأويل الحديث تأويلاً لو صحّ لدلّ على أنّ النبي ﷺ كان في مقام الإلغاز لا في مقام التعليم والتفهيم.

على أنّه سبحانه لو كان بصدد الحدّ من نار جهنم أو إملاءها حتى يتحقق قوله: ﴿لاملأنّ جهنم﴾ (هود / ١١٩) لما كان له حاجة إلى وضع قدمه بل كفىٰ أمره بها كما أمر بالنار في حقّ إبراهيم، قال سبحانه: ﴿قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وسَلاماً عَلىٰ إبْراهِيم﴾ (الأنبياء/ ٦٩).

إنّ الله سبحانه يبطل أُلوهية غيره بورودهم للجحيم.

قال سبحانه: ﴿إنَّكُمْ وما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَها وارِدُون* لَو كانَ هؤلاءِ آلهة ما وَرَدُوها وَكلٌّ فِيها خالِدُون﴾ (الأنبياء/ ٩٨ـ ٩٩).

ومع ذلك فكيف يدخلها ربّ العالمين ويردها ويضع قدمه فيها، ويجعل نفسه من مصاديق ما أُشير إليهم في الآية؟ وقد مرّت مناقشة الحديث، عند دراسة أحاديث أبي هريرة.

إنّ هذا الحديث وما سيوافيك من سائر الأحاديث الدالة على التجسيم والتشبيه موضوعة علىٰ لسان أنس، و إن اغترّ صاحبا الصحيحين فأورداها في صحيحيهما ظناً منهما بأنّ صحّة السند كافية في النقل والرواية والقبول مع أنّه ثمة شروط أُخرى لابدّ من الالتزام بها في صحّة الحديث، و هي أن لا تكون الرواية مخالفة للقرآن والعقل الصريح واتّفاق المسلمين كما أوعزنا إليها في المقدمة، وأيّ شيء أوضح من أنّه سبحانه ليس بجسم وليس له عضو وحركة ونقل.

٢. روى عبد الله، عن أبيه، أحمد، عن معاذ بن معاذ العنبري، عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجلَّىٰ رَبّه لِلْجَبَل﴾ ، قال: قـال: هكذا، يعني انّه أخرج طـرف الخنصر قال أبي: أرانا معاذ، قال: فقال له حميد الطويل: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد؟ قال: فضرب صدره ضربة شديدة، وقال: من أنت يا حميد، وما أنت يا حميد يحدثني به أنس بن مالك عن النبي ﷺ، تقول أنت ما تريد إليه؟! [١]

وأخرجـه الترمذي عـن طريق سليمان بن حـرب، عن حماد بن سلمـة، عن ثـابت، عن أنـس، انّ النبي ﷺ قرأ هـذه الآية: ﴿فَلَمّا تَجلّى رَبّـه لِلْجَبَل جَعَله دَكّاً﴾ قال حماد: هكذا، وأمسك سليمان بطرف ابهامـه على أنملة إصبعه اليمنىٰ، قال: فساخ [٢]الجبل وخرَّ موسى صعقاً.

قال أبو عيسى (الترمذي): هذا حـديث حسن غريب صحيح لا نعرفه إلاّ من حديث حماد بن سلمة. [٣]

إنّ آفة هـذا الحديث هي حماد بن سلمـة يحدِّثنا عنه ابـن الجوزي، ويقول: هـذا الحديث تكلم فيـه علماء الحديث، وقـالـوا: لم يروه عـن ثابـت غير حماد بن سلمة، وكـان ابن أبي العوجاء الـزنديق قـد أدخل على حماد أشياء فرواهـا في آخر عمره ولذلك تجافىٰ أصحاب الصحيح عن الاخراج عنه.

ثمّ عـاد ابن الجوزي بتـأويل الحديث بما هـو أشبـه بـاللغز، وقـال: ومخْرَج الحديث سهل، و ذلك انّ النبي كان يقرب إلى الافهام بـذكر الحسيّات فوضع يده على خنصره إشارة إلى أنّ الله تعالى أظهر اليسير من آياته. [٤]

---

١. مسند أحمد: ٣/ ١٢٥.

٢. ساخ الجبل أي غاص في الأرض و غاب فيها.

٣. الترمذي، السنن:/ ٢٦٥، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الأعراف، برقم ٣٠٧٤.

٤. دفع شبه التشبيه بألّف التنزيه:٢١٥.

٣. أخرج مسلم في صحيحه عن شعبة، عن قتادة، قال: سمعت أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ما من نبي إلاّ وقد أنذر أُمّته الأعور الكذاب، إلاّ انّه أعور وانّ ربّكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه ك ف ر.[1]

انّ معنى الحديث انّ لله سبحانه عيناً ولكنها ليست بعوراء و هو نفس إثبات العضو له سبحانه: ولا يقاس ذلك بقوله سبحانه: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي﴾ أو قوله : ﴿فَإِنَّكَ بأَعيُنِنا﴾ أو قوله: ﴿واصْنعِ الفُلكَ بِأَعْيُنِنا﴾ أو قوله: ﴿تَجْري بِأَعْيُنِنا﴾.[2]

فإنّ العين في هذه الآيات كناية عن الحفظ والكلاءة وشيخ الأنبياء كان بحاجة إلى تثبيت فؤاده وقلبه بهذه البشارة، وأمّا الحديث فليس فيه هذه النكتة بل هو في مقام مقايسة عينه سبحانه بعين الدجال، فحكم على إحداهما بالأعورية دون الأُخرى وهذا يقتضي اشتراكهما في نفس العضو واختلافهما في العِوَر.

وربما يتصور بأنّ نفي الأعورية كنفي الولد عنه في القرآن، وهذا أيضاً قياس مع الفارق، فانّ القول بالولد عقيدة معروفة للنصارىٰ، قال سبحانه: ﴿وقالُوا اتّخَذَ اللهُ وَلَداً سُبحانَه﴾ (البقرة/ ١١٦) فلم يكن هناك محيص إلاّ نفي الولد عنه وهذا بخلاف الأعورية فلم يكن هناك قول بكونه سبحانه أعور حتى ينفيه الرسول.

وبذلك يظهر انّ محاولة ابن الجوزي لتصحيح الرواية محاولة عقيمة، حيث قال: إنّما نفىٰ عنه العور من حيث نفي النقائص كأنّه قال: ربّكم ليس بذي جوارح تتسلط عليه النقائص، وهذا مثل نفي الولد عنه، لأنّه يستحيل عليه التجزؤ.[3]

---

١. صحيح مسلم: ٨/ ١٩٥، باب ذكر الدجال وصفته وما معه من كتاب الفتن الحديث الثاني.

٢. لاحظ السور التالية : طه: ٣٩؛ الطور: ٤٨؛ هود: ٣٧؛ القمر: ١٤.

٣. دفع شبه التشبيه بأكفّ التنزيه، ص ٢٦٤.

١٠ . رقص أهل الحبشة أمام النبي ﷺ

أخـرج الإمام أحمد عن حماد، عـن ثابت، عـن أنس، قـال: كانت الحبشـة يزفنون بين يدي رسـول الله ويرقصون و يقولون: محمد عبد صـالح، قال رسول الله ﷺ :ما يقولون؟ قالوا: يقولون محمد عبد صالح. [١]

يعرب ظـاهر الحديث انّهم كانوا يـأتون إلى النبي ﷺ ويرقصون أمامه وهو ينظر إليهم، ثمّ يسألهم أو غيرهم عمّـا يقولون ولكن نبي العظمة ﷺ أجلّ من أن يشتغل بـاللهو واللعـب، وقد أُوحي إليـه : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْـوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون/ ٣) وقال سبحانه: ﴿وَإِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعرَضُوا عَنْهُ﴾ (القصص/ ٥٥) وطبقاً لهذا الحديث فانّ النبي ﷺ أقبل عليهم مكانَ الإعراض عنهم.

أخـرج ابن مـاجة عـن ثمامة بـن عبـد الله، عن أنس بـن مالـك، انّ النبي مرّ ببعض المدينة، فإذا هو بجوار يضربن بدفهن ويتغنين ويقلن:

نحن جوار من بني النجـار ... يا حبـذا محمـد من جـــار

فقال النبي: الله يعلم انّي لأُحبكنّ. [٢]

وبالرغم من صحّة اسناده ووثاقة رجاله لانصدّق انّ النبي ﷺ استمع غناء الجواري ورغبّهن في عملهـن، وقد جـاءت شريعتـه المقـدسة بتحـريم الغنـاء في الكتاب والسنّة، قال سبحانه:﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَها هُزُواً أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِين﴾ (لقمان/ ٦). [٣]

---

١ . مسند أحمد:٣/ ١٥٢.

٢ . سنن ابن ماجة:١/ ٦١٢ برقم ١٨٩٩، كتاب النكاح، وفي الزوائد اسناده صحيح ورجاله ثقات.

٣. وقد فسر لهو الحديث بالغناء في أكثر التفاسير وكتب الحديث، راجع تفسير الطبري: ٢١/ ٣٩.

وعن عبد الرحمن بن عوف انّ رسول الله ﷺ قال: إنّما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين، صوت عند نغمة لهو ومزامير الشيطان. [١]

أخرج البخاري عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿وَمِنَ النَّاس من يشتري لهو الحديث﴾ ، قال: الغناء وأشباهه. [٢]

١١. سيدا كهول أهل الجنّة

أخرج الترمذي عن أنس، انّه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر و عمر: هذان سيّدا كهول أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين إلاّ النّبيّين والمرسلين.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. [٣]

أقول: يعارضه ما رواه أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: أهل الجنّة جرد مرد كُحلٌ، لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم. [٤]

ومعنى هذا الحديث انّه ليس هناك كهل حتى يتفاضل أحدهما على الآخر.

ولعلّ الحديث موضوع في مقابل ما ورد في الحسن والحسين وأنّهما سيدا شباب أهل الجنّة. [٥]

١٢. أُمّتي على خمس طبقات

أخرج ابن ماجة عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ

---

١. الدر المنثور:٥/ ١٦٠.

٢. البخاري، الأدب المفرد، ص ٢٦٦ برقم ٧٨٧.

٣. الترمذي: السنن:٥/ ٦١٠ برقم ٣٦٦٤.

٤. الترمذي: السنن: ٤/ ٦٧٩ برقم ٢٥٣٩.

٥. الترمذي: السنن: ٥/ ٦٥٦ برقم ٣٧٦٨.

قال: أُمّتي علىٰ خمس طبقات: فأربعون سنة أهـل برّ وتقوىٰ، ثمّ الذين يلونهم إلىٰ عشرين ومـائة سنة أهل تراحـم وتواصل، ثمّ الـذين يلونهم إلى ستين ومـائة سنة أهل تدابر وتقاطع، ثمّ الهرج الهرج، النجا النجا. (١)

وأخرج أيضاً عـن أبي معن، عن أنس بن مالك، قـال: قال رسول الله ﷺ: أُمّتي علىٰ خمس طبقـات كلّ طبقة أربعـون عامـاً، فأمّـا طبقتي وطبقة أصحـابي، فأهـل علم وإيمان، وأمّـا الطبقـة الثـانيـة مـا بين الأربعين إلى الثمانين فـأهل بـرٍّ وتقوىٰ. (٢)

ولنا تعليقـة قصيرة على الحديث: كيف تكون الطبقة الأُولى أهل بـرّ وتقوىٰ وقد سفكت دماء كثيرة في حياتهم وحارب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فيها البغاة من الناكثين والقاسطين والمارقين، فلـو كانوا أهل برٍ وتقوىٰ فلماذا خـرجوا على الإمام الـذي بايعـه وجوه المهـاجرين والأنصـار و لم يشذّ عـن بيعته إلاّ عـدد ضئيل لا يتجاوز عدد الأصابع؟

وأمّا الطبقـة الثانيـة فكيف كانـوا أهل تراحم وتـواصل؟ فقد قطعـوا رحم النبي وأولاده، فقـد سُمّ الحسـن سيـد شباب أهـل الجنّة على يـد معـاويـة، وقتل الحسين عليه السلام وأهل بيتـه في مجزرة كربلاء على يـد يزيـد بن معاويـة وحمل رأسه إلى الشام، وأباح مسلم بن عقبة دماء أهل المدينة وعرضهم ثلاثاً، فقتل خلق كثير من الصحابـة ونُهبت المدينة وأُفتـض في هذه الـواقعة ألف عـذراء، إلى غير ذلك من الكواره والكوارث، و هذا هو الوليـد بن يزيد من هذه الطبقة الخمّير السكّير أراد الحج ليشرب فوق ظهر الكعبة فمقته الناس لفسقه، ففتح المصحف فخرج قوله: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخابَ كُلُّ جَبّارٍ عَنِيد﴾ (إبراهيم/ ١٥) فألقاه ورماه بالسهم وقال:

---

١. ابن ماجة: السنن: ٢/ ١٣٤٩ برقم ٤٠٥٨، كتاب الفتن.

٢. ابن ماجة: السنن: ٢/ ١٣٤٩ برقم ٤٠٥٨.

تهددني بجبـــار عنيـــد فهـا أنـا ذاك جبّـار عنيـد
إذا مـا جئـت ربّـك يـوم حشر فقـل يـا ربِّ مـزقني الـوليـد [١]

هذه الوقائع المرّة التي لم نذكر منها إلاّ شيئاً يسيراً تُشطب بقلم عريض علىٰ هذا الحديث.

مضافاً إلى ضعف اسناده فانّ يزيد بن أبان الرقاشي ضعيف.

والعجب انّ أحمد أخرج خلاف هذا الحديث عن ثابت عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ : مثل أُمّتي مثل المطر لا يدرىٰ أوّله خير أو آخره. [٢]

١٣ . صلاة النبي بلا بسملة

أخرج البخاري عن قتادة عن أنس: انّ النبي وأبا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بـ ﴿ **الحمدُ للهِ ربِّ العٰالَمين** ﴾. [٣]

ومعنى ذلك انّ النبي ﷺ يحذف البسملة في قراءة الحمد مع أنّها جزء منها قطعاً وإن اختلفت كلمتهم في كونها جزءاً في سائر السور.

قال سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي وَالقُرآنَ العَظِيم**﴾ (الحجر/ ٨٧) ولا تكون سبعاً إلاّ أن تكون البسملة جزءاً من السورة وإلاّ لكان ستاً من المثاني، وربما يطلق عليها المثاني لأنّها نزلت مرّتين.

وقال رسول الله ﷺ: لا صلاة إلاّ بفاتحة الكتاب. نفترض انّه لا يجب قراءة الفاتحة بأجمعها، ولكن ما هو الوجه في الاستمرار على ترك قراءة البسملة كما يوحي إليه قوله: «كانوا يفتتحون...».

---

١. منتخب الأثر: ١٩. راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٥١ في ترجمة الوليد.

٢. مسند أحمد: ٣/ ١٣٠ و ١٤٣؛ سنن الترمذي: ٥/ ١٥٢ برقم ٢٨٦٩، كتاب الأمثال، الباب السادس.

٣. مسند أحمد: ٣/ ١١١.

مضافاً إلى ذلك، انّ المرويات عن أنس قد اضطربت في هذا المجال. فربما نقل عنه انّه لم يسمع البسملة منهم.

أخرج أحمد عن قتادة، عن أنس، قال: صليت مع رسول الله وأبي بكر وعمر وعثمان، فلم أسمع منهم من يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم.

وفي رواية أُخرى: انّهم لم يجهروا بالبسملة.

أخرج أحمد عن ثابت، عن أنس، قال: صليت مع النبي ﷺ ومع أبي بكر وعمر فلم يجهروا ببسم الله الرحمن الرحيم.

وأيضاً أخرج أحمد عن أبي نعامة الحنفي، عن أنس، كان رسول الله وأبو بكر و عمر لا يقرأون يعني لا يجهرون. [١]

١٤. ردّ دعاء النبي ﷺ

أخرج أحمد في مسنده، عن الضحاك بن عبد الله القرشي، عن أنس بن مالك، انّه قال:

رأيت رسول الله ﷺ في سفر صلّى سبحة الضحىٰ ثمان ركعات فلما انصرف قال: إنّي صليت صلاة رغبة ورهبة، سألت ربّي عزّ وجلّ ثلاثاً، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت أن لا يبتلي أُمّتي بالسنين ففعل، وسألت أن لا يظهر عليهم عدوهم ففعل، وسألته أن لا يلبسهم شيعاً، فأبىٰ عليَّ. [٢]

إنّ النبي ﷺ أجل من أن يسأل ربّه ما لا يوافق سنة ربّه، فالناس بطبائعهم يختلفون منهجاً وفكراً وعقيدة والاختلاف أمر طبيعي من سنن الحياة، قال سبحانه: **﴿كانَ النّاسُ أُمّةً واحِدةً فَبَعثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزلَ مَعَهُمُ الكِتاب بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ الناسِ فِيما اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فيهِ إِلاّ الّذِينَ أُوتُوهُ**

١. مسند أحمد: ٣/ ٢١٦.

٢. مسند أحمد: ٣/ ١٤٦.

مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة/ ٢١٣).

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود/ ١١٨ـ ١١٩) وقد أخبر النبي ﷺ عن تفرق أُمّته إلى ثلاث و سبعين فرقة، ومعه كيف يطلب من الله سبحانه أن لا يختلفوا ولا يتفرقوا ؟

كيف استجاب الله دعاءه الثاني وهو عدم تسلط عدو على أُمّته.

في حين انّ التاريخ حافل بأنباء غزو المغول والصليبيين للمسلمين في عقر دارهم.

١٥ . النهي عن باب الأُمراء

أخرج أبو داود عن موسى الحناط، عن أنس: انّ رسول الله ﷺ قال له: يا أنس إنّ الناس يُمصّرون أمصاراً، وإنّ مصراً منها يقال له البصرة أو البُصيرة، فإن أنت مررت بها، أو دخلتها فإياك وسباخها وكلاءها وسوقها وباب أُمرائها، وعليك بضواحيها، فانّه يكون بها خسف وقذف ورجف وقوم يبيتون يصبحون قردة وخنازير.[1]

ترى أنّ رسول الله نهاه عن باب الأُمراء إلاّ أنّ المواقف التي اتخذها طيلة حياته تدل على عدم انتهائه، وإليك هذه الشواهد:

١ . أخرج الترمذي عن حفصة بنت سيرين قالت: حدثني أنس بن مالك، قال: كنت عند ابن زياد فجيء برأس الحسين، فجعل يضرب بقضيب له في أنفه و يقول: ما رأيت مثل هذا حسناً، قال: قلت: أما إنّه كان من أشبههم برسول الله ﷺ.[2]

---

١ . سنن أبي داود: ٤/ ١١٣ برقم ٤٣٠٧.

٢ .سنن الترمذي: ٥/ ٦٥٩ برقم ٣٧٧٨.

ولعلّ قائلاً يقول إنّه ذهب إلى مجلس ابن زياد لأجل نهي الأمير عن المنكر مع أنّه لم يصدر منه شيء كهذا يدل علىٰ تقبيح جريمة ابن زياد، بل صدّقه في قوله: ما رأيت مثل ذلك حسناً، حيث قال: إنّه كان من أشبههم برسول الله، وكان في وسعه أن يقول: ما حدّث به في غير هذا الموضع كما مرّ في تعاطفه مع أهل البيت.

٢. أخرج البخاري عن خالد بن دينار أبي خلدة، قال: سمعت أنس بن مالك وهو مع الحكَم أمير بالبصرة على السرير، يقول: كان النبي ﷺ ...[١].

فكيف عمل بما وعظ به النبي ﷺ؟

١٦. فضل عائشة...

أخرج البخاري في صحيحه، عن عبد الله بن عبد الرحمان انّه سمع أنس بن مالك (رض) يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام. [٢]

إنّ النبي ﷺ آية في الفصاحة والبلاغة وكلماته القصار وخطبه الطوال ورسائله إلى الرؤساء والقبائل كلها تعرب عن قوّة بيانه وفصاحته وبلاغته، فلا يمكن له ﷺ أن يتفوّه بهذا التشبيه الفارغ.

١٧. نوم النبي علىٰ فراش أُم سليم

أخرج مسلم في صحيحه، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس، قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أُم سُليم فينام على فراشها، وليست فيه، قال: فجاء ذات يوم فنام علىٰ فراشها، فأُتِيَت، فقيل لها: هذا النبي ﷺ نام في بيتك

---

١. البخاري: الأدب المفرد، ص ٣٨٦ برقم ١١٦٦.

٢. صحيح البخاري: ٥/ ٣٦؛ صحيح مسلم: ٧/ ١٣٣؛ مسند أحمد:٣/ ١٥٦.

على فراشك، قال: فجاءت وقد عـرق واستنقع عرقه علىٰ قطعة أديم على الفراش، قال: ففتحـت عتيدهـا فجعلت تنشف ذلك العـرق فتعصره في قواريـرها، ففـزع النبي ﷺ فقـال: ما تصنعين يـا أُم سُليـم؟ فقالـت: يا رسـول الله نـرجـو بركتـه لصبياننا، قال: أصبتِ. (١)

أخرج مسلم عن إسحاق بن عبد الله، عن أنس، قال: كان النبي لا يدخل علىٰ أحد من النساء إلاّ علىٰ أزواجه إلاّ أُمّ سُليم فانّه كان يدخل عليها، فقيل له في ذلك فقال: إنّي أرحمها، قتل أخوها معي. (٢)

إنّ معنى هذا الحديـث انّ النبي كان يخلو بـالأجنبية ولا شكّ في كونـه أمراً محرماً، وقد حاول شراح الحديث، أن يزيلوا الإشكـال، فقال النووي: قد قدمنا في كتاب الجهـاد عند ذكر أُم حرام أُخت أُمّ سليـم أنّهما كانتا خالتين لـرسول الله ﷺ محرمين إمّا من الرضاع أو من النسب فتحل له الخلوة بهما. (٣)

وقال أيضاً في مكان آخر: اتفق العلماء على أنّها كانت محرماً له ﷺ واختلفوا في كيفية ذلك، فقال ابن عبد البر وغيره: كانت إحدىٰ خالاته من الرضاعة، وقال آخـرون: بل كـانت خـالـة لأبيه أو لجدّه، لأنّ عبـد المطلب كـانـت أُمّه مـن بني النجار. (٤)

يلاحظ عليه أوّلا: أنّ أنس يبرر الأمر نقلاً عن النبي بـأنّه قال: «إنّي أرحمها، قتل أخوها معي»، ولو كانت خالة له لكان التعليل بها أفضل.

---

١. صحيح مسلم: ٧/ ٨١. باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به من كتاب الفضائل.
٢. صحيح مسلم:٧/ ١٤٥، باب فضائل أُمّ سليم.
٣. النووي: شرح مسلم: ١٦/ ١٠، كتاب فضائل أُمّ سليم.
٤. النووي: شرح مسلم:١٣/ ٦١ ـ ٦٢ برقم ١٦٠،كتاب الأمارة، باب فضل الغزو.
قد جاء ترجمتها في أُسد الغابة:٥/ ٥٩١؛ وسير أعلام النبلاء: ٢/ ٣٠٤ وليست فيهما أيّة إشارة إلى أمر الخوالة.

وثانياً: أنّ أُمّ سليم ليست خالة النبي شرعاً وبصورة مباشرة بمعنى انّها أُخت أُمّ النبي ﷺ، وإنّما كانت من بني النجار، و بنو النجار أخوال النبي خؤولة اعتبارية من جهة انّ هاشم بن عبد مناف قد تزوج سلمى النجارية فولدت له عبد المطلب جدّ النبي ﷺ، فبنو النجار أخوال النبي ﷺ بهذا المعنى، وهذا لا يوجب أن تكون كلّ امرأة من بني النجار محرماً للنبي ﷺ من الجهة الشرعية.

ولما كان هذا الأمر لا ينبغي أن يخفىٰ على المحققين، لذلك جعلوا الخبر حول دخول النبي ﷺ على أُمّ سليم بسبب الرضاعة، و هذا أيضاً لا يصحّ، لأنّ النبي ﷺ غير مسترضع في بني النجار، وعليه يكون أصل الخبر حول دخول النبي ﷺ عليها موضع شك، بل هو مردود لا صحة له.

١٨ . مدّة خدمته

اختلفت الروايات في مدّة خدمته للنبي بين كونها أربع سنين إلى تسع سنين إلى عشر سنين، فعلىٰ ما رواه البخاري فقد خدم النبي من السنة السابعة قُبيل غزوة خيبر.

أخرج البخاري، عن مولى المطلب بن عبد الله بن حنطب، انّه سمع أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ لأبي طلحة: التمس غلاماً من غلمانكم يخدمني فخرج بي أبو طلحة يردفني وراءه، فكنت أخدم رسول الله كلّما نزل، فكنت أسمعه يكثر أن يقول: اللهمّ، إنّي أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلَع الدين وغلبة الرجال، فلم أزل أخدمه حتىٰ أقبلنا من خيبر وأقبل بصفية بنت حيي قد حازها [١]... الخ.

ويظهر ممّا أخرجه أحمد عن حميد، عن أنس انّه خدمه تسع سنين، قال:

---

١. صحيح البخاري: ٧/ ٧٦، باب الحيس من كتاب الأطعمة.

أخذت أُم سليم بيدي مقدم النبي المدينة، فأتت بي رسول الله فقالت: يا رسول الله، هذا ابني وهو غلام كاتب، قال: فخدمه تسع سنين. (١)

ويظهر من قول آخر معزو إليه انّه خدم عشر سنين.

أخرج أحمد عن ثابت وعبد العزيز عن أنس، قال: خدمت النبي عشر سنين...الخ. (٢)

وأظن انّ ما أخرجه البخاري هو المعتمد، لأنّ الطفل الذي لا يتجاوز عمره عشر سنين هو أكثر حاجة إلى خادم ـ يخدمه ـ من النبي ﷺ الذي كان في العقد السادس من عمره.

وعلى ضوء ذلك فيتسرّب الشكّ إلى أغلب ما روي عن أنس ممّا يرجع إلى حياة النبي ﷺ قبل خيبر، فانّ أكثر رواياته تتمحور حول أفعال النبي ﷺ التي شاهدها بأُم عينيه.

١٩. إسراء النبي قبل أن يوحىٰ إليه

أخرج مسلم في صحيحه، عن شريك بن عبد الله بن أبي نَمِر، انّه قال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أُسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة انّه جاءه ثلاثة نفر ـ قبل أن يوحىٰ إليه ـ و هو نائم في المسجد الحرام.

أضاف مسلم وقال: وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني وقدّم فيه شيئاً و أخر و زاد و نقص. (٣)

نقل مسلم حديث ثابت البناني قبل هذا في نفس الباب، ولذلك اقتصر

---

١. مسند أحمد:٣/ ١٢٤ و٢٠٠.

٢. مسند أحمد:٣/ ٢٦٥؛ ولاحظ أيضاً ٣/ ١٩٥ و٢٣١.

٣. صحيح مسلم:١/ ١٠٢، باب الإسراء برسول الله، من كتاب الإيمان.

بهذا المقدار وترك التفصيل الوارد في حديث البناني.

أقول: الرواية غير صحيحة وهي مخالفة لاتّفاق المسلمين في أنّ الاسراء كان بعد الوحي، فكيف يقول: وكان ذلك «قبل أن يوحىٰ إليه» وقد جاء في ليلة الاسراء بحكم الصلوات الخمس فهذا دليل على أنّه أُسري به بعد ما أُوحي إليه.

وقد اعتذر عنه النووي في شرحه، وقال: وقد جاء في رواية شريك في هذا الحديث في الكتاب أوهام أنكرها عليه العلماء، وقد نبه مسلم على ذلك بقوله: فقدم وأخّر وزاد ونقص.

منها قوله: «قبل أن يوحىٰ إليه» وهو غلط لم يوافق عليه، فإنّ الإسراء أقل ما قيل فيه انّه كان بعد مبعثه بخمسة عشر سنة.

وقال الحربي: كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة.

وقال الزهري: كان ذلك بعد مبعثه بخمس سنين.

وقال ابن إسحاق: اسري به ﷺ وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل، وأشبه هذه الأقوال قول الزهري، وابن إسحاق إذ لم يختلفوا انّ خديجة (رض) صلت معه بعد فرض الصلوات عليه، ولا خلاف انّها توفيت قبل الهجرة بمدّة قيل لثلاث سنين، وقيل بخمس.

ومنها انّ العلماء مجمعون على أنّ فرض الصلوات كان ليلة الإسراء، فكيف يكون هذا قبل أن يوحىٰ إليه؟ (١)

وما ذكره النووي وإن كان حقاً لكن ليس في عبارة مسلم دلالة علىٰ أنّه رد قول أنس: «قبل أن يوحىٰ إليه» لعدم دلالة قوله: «فقدم فيه شيئاً وأخّر أو زاد ونقص» على وجود الغلط في حديث البناني.

---

١. شرح صحيح مسلم للنووي: ٢/ ٥٦٧ـ٥٦٨.

٢٠. نزول آية الصلح في عبد الله بن أُبي

أخرج البخاري، عن معتمر، قال: سمعت أبي، انّ أنساً (رض)، قال: قيل للنبي ﷺ:

لو أتيت عبد الله بن أبي، فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حماراً، فانطلق المسلمون يمشون معه و هي أرض سبخة ،فلما أتاه النبي ﷺ، فقال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك.

فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتما، فغضب لكلّ واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد و الأيدي والنعال فبلغنا أنّها أنزلت ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾. [1]

وأخرج البخاري أيضاً، عن عروة بن الزبير ، انّ أُسامة بن زيد أخبره انّ رسول الله ركب علىٰ حمار على قطيفة فدكيّة وأردف أُسامة بن زيد وراءه، يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، قال: حتى مرّ بمجلس فيه عبد الله بن أُبي بن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أُبي فإذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلسَ عجاجةُ الدابة، خمّر عبد الله بن أُبي أنفه بردائه ثمّ قال: لا تُغبّروا علينا، فسلّم رسول الله ﷺ عليهم، ثمّ وقف، فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن.

فقال عبد الله بن أُبي ابن سلول: أيّها المرء انّه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً، فلا تؤذينا به في مجلسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه.

---

١. صحيح البخاري:٣/ ١٨٣، كتاب الصلح.

فقال عبد الله بن رواحة: بلىٰ يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا، فانّا نحبّ ذلك، فاستبّ المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي يُخفضُهُم حتى سكنوا، ثمّ ركب النبي ﷺ دابته، فسار حتى دخل على سعد بن عبادة....[1]

أقول: لو صحّ الحديثان فهما واقعتان مختلفتان فما يرويه أُسامة بن زيد كان قبل غزوة بدر كما هو صريح الرواية ولا غبار عليه و لم يرد فيه نزول آية الصلح في حقّ عبد الله، إنّما الكلام فيما يرويه أنس حيث إنّ المخاصمة وقعت بين من كان مع النبي ﷺ من أصحابه وبين أصحاب عبد الله بن أبي وكانوا إذ ذاك كفاراً كما يدل عليه قوله: «فغضب لعبد الله رجل من قومه...» فكيف ينزل فيهم قوله: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ ولا سيما إذا كانت قصة أنس و أُسامة متحدة فانّ في رواية أُسامة «فاستبَّ المسلمون والمشركون».

عثرة لا تقال

إنّ أنس بن مالك مثل كلّ صحابي رأى النبي ﷺ وشاهد النور عن كثب وخدمه سنين وارتوىٰ من نمير علمه وروىٰ روائع أحاديثه وجمله، وعلى الرغم من ذلك فنجد انّ له زلّة في حياته عندما قام الوصي علي بن أبي طالب عليه السلام يناشد الصحابة ممن سمع النبي ﷺ يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه.

روى البلاذري، قال علي عليه السلام على المنبر: نشدت الله رجلاً سمع رسول الله يقول يوم غدير خم: اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه إلاّ قام وشهد، و تحت المنبر أنس بن مالك و البراء بن عازب وجرير بن عبد الله البجلي، فأعادها فلم يجبه أحد منهم، فقال: اللّهمّ من كتم هذه الشهادة وهو يعرفها فلا تخرجه من

١. صحيح البخاري: ٦/ ٣٩ـ ٤٠ تفسير سورة آل عمران.

الدنيا حتى تجعل به آية يعرف بها، قال أبو وائل: فبرص أنس وعمي البراء و رجع جرير أعرابياً بعد هجرته [١] الخ.

وروى ابن قتيبة، قال: أنس بن مالك كان بوجهه برص، ذكر قوم انّ علياً (رض) سأله عن قول رسول الله: اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، فقال: كبرتُ سني ونسيتُ، فقال علي: إن كنت كاذباً فضربك الله بيضاء لا تواريها العمامة. [٢]

وقال ابن أبي الحديد: ناشد علي عليه السلام الناس في رحبة القصر ـ أو قال رحبة الجامع بالكوفة ـ : أيّكم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»؟ فقام اثنا عشر رجلاً فشهدوا بها، وأنس بن مالك في القوم لم يقم، فقال له: يا أنس، ما يمنعك أن تقوم فتشهد، ولقد حضرتها؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كبرت ونسيت، فقال: اللّهمّ إن كان كاذباً فارمه بها بيضاء لا تواريها العمامة . قال طلحة ابن عمير: فوالله لقد رأيت الوضح به بعد ذلك أبيض بين عينيه. [٣]

لم تكن واقعة غدير خم، حادثة صغيرة يبليها مرُّ الليالي و الأيام بل كانت واقعة تاريخية حضرها آلاف من الصحابة في منصرفهم عن حجّة الوداع، وقد صعد النبي صلى الله عليه وآله المنبر وناشدهم بأُمور وأخذ منهم الاعتراف ثمّ قال: «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه» أفتُنسى مثل هذه الحادثة مع أنّه ـ عند المناشدة ـ كان في العقد الرابع من عمره، مع أنّ أنساً هو المصدر الأوّل لأفعال النبي، صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليلها ؟

---

١. البلاذري: انساب الأشراف: ٢/ ١٥٦ـ ١٥٧.

٢. ابن قتيبة: المعارف: ٢٠١ـ ٢٥١، طبعة مصر.

٣. شرح نهج البلاغة: ٤/ ٧٤.

٣٩
السائب بن يزيد الكندي
(٣ ـ ٩٤هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

أحاديثه السقيمة:

النبي ﷺ يأذن لقينة في الغناء لعائشة

هو السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة الكندي المدني، وكان جدّه سعيد حليف بني عبد شمس.

قال السائب: حجّ بي أبي مع النبي وأنا ابن سبع سنين.

وقال: رأيت النبي ﷺ قبل قتل عبد الله بن خطل يوم الفتح، أخرجوه من تحت الأستار، فضرب عنقه بين زمزم والمقام.

كان له نصيب من صحبة ورواية وكان من المقلّين في الحديث. (١)

وقد جُمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ١٥ رواية. (٢)

ونكتفي هنا بروايتين إحداهما من روائع رواياته والأُخرى من رواياته السقيمة.

---

١. سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٣٧ برقم ٨٠؛ أُسد الغابة: ١/ ٣٢٢.

٢. المسند الجامع: ٦/ ١٩ برقم ٢٢٧.

أخرج أحمد عن الزهري، عن السائب بن يزيد:

انّه لم يكن يُقَصُّ علىٰ عهد رسول الله ولا أبي بكر و كان أوّل من قصّ تميم الداريّ استأذن عمر بن الخطاب أن يقص على الناس قائماً فأذن له عمر. [١]

والحديث يعرب عن حقيقة مرّة وهي انّ الجهاز الحاكم ـ آنذاك ـ قد حظر نقل الحديث عن النبيّ ﷺ ومذاكرته وتدوينه وكتابته إلاّ شيئاً يسيراً؛ في حين انّه رخّص لتميم الداريّ أن يقصّ وهو كان نصرانياً قدم المدينة فأسلم في سنة ٩هـ فصار قصّاصاً في المدينة يوم لم يكن يعارضه و يكافئه، وبما انّ الرجل كان قد قضىٰ شطراً من عمره بين الأحبار والرهبان، فمن الطبيعي أن يقصّ كلّ ما تعلمه من أساتذته من الإسرائيليات والأساطير المسيحية ويبثها بين المسلمين وهم يأخذونها منه زاعمين انّها حقائق راهنة، وقد مرّ الكلام فيه عند دراسة روايات «تميم الداري».

و إليك رواية سقيمة منه:

النبي يأذن لقينة في الغناء لعائشة

أخرج أحمد عن يزيد بن حصيفة، عن السائب بن يزيد الكندي:

إنّ امرأة جاءت إلىٰ رسول الله، فقال: يا عائشة أتعرفين هذه؟ قالت: لا يا نبي الله، فقال: هذه قينة بني فلان تحبين أن تغنّيك؟ قالت: نعم، فأعطاها طبقاً فغنّتها، فقال النبي ﷺ: قد نفخ الشيطان في منخريها. [٢]

إنّ الرواية تشتمل علىٰ عدّة إشكالات تجعلها في عداد الموضوعات:

---

١. مسند أحمد: ٣/ ٤٤٩.

٢. مسند أحمد: ٣/ ٤٤٩.

١. الحديث يعرب انّ النبي ﷺ كان يعرف المغنّيات في المدينة المنورة، فعاد يعرّف قينة بني فلان، لزوجته وانّها تغني.

٢. إذا كان الغناء حراماً والمغنّي لا يغني إلاّ والشيطان ينفخ في منخريه، فكيف يقترح علىٰ عائشة زوجته أن تصغي له؟!

٣. ثمّ هل كانت عائشة بالغة يومذاك وعالمة بحرمة الغناء ومع ذلك قبلت اقتراح النبي ﷺ وأصبحت تصغي لغنائها؟

٤. إذا كان عمل القينة عملاً شيطانياً، فكيف يسمح النبي ﷺ لها بالغناء، (بل و يأمر به)ولعائشة بالاستماع والنبي ﷺ أجلّ من أن يحوم حول تلك الأُمور؟

ولا تعجب من هذا الحديث، فانّ له في كتب الحديث نظائر، وقد حكم عليها بالوضع.

روى ابن الجوزي باسناده عن عكرمة، عن ابن عباس، انّ رسول الله ﷺ مرّ بحسان بن ثابت وقد رشّ فناء أطمه.

وجلس أصحاب النبي ﷺ سماطين وجارية له يقال له (كذا في المصدر) «سيرين»، معها «مزهرها» تختلف به القوم وهي تغنيهم. فلمّا مرّ النبيّ ﷺ لم يأمرهم ولم ينههم، فانتهىٰ إليها وهي تقول في غنائها«هل عليَّ ويحكم ان لهوت من حرج» فضحك رسول الله ﷺ: لا حرج إن شاء الله.[1]

---

١. ابن الجوزي، الموضوعات:٣/ ١١٦.

٤٠
عامر بن واثلة
(٢ـ١٠٧هـ)

سيرته وأحاديثه الرائعة

حديثه السقيم:

النبي يكشف عن عورته

عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو الليثي الكناني الحجازي الشيعي.

كان من شيعة الإمام علي عليه السلام . مولده بعد الهجرة، وكان يقول: ولدت عام أحد، وهو آخر من رأى النبي ﷺ وفاة.

حدث عنه: حبيب بن أبي ثابت، والزهري، وأبو الزبير المكي، وعلي بن زيد ابن جدعان، وعبد الله بن عثمان بن خثيم، ومعروف بن خرّبوذ، وسعيد الجريري، وفطر بن خليفة، وخلق سواهم.

قال عبد الرحمان الهمداني: قال: دخل أبو الطفيل على معاوية، فقال: ما أبقىٰ لك الدهر من ثكلك علياً؟ قال: ثكل العجوز المقلات، والشيخ الرّقوب، قال: فكيف حبك له؟

قال: حبّ أُمّ موسىٰ لموسى، وإلى الله أشكو التقصير .

وقيل: إنّ أبا الطفيل كان حامل راية المختار لما ظهر بالعراق وحارب قتلة

الحسين، وكان أبو الطفيل ثقة فيما ينقله، صادقاً، عالماً، شاعراً، فارساً، عمّر دهراً طويلاً وشهد مع علي حروبه.

قال خليفة: وأقام بمكة حتىٰ مات سنة مائة أو نحوها، وقال: سنة سبع ومائة. (١)

وهو من المقلّين في الحديث، وقد جمعت أحاديثه في المسند الجامع فبلغت ١٢ حديثاً. (٢)

روائع أحاديثه

أخرج البخاري في الأدب المفرد عن عمارة بن ثوبان، قال: حدثني أبو الطفيل قال:

رأيت النبي ﷺ، يقسم لحماً بالجعرَّانة، وأنا يومئذٍ غلام، أحمل عضو البعير، فأتته امرأة فبسط لها رداءها، قلت: من هذه؟ قيل: هذه أُمّه التي أرضعته. (٣)

كما عزيت إليه رواية لا تنسجم مع الضوابط التي أوعزنا إليها غير مرّة.

النبيّ ﷺ يكشف عن عورته

أخرج أحمد في مسنده عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن أبي الطفيل، قال:

لمّا بني البيت، كان الناس ينقلون الحجارة، والنّبيّ ﷺ ينقل معهم فأخذ الثوب فوضعه على عاتقه فنودي: لا تكشف عورتك، فألقى الحجر ولبس ثوبه ﷺ. (٤)

---

١. سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٦٧ برقم ٩٧وج ٤/ ٤٦٧ برقم ١٧٧.

٢. المسند الجامع: ٨/ ٣٢ـ ٤٠.

٣. البخاري: الأدب المفرد، برقم ١٣٠٠.

٤. مسند أحمد: ٥/ ٤٥٤.

ومعنى الرواية انّ النبي ﷺ كان يـرتدي ثوبـاً واحداً يستر بدنـه، فلما أخذ بأطرافـه ووضعها على عاتقه انكشف سـوأته سهواً وغفلة، وهذا مـا لا يغفل عنه الإنسان العادي فكيف بنبي العصمة؟!!

* * *

إلى هنا تمّ ما أردناه من دراسة الحديث النبوي على ضوء الأُصول والضوابط العلمية وقـد غفل عنها أكثـر المحدّثين الـذين اكتفوا بـدراسة الاسنـاد، أي كون الـراوي ثقة أو غير ثقـة، والسند مـوصولاً أو مقطـوعـاً إلىٰ غير ذلك ممّا يعـرض الحديث من جانب الاسناد، و أمّا دراسة المتن دراسـة علمية موضوعية يميز بها الصحيح عن السقيـم فلم يتطرق إليه شراح الصحـاح و المسانيد إلاّ في مـواضع نادرة.

وما ذكـرناه يرجع إلى دراسـة روايات لفيف من الصحابـة علىٰ وجه الإيجاز، وأمّـا دراسة روايـات كلّ الصحـابة أو الصحـابيات فتطلـب لنفسها مجالاً آخـر خصوصاً مـا روي عن نساء النبي في حقول مختلفـة، فلنترك البحث فيها إلىٰ مجال آخر.

نحمده سبحانه ونستهديه وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

فرغنا من تحريره ظهيرة الثالث من جمادى الأُولى

من شهور عام ١٤١٩ هـ في مدينة قم المحميّة

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

جعفر السبحاني

قم المشرفة

مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

للبحوث والدراسات العليا

الفهارس

فهرس مصادر التأليف

١. القرآن الكريم.

حرف الألف

٢. آداب الشافعي: ابن أبي حاتم.

٣. الإبانة: أبو الحسن الأشعري (٢٦٠ـ ٣٢٤هـ) طبع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ـ ١٩٧٠م.

٤. أبو هريرة: عبد الحسين شرف الدين الموسوي (١٢٩٠ـ ١٣٧٧هـ) دار الزهراء، بيروت، الطبعة الخامسة ـ ١٤٠٦هـ.

٥. الاحكام في أُصول الاحكام: علي بن حزم الأندلسي الظاهري (٣٨٣ـ ٤٥٦هـ) دار الجيل، بيروت ـ ١٤٠٧هـ.

٦. الأخبار الموفقيات: الزبير بن بكار (المتوفّى ٢٥٦هـ) منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة ـ ١٤١٦هـ.

٧. الأدب المفرد: البخاري: محمد بن إسماعيل (المتوفّى ٢٥٦هـ) ترتيب و تقديم كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت ـ ١٤٠٥هـ.

٨. **الإرشاد**: المفيـد: محمد بن محمـد بن النعمان (٣٣٦ـ ٤١٣) منشورات مكتبـة بصيرتي، قم المقدسة.

٩. **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**: أبو العباس أحمد بـن محمد القسطلاني (٨٥١ ـ ٩٢٣هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠. **أُسد الغابة**: ابن الأثير: أبـو الحسن علي بـن أبي الكـرم (المتوفّى ٦٣٠هـ) دار إحياء التراث ا لعربي، بيروت.

١١. **الاستيعاب**: أبو عمـر يوسـف بن عبد اللهبـن عبد البر (المتـوفّى ٤٥٦هـ) دار نهضة مصر، القاهرة.

١٢. **الإصابة**: العسقـلاني: أحمد بن علي بـن حجر (٧٧٣ـ ٨٥٢هـ) دار إحيـاء التراث العربي، بيروت ـ ١٣٥٨هـ.

١٣. **أضواء على السنّـة المحمّديـة**: محمود أبـو ريّه، منشـورات الأعلمي، بيروت، لبنان.

١٤. **الاعتصام بالكتاب و السنّة**: جعفر بن محمد حسين السبحاني (تولد ١٣٤٧هـ مؤلف هذا الكتاب) ، نشر مـؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة ـ ١٤١٤هـ.

١٥. **الأغاني**: أبو الفـرج الإصفهاني: علي بـن الحسين (٢٨٤ـ ٣٥٦هـ) دار إحيار التراث العربي، بيروت.

١٦. **الإلهيات**: حسن محمد مكـي العاملي من محاضرات الشيخ جعفـر السبحاني، الدار الإسلامية، بيروت ـ ١٤١٠هـ.

١٧. **الإمامة والسياسة**: ابن قتيبـة: عبد الله بن مسلم الـدينوري (المتـوفّى ٢٧٦هـ)

مطبعة مصطفى محمد، مصر.

١٨. امتاع الأسماع: أحمد بن علي المقريزي (المتوفّى ٨٤٥هـ) طبع مصر.

١٩. أنساب الأشراف: البلاذري: أحمد بن يحيى (من أعلام القرن الثالث الهجري) مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ ١٣٩٤هـ.

حرف الباء

٢٠. بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (المتوفّى ١١١٠هـ) مؤسسة الوفاء، بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

٢١. بحوث في الملل والنحل: السبحاني: جعفر بن محمد حسين (تولد ١٣٤٧هـ مؤلف هذا الكتاب) منشورات لجنة إدارة الحوزة العلمية، قم المقدسة.

٢٢. بحوث مع أهل السنة والسلفية: مهدي الحسيني الروحاني، المكتبة الإسلامية، الطبعة الأُولى ـ ١٣٩٩هـ.

٢٣. بداية المجتهد: ابن رشد القرطبي: محمد بن أحمد (٥٢٠ـ ٥٩٥) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

٢٤. البداية والنهاية: ابن كثير الشامي (المتوفى ٧٧٤هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٢هـ.

٢٥. البدعة: السبحاني، جعفر بن محمد حسين (تولد ١٣٤٧هـ مؤلف هذا الكتاب) نشر مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة ـ ١٤١٦هـ.

٢٦. **بلوغ المرام**: العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر (٧٧٣ـ ٨٥٢هـ) دار النهضة، مصر.

حرف التاء

٢٧. **تاريخ الإسلام**: محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣ـ ٧٤٨هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ـ ١٩٩١م.

٢٨. **تاريخ بغداد**: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (٣٩٢ـ ٤٦٣هـ) المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

٢٩. **تاريخ التشريع الإسلامي**: محمد الخضري بك، دار القلم؛ بيروت، الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٣هـ.

٣٠. **تاريخ الخلفاء**: جلال الدين السيوطي (٨٤٩ـ ٩١١هـ) مطبعة المدني، القاهرة ـ ١٣٨٣هـ.

٣١. **تاريخ الخميس**: الديار بكري: الشيخ حسين بن محمد، مؤسسة شعبان، بيروت.

٣٢. **تاريخ الطبري (تاريخ الأُمم والملوك)** : محمد بن جرير الطبري (المتوفّى ٣١٠هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٣٣. **تاريخ مدينة دمشق**: ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله (٥٠٠ـ ٥٧٣هـ) دار التعارف، بيروت ـ ١٣٩٥هـ.

٣٤. **تأويل مختلف الحديث**: ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم (٢١٣ـ ٢٧٦هـ) دار الجيل، بيروت ـ ١٣٩٣هـ.

٣٥. **التحصيل من المحصول**: الأرموي: محمود بن أبي بكر (المتوفّى ٦٨٢هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت ـ ١٤٠٨هـ.

٣٦. **تحف العقول**: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني (من علماء القرن الرابع الهجري) تصحيح علي أكبر الغفاري، منشورات المكتبة الإسلامية، طهران ـ ١٣٨٤هـ.

٣٧. **تدوين السنّة الشريفة**: السيدمحمد رضا الحسيني الجلالي (المعاصر) مركز النشر التابع لمكتب الاعلام الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الثانية ـ ١٤١٨هـ.

٣٨. **تذكرة الحفاظ**: أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣ـ ٧٤٨هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٩. **تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)** : إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٠٠ـ ٧٧٤هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

٤٠. **تفسير البرهان**: السيد هاشم التوبلي البحراني (المتوفّى ١١٠٧هـ) قم المقدسة ـ ١٣٧٥هـ.

٤١. **تفسير الدر المنثور**: جلال الدين السيوطي (٨٤٩ـ ٩١١هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

٤٢. **تفسير الطبري (جامع البيان)** : محمد بن جرير الطبري (المتوفى ٣١٠هـ) دار المعرفة، بيروت.

٤٣. **تفسير القرطبي (جامع أحكام القرآن)** : محمد بن أحمد الأنصاري (المتوفّى ٦٧١هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤٠٥هـ.

٤٤. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : محمد بن عمر الخطيب الرازي (٥٤٤-٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٥. تفسير الكشاف: محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ) دار المعرفة، بيروت.

٤٦. تفسير مجمع البيان: الطبرسي: الفضل بن الحسن (٤٧١-٥٤٨هـ) دار المعرفة، بيروت-١٤٠٨هـ.

٤٧. تفسير الميزان: العلاّمة محمد حسين الطباطبائي (١٣٢١-١٤٠٢هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت-١٤٠٣هـ.

٤٨. تقييد العلم: الخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٣هـ) نشر دار إحياء السنّة النبوية، الطبعة الثانية-١٩٧٤م.

٤٩. تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي: محمد بن الحسن (٣٨٥-٤٦٠هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران-١٣٩٠هـ.

٥٠. تهذيب التهذيب: العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر (٧٧٣-٨٥٢هـ) دار الفكر، بيروت-١٤٠٤هـ.

٥١. التوحيد: الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٠٦-٣٨١هـ) مكتبة الصدوق، طهران.

حرف الجيم

٥٢. جامع الأُصول: ابن الأثير الجزري: المبارك بن محمد (٥٤٤-٦٠٦هـ) دار الفكر، بيروت-١٤٠٣هـ.

٥٣. **جامع المسانيد والسنن**: ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي (٧٠٠ـ ٧٧٤هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٤١٥هـ.

حرف الحاء

٥٤. **حلية الأولياء**: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الإصبهاني (المتوفّى ٤٣٠هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٣٨٧هـ.

٥٥. **حياة محمد**: محمد حسين هيكل (المعاصر) مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة.

حرف الخاء

٥٦. **الخلاف**: الشيخ الطوسي: محمد بن الحسن (٣٨٥ـ ٤٦٠هـ) دار الكتب العلمية، قم المقدسة.

حرف الدال

٥٧. **دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه**: أبو الفرج عبد الرحمان بن الجوزي الحنبلي (المتوفّى ٥٩٧هـ) دار الإمام النووي، عمان، الأردن، الطبعة الأُولى ـ ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٥٨. **دلائل النبوة**: البيهقي: أحمد بن الحسين (٣٨٤ـ٤٥٨هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٠٥هـ.

٥٩. **ديوان أبي طالب**: جمع علي بن حمزة البصري التميمي المكنّى بأبي نعيم (المتوفّى ٣٧٥هـ).

حرف الذال

٦٠. **الذريعة إلى أُصول الشريعة**: الشريف المرتضى: محمد بن علي علم الهدى (٣٥٥ـ ٤٣٦هـ) طهران ـ ١٣٨٦هـ.

حرف الراء

٦١. **الرجال**: النجاشي: أحمد بن علي (٣٧٢ـ ٤٥٠هـ) بيروت ـ ١٤٠٩هـ.

٦٢. **الرحلة المسمّاة (تحفة النظّار في غرائب الأمصار)** : ابن بطوطة: محمد بن عبد الله (المتوفّى ٧٧٩هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٠٧هـ.

٦٣. **الرسالة**: الشافعي: محمد بن إدريس (١٥٠ـ ٢٠٤هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

حرف السين

٦٤. **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**: الالباني.

٦٥. **السنن**: ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ـ ٢٧٥هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٣٩٥هـ.

٦٦. **السنن**: أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢ـ ٢٧٥هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٧. **السنن**: الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ـ ٢٧٩هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٨. **السنن**: الدار قطني: علي بن عمر (٣٠٦ـ ٣٨٥هـ) دار المعرفة، بيروت.

٦٩. **السنن**: الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمان (١٨١ـ ٢٥٥هـ) دار إحياء السنّة النبوية.

٧٠. **السنن**: النسائي: أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب (٢١٥ـ ٣٠٣هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧١. **سير أعلام النبلاء**: أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣ـ ٧٤٨هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت ـ ١٤٠٩هـ.

٧٢. **السيرة الحلبية**: برهان الدين علي بن إبراهيم الحلبي (المتوفّى ١٠٤٤هـ) المكتبة الإسلامية، بيروت.

٧٣. **السيرة النبوية**: ابن هشام: عبد الملك بن أيوب الحميري (المتوفّى ٢١٣ أو ٢١٨هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

حرف الشين

٧٤. **شرح صحيح مسلم**: النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف (٦٣١ـ ٦٧٦هـ) دار القلم، بيروت، بيروت ـ ١٤٠٧هـ.

٧٥. **شرح نهج البلاغة**: ابن أبي الحديد (المتوفّى ٦٥٥هـ) دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ـ ١٣٧٨هـ.

٧٦. **الشعر و الشعراء**: ابن قتيبة الدينوري (المتوفى٢٧٦هـ).

٧٧. **الشفاء بتعريف حقوق المصطفى**: القاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي (٤٧٦ـ ٥٤٤هـ) نشر مؤسسة علوم القرآن و دار الفيحاء، عمان ـ ١٤٠٧هـ.

حرف الصاد

٧٨. **الصحيح**: البخاري: محمد بن إسماعيل (المتوفّى ٢٥٦هـ) مكتبة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر ـ ١٣١٤هـ.

٧٩. **الصحيح**: مسلم بن الحجاج القشيري (المتوفّى ٢٦١هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٠. **الصحيفة السجادية**: الإمام زين العابدين و سيد الساجدين علي بن الحسين عليهما السلام، مؤسسة الإمام المهدي ـ عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ قم المقدسة ـ ١٤١١هـ.

حرف الطاء

٨١. **طبقات الحنابلة**: القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى، دار المعرفة، بيروت.

٨٢. **الطبقات الكبرى**: محمد بن سعد (المتوفّى ٢٣٠هـ) دار صادر، بيروت ـ ١٣٨٠هـ.

حرف العين

٨٣. **العالم و المتعلم**: أبوحنيفة، تحقيق محمد رواس قلعه جي وعبد الوهاب الهندي الندوي، مكتبة الهدى، حلب ـ ١٣٩٢هـ.

٨٤. **العقد الفريد**: ابن عبد ربه الأندلسي (٢٤٦ـ ٣٢٨هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٠٤هـ.

٨٥. **عون المعبود شرح سنن أبي داود**: أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، ضبط و تحقيق عبد الرحمان محمد عثمان، دار الفكر، بيروت.

حرف الغين

٨٦. **الغدير**: العلاّمة الأميني: عبد الحسين أحمد النجفي (١٣٢٠ ـ ١٣٩٠هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٣٨٧هـ.

حرف الفاء

٨٧. **فتح الباري**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ـ ٨٥٢هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨٨. **الفصول المختارة من العيون و المحاسن (للشيخ المفيد)** : الشريف المرتضى: محمد بن علي (٣٥٥ـ ٤٣٦هـ) مكتبة الداوري، قم المقدسة ـ ١٣٩٦هـ.

٨٩. **فضائل الصحابة**: أحمد بن حنبل (١٦٤ـ ٢٤١هـ) نشر جامعة أُم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٣هـ.

٩٠. **الفقه على المذاهب الأربعة**: عبد الرحمان الجزيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩١. **الفهرست**: الطوسي: محمد بن الحسن (٣٨٥ـ ٤٦٠هـ) جامعة مشهد، إيران ـ ١٣٥١هـ.

حرف الكاف

٩٢. **الكافي**: محمد بن يعقوب الكليني (المتوفّى ٣٢٩هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران ـ ١٣٨٨هـ.

٩٣. **الكامل في التاريخ**: ابن الأثير الجزري: محمد بن محمد (المتوفّى ٦٣٠هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.

٩٤. **كفاية الطالب**: أبو عبد الله محمد بن يوسف القرشي الكنجي الشافعي (المتوفّى ٦٥٨هـ) شركة الكتبي، بيروت ـ ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٩٥. **كلمة حول الرؤية**: عبد الحسين شرف الدين الموسوي (١٢٩٠ـ ١٣٧٧هـ).

٩٦. **كنز العمال**: المتقي الهندي (المتوفّى ٩٧٥هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت ـ ١٤٠٥هـ.

حرف اللام

٩٧. **اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**: جلال الدين السيوطي (٨٤٩ـ ٩١١هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

٩٨. **لسان العرب**: ابن منظور: محمد بن مكرم (٦٣٠ ـ ٧١١هـ) قم المقدسة ـ ١٤٠٥هـ.

حرف الميم

٩٩. **مجمع الزوائد**: علي بن أبي بكر الهيثمي (٧٣٥ـ ٨٠٧هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٤٠٢هـ.

١٠٠. **المحصول**: الرازي: محمد بن عمر بن الحسين (٥٤٤ـ ٦٠٦هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٠٨هـ.

١٠١. **مختصر تاريخ دمشق**: ابن منظور: محمد بن مكرم (٦٣٠ـ ٧١١هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٤هـ.

١٠٢. **مختصر جامع بيان العلم وفضله**: ابن عبد البر.

١٠٣. مـروج الذهـب ومعادن الجوهـر: المسعودي، منشـورات الجامعة اللبنـانية، بيروت ـ ١٩٦٥م.

١٠٤. المستـدرك: الحاكم النيسـابـوري: محمد بـن عبـد الله (٣٢١ـ٤٠٥هـ) دار المعرفة، بيروت.

١٠٥. المسند: أحمد بن حنبل (١٦٤ـ ٢٤١هـ) دار الفكر، بيروت.

١٠٦. المسنـد الجامع (لأحاديث الكتـب الستة، ومؤلّفات أصحـابها الأُخرى...) حقّقه ورتّبـه مجموعـة من المؤلّفين نشر دار الجيل في بيروت و الشركـــة المتحـــدة في الكـــويـت، الطبعـــة الأُولى ـ ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٠٧. المسند: الحميدي: أبـو بكر عبد الله بن الزبير القـرشي، تحقيق حسين سليم أسد، دار السقا، دمشق ـ١٩٩٦م.

١٠٨. المسند: الشافعي: محمد بن إدريس (١٥٠ــ ٢٠٤هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٩. مشكل الآثار: أبو جعفر الطحاوي: أحمد بن محمد الأزدي (٢٣٩ـ ٣٢١هـ) ٧ مجلـدات من مخطـوطـات مكتبة فيـض الله شيخ الإسـلام، استنبول، وقد طبع ٤ أجزاء منه في حيدر آباد.

١١٠. المعتمد: أبو الحسين البصري: محمد بن علي بن الطيب (المتوفّى ٤٣٦هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ١٤٠٣هـ.

١١١. معرفـة علوم الحديث: الحاكم النيسـابوري: أبو عبـد الله محمد بـن عبد الله (٣٢١ـ ٤٠٥هـ) نشر و تصحيح و تعليق الـدكتور السيـد

معظم حسين رئيس الشعبة العربية و الإسلامية بجامعة دكة بنغالة.

١١٢. **المعرفة والتاريخ**: أبو يوسف يعقوب بن سفيان البسوي (المتوفّى ٢٧٧هـ) نشر مكتبة الدار، المدينة المنورة ـ ١٤١٠هـ.

١١٣. **المغازي**: الواقدي: محمد بن عمر بن واقد (١٣٠ـ ٢٠٧هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.

١١٤. **المغني**: عبد الله بن قدامة (٥٤١ـ ٦٢٠هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

١١٥. **مفاهيم القرآن**: السبحاني: جعفر بن محمد حسين (تولّد ١٣٤٧هـ مؤلف هذا الكتاب) قم المقدسة ـ ١٤٠٤هـ.

١١٦. **مقاييس اللغة**: أحمد بن فارس بن زكريا (المتوفّى ٣٩٥ هـ) دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ـ ١٣٦٦هـ.

١١٧. **المقدمة**: ابن خلدون: عبد الرحمان بن محمد (المتوفّى ٨٠٨هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٣٩٨هـ.

١١٨. **الملل والنحل**: الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (٤٧٩ـ ٥٤٨هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٢هـ.

١١٩. **مناقب آل أبي طالب**: ابن شهر آشوب: محمد بن علي السروي المازندراني (٤٨٨ـ ٥٨٨هـ) المطبعة العلمية، قم المقدسة.

١٢٠. **مناقب أحمد**: أبو الفرج عبد الرحمان بن الجوزي (٥١٠ـ ٥٩٧هـ) نشر مكتبة الخانجي، بيروت.

١٢١ . الموضوعات: عبد الرحمان بن الجوزي (٥١٠ـ ٥٩٧هـ) دار الفكر، الطبعة الثانية ـ ١٤٠٣هـ.

١٢٢ . الموضوعات في الآثار والأخبار: هاشم معروف الحسني.

١٢٣ . الموطأ: مالك بن أنس (المتوفّى ١٧٩هـ) دار الآفاق الجديدة، بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

١٢٤ . ميزان الاعتدال: أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣ ــ ٧٤٨ هـ) دار المعرفة، بيروت.

حرف النون

١٢٥ . النصائح الكافية: سيد محمد بن عقيل (١٢٧٩ـ ١٣٥٠هـ) دار الزهراء، بيروت ـ ١٤٠١هـ.

١٢٦ . نهج البلاغة: جمع الشريف الرضي (٣٥٩ـ ٤٠٤هـ) بيروت ـ ١٣٨٧هـ.

حرف الواو

١٢٧ . وسائل الشيعة: الحرّ العاملي: محمد بن الحسن (١٠٣٣ـ ١١٠٤هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

١٢٨ . وقعة صفين: نصر بن مُزاحم النقري (المتوفّى ٢١٢هـ) دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ـ ١٣٦٥هـ.

الفهرس الهجائي

لأسماء الصحابة الذين درسنا الأحاديث المروية عنهم

فهرس محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
٨	
حذيفة بن اليمان العبيسي	
(... - ٣٦هـ)	

٩

عقبة بن عمرو

«أبو مسعود الأنصاري»

(...- ٤٠هـ)

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

١٨

سعد بن أبي وقاص

(٢٨ ق.هـ ـ ٥٤هـ)

الموضوع	الصفحة
١٩	
أبو هريرة	
(٢١ق.هـ ـ ٥٧هـ)	

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
٢٢	
سمرة بن جندب	
(... - ٥٩هـ)	
سيرته وأحاديثه الرائعة	٣٨٩
أحاديثه السقيمة	٣٩٥
١. الميت يعذب بالنياحة عليه	٣٩٥
٢. لا عبرة بأذان بلال	٣٩٦
٣. خلق المرأة من ضلع	٣٩٦
٤. جواز حلب الماشية بغير إذن صاحبها	٣٩٧
٥. الإذن في شرب النبيذ بعد النهي عنه	٣٩٨
٦. الدجال يُبرئ الأكمه والأبرص	٣٩٩
٧. وحي الشيطان إلى حواء	٤٠١
٢٣	
عبد الله بن مغفّل المزني	
(... - ٦٠)	
سيرته وأحاديثه الرائعة	٤٠٢
أحاديثه السقيمة	٤٠٣

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
٢٥	
عبد الله بن عمرو بن العاص	
(٨ق.هـ ـ ٦٥هـ)	

٢٦

ابن عباس

(٣ق.هـ ـ ٦٨هـ)

الموضوع	الصفحة
٢٨	
البراء بن عازب الأنصاري	
(١٠ق هـ ـ ٧٢ هـ)	
سيرته وأحاديثه الرائعة	٤٨٩
حديثه السقيم	٤٩٣
نزول الوحي عند رغبة ابن أُمّ مكتوم	٤٩٣
٢٩	
عبد الله بن الزبير	
(٢ هـ ـ ٧٣هـ)	
سيرته وأحاديثه الرائعة	٤٩٤
أحاديثه السقيمة	٤٩٨
١. تقديم صلاة الجمعة على الخطبتين	٤٩٨
٢. خطبة علي عليه السلام بنت أبي جهل	٤٩٩
الصور المختلفة للحديث	٥٠٠
كلمة لأبي جعفر الاسكافي حول الرواية	٥٠٣
التعريف بمن أغضب النبي و آذاه	٥٠٥

الموضوع	الصفحة

٣٠
أبوسعيد الخدري
(١٠ق.هـ - ٧٤هـ)

الموضوع	الصفحة
٣١	
عبد الله بن عمر	
(١٠ق . هـ ـ ٧٤هـ)	

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
٣٨	
أنس بن مالك الصحابي	
(١٠ق. هـ - ٩٣هـ)	

الموضوع	الصفحة
١٥ . النهي عن باب الامراء	٦٥٩
١٦ . فضل عائشة	٦٦٠
١٧ . نوم النبي ﷺ على فراش أُمّ سليم	٦٦٠
١٨ . الاختلاف في مدة خدمته	٦٦٢
١٩ . اسراء النبي ﷺ قبل أن يوحى إليه	٦٦٣
٢٠ . نزول آية الصلح في عبد الله بن أُبي	٦٦٥
عثرة لا تقال	٦٦٦
٣٩	
السائب بن يزيد الكندي	
(٣هـ ـ ٩٤هـ)	
سيرته وأحاديثه الرائعة	٦٦٨
حديثه السقيم	٦٦٩
النبي ﷺ يأذن لقينة في الغناء لعائشة	٦٦٩
٤٠	
عامر بن واثلة	
(٢ هـ ـ ١٠٧هـ)	
سيرته وأحاديثه الرائعة	٦٧١
حديثه السقيم	٦٧٢
النبي يكشف عن عورته	٦٧٢

قال الإمام أبو حنيفة:

أُكذِّبُ هؤلاء، ولا يكون تكذيبي لهؤلاء وردّي عليهم تكذيباً للنبي ﷺ، إنّما يكون التكذيب لقول النبي ﷺ: أن يقول الرجل أنـا مكذّب لقول نبي الله ﷺ؛ فأما إذا قال الرجل: أنـا مؤمن بكل شيء تكلم به النبي، غير أنّ النبي لا يتكلم بالجور، ولم يخالف القرآن، فإنّ هذا القـول منه هو التصديق بالنبي والقرآن، وتنزيـه له من الخلاف على القرآن، ولو خالـف النبي القرآن وتقوّلَ على الله غير الحق، لم يدعـه اللهُ حتى يأخذه باليمين، ويقطع منـه الوتين كما قال الله عزّ وجل: ﴿**ولو تقوّل علينا بعضَ الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين**﴾ (الحاقة/ ٤٤ ـ ٤٧) ونبي الله لا يخالف كتاب الله تعالى، ومخالفُ كتابِ الله لا يكون نبي الله.

العالم والمتعلم: ١٠٠ ـ ١٠١